

عرجى زيدان

تاريخ آداب اللغة العربية

الجزء الثاني



المكتبة العامة مكتبة الاسكندرية

رقم الكتاب: ١٢٣٤٥٦

تسجيل رقم: ٧٥٦٧

فانج آداب اللغة العربية

تأليف

جرجي زيدان

منشأة الهلال

الجزء الثاني

يحتوى على تاريخ آداب اللغة العربية في العصر العباسى من قيام الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ الى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ

طبعة جديدة راجعها وعلق عليها

الكتور شوقي ضيف

أستاذ الأدب العربى بكلية الآداب
بجامعة القاهرة

دار الهلال

مقدمة

شروط التأليف (١)

من يتصدى للكتابة أو التأليف ، يجعل نفسه خادما للمصلحة العامة . . الا من يحصر كتابته في شؤون خصوصية أو يعالج علما يلد له لا يهيمه سواه ، أو يمارس الكتابة لأغراض معينة ، أو يكون هدفه من التأليف بيان قدرته على الانشاء والقوص على المعاني العويصة الالفاظ الغريبة بتقليد الاساليب القديمة التماسا لعجاب العلماء مما شق فهمه على جمهور القراء . . فهؤلاء وأمثالهم يكتبون لانفسهم أو طبقة خاصة لفرض خاص ، ولهم منزلة وفضل ولكن في غير الخدمة لعامة . وإذا لم يصادفوا اقبالا من الجمهور اتهموه بالجهل وهددوه الاعراض والتقاعد عن الكتابة ، مع انه لم يشعر بوجودهم لانهم لم مخاطبوه بلسانه

وأما الكاتب العام فانه خادم الأمة وولي ارشادها . وعليه أن يبذل لجهده في سبيل مصلحتها . ولا بد له في تأليفه من ثلاثة شروط ، الأول : اختيار الموضوع الذي يرى الأمة في حاجة اليه . والثاني : أن يسبكه في قالب سهل تناوله . والثالث : أن يتوخى صدق اللهجة والصرحة بلا نحياز الى طائفة أو حزب . والكتاب يتفاوتون قدرة على القيام بأحد هذه الشروط أو كلها بتفاوت أحكامهم على النافع والضار من الموضوعات تبين قدرتهم على ايضاح أفكارهم . ويصعب ذلك على الخصوص في موضوعات الأدبية كالتاريخ والاجتماع والأخلاق ونحوها ، بخلاف لموضوعات الطبيعية فانها مقيدة بمصطلحات تسهل الاجادة فيها

الاسلوب العصري

أما الأبحاث الأدبية فانها تفتقر في تأديتها الى اعمال الفكرة من حيث ترتيبها وسبكها في عبارة سهلة تخلو من الركاقة والتعقيد . وهذا في نظرنا هو الاسلوب العصري الذي يجب على كل كاتب ان يتخذه . وهو شائع ليوم على أقلام الكتاب ، لايشد عنه الا المتفانون في المحافظة على القديم الذين يحسبون اللفظة « وقفا » لايجل بيعه أو التعرف فيه . وفاتهم انها من قبيل الاحياء الخاضعة لناموس الارتفاع ، تتغير بتغير أحوال المجتمع من لبداءة أو الحضارة . . فتنمو بتولد الالفاظ الجديدة للمعاني الجديدة

(١) تنبيه : يلاحظ أن تعليقات الدكتور شوقي ضيف ، في هذا الجزء كالجزء السابق ، مدار اليها في الهامش بعلامة (*) تميزا لها من تعليقات المؤلف المشار اليها بأرقام

والتراكيب العصرية للأفكار العصرية . وتذهب الالفاظ القديمة بذهاب معانيها ، كالأعضاء المهمة في الجسم الحي ، تقضى الطبيعة بانقراضها ليقوم سواها مقامها . أو هي كالأغذية التي تندثر بالعمل الحيوى فتخلفها الخلايا الجديدة النامية . والتغير الذى يصيب الالفاظ والأساليب باختلاف العصور دليل على حياة اللغة . ومن حاول الوقوف فى سبيل هذا التغير فقد عارض الطبيعة ، كما يفعل الصينيون بحبس أقدام بناتهم فى قوالب الحديد لتبقى صغيرة . فهم لا يقفون النمو لكنهم يشوشون عمله ، فتتمو الأقدام مشوهة . وهكذا الوقوف فى سبيل اللغة فانه لا يقف نموها لكنه يشوش عمله

صدق اللهجة

أما صدق اللهجة والصراحة فى القول والخلو من الغرض ، فذلك من أهم واجبات الكاتب ، لكنه من أصعب الشروط عليه . . إذ لايسهل على الإنسان أن يجرد نفسه من الروابط الدينية أو الاجتماعية التى تتجاذبه ، وقد تأثر بها منذ الصغر وتمكنت منه بتوالى الأعوام . وإنما يقوى على مغالبتها قوى الإرادة على التزبية . وقد يتطرف المتعصب لأتمته أو طائفته حتى لا يرى الحسنات الا فيها ولا يرى فى سواها غير السيئات ، ولذلك فهو لا يفيد فى الخدمة العامة وقد يضر

أما الموضوعات ففيها النافع والضار وما بينهما . والموضوع الواحد يختلف نفعه أو ضرره باختلاف حال الأمة وباختلاف نسق الكاتب فى تبويبه وأسلوبه فى تأديته ، وبمقدار ما يضمن كتابه من الحقائق أو المواد . . لأن من الكتاب من يصرف همه الى رشاقة العبارة وتزويقها وتنميقها ، ولو أدى ذلك الى اضطراب المعنى أو غموضه . ومنهم من يوجه اهتمامه الى الحقائق التى يستطيع جمعها فى كتابه بلا تكلف أو تأثق ، ويحافظ على سلامة المعنى قبل كل شيء . وهذه هى الخطة التى نبذل جهدنا فى الإخذ بها فيما نكتبه . . لأننا نرى الأمة فى حاجة الى الحقائق أكثر من حاجتها الى الالفاظ . وهذا ما توخيناه على الخصوص فى هذا الكتاب لاتساعه وتشعب موضوعاته وتعدد جزئياته ، ولأننا نعلق أهمية كبرى على حاجة الناشئة العربية اليه

ماهو تاريخ آداب اللغة ؟

اختلف الكتاب فى مباحث تاريخ آداب اللغة ، فبعضهم يقتصر منها على تاريخ الأدب بمعناه الخاص دون سائر العلوم ، أو بمعناه العام لكنه لا يتجاوز النظر فى تاريخه مع إعتبار مجرى التاريخ العام عليه أو بقطع النظر عن ذلك . وقد يكتفى بعضهم من تاريخ آداب اللغة بتراجم العلماء والشعراء وأمثلة من أقوالهم بدون التعرض لكتبتهم ، أو يجعل همه وصف الكتب التى ظهرت فى كل علم دون التراجم وأطوار العلم . ومنهم من يكتفى باطراء أصحاب هذه اللغة وما بلغوا اليه من الرقى فى معالجة

الموضوعات الهامة بالقياس الى الامم الاخرى . اما نحن فقد أردنا أن نجتمع بين ذلك كله بقدر الامكان

نسق هذا الكتاب

قسمنا كتابنا الى عصور بينا فيها ما تقلبت عليه آداب اللغة في كل عصر . وذكرنا الاسباب السياسية والاجتماعية التي أثرت في ذلك ، وما قد يقابلها عند الامم الاخرى ومزية العرب فيها . وأرشنا كل علم في كل عصر وترجمنا النابغين فيه وذكرنا ما خلفوه من الكتب ، واقتصرنا من ذلك على ما يمكن الحصول عليه ، ووصفنا أهم تلك الكتب وقيمتها بالنسبة لسواها . وأشرنا الى المطبوع منها مع سنة الطبع ومكانه . وما لم يطبع ذكرنا مكان وجوده في أشهر المكاتب الكبرى بمصر أو الأستانة أو أوروبا أو غيرها من دور الكتب العامة أو الخاصة . وربما فاتنا ذكر كتب لا توجد الا في بعض المكتبات الخاصة التي لم يصلنا خبرها . وذيّلنا كل ترجمة أو باب بأشهر المصادر التي يمكن الرجوع اليها في تفصيل تلك الترجمة أو التوسع في ذلك الباب

فمن أحب الاطلاع على تاريخ علم من العلوم مثلا طلبه في كل عصر وتتبع تاريخه الى آخره . ومن شاء الاطلاع على تأثير التقلبات السياسية في الآداب والعلوم هان عليه ذلك بمطالعة ما صدرنا به كل عصر من تاريخ تلك التقلبات . واذا أراد الاطلاع على ترجمة عالم أو شاعر أو أديب أو نحوي أو لغوي أو مؤرخ أو جغرافي أو أى رجل من رجال العلم أو الأدب طلب ترجمته في باب العلم الذى غلب عليه حسب العصور ، فيجد هناك خلاصة ترجمته وحقيقة منزلته وما خلفه من الكتب مما وصل الينا خبره ووصف كل كتاب وأين يوجد . واذا شاء التوسع في ترجمة ذلك الرجل رجع الى ما ذكرناه من المصادر في ذيل ترجمته . وهكذا اذا كان غرضه البحث عن موضوع يريد التوسع فيه فانه يجد الكتب التي تبحث فيه فيختار ما يريده منها

الغرض من هذا الكتاب

وقد ألفنا هذا الكتاب للناشئة العربية وطلاب هذا اللسان الذين يريدون الوقوف على العلوم واماكنها للمطالعة أو التأليف ، أو يعوزهم درس موضوع أو الكتابة فيه ولا يعرفون مظانه ، وقد عرفنا حاجة الناشئة الى ذلك من الاسئلة الكثيرة التي تتوالى علينا من هذا القبيل . فربما رغب أحدهم في درس تاريخ أمة أو دولة أو موضوع من الموضوعات الاجتماعية أو الاخلاقية أو اللغوية ، وأحب الاطلاع على ما قاله العرب فيه ولا يدري من ألف فيه منهم ، وهل ما ألفوه لا يزال باقيا ؟ وما هى قيمته بالنظر الى سواه في موضوعه ؟ وهل طبع وأين ؟ واذا لم يطبع فأين يوجد ؟ الخ . . فهذا الكتاب يرشده الى كل ما يريده من هذا القبيل .

ويسهل استخدامه لهذه الغاية بعد وضع الفهارس في آخره وقد توخينا الأفاضلة فيما يهم طلاب الأدب أو الشعر أو التاريخ وسواها من العلوم الأدبية والاجتماعية والأخلاقية ونحوها . واختصرنا في كتب الفقه وسائر العلوم الشرعية لكثرتها وتنوعها واستقلالها بموضوعها . وفعلنا ذلك أيضا في كتب الطب والفلسفة والمنطق ونحوها من العلوم القديمة لذهاب دولتها أو تغير قواعدها

موقع الجزء الأول

وقد تحقق ظننا في حاجة الناشئة الى مثل هذا الكتاب بما أنسناه من اقبالهم على الجزء الأول مع قلة مواده واقتصاره على تاريخ آداب اللغة في العصور الأولى قبل تكون العلوم . وكان لهذا الجزء وقع لدى الأدباء والكتاب ، فتناوله بالتقريظ والانتقاد . أما المقرظون فنشكر لهم أحسن ظنهم . وأما المنتقدون فقد اهتموا بانتقاده بلهجة تتفاوت شدة وأسلوبا بتفاوت فهمهم من المراد بالانتقاد وشروطه ، وتدل على حرج مركز الكتاب الشرقي بين قرائه . وليس في الدنيا جمهور استحکم فيه اختلاف المشارب والأهواء والأغراض مثل قراء العربية ، فلا يتأتى لكاتب أرضاؤهم جميعا ولو أوتي علم الأولين والآخرين

ومما تحسن الإشارة اليه من الانتقادات المعقولة ان بعضهم انتقد على المؤلف تقليبه من الأمثلة الشعرية أو النثرية ، ولكن ذلك ما أردناه . ولو أكثرنا من الأمثلة لخرجنا عن الغرض المقصود من هذا الكتاب . ومن أراد التوسع فليطلب ذلك في المصادر الأصلية المذكورة في ذيل التراجم ، أو يطالع في كتب الأدب لأدباء هذا العصر ومنها طائفة حسنة جمعت نخبة الأشعار والأقوال أشهرها « أدبيات اللغة العربية » لمحمد عاطف (بك) والشيخين محمد نصار وأحمد إبراهيم وعبد الجواد عبد المتعال من رجال وزارة المعارف العمومية . وكتاب « أدب لغة العرب » للشيخ محمد حسن نائل المرصفي مدرس اللغة العربية بكلية الفرير في مجلدين . و « مجاني الأدب » وشرحه للأباء اليسوعيين في عدة مجلدات . و « جواهر الأدب » للشيخ أحمد الهاشمي مراقب مدارس فيكتوريا ونحوها . ومن الكتب الهامة في تاريخ آداب اللغة « تاريخ علم الأدب عند الأفرنج والعرب » لروحى بك الخالدي ، وهو فريد في باب

وإنما نختص من المنتقدين بالذكر الأب لويس شيخو اليسوعي ، لأنه كتب في مجلة المشرق (سنة ١٤ ج ٨) فصلا طويلا في نقد الجزء الأول من هذا الكتاب نقدا ، ثم عن أدبه وفضله ودل على تمكنه من الموضوع . فبعد أن وصف الكتاب ومنزلته بالنسبة الى ما ظهر من الكتب في موضوعه بالعربية وغيرها ، ذكر ملاحظاته وانتقاداته بتعقل وأخلاص . فنشكر له حسن ظنه واهتمامه في البحث والتنقيب ، وسننظر في ملاحظاته بعين الاهتمام وإن كان أكثرها في غير مكانه أو قبل أوانه . فإن بعضها يكاد

يكون تحقيقه مستحيلا كطلبه بيان اللغات التي كان يتكلم بها العرب في جاهليتهم الاولى . والبعض الآخر ليس مكانه في ذلك الجزء كالمفضليات والحماسات ونحوها ، فقد ذكر اكثرها في هذا الجزء لان اصحابها من ادياء العصر العباسي . واتهمنا بالتقصير في ابحاث سبق لنا البحث فيها مطولا في كتبنا الاخرى ، كبيان نسبة اللغة العربية الى اخواتها السامية فقد فصلنا ذلك في كتابنا « الفلسفة اللغوية » وفي « تاريخ العرب قبل الاسلام » واقترح علينا امورا لو اردنا العمل بها لاستغرق هذا الكتاب اضعاف حجمه . فانه طلب الينا ان نستخرج عادات العرب وتاريخهم من أمثالهم وأشعارهم . وهو خارج عن موضوع الكتاب . ومثل ذلك اقتراحه ان نطيل في درس كل شاعر وشعره ، وهذا يفتقر الى كتاب خاص لكل شاعر . وانما اكتفينا بخلاصة الترجمة وزبدة ما يقال في الموضوع مع مراعاة المكان ، وأشرنا الى المصادر لمن أراد التعمق . وأخذ علينا أيضا مبالغتنا في بيان مآثر العرب والتنويه بفضلهم ! ويرى أيضا اننا اخطانا في تعيين وفيات بعض شعراء الجاهلية . وغير ذلك من الملاحظات التي يريد من ورائها خدمة آداب اللغة وهي ضالتنا التي ننشدها . ولذلك فاننا سنتدبر ملاحظاته

موضوع هذا الجزء

كان المراد عند الفراغ من الجزء الاول ان نجعل هذا الجزء خاصا بتاريخ آداب اللغة في العصر العباسي ، من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢ هـ الى سقوط بغداد سنة ٦٥٦ هـ ، فقسمنا هذا العصر او الدولة الى أربعة عصور لكل منها صفة مشتركة في السياسة والاجتماع والأدب يمتاز بها عن سواه سيأتى ذكرها . وانما نريد هنا بيان الحكمة في ذلك التقسيم : فالعصر الاول (سنة ١٣٢ - ٢٣٢ هـ) هو عصر الاسلام الذهبي من حيث السياسة والدولة او هو عصر الرشيد والمأمون والبرامكة ، وقد بلغت فيه الدولة الاسلامية غاية مجدها . وفيه نشأت اكثر العلوم الاسلامية وتقلت أهم العلوم الدخيلة . والعصر الثاني (سنة ٢٣٢ - ٣٣٤ هـ) هو فترة ما بين العصرين الاول والثالث اشتغل فيها رجال الدولة بانفسهم عن نصره رجال العلم والأدب . والثالث (سنة ٣٣٤ - ٤٤٧ هـ) هو عصر الاسلام الذهبي من حيث نضج العلم والأدب ولاسيما اللغة وعلومها والتاريخ والجغرافية . وفيه تعاصرت عدة دول تعاون ملوكها وأمراؤها ووزراؤها على الاشتغال بالعلم والأخذ بناصر العلماء . والرابع (سنة ٤٤٧ - ٦٥٦ هـ) فيه ظهرت ثمار العلوم ونضجت الموسوعات والمعاجم التاريخية والجغرافية وغيرها

فلما شرعنا في الكتابة اتسع بنا المقال ، فاكثفينا بالعصور الثلاثة الاولى في هذا الجزء أي من تكون العلوم الى نضجها . وأجلنا الكلام في العصر العباسي الرابع وما يليه من العصور الى الجزء الثالث من هذا الكتاب وقد بذلنا الجهد في تنسيق هذا الكتاب وتبويبه وضبط حقايقه

يسط عبارته بإخلاص وصراحة مما نعتقد فيه النفع للناشئة العربية .
فإن أحسننا ، فذلك ما أردناه وهو فرض أديناه . والافتقد أعدونا ببذل
الجهد وصدق النية . ولنا الأمل أن ينشط من أدبائنا من يوفى الموضوع
حقه بأحسن مما فعلنا وبالله التوفيق

اقسام العصر العباسي

من سنة ١٢٢ - ٦٥٦ هـ

تختلف الدولة العباسية عن الأموية اختلافاً بينا . . كانت الدولة الأموية
عربية بدوية ، واصطبغت الدولة العباسية صبغة فارسية إلا من حيث
آداب اللغة فظلت عربية ، وفي أيامها نضجت آداب العرب وعلومهم ونقلت
علوم القدماء إلى لغتهم ونبع الشعراء والأدباء والنحاة والمؤرخون واللغويون
والمنشئون والفقهاء والمفسرون والمحدثون والفلاسفة والأطباء وغيرهم

ومدة العصر العباسي أو الدولة العباسية في بغداد خمسة قرون وبعض
القرن ، من تأسيس الدولة العباسية سنة ١٢٢ هـ إلى سقوط بغداد على
بد هولاء سنة ٦٥٦ هـ

وقد تقلبت آداب اللغة العربية في أثنائها بتقلب الدول وتغلب الأمم على
ما اقتضته الانقلابات السياسية أو الاجتماعية . وقد تدبرنا ذلك باعتبار
القرون أو العصور فوجدنا لكل قرن تقريبا من القرون الثلاثة الأولى
خصائص تختلف عما لسواها باختلاف أحوال الاجتماع أو السياسة أو
باختلاف الدول التي أفضت الأمور إليها . أما القرنان الأخيران فيشتركان
في أحوالهما . فقسمنا العصر العباسي إلى أربعة أدوار أو عصور ، وهي :

١ - الدور أو العصر الأول : من ظهور الدولة العباسية سنة ١٢٢ هـ
إلى أول خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ ونسميه العصر العباسي الأول

٢ - العصر العباسي الثاني : من خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ هـ إلى
استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤ هـ

٣ - العصر العباسي الثالث : من استقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ
إلى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ

٤ - العصر العباسي الرابع : من دخول السلاجقة بغداد إلى سقوطها
في أيدي التتر سنة ٦٥٦ هـ ، وسنقدم للكلام عن كل عصر بما حدث فيه
من الانقلاب السياسي أو الاجتماعي الذي بعث على تغيير آداب اللغة فيه .
ويقال بالأجمال أن في زمن العباسيين بلغت آداب اللغة العربية أرقى أحوالها
ونمهد للكلام في ذلك بما كان من تأثير القرآن الكريم في نشوئها . وقد أشرنا
إلى شيء من ذلك متفرقا في الجزء الأول فأحببنا جمعه والتوسع فيه هنا

القرآن الكريم

وآداب اللغة العربية

تكاثرت العلوم والآداب في التمدن الاسلامي حتى تجاوز عددها ثلاثمائة علم في الشرع واللغة والتاريخ والأدب والشعر وغيرها . وأكثرها نشأ من القرآن الكريم أو تولد خدمة له ، ولا يكاد يخلو علم من تأثير القرآن عليه تأثيرا مباشرا أو غير مباشر . فلا غرو اذا أفردنا فصلا خاصا لبيان ذلك

١ - العلوم التي تفرعت من القرآن الكريم أو نشأت لخدمته (*)

خرج العرب من جزيرتهم الى العالم في صدر الاسلام ، وليس في أيديهم من الكتب غير القرآن الكريم يقرأونه ويتعظون به ويتحامون اليه ، وقد اعجبوا بأسلوبه ودهشوا لبلاغته . . . لأنه ليس من قبيل ما كانوا يعرفونه من نثر الكهان المسجع ولا نظم الشعراء المقفى الموزون . وقد خالف كليهما وهو منثور مقفى على مخارج الأشعار والاسجاع . فلا هو شعر ولا هو نثر ولا هو سجع ، وفيه من البلاغة وأساليب التعبير ما لم يكن له شبيه في لسانهم . فسجروا بأسلوبه وبما حواه من الشرائع والأحكام وقصص الأنبياء . فأصبح همهم تلاوته وتفهم أحكامه لأنه قاعدة الدين والدنيا وبه يتأيّد السلطان والخلافة . وهو أول كتاب أخذوا في قراءته وحفظه

القراءة وعلومها

واختلفوا في قراءة بعض آياته فتولدت القراءات السبع نسبة الى سبعة من أئمة القراء مر ذكرهم . وقد أخذ كل منهم يثبت صحة قراءته بالتواتر عن الرسول ، فتولد من ذلك علم القراءة وشواذها . وتفرع بتوالي العصور

(*) مرض المؤلف هنا باختصار للمعلوم التي نشأت لخدمة القرآن الكريم ، وفي المكتبة العربية كتب مختلفة عالجت هذا الموضوع بإفاضة لعل أهمها كتاب « الاتقان في علوم القرآن » للسيوطي المتوفى في القرن التاسع الهجري ، وهو يقع في مجلدين ضخمين . وقد الفت قبل هذا الكتاب كتب كثيرة ، منها ما يتناول علما خاصا ، كعلم أسباب النزول لاي الذكر الحكيم أو علم مجازة أو علم أعرابه أو علم قراءاته أو علم تفسيره . ويدكر السيوطي في كتابه كل علم وأهم الكتب التي ألقت فيه ، وينقل عنها فصلا واسعة . ومن أهم من ألفوا فيه قبله ابن الجوزي المتوفى سنة ٩٧٧هـ للهجرة وله فيه كتابان مخطوطان بدار الكتب المصرية ، يسمى أحدهما « فنون الأئمة في علوم القرآن » ويسمى الثاني « المجتبي في علوم تتعلق بالقرآن » . ويذكر الدين الزركشي المتوفى سنة ٧٩٤ للهجرة كتاب مهم في هذا الموضوع اعتمد عليه السيوطي في مصنفه الألف الذكر وهو كتاب « البرهان في علوم القرآن » . وتعنى دار الحلبي في القاهرة بنشره الآن

الى سبعة علوم هي : علم الشواذ ، وعلم مخارج الحروف ، ومخارج الالفاظ ، والوقوف ، وعلل القرآن ، وكتسابة القرآن ، وآداب كتابة المصحف . ولكل من هذه العلوم قواعد وكتب

النحو

وأول شيء احتاجوا اليه في ضبط القراءة « النحو » وقد بعثهم على الاسراع في وضعه وضبط قواعده ما شاهده من لحن الناس في قراءة القرآن بعد الفتوح وانتشار العرب في الآفاق . فسمع أبو الأسود السؤلى رجلا يقرأ « ان الله برىء من المشركين ورسوله » بخفض رسوله وهى مضمومة ، فصنف باب العطف والنعث وهو من أسس علم النحو . ثم وضع الاعجام لضبط القراءة . فكان القرآن من أهم البواعث على وضع النحو أو الاسراع في وضعه . فتمت قواعده ولما يتم القرن الثانى للهجرة ، أى انه نضج في قرن وبعض القرن . واليونان لم يتم علم النحو عندهم الا بعد انشاء دولتهم بعدة قرون ، ولم يضع الرومان نحو اللثة اللاتينية الا بعد قيام دولتهم بستة قرون . وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب

الادب وعلومه

ويفتقر علم النحو في تأييد قواعده الى معرفة كلام العرب وأساليبهم . ولما أخذ المسلمون في تفسير القرآن الكريم احتاجوا أيضا الى ضبط معانى الالفاظ وتفهم أساليب عبارته ، فجرهم ذلك الى البحث في أساليب العرب وأقوالهم وأشعارهم وأمثالهم وهو « علم الأدب » وقد بعث الى وضعه في الاكثر تفسير القرآن الكريم . قال ابن عباس : « اذا قرأتم شيئا من كتاب الله ولم تعرفوه فاطلبوه في الأشعار لأن الشعر ديوان العرب »

فكانوا اذا عمدوا الى تفسير آية أو أرادوا اثبات معنى لفظ التبس عليهم فهمه ، اتوا بشعر جاهلى وردت فيه تلك اللفظة بهذا المعنى أوذاك الأسلوب ، وخصوصا في التفاسير التى يراد بها المعنى اللغوى في الاكثر ، كالكشاف للزمخشري ، فان الشواهد الشعرية التى جاءت فيه استفرقت مجلدا ضخما أفرد بعضهم كتابا لشرحها والاشارة الى سبب ورودها . وصساروا يؤلفون كتب الأدب والتاريخ لخدمة القرآن . قال ابن قتيبة في مقدمة كتابه الشعر والشعراء : « وكان أكثر قصدى للمشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الأدب والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله عز وجل وحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم »

وناهيك بما تفرع اليه علم الأدب من الفنون الأدبية والعلوم المتعلقة بالالفاظ ، وهى تزيد على عشرين علما كالنحو والصرف والاشتقاق والمعانى والبيان والبديع والعروض وغيرها ، والفضل في تعجيل ظهورها للقرآن

الحديث

واحتاجوا في تفسير القرآن الكريم أيضا الى تفهم الحديث لانهم كانوا اذا اشكل عليهم فهم آية واختلفوا في تفسيرها أو حكم من أحكامها استعانوا بأقوال الرسول على استيضاحها . فلما تفرق الصحابة في الارض بعد الفتوح تفرقت الأحاديث معهم فاشتغل جماعة من أهل القرائح بجمعها وتدوينها وتولد من ذلك بتوالى الأزمان العلوم المتعلقة بالحديث كشرح الحديث وسنده وتاويله ورموزه وغرائب لغاته وأحوال الرواة ونحو ذلك . وفي كل علم من هذه العلوم مؤلفات وأبحاث وعلماء

التفسير

والتفسير نفسه لما نضج تفرع الى علوم عدة ذكرها صاحب مفتاح السعادة ، وهي تزيد على سبعين علما . ولكل منها علماء ومؤلفات وأبحاث ومناظرات . وكان للعلوم اللغوية ارتباط بالعلوم الشرعية ولايستطيع الطالب اتقان الواحدة منهما ان لم يتقن الأخرى حتى قال حماد بن سلمة : « أن الذى يكتب الحديث ولايعرف النحو مثل الحمار عليه مخللة لا شعر فيها »

الفقه

ولما صار الاسلام دولة احتساج امرؤه الى ما يقضون به بين رعاياهم في أحوالهم الشخصية ومعاملاتهم المدنية ، فكان ممولهم على القرآن الكريم والحديث فاستنبطوا منه الشريعة وأحكامها وهو « الفقه » بفروعه المشهورة كعلم النظر والمناظرة والجدل والفرائض والشروط والقضاء والتشريع والفتاوى ونحوها

التاريخ

ولما اشتغل المسلمون بتفسير القرآن وجمع الأحاديث احتاجوا الى تحقيق الأماكن والأحوال التى كتبت بها الآيات أو قيلت فيها الأحاديث ، فعمدوا الى جمع السيرة النبوية ودونوها . واضطروا لتحقيق مسائل الحديث والفقه والنحو والأدب الى البحث في أسانيدها والتفريق بين ضعيفها ومتينها . فجرهم ذلك الى النظر في الرواة وتراجمهم وسائر أحوالهم . وقسموا رواة كل فن الى طبقات . فتألف من ذلك تراجم العلماء والأدباء والفقهاء والنحاة وغيرهم مما يعبرون عنه بالطبقات، كطبقات الشعراء وطبقات المفسرين أو النحاة أو الفقهاء أو الحفاظ أو النسايب أو غيرهم . وكإن ذلك من أهم أسس علم التاريخ . واتسع تأليفهم في هذا السبيل ، حتى انهم كثيرا ما كانوا يؤلفون الكتب التاريخية خاصة لتراجم الأعلام الواردة في كتاب ، ككتاب تراجم الرجال للدين روى ابن اسحق سيرة الرسول عنهم وكتاب تهذيب الأسماء . . فان من أهم البوامث على تأليفه ترجمة الأعلام الواردة

فى كتب مختصر المزنى والمهذب والتنبيه والوسيط والوجيز والروضه
وزد على ذلك ان المسلمين يجدون فى القرآن آيات تستحثهم على
الاشتغال بالتاريخ والأخبار للعبرة والعظة من مثل : « لقد كان فى قصصهم
عبرة لأولى الألباب » : « ومثلا من الذين خلوا من قبلهم وموعظة للمتقين »
ومثل : « كذلك نقص عليك من أنباء ما قد سبق »

الجغرافية

ويقال نحو ذلك فى الأسباب المساعدة على وضع علم الجغرافية أو
تقويم البلدان أو الأسراع فى نضجه ونموه كالأسفار فى طلب الحديث من
حملته والحج الى مكة والرغبة فى تطبيق القواعد الفقهية كالخراج
والجزية ، ويفتقر ذلك الى معرفة حال البلاد وكيفية فتحها صلحا أو
عنوة . فجرهم ذلك الى تعرف البلاد ومواضعها وعلة فتوحها . ووجدوا
فى القرآن آيات تحض على طلب هذا العلم من مثل : « أفلم يسيروا فى
الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فانها لا تعمى
الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور » و « قل سيروا فى الأرض
ثم انظروا كيف كانت عاقبة المكذبين » وغير ذلك

٢ - تأثير القرآن الكريم فى آداب اللغة العربية

هذا ما كان من تأثير القرآن الكريم فى تولد العلوم وتفرعها بعد الاسلام ،
وهناك تأثير لا يقل عن ذلك احده القرآن فى الآداب التى كانت شائعة
قبل الاسلام فغير أسلوبها ورقاها وهاك أهمها :

الخطابة

الخطابة والشعر من الفنون الأدبية الجاهلية التى زاداها الاسلام رونقا
وبلاغة ، والخطابة سبقت الشعر فى ذلك لحاجة المسلمين اليها فى الفتوح
والغزوات فمارسوها . وقد أشربت نفوسهم بأسلوب القرآن الكريم لما
علمت من اقبالهم على حفظه وتدارسه ، فارتقى ذوقهم الخطابى بتقليد
أسلوبه واقتباس آياته . وأخذ الخطباء يرصعون خطبهم بالآيات تمثلا
وتهديدا ، حتى لقد يجعلون الخطبة بجملتها مجموع آيات كما فعل مصعب
ابن الزبير لما قدم العراق وحرص أهله على طاعة أخيه عبد الله . وقد نشرنا
خطبته فى الجزء الاول من هذا الكتاب ، وصار المسلمون يسمون الخطبة
التى لم تزين بشئ من القرآن الكريم « البتراء » و « الشوهاء »

الشعر

وقس على ذلك تأثيره فى الشعر فانه زاده طلاوة ورونقا واكتسب تعابير
وأساليب لم تكن له من قبل وترى أمثلة منها فى هذا الكتاب

الانشاء

لم يصلنا من أساليب الانشاء الجاهلى غير سجع الكهان ، أئينا بمثال منه فى كلامنا عن الكهانة فى الجاهلية فى الجزء الاول . واقوال شق وسطيح الكاهنين الجاهليين مشهورة ، وكلها باردة ركيكة يمجاها الذوق . . ذلك ما وصل الينا على السنة الرواة . ومن خطبهم الجيدة خطبة قس بن ساعدة فى عكاظ . ومهما يكن من الأمر فان الانشاء فى الاسلام تبدل وارتقى كما ارتقت الخطابة ، ودخل فى طور جديد من البلاغة والفصاحة فى عبارته على اختلاف طرق تأديتها . وأخذ الكتاب يقلدون القرآن الكريم فى اليجاز والبلاغة ، ويتوخون الاختصار على قدر الامكان عملا بالحديث القائل : « أوتيت جوامع الكلم واختصر لى الكلام اختصارا » فكانوا يجمعون المعنى الكبير فى اللفظ القليل حتى تكاد ترى المعنى مجردا من اللفظ . وكان لتلك الرسائل تأثير الخطب فى الفتح ، فاستمعوا بعد زمن الفتح ببلقاء الكتاب عن بقاء الخطباء . . كأن الرسالة البليغة خطاب يتلوه المرسل اليه . وقد آئينا بأمثلة من ذلك فى الجزء الاول

وكانوا اذا أرادوا البلاغة والتأنق فى الانشاء ضمنوا عباراتهم آيات يقتضيها المقام ، فهى كالترصيع أو التطريز ولا يزالون يفعلون ذلك الى اليوم . ويكفى مثالا على ارتقاء ذوق الانشاء بالقرآن الكريم ماظهر من بلاغة على بن أبى طالب فى خطبه ورسائله ، ثم كان للانشاء تاريخ سنائى عليه فى حينه

اللفة

دخل اللفة كثير من الالفاظ الاسلامية واكتسبت كثيرا من المعانى الاسلامية لم تكن فيها من قبل كالصلاة والزكاة والمؤمن والكافر والمسلم وغير ذلك من الالفاظ التى اقتضاها الاسلام ، وقد فصلنا ذلك فى مكان آخر

وبالجملة فان معظم العلوم العربية اقتضاها القرآن الكريم أو الاسلام حتى عدها بعضهم من قبيل الدين . قال أبو عمرو بن العلاء : « علم العربية هو الدين بعينه »

وقد رأيت ان العلوم اللسانية استعجلوا فى وضعها لقراءة القرآن الكريم وتفسيره ، لكنها ما لبثت أن صارت تعتمد عليه وترجع فى تحقيق قواعدها الى آياته ، يستشهد بها القوم فى النحو والأدب وسائر العلوم اللسانية حتى اجتمع فى كتاب سيويوه فى النحو ثلاثمائة شاهد من القرآن الكريم

واعتبر ذلك فى سائر فنون الأدب أو علوم اللفة . ومنها ما تأيد أكثره بأساليب القرآن الكريم كالمعانى والبيان والبديع ونحوها . ويرى المسلم فى القرآن الكريم آيات يتنسم منها الحظ على طلب العلم ورفع قدر العلماء من مثل : « هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون »

٣ - تأثيره من الوجهة الاجتماعية

وهناك تأثير عظيم الأهمية لم يكتب لغير القرآن الكريم من الكتب الدينية في الأمم الأخرى ، ذلك انه اطلال بقاء اللغة العربية الفصحى وجعل ملايين من الناس يقرأونها ويفهمونها . وهو الذي حفظ الجامعة العربية واستبقى العنصر العربي .. لأن الاسلام يفرض على كل مسلم أن يحفظه ويطالعه ، فلولا القرآن الكريم لكانت لغة العالم العربي لغات متفرقة يصعب التفاهم بين أصحابها كما صارت اليه اللغة اللاتينية بعد ذهاب دولة الرومان ، فتفرق أصحابها أما وطوائف وأمحت الدولة الرومانية والأمة الرومانية كما أمحت سواها من الأمم التي ذهبت جنسيتها بذهاب لغتها كالسريان والانياط في الشام والقبط في مصر . وهؤلاء انما حفظت جامعتهم بالدين لا باللغة

اما اللغة العربية فقد حفظها القرآن الكريم وحفظ بها التفاهم بين الأمم الاسلامية في الشام ومصر والعراق والحجاز والمغرب وزنجبار والسودان وغيرها . ولولاها لكانت كل أمة من هؤلاء تتكلم لغة لا تفهمها صاحبها . ومع ذهاب التمدن الاسلامي وتفقهر الدولة الاسلامية كان يخشى ضياع تلك الأمم وفناؤها أو اندماجها في الأمم التي تسلطت عليها ، كما أصاب الأمم التي اندمجت بالعرب بعد الاسلام . لكنها الآن تجتمع وتتعاون لانها تفاهم بلغة واحدة لغة القرآن الكريم وتعد نفسها أمة واحدة

ناهيك بمن يقرأ العربية من غير العرب بسبب حفظ القرآن الكريم ، ولو كانوا في أقصى الشرق كالهند والصين أو بأواسط آسيا ، بتركستان وخراسان وفارس .. فان عدد قراء العربية يزيد على مائتي مليون وقراء التوراة بلغتها الاصلية شردمة من اليهود المتعلمين وجمهورهم يقرأها بلغة بلاده . وقراء الاناجيل بلغتها الاصلية فئة قليلة . وأكثر أمم النصرانية يقرأونها في اللغات المترجمة اليها . أما القرآن الكريم فالمسلمون يقرأونه باللغة العربية

ويعد من قبيل تأثيره في آداب اللغة أيضا تأثيره في أخلاق أصحابه . ولكل كتاب من كتب الدين الرئيسية تأثير عام على اتباع ذلك الدين يظهر فيهم ولو تباعدت مواطنهم ، وذلك طبيعي لما نعلمه من تأثير العادات في الأخلاق والأبدان . ولكل دين تعاليم وتقاليد وآداب تظهر آثارها في أخلاق أصحابه

واعتبر ذلك في القرآن الكريم ، بل هو أشد تأثيرا في المسلمين من سواه لأنهم مكلفون في حدائهم بحفظه قبل كل علم . وهو داخل في كل شيء من أمورهم الدينية والدنيوية وأساس شرائعهم القضائية وقاعدة معاملاتهم اليومية وأحوالهم العائلية ، حتى الطعام واللباس والشراب والنوم والفصل وكل شيء يمكن استنباطه منه ويوجد له مثال فيه . وهذا لا تراه في الاناجيل مثلا ، فانها كتب تعليمية لمصلحة الآخرة فقط . ولا تجد فيها شرعا أو حكومة أو أحوال شخصية أو نحو ذلك الا ما يأتي عرضا ويفتقر الى تأويل

ولكل كتاب من هذه الكتب شأن خاص أيضا من حيث أخلاق القوم الذين كتب الكتاب لهم أو بلسانهم بما يلائم أخلاقهم وعاداتهم وآدابهم . ويختلف القرآن عن سائر تلك الكتب من هذا القبيل ، كما تختلف أخلاق عرب الجاهلية الذين جاء القرآن الكريم بلسانهم عن أخلاق العبرانيين الذين كتبت التوراة لهم والأقوام الذين كتبت الاناجيل بالسنتهم

وتأثير القرآن الكريم في أخلاق أهله ومعاملاتهم اليومية والبيئية لا يخلو من التأثير في عقولهم وقرائحهم وآرائهم ولو بعدت عن الدين وعلومه . فالصبغة الدينية القرآنية أو الإسلامية تظهر في مؤلفات المسلمين ولو ألقوا في الفلسفة أو الطب أو الفلك أو الحساب أو غيرها من العلوم الرياضية أو الطبيعية ، فضلا عن العلوم الإسلامية الشرعية واللسانية والتاريخ والأدب وبالجملة فان للقرآن تأثيرا في آداب اللغة العربية ليس لكتاب ديني مثله في اللغات الأخرى

العصر العباسي الأول

أو المائة الأولى من سيادة العباسيين في بغداد

من سنة ١٣٢ - ٢٣٢ هـ

هو عصر الإسلام الذهبي ، بلغت فيه دولة المسلمين قمة مجدها في الثروة والحضارة والسيادة ، وفيه نشأت أكثر العلوم الإسلامية ونقلت أهم العلوم الدخيلة الى العربية . وكانت دور الخلفاء أهلة بالأدباء والشعراء والعلماء مثل بلاط لويس الرابع عشر ملك فرنسا في ابان مجده . وكانت الدولة العباسية في أكثره صاحبة السيادة على العالم الإسلامي ، وأوربا في أكثره غياهب الجهالة

وكان الشرق يومئذ في نهضة فكرية ، فان الإسلام هو أركانه ونبه أهله ، فنهض الفرس والترك والتتار والهنود . . حتى أهل الصين واليابان فانهم هبوا هبة اصلاحية أدبية في أثناء العصر العباسي الاول ، أو على أثره . فنبع في الصين نحو القرن العاشر للميلاد طائفة كبيرة من فحول الشعراء على عهد دولة طانغ ، وكانوا كالعباسيين في دورهم الاول يحبون العلم ويقدمون العلماء . واشتغل اليابانيون في ذلك العصر أيضا باصلاح لسانهم وتهذيب آدابهم الاجتماعية ، ونبغ فيهم الشعراء والكتاب والمصورون والحفارون وغيرهم

وتمهيدا للكلام في آداب اللغة العربية في ذلك العصر ، نذكر الانقلاب السياسي الذي حدث بانتقال الدولة من الامويين الى العباسيين ليهون علينا تفهم ما حدث من التغيير في الآداب والعلوم

الانقلاب السياسي في العصر العباسي الاول

كانت عاصمة الدولة الاموية في دمشق على حدود بادية العرب ، وكان خلفاء تلك الدولة عربا وجندها وقوادها وعمالها من العرب . وكذلك كتابها وقضاتها وسائر رجال حكومتها . اما الدولة العباسية ، فقد نصرها الفرس ، فجعلت قصبته (بغداد) على حدود بلادهم ، واتخذت وزراءها وأكثر أمرائها وقوادها منهم . ولما عمرت بغداد تقاطر اليها الناس للارتزاق بالتجارة أو الصناعة أو الأدب أو الشعر أو بأسباب الملاهي فالتقى فيها العربي والفارسي والرومي والنبطي والتركي والصقلبي والهندي والبربري والزنجي . وفيهم المسلم والنصراني واليهودي والصابي والسامري والمجوسي والبوذي وغيرهم

واعتبر ذلك في البصرة والكوفة من مدائن العراق الاسلامية ، فقد كانتا أهلتين بالناس على اختلاف نحلهم وأجناسهم وعناصرهم . وتختلفان عن بغداد بمن اقام في ضواحيهما من جالية العرب ، أهل البادية ، من القبائل التي نزحت هناك بعد الاسلام كما تقدم . وما زالت البصرة والكوفة مجتمع أهل الادب والعلم والشعر حتى عمرت بغداد ، فأصبحت بما استبحر من عمرانها هي وحدها أم المدائن الاسلامية وبؤرة العلم ومجتمع العلماء . ثم شاركتها في ذلك القاهرة وقرطبة ودمشق والقيروان وغيرها وناهيك بثروة بغداد وحضارتها وتبسط أهلها في العيش وركونهم الى الرخاء وتدفق الاموال من بيت المال على أهل الدولة ومن يلتف حولهم من الاعوان أو أهل المهن أو الادب أو الطرب

الخلفاء والعلم والادب

ويمتاز العصر العباسي الاول بأن من تولى فيه عرش بغداد كان من الخلفاء العلماء ، فرغبوا في العلم واجلال العلماء والادباء وسهلوا نزوحهم اليهم وأجروا الارزاق عليهم وبالغوا في اكرامهم وقربوهم وجالسوهم وأكلوهم وحادثوهم وعولوا على آرائهم . فلم يبق ذو قريحة أو علم أو أدب الا ييم دار السلام ونال جائزة أو هدية أو راتباً

ولا يزهو العلم الا في ظل أمير يتعمده ويأخذ بأيدي أهله ، والناس كما يكون ملوكهم . وخلفاء العصر العباسي الاول من أكثر الملوك رغبة في العلم . . يروى ان المنصور لما مات ابنه جعفر وانصرف الى قصره بعد دفنه ، قال للربيع وزيره : « انظر من في أهلي ينشدني (امن المنون وريبتها تتوجع) حتى أسلى بها هن مصيبتى » فطلب الربيع ذلك من بنى هاشم فلم يجد من يستطيعه . فقال المنصور : « والله لمصيبتى بأهل بيتى الا يكون فيهم واحد يحفظ هذا لقسلة رغبتهم في الادب ، أعظم وأشدد على من مصيبتى باني » (١)

وكان للمنصور دفاتر علم ، وكان شديد الحرص عليها حتى أوصى ابنه المهدي بها عند وفاته (٢) . وكان المنصور من أحسن رواة الحديث وله ذوق في الشعر ينتقد الشعراء ويعرف المنحول والمسروق (٣) ، وكذلك ابنه المهدي فقد كان ينتقد الشعراء لكثرة تشبيهم قبل المدح ، وكان يكره الغزل (٤) . أما الرشيد فكان أكثرهم رغبة في العلم والعلماء حافظاً للشعر نقادا للشعراء ، وكان يحفظ شعر ذى الرمة حفظ الصبا (٥) ، وهو مشهور بتقديم الشعراء والادباء . وابشبه المأمون أشهر من أن يذكر بعلمه وفضله ، وذكروا له مؤلفات حسنة قد ضاعت

وناهيك بأبناء الخلفاء والأمراء ، فقد اشتغل كثيرون منهم بالادب كابراهيم بن المهدي أول تابع من بنى العباس في الترسل والشعر

(٣) البيان ١٥٦ ج ٢

(٢) ابن الاثير ٧ ج ٦
(٥) الاغانى ٣٦ ج ٥

(١) الاغانى ٦١ ج ٦
(٤) الاغانى ٥٥ ج ٣

والموسيقى ، وله كتاب في الادب اسمه « ادب ابراهيم » وكتاب الطبخ والطب وكتاب الفناء ، ضاعت كلها . واعتبر ذلك أيضا في الامراء والوزراء كأبي دلف العجلي سيد قومه ، فقد كان أدبيا وألف في سياسة الملوك والسلاح والصيد . والفتح بن خاقان وزير المتوكل كانت له خزانة علم لم ير أعظم منها كثرة وحسنا . وكان يحضر داره فصحاء الاعراب وعلماء الكوفة والبصرة . واشتغل بالادب لنفسه ، فألف كتاب اختلاف الملوك ، وكتاب الصيد والجراح ، وكتاب الروضة والزهر . وكان عبد الله بن طاهر شاعرا مترسلا بليغا ، وكذلك ابنه طاهر ، ولكل منهما مجموع رسائل فالدولة التي يكون ملوكها وأمرؤها على هذه الصورة يجدر بها أن تزهر بالعلم والعلماء . واعتبر هذه القاعدة في سائر عصور آداب اللغة من أول الاسلام ، فانك لا تجد نهضة الا كان للملك أو الأمير أو الرئيس تأثير كبير فيها . ذلك شأن الأمم في الحكم المطلق ، واردة الملك شريعة المملكة

حرية الدين

ومن مميزات هذا العصر اطلاق الفكر من قيود التقليد الا ما يمس الدولة أو الخلافة . ولذلك فقد تعددت البدع الدينية في أيامهم من المجوس وغيرهم ، غير الفرق الاسلامية وتعددها . وكان أكثر الخلفاء تسامحا في الدين المأمون ، فكان هو نفسه شيعيا وكان وزيره يحيى بن اكنم سنيا ووزيره احمد بن ابي دؤاد معتزليا . يكفيك من تسامحه في الدين انتصاره للمعتزلة في القول بخلق القرآن الكريم

فكانت الافكار من حيث الدين مطلقة الحرية في ذلك العصر لا يكره الرجل على معتقده أو مذهبه ، فربما اجتمع عدة اخوة في بيت واحد وكل منهم على مذهب . فأولاد ابي الجعد ستة ، منهم اثنان يتشيعان واثنان مرجئان واثنان خارجيان

الوزراء الفرس والموالي

وكان للوزراء الفرس تأثير كبير في تلك النهضة . والفرس أهل مدينة قديمة ، وكانوا يومئذ في نهضة علمية بدأت من زمن كسرى انوشروان . وكان البرامكة على الخصوص يحبون العلم والعلماء ويبذلون الاموال في تقريبيهم واستحثاث قرائحهم ، فوقف الادباء والشعراء على أبوابهم كما وقفوا بباب الرشيد . وكانت لهم ايداء بيضاء في ترجمة العلم القديم الى العربية ومن ثمار ذلك الانقلاب ان الموالى (المسلمين غير العرب) الذين كان الامويون يزرون عليهم ، قربهم العباسيون وفيهم الخراسانيون الذين نصرهم في تأييد دولتهم . وقدموا سائر الموالى واستخدموهم في أمور الدولة . فارتفع شأن الموالى من ذلك الحين وأكثرهم من الفرس ، أشهرهم في العصر العباسي الاول آل برمك وآل الفضل . وكان الخلفاء العباسيون يتواصون بالموالى وحسن معاملتهم والاحسان اليهم ، فنبغ فيهم طائفة

كبيرة من العلماء والادباء والشعراء ورجال العلم والعمل ومن ثمار الحضارة في ذلك العصر تكاثر الجوارى مما لم يسمع به من قبل حتى كان منهن في بعض المنازل عشرات وفي البعض الآخر مئات . وبلغ هدهن عند الرشيد ٢٠٠٠ جارية وصاروا يتهادونهن كما يتهادون الحلى والجواهر (١) وتكاثر الفلمان فيه وتفنونوا في تزيينهم واستخدامهم (٢) فالانقلاب السياسى والاجتماعى المشار اليه أحدث انقلابا في الافكار والعقول ، وظهر اثر ذلك طبعا في آداب اللغة كما سيجىء

اقسام آداب اللغة العربية

والعلوم أو الآداب التي سننظر في تاريخها تدخل في ثلاثة أبواب :
أولا - العلوم العربية الاصلية التي كانت قبل الاسلام وأهمها اللغة والشعر والخطابة

ثانيا - العلوم الاسلامية وهي قسمان :

(١) العلوم الشرعية الاسلامية التي اقتضاها الشرع الاسلامى

(٢) العلوم اللسانية ، نعنى علوم اللغة التي اقتضتها العلوم الاسلامية وبعثت على ظهورها

ثالثا - العلوم الدخيلة التي نقلت عن الأمم الاخرى ولنبدأ بالعلوم الدخيلة التي يظهر تأثيرها في سائر العلوم

العلوم الدخيلة

لو أردنا بسط الكلام في هذه العلوم وأصولها وموضوعاتها وما نقل منها الى لساننا ، لضاق بنا المقام وبعدنا عن المراد من هذا الكتاب . . نعنى الكلام فيما يمكن الرجوع اليه والانتفاع به من الكتب . والعلوم الدخيلة التي نقلت يومئذ أصبح معظمها في زوايا الاهمال بظهور العلم الطبيعى الحديث . وقد فصلنا خبرها في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامى ، فنكتفى هنا بفدلكة اجمالية

امتياز العرب على سواهم من الفاتحين

ومما يحسن ايراده لبيان امتياز أصحاب التمدن الاسلامى على سواهم من الأمم الفاتحة من هذا القبيل ، ان القوط أو قبائل الجرمان سطوا على مملكة الروم من الشمال كما سطا عليها العرب من الجنوب وكلاهما أهل بادية وحرب . امتلك القوط ايطاليا في القرن الخامس فتركوا أهلها

(١) ترى تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامى ج ٥ - (٢) الافغانى ٢٠٨ ج ٦

الروم على ما كانوا عليه من آدابهم وعلومهم ، وظلوا هم على بدأوتهم وحيهم الحرب واستخدموا الوطنيين في تدبير حكومتهم . . كما فصل العرب في أوائل دولتهم . لكن القوط لما تحضروا حملوا علماء الرومان على التأليف فألفوا لهم الكتب باللاتينية لا بالقوطية ، فذهبت هذه اللغة وبقيت لغة الروم بما صارت اليه من القروع . أما العرب فانهم حالما استتبت لهم السيادة جعلوا الدواوين في العربية وحملوا رعاياهم على مكاتبتهم بالعربية . ولما أرادوا نشر العلم كلفوا رعاياهم نقل تلك العلوم الى العربية ، فذهبت لغات الأمم التي كانت تحت سلطانهم وبقيت العربية

ماهى العلوم الدخيلة ؟

نريد بها العلوم القديمة التي كانت شائعة عند ظهور الاسلام في الممالك التي عرفها المسلمون . وهى خلاصة أبحاث رجال العلم والفلسفة والأدب في ممالك التمدن القديم على اختلاف الأمم والدول والأماكن والأطوار في القرون المتوالية من أقدم أزمنة التاريخ الى أيامهم ، وفيها زبدة علوم الاشوريين والبابليين والفينيقيين والمصريين والهنود والفرس واليونان والرومان . ولا يراد بذلك ان العرب أخذوا علم كل أمة عن أهله رأسا ، ولكنهم جاءوا والعلوم قد تقدمت بتوالي الدهور وتفاعل العناصر، واجتمع معظمها لليونان فبوبوها ورقوها وظهرت النصرانية فأثرت فيها . وبقي بعضها في بقايا الدول القديمة كالفرس والكلدان والهنود وغيرهم ممن دانوا للمسلمين ، وانتظموا في خدمتهم فأخذوا من هؤلاء جميعا . ولذلك كان من جملة أفضال التمدن الاسلامى على العلم ، انه جمع شتات تلك العلوم من اليونانية والفارسية والهندية والكلدانية الى العربية وزاد فيها ورقاها فلنبحت أولا في حال العلم والأدب في البلاد التي عرفها المسلمون ، وهو يتناول النظر في آداب اليونان والفرس والهنود والكلدان على ما يأذن به المقام . ثم نتقدم الى الكلام فيما نقله العرب من ذلك

آداب اللغة اليونانية

الفلسفة والفلاسفة

بيننا في الجزء الاول من هذا الكتاب أقسام الآداب اليونانية وعصورها الى عصر الفلسفة ، فنكتفى بخلاصة تاريخية عنها :

أخذ اليونان بأهداب الفلسفة والعلم على اثر الحروب اليونانية الداخلية ، (*)

(*) كلام المؤلف هنا في نشأة الفلسفة اليونانية غير دقيق ، إذ نشأت عند اليونان قبل هذه الحروب الداخلية التي يشير اليها والتي حدثت في القرن الرابع ق م . ونستطيع أن نقول بالأجمال انها بدأت نشأتها منذ القرن السادس ق م . في إقليم أبوتيا بآسيا الصغرى . ويطلق هذا الاسم على إقليم وجور كانت تطل على بحر ايجه حيث ظهر الفلاسفة المشهورون : طاليس واتكسمندر واتكسمينس . وقد خطت من بعدهم خطوات واسعة في إقليم ايليا Elyia وهى

فانها توالى ٢٧ سنة وفي نهايتها دخلت اثينا في حوزة المقدونيين ، واصبح الاثينيون بعد العز اذلاء فسناقتهم العبرة والمذلة الى النظر في الوجود ، فنهضوا نهضة فلسفية زعيمها وواضع اساسها سقراط . والحروب يغلب ان يعقبها نهضة ادبية او علمية او سياسية على ما قررناه في غير هذا المكان . . وان كانوا قد تنبهوا الى شىء من ذلك قبلا

فلما اصبحت اثينا بالذل بعد تلك العظيمة اصاب أهلها اضطراب وانكسار، والانسان اذا اصاب بنكبة لا حيلة له في دفعها اشتغل عنها بالتعليقات الفلسفية عن الوجود واصله ليخفف وطأة تلك المصيبة عليه . وخصوصا في مثل ما اصبحت به اثينا بعد عزها ورفعة شأنها . واصبح أهلها بعد سقوطها يتلفتون الى الورا آسفين وينظرون الى الامام خائفين ، وقتئذ ذهبت اسباب مفاخرتهم القديمة ولم تنتظم حكومتهم الجديدة . فتنهبت اذهانهم وانصرفت قرائحهم الى النظر في شؤون الانسان على الجملة وشؤونهم على الخصوص . فكانت وجهة تلك النهضة الادب والفلسفة . ودخل القرن الرابع قبل الميلاد والناس يتناقلون آراء بعض المتقدمين من العلماء على ما يوافق احوالهم ، ونفوسهم تشتاق الى الزيادة

سقراط

وبينما الناس في ذلك اذ نبغ سقراط الحكيم . ورأى ان النظر في الفلسفة الطبيعية لا يجدى نفعا في تلك الاحوال ، فانصرفت عنايته الى الفلسفة الادبية فدرسها جيدا وخلصها مما كان يعتورها من الرموز والغوامض وطبقها على حاجات الاثينيين يومئذ . وقسم شرائعه الى ما يتعلق بالانسان من حيث هو انسان ، والى ما يتعلق به من حيث هو أب ومدبر ، والى ما يتعلق به من حيث هو أحد الجماعة ، وذهب الى خلود النفس . ويعتبره اليونانيون واضع الفلسفة الادبية العملية او هو محول الفلسفة القديمة من الخيال الى العمل . قال شيشرون : « ان سقراط انزل الفلسفة من السماء الى الارض »

ويندر ان ينجو النوايخ واصحاب الآراء الجديدة من حساد يتمنون الاضرار بهم أو يسعون الى ذلك . وقد كان في تعاليم سقراط ما يخالف اعتقاد الاثينيين يومئذ ، فثاروا عليه وقتلوه

مستعمرة يونانية بجنوبى ايطاليا ، ومن أشهر فلاسفتها اكرثوفنس وبارمنيدس وزينون . ثم تحولت الى اثينا وفلاسفتها الذين ذكرهم المؤلف ، وهم كانوا توجيا للنهضة الادبية والسياسية التى نهضتها اثينا ، وقد سبقهم السوفسطائيون المشهورون فى تاريخها ، ويصل المؤرخون بين اطوار الحياة اليونانية واطوار الشعر والفلسفة فيها . وليس هنا مجال توضيح العلل والاسباب فى ذلك . فليرجع من يريد التوسع الى قصة الفلسفة اليونانية للاستاذين احمد أمين وزكى نجيب محمود وفجر الفلسفة اليونانية للدكتور احمد فؤاد الاهواى وتاريخ الفلسفة اليونانية للاستاذ يوسف كرم



أرسطو

أفلاطون

سقراط

أفلاطون

مات سقراط ولم يدون شيئاً من تعاليمه فدونها تلامذته من بعده ، ولكنهم اختلفوا في تفسير أقواله فانقسموا الى ثلاث فرق تعرف بالكرينية والكلبية والاشراقية . وهذه الأخيرة أشهرها ، وتسمى أيضا الافلاطونية نسبة الى صاحبها أفلاطون المولود سنة ٤٢٨ قبل الميلاد . ومذهبه مقتبس من ثلاثة مذاهب قديمة ، فانه تبع هيرقليطس في الطبيعيات ، وفيثاغورس فيما وراء الطبيعة والنقليات ، وتبع سقراط في الفلسفة الادبية والاخلاق . وقال بثلاثة أصول : الاله ، والمادة ، والادراك . والالهة عنده ثلاث طبقات : عليون ومتوسطون وسفليون ، وآمن بتناسخ الارواح . وكتب أفلاطون على أسلوب المحاورات

أرسطو

انقسم تلامذة أفلاطون أيضا الى فرق أهمها فرقة المشائين وصاحبها أرسطو أو أرسطاطالس الذي اجمع العلماء على انه أقدر الفلاسفة القدماء ، ويسميه العرب المعلم الاول . ولد سنة ٣٨٤ وتوفي سنة ٣٢٢ ق.م . وعنه نقل العرب أكثر كتب الفلسفة والمنطق ، اذ جمع أرسطو في كتبه زبدة ما بلغ اليه العلماء في عصره ببلاد اليونان من الفلسفة والعلم . أما الفلسفة فأخذها عن أستاذه أفلاطون ، ويدخل فيها الابحاث المنطقية والعقلية والنفسية والسياسية . وأما العلم ويراد به الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار كالرياضيات والطبيعيات ونحوها ، فقد كانت من جملة ما طالعها من علوم القدماء وما اختبره بنفسه . وكان غرض أرسطو ايضاح الفلسفة بالعلم واخضاع كل بحث عقلي أو نظري للتوأميس الطبيعية . ولم يكن يهيمه تزويق العبارة أو برقشة الالفاظ ، وانما كان يهيمه الغرض الاصل من الموضوع . فكان يبذل جهده في تجريد عبارته من الخيالات الشعرية التي مازجت فلسفة أفلاطون

والكتب التي ثبتت نسبتها الى ارسطو. ١٩ كتابا نقل معظمها الى اللغة العربية . وقد ذكرناها مع كتب افلاطون في تاريخ التمدن الاسلامى الجزء الثالث

الطب والنجوم

والطب أيضا من ثمار تلك النهضة على اثر الحرب اليونانية ، وكان اليونان قبل ذلك يعالجون مرضاهم بالكهانة وينسبون الامراض الى اعمال الشياطين والعلاج الى اعمال الالهة . وكان الفلاسفة يتكلمون في الطب باعتبار انه فرع من الطب الطبيعى ، ولم يستقل أحد منهم بالبحث فيه . وأول من رتب الطب وبوبه وبناه على أسس صحيحة ابقراط المتوفى سنة ٣٥٧ ق.م . ولذلك سموه أبا الطب . وهو من نتاج الحرب اليونانية ، نشأ في أثنائها ونبغ بعد انقضائها وسافر الى سوريا ، ولعله أطلع على طب البابليين والمصريين فأضافهما الى طب اليونان وألف فيه الكتب . وأساس معالجته الاعتماد على الطبيعية ، وكان يفصد ويحجم ويكوى ويحرق ويشخص الامراض بالسماعة ويصف المسهلات النباتية والمعدنية . وله كتب في الطب كثيرة ذكروا منها ٨٧ كتابا ، ولم يثبت له منها الا نحو العشرين ، ونقلت في جملة ما نقله المسلمون من كتب الطب الى العربية . وما زالت كتب ابقراط معول الاطباء الى العصر الحديث ، وفيهم من شرحها أو فسرهما أو ترجمها أو علق عليها

وممن اشتغل من اليونانيين في ترقية العلوم الطبية بعد ابقراط ، ارسطو وغيره من الفلاسفة العظام . فلما أنشئت مدرسة الاسكندرية على عهد البطالسة ، كان للطب شأن كبير فيها

والنجوم أو علم الفلك قديم عند سائر الأمم كما رأيت في كلامنا عن علوم العرب قبل الاسلام . أخذ اليونان مبادئ هذا العلم عن سبقهم من أمم التمدن القديم على يد الفينيقيين وتوسعوا فيه من عند أنفسهم . وكان النظر فيه من جملة ابحاث الفلاسفة واقدمهم طاليس . وقل من جنسائه بعده من فلاسفة اليونان ولم يتعرض لهذا الفن ، وأشهرهم فيه انكسيمندر وانكسيمينس وانكساغوراس . وكان للقسم الايطالى من بلاد اليونان عناية كبرى في النجوم ، ومقدم فلاسفتهم فيه فيثاغورس الشهر المتوفى سنة ٥٠٠ ق.م . أخذ بعض هذا العلم من مصر وتوسع فيه وتبعه في ذلك كثيرون . ولا يكاد يخلو فيلسوف يونانى من النظر في النجوم وأحكامها مما يطول شرحه . على ان هذا العلم بلغ قمة مجده في مدرسة الاسكندرية ويقال نحو ذلك في سائر العلوم الرياضية كالحساب والهندسة ، فقد اشتغل فيها الفلاسفة لكنها لم تنضج الا في مدرسة الاسكندرية على يد اوقليدس

وقد عقدنا فصلا عن تاريخ مكتبة الاسكندرية وهل أحرقها العرب في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامى ، كما عقدنا فصلا في الهلال



جالينوس



ابقرط



أوقليدس

الاول من السنة العشرين ، وقد زهت الاسكندرية بالرياضيات والطب والفلسفة ونبغ فيها الرياضيون ومنهم اوقليدس وارخميدس وابولونيوس من اهل القرن الثالث قبل الميلاد وهيبارخس من اهل القرن الثاني . وفيها ظهر بطليموس القلوذي الجغرافي والرياضي في اواسط القرن الثاني بعد الميلاد ، فوضع كتاب المحسطنى وكان عليه المعول في مدارس العالم الى عهد غير بعيد ، و ألف أيضا كتاب الجغرافية الشهر . واشتغل علماء الاسكندرية خصوصا برصد الافلاك واستخراج الازياج ، وظل مرصدهم وحيدا في العالم الى أيام الاسلام

اما الطب فكان يعلم في مدرسة برغامس . فلما زهت مدرسة الاسكندرية اتجهت الأنظار اليها ، وأساس التدريس فيها مؤلفات ابقرط ، لكنهم اشتغلوا أيضا في التشريح وفاقوا فيه سواهم وانقسم أطباء الاسكندرية في الطب الى فريقين حتى ظهر جالينوس في أواخر القرن الثاني للميلاد فانتهى الطب اليه وأصبحت كتبه معول الناس فيه . وللطب والفلسفة في مدرسة الاسكندرية تاريخ طويل لخصناه في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامي

آداب اللغة الفارسية (*)

الفرس من الشعوب الآرية اخوان الهنود واليونان ، وهم أمة قديمة حاربت اليونان قبل المسيح ببضعة قرون . . فجردت على بلادهم جيشا قد يصعب على أعظم دول الأرض اليوم حشده ونقله بمهامته ومؤنثته من اواسط آسيا الى البحر الابيض . فكيف منذ بضعة وعشرين قرنا . .

(*) لعل خير مرجع لمعرفة هذه الآداب قبل الاسلام وبعده هو كتاب تاريخ الادب في ايران لبراون الذي يشير اليه المؤلف فيما بعد ، وهو في أربعة مجلدات ، تمتد من اقدم الأزمنة الى سنة ١٩٢٤ ، ويعتينا هنا الجزء الاول الذي عرض في أسهاب للآداب الفارسية القديمة، وراجع لينى في كتابه Persian Literature وكذلك كتاب سايكس في تاريخ الفرس A History of Persia

فالدولة التي هذا مبلغ قوتها لا تخلو من أدب وعلم . والفرس أهل ذكاء وتعقل وفيهم استعداد فطري لأسباب التمدن ، فلا بد من اجادتهم في نظم الشعر على نحو ما فعل اخوانهم الهنود في المهاباراتة ونحوها وان كان ما وصل منه اليينا قليلا . ناهيك بالعلوم القديمة التي هي من قبيل الطبيعيات والرياضيات كالنجوم والانواء ، ففقد احرزوا شيئا منها وخصوصا لانهم ورثوا البابليين والاشوريين واحتكوا باليونان وهم في ابان تمدنهم واختلطوا بجيرانهم الهنود . وكانوا يعرفون الكتابة وينقشونها على الاحجار باللغة الفهلوية . ويؤيد ذلك ما جاء في كتب الاخبار عن فتوح الاسكندر لبلاد فارس ، وما عثر عليه في عاصمتهم اصطخر من خزائن الكتب ، وفيها ما كان قد جمعه الفرس من علوم الهند والصين الى تلك الايام والمشهور ان علوم الفرس لم تأخذ في الظهور الا في ايام سابور بن اردشير ، فبعث الى بلاد اليونان من جلب كتب الفلسفة وأمر بنقلها الى الفارسية ، (١) واخترنها في مدينته وأخذ الناس في نسخها وتدارسها

فلما تولى كسرى انوشروان العادل (٥٣١ - ٥٧٨ م) فتح للفرس مورد جديد للعلم والفلسفة بما كان من اضطهاد يوستنيان قيصر الروم للفلاسفة الوثنيين على اثر اقفاله الهياكل والمدارس الوثنية . وكانت الفلسفة الافلاطونية الجديدة قد نضجت ، ففر بعض أصحابها من وجه الاضطهاد وتفرقوا في العالم وجاء منهم سبعة الى انوشروان . فآكرم وفادتهم وأمرهم بتأليف كتب الفلسفة أو نقلها الى الفارسية ، فنقلوا المنطق والطب (٢) وألفوا فيهما الكتب فطالعهما هو ورغب الناس فيها . وعقد المجالس للبحث والمناظرة كما فعل المأمون بعده بقرنين وبعض القرن حتى خيل لليونان الذين جالسوا انوشروان انه من تلامذة افلاطون . والمظنون ان تلك الفلسفة كانت أساسا لتعاليم الصوفية التي نشأت بعد ذلك

ولم يقتصر انوشروان على نقل علوم اليونان الى لسانه ، ولكنه نقل علوم الهنود أيضا من السنسكريتية الى الفارسية (١) وأنشأ في جند بسابور مارستانا (مستشفى) لمعالجة المرضى وتعليم صناعة الطب استقدم اليه الاطباء من الهند وبلاد اليونان ، وكانوا يعلمون فيه الطيبين الهندي ، والابرقاطي فجمع بين الحسنين

آداب اللغة السريانية (١)

كان للسريان تمدن قديم ، وإنما يهمننا في هذا المقام ما كان عندهم من

(٢) الفهرست ٢٤٢

(١) أبو الفداء ٥٠ ج ١

(٢) E. Browne's Lit., Hist. of Persia, 187.

(*) انظر في هذه الآداب كتاب « تاريخ الأدب السرياني من نشأته الى الفتح الاسلامي » لمراد كامل ومحمد حمدي البكري « طبع القاهرة ١٩٤٩ » وكتاب روبنز دوقال « الأدب السرياني » الذي ذكره المؤلف في مقدمته للجزء الاول وكتاب نولدكه عن الأدب الارامي وكتاب بروكلمن « الآداب الشرقية المسيحية » « ص ١ - ٧٤ » ودائرة المعارف الاسلامية وتاريخ الفلسفة في الاسلام لدى بود ترجمة محمد عبد الهادي أبي ريذة ص ١٩ وما بعدها

علوم الفلسفة التي اشتغلوا بنقلها . وهم في ذلك تلامذة اليونان لأنهم تعلموا فلسفتهم وطبهم وسائر علومهم ، كما تعلمها الرومان قبلهم واقتبسوها الفرس معهم وكما تعلمها المسلمون بعدهم . والسراني أهل ذكاء ونشاط فكانوا كلما اطمأنت خواطرهم من مظالم الحكام وتشويش الفاتحين انصرفوا الى الاشتغال بالعلم ، فأنشأوا المدارس للاهوت والفلسفة واللغة ونقلوا علوم اليونان الى لسانهم وشرحوا بعضها ولخصوا بعضها . ومنهم خرج أكثر الذين ترجموا العلم للعباسيين وأكثرهم من النساطرة . ونقتصر هنا على ذكر اشتغالهم في العلم لأنفسهم

كان للسراني فيما بين النهريين نحو خمسين مدرسة تعلم فيها العلوم بالسريانية واليونانية أشهرها مدرسة الرها ، وفيها ابتدأ السراني يشتغلون بفلسفة أرسطو في القرن الخامس للميلاد . وبعد أن تعلموها أخذوا في نقلها الى لسانهم فنقلوا المنطق في أواسط القرن المذكور . ثم أتم دراسة المنطق سرجيس الرأس عيني الطبيب المشهور ، وفي المتحف البريطاني بلندن نسخ خطية من ترجمته الأيساغوجي الى السريانية . وكذلك مقولات أرسطو لفرفوروس وكتاب النفس وغيرها ، وقد نشر بعضها من عهد قريب

وفي أوائل القرن السابع للميلاد اشتهرت مدرسة قنسرين على الفرات بتعليم فلسفة اليونان باللغة اليونانية ، وتخرج فيها جماعة كبيرة من السراني وفي جملةهم الأسقف سويرس ، فقد انقطع فيها لدرس الفلسفة والرياضيات واللاهوت . ولما تمكن من تلك العلوم نقل بعضها الى السريانية ولا تزال بعض ترجماته في الفلسفة محفوظة في المتحف البريطاني . وقد أتمها بعده تلميذه يعقوب الرهاوي واضع علم النحو السرياني وإثناسيوس ، ومن تلامذته جورجوس المعروف بأسقف العرب (٦٨٦ م) . فقد ترجم بعض كتب أرسطو . واشتغل جماعة آخرون في ترجمة كتب أفلاطون وفيثاغورس وغيرها مما يطول شرحه . واشتهرت هناك مدارس أخرى كمدرسة نصيبين التي كان عدد تلامذتها نحو ثمانمائة وكانت تعلم كل العلوم العقلية والنقلية

أما الطب فقد كان لهم فيه حظ وافر على اثر انشاء مارستان جند يسابور . واشتهر فيهم من أهل هذه الصناعة كثيرون منهم سرجيس الرأس عيني المتقدم ذكره ، وأتاتوس الأمدى ، وسمعان الطيبوتي ، والأسقف غريغوريوس ، والبطريك ثيودوسيوس وغيرهم من الأطباء الذين أدركوا الدولة العباسية وخدموها

وقد نقل أطباء السرياني كثيرا من كتب الطب من اليونانية الى السريانية حتى في أثناء اشتغالهم بنقلها الى العربية لأنهم كانوا كثيرا ما ينقلونها الى السريانية فقط أو الى السريانية والعربية معا

آداب اللغة الهندية (١٠)

الهندو أمة قديمة ، والطبقة العليا منهم اخوان الفرس واليونان . وقد نظموا الملاحم ودونوا الاخبار شعرا من قديم الزمان ، ولهم آداب خاصة وتواريخ خاصة تولدت عندهم بتوالي القرون كما يستدل من مراجعة تواريخهم ودرس احوالهم . حتى كثيرا ما كان ملوك الفرس يستعينون بأطبائهم ، كما فعل انوشروان في مارستان جنديسابور ، وكما وقع للخلفاء العباسيين في أوائل نهضتهم فانهم كانوا يستقدمون الاطباء من الهند ويستشيرونهم في امراضهم بعد أن تفرغ حيل أطباء الفرس والسريان في معالجتهم . لأن للطب الهندي طرقا تخالف طرق الطب اليوناني أو الفارسي . وقد اشتهر منهم عدة أطباء الفوا في الهندية ، ونقل المسلمون بعض كتبهم الى العربية ومنهم منكه وصنجل وشاناق وغيرهم وكانت لهم معرفة حسنة بالنجوم ومواقعها وأبراجها ولها أسماء خاصة بلسانهم ، وكان لهم فيها ثلاثة مذاهب مذهب الأريجهر ومذهب الأركند ومذهب ثالث يقال له بالسنسكريتية سدهنتا Siddhanta وهو عبارة عن زيچ ذكروا فيه آراءهم في حركات الكواكب . وهو الذي وصل الى العرب ونقلوه الى لسانهم وسموه السند هند . والهندو هم الذين اخترعوا الأرقام وعنهم أخذها العرب . ولهم طرق خاصة في الحساب اكتسبها العرب عنهم وكان لهم معرفة بفن الموسيقى ولهم فيها كتب ترجم المسلمون بعضها الى العربية

نقل الكتب ونقلتها

تلك حال العلوم والآداب عند الامم المتقدمة عندما أخذ المترجمون مني نقلها الى اللغة العربية في العصر العباسي الاول . أما الخلفاء الذين اهتموا بذلك النقل فهم : المنصور وكان أكثر اهتمامه بالنجوم والطب ، أما المهدي فقلما اشتغل بذلك . وكذلك الرشيد لم ينقل في أيامه الا كتاب المجسطي . ثم المأمون وهو الذي اهتم بنقل كتب الفلسفة والمنطق على الخصوص وسائر العلوم على العموم (١)

أما نقلة العلم في العصر العباسي فهم من أهل العراق والشام وفارس والهند ، وغبهم الخلفاء في ذلك بالبذل الكثير وجعلوا لبعضهم رواتب وجواري وبالغوا في إكرامهم ، وأكثرهم من السريان النساطرة لأنهم أقدر على الترجمة من اليونانية وأكثر اطلاعا على كتب الفلسفة والعلم اليوناني .

(١٠) راجع في هذه الآداب تاريخ علم الفلك عند العرب لتالينو ودائرة المعارف الاسلامية في مادة حساب وهندسة وضحي الاسلام الجزء الاول لاحمد امين وكتابات البيروني : « الآثار الباقية » و « تاريخ ما للهند من مقولة » وتاريخ الفلسفة في الاسلام لدى بور واداب الهند في دوائر المعارف المختلفة

اشهرهم آل بختيشوع سلالة جورجيس بن بختيشوع السرياني النسطوري طبيب المنصور ، وآل حنين سلالة حنين بن اسحق العبادي شيخ المترجمين احد نصارى الحيرة وله تاريخ طويل ، وحيثس الاعسم الدمشقي ابن أخت حنين ، وقسطا بن لوقا البعلبكي من نصارى الشام ، وآل ماسرجويه اليهودي السرياني وآل الكرخي ، وآل ثابت الحرائي من الصابئة والحجاج ابن مطر وابن ناعمة الحمصي ويوحنا بن ماسويه واسطفان بن باسيل وموسى بن خالد وسرجيس الراسي ويوحنا بن بختيشوع من غير آل بختيشوع المتقدم ذكرهم ، والبطريق ويحيى بن البطريق وأبو عثمان أندمشقي وأبو بشر متى بن يونس ويحيى بن عدى . هؤلاء أشهر نقلة العلم من اليونانية أو السريانية الى العربية وبعضهم تجاوز العصر العباسي الاول

وأما النقلة من الالسنة الاخرى ، فمنهم من نقل من الفارسية الى العربية كابن المقفع وآل نوبخت كبيرهم نوبخت وابنه الفضل بن نوبخت نقل من الفارسية الى العربية في النجوم وغيرها . ومنهم موسى ويوسف ابنا خالد وكانا يخدمان داود بن عبد الله بن حميد بن قحطبة وينقلان له من الفارسية الى العربية ، وعلى بن زياد التميمي ويكنى أبا الحسن نقل من الفارسية الى العربية كتاب زيح الشهريار ، والحسن بن سهل وكان من المنجمين ، والبلاذري أحمد بن يحيى ، وجبلة بن سالم كاتب هشام . واسحق بن يزيد نقل سيرة الفرس المعروفة باختيار نامه . ومنهم محمد بن الجهم البرمكي ، وهشام بن القاسم ، وموسى بن عيسى الكردي ، وعمر ابن الفرخان ، وغيرهم

ومن الذين نقلوا عن اللغة السنسكريتية (الهندية) منكة الهندي ، كان في جملة أصحاب اسحق بن سليمان بن علي الهاشمي ينقل من اللغة الهندية الى العربية . وابن دهن الهندي وكان اليه مارستان البرامكة ، نقل من الهندية الى العربية (١)

ومن الذين نقلوا عن اللغة النبطية (السكلدانية) الى العربية ابن وحشية ، نقل كتبا كثيرة أهمها كتاب الفلاحة النبطية

وهناك طبقة من النقلة اشتغلوا بنقل العلم من عند أنفسهم أشهرهم بنو شاكر أو بنو موسى لأنهم أولاد موسى بن شاكر ، وهم محمد وأحمد والحسن وعرف أولادهم بعدهم ببني المنجم . كان موسى يصحب المأمون ، والمأمون يرعى حقه في أولاده هؤلاء . واشتغلوا في الهندسة والنجوم والطبيعات والميكانيكات وغيرها ، وأتعبوا أنفسهم في جمع الكتب القديمة من بلاد الروم وأحضروا النقلة بالبدل في نقلها . ومنهم بدلوا المال في نقل العلم غير الخلفاء : محمد بن عبد الملك الزيات ، وعلى بن يحيى المعروف بابن المنجم ، ومحمد بن موسى بن عبد الملك ، وإبراهيم بن محمد بن موسى الكاتب وغيرهم

الكتب التي نقلت

أما الكتب التي نقلت في ذلك العصر فعددها بضع مئات أكثرها من اليونانية ، منها ٨ في الفلسفة والادب لافلاطون و ١٩ كتابا في الفلسفة والمنطق والادب لارسطو و ١٠ في الطب لابقراط و ٨ في الطب لجالينوس ، وبضعة وعشرون كتابا في الرياضيات والنجوم لاقليدس وارخميدس وابلونوريوس ومنالوس وبطليموس وابرخس وذيوفنطس وغيرهم

وأما منقولات اللغات الاخرى ، فمنها نحو عشرين كتابا نقلت عن الفارسية في التاريخ والادب .. ونحو ٣٠ كتابا من اللغة السنسكريتية ، وأكثرها في الرياضيات والطب والنجوم والادب .. ونحو عشرين كتابا عن اللغة السريانية أو النبطية ، أكثرها في السحر والطلسمات الا كتاب الفلاحة النبطية في الزراعة . وهناك بضعة كتب نقلت عن اللاتينية والعبرانية

الخلاصة

وجملة القول ان المسلمين نقلوا الى لسانهم معظم ما كان معروفا من العلم والفلسفة والطب والنجوم والرياضيات والادبيات عند سائر الأمم المتمدنة في ذلك العهد . ولم يتركوا لسانا من السن الأمم المعروفة اذ ذلك لم ينقلوا منه شيئا ، وان كان أكثر نقلهم عن اليونانية والفارسية والهندية .. فأخذوا من كل أمة أحسن ما عندها ، فكان اعتمادهم في الفلسفة والطب والهندسة والموسيقى والمنطق والنجوم على اليونان . وفي النجوم والسير والاداب والحكم والتاريخ والموسيقى على الفرس . وفي الطب (الهندي) والعقاقير والحساب والنجوم والموسيقى والأقاصيص على الهنود . وفي الفلاحة والزراعة والتنجيم والتحرز والطلاسم على الانباط أو الكلدان . وفي الكيمياء والتشريح على المصريين .. فكانهم ورثوا أهم علوم الاشوريين والبابليين والمصريين والفرس والهنود واليونان ، وقد مزجوا ذلك كله واستخرجوا منه علوم التمدن الاسلامي (الدخيلة)

ومما نلاحظه من أمر ذلك النقل ان العرب ، مع كثرة ما نقلوه عن اليونان ، لم يتعرضوا لشيء من كتبهم التاريخية أو الادبية أو الشعر مع انهم نقلوا ما يقابلها عند الفرس والهنود .. فقد نقلوا جملة صالحة من تواريخ الفرس وأخبار ملوكهم وترجموا الشاهنامه . ولكنهم لم ينقلوا تاريخ هيرودوتس ولا جغرافية استرابون ولا الياذة هوميروس ولا اوديسته . والسبب في ذلك ان أكثر ما بعث المسلمين على النقل رغبتهم في الفلسفة والطب والنجوم والمنطق . وأما التواريخ والاداب فقد كان التراجمة ينقلونها غالبا من عند أنفسهم حبا في اظهار مآثر أسلافهم أو جيرانهم ، فالترجمة الفرس نقلوا شيئا من تواريخ الفرس وآدابهم .. وكذلك فعل التراجمة السريان بأدب أجدادهم ، وكذلك التراجمة الهنود . فلو كان بين أولئك المترجمين واحد او غير واحد من اليونان ، لنقلوا كثيرا من

تواريخ أمتهم وأشعارها . ولا ريب ان من جملة ما منعهم من نقل الاياداة الى العربية ذكر الآلهة والاصنام فيها . ولكن في الشاهنامه ايضا كثيرا من ذلك ، فلم يمنعهم من نقلها لكن الترجمة ضاعت (*)

ويلاحظ ايضا ان العرب نقلوا من علوم تلك الأمم في قرن وبعض القرن ما لم يستطع الرومان بعرضه في عدة قرون ، وذلك شأن المسلمين في أكثر أسباب تمدنهم العجيب

ولا يستخف بما اقتضاه ذلك النقل عن اشهر أمم الارض في ذلك العصر من التأثير في الآداب الاجتماعية والآراء والافكار . وخصوصا ما نقل عن الفارسية لأن معظمه في الأدب والتاريخ . . كما أثر في آدابنا الاجتماعية ما نقلناه في نهضتنا هذه عن الافرنج . فضلا عن دخول الفرس في كل باب من أبواب الدولة . . فدخل الآداب العربية والافكار العربية كثير من آداب الفرس الساسانيين وأفكارهم ، اقتبسها العرب من الكتب التي نقلت عنهم ولم يبق منها الا الف ليلة وليلة وكليلة ودمنة وترف متفرقة في بعض الكتب . وقد درس هذا الموضوع المستشرق اينوسترانسيف الروسي ، ووضع فيه كتابا طبع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩ (١)

وعلى هذه المنقولات بنى المسلمون ما افوه في هذه العلوم في اثناء تمدنهم غير ما اختبروه وأضافوه اليها من عند أنفسهم . وأكثر منقولاتهم ومؤلفاتهم ضاعت ولم يبق منها الا بعضها ، وعلى هذا البعض كان معول الاوربيين في نهضتهم الاخيرة لانشاء تمدنهم الحديث بما نقلوه منها الى السننهم كما سنينه في مكانه

الباقى من الترجمات الى الان

اما الباقى من الترجمات المتقدم ذكرها الى الآن ، فلا يتجاوز بضع عشرات مشتتة في مكاتب أوربا . . اليك بعضها على سبيل المثال :

- كتاب المجسطى لبطليموس ترجمة الحجاج بن يوسف بن مطر ، منه نسخة خطية في مكتبة ليدن

- كتاب السياسة في تدبير الرياسة ترجمة يوحنا بن البطريق ، منه نسخ في مكاتب برلين ومنشن وغيرها

- ولقسطا بن لوقا البعلبكي عدة آثار من نقله وتأليفه ، منها رسائل في الطب والاخبار ذكرها بروكلمن في كتابه آداب اللغة العربية وأشار الى أماكن وجودها (صفحة ٢٠٤ ج ١)

- ولحنين بن اسحق بقايا حسنة من منقولاته أشهرها المدخل في الطب

(*) نشر عبد الوهاب مرام هذه الترجمة منذ سنة ١٩٣٢ مع مقدمة عن الملحمة والادب الفارسي

في مكتبة الاسكوريال ، ومسائل في الطب للمتعلمين في مكتبة برلين ، واجتماعات الفلاسفة في بيوت الحكماء في مكتبة منشن ، وكتاب النواميس وغيرها

- ولابنه اسحق بن حنين كتاب في منطق ارسطو

- وليعقوب بن اسحق الكندي فيلسوف العرب بقايا من مؤلفاته سيأتي ذكرها في ترجمته في الدور العباسي الثاني

وسنأتي على مشاهير النابغين في العلوم الدخيلة فيما يلي من هذا الكتاب ولاسيما الذين اشتغلوا بغيرها . وانما اجملنا الكلام هنا وتجاوزنا في اجماله العصر العباسي الاول رغبة في الاختصار ، للسبب الذي قدمناه من تركيز العناية فيما نرجو نفعه للقراء فعلا . ولنعد الى الكلام في العلوم العربية الاصلية

العلوم العربية الأصلية

في العصر العباسي الاول

1 - اللغة

أصاب اللغة في هذا الدور تغيير كثير في الفاظها بما نقل اليها من العلوم الدخيلة ، وما اقتضاه التمدن من الالفاظ الادارية ، وما استلزمه التوسع في العلوم الاسلامية وغيرها من الاوضاع والمصطلحات العلمية والفلسفية والادارية لتأدية ما حدث من المعاني الجديدة مما لم يكن له مثيل في لسان العرب ، كما هو شأننا اليوم في نقل العلم الحديث الى لساننا . وكانوا يومئذ أحوج الى اقتباس الالفاظ الاعجمية وتنويع المعاني العربية . ولم تقتصر تلك النهضة على اقتباس الالفاظ الاعجمية وتبديلها ، ولكنها أحدثت تنويها في معاني الالفاظ العربية واليك أمثلة من ذلك :

الالفاظ العلمية العربية

أهمها الالفاظ الطبيعية ، ولم يكن منها في الجاهلية الا مفردات كالحجامة والسكى ونحوها . . فحدث منها ما يدل على فنون الطب : كالكحالة ، والصيدلة ، والتشريح ، والجراحة ، والتوليد . ومنها ما يختص باصطلاحات كل فن : كأسماء الرطوبات ، والامزجة ، والاخلاط من الحار والبارد والجاف واليابس والسوداء والصفراء والبغم والنبض والتخمة والهضم والبحران والمشاركات

وأسماء الادوية : كالمسخنات ، والمبردات ، والمرطبات ، والمجففات ، والمسهلات ، والنطولات ، والمخدرات ، والاستفرافات ، والسعوطات ، والادهان ، والمراهم ، والاطلية

وأفعال تلك الادوية مثل : ملطف ، ومحلل ، ومنضج ، ومخشن وهاضم ، وكاسر الرياح ، ومخمر ، ومحكك ، ومقرح ، واكل ، ولاذع ، ومفتت ، ومعفن ، وكاو ، ومبرد ، ومقو ، ومخدر ، ومرطب ، وعاصر ، وقابض ، ومسهل ، ومدر ، ومعرق ، ومزلق ، ومملى ، وترياق ، وغير ذلك

ومن الالفاظ الجراحية : الفسخ ، والهتك ، والوثى ، والرض ، والخلع ، والفتق ، وتفرق الاتصال ، ومفارقة الوضع ، والجبار وغيره

ناهيك بأسماء الامراض أو أعراضها : كالصداع ، والكابوس ،
والصرع ، والتشنج ، واللقوة ، والرعدة ، والاختلاج ، والسرطان ،
والسلاق ، والشترة ، والشرناق ، والحانوق ، والذبحة ، والربو ،
وذات الجنب ، وذات الرئة ، والجهر ، والضمور ، والخفقان ، والفشيان ،
واليرقان ، والاستسقاء ، والديبيلة ، والاسهال ، والزحير ، والسحج ،
والسد ، والهيضة ، والبواسير ، ونحو ذلك مما لا يمكن حصره
ومن اوصاف الامراض أنواع الحميات : كالزمنية ، والحادة ،
والمختلطة ، والقب ، والمطبة ، والربع ، والدق ، وغيرها . . غير الالفاظ
التشريحية : كأسماء الاعوية الدموية ، ورطوبات العين ، وسائر الاعضاء
الباطنية التي لم يكن العرب يعرفونها

ويليها الالفاظ الفلسفية ونحوها من مصطلحات الفلسفة والمنطق وما تفرع
منها كعلم الكلام والتصوف والفقهاء ونحوه . وهي كثيرة تفوق الحصر
كقولهم : الكون ، والوجود ، والقدم ، والحدوث ، والاثبات ، والنفي ،
والحركة ، والسكون ، والماسة ، والمباينة ، والوجود ، والعدم ، والطفرة ،
والاجسام ، والاعراض ، والتعديل ، من اصطلاحات علم الكلام . والهاجس ،
والمريد ، والسالك ، والمسافر ، والشطح ، والقطب ، والهيبة ، والانس ،
والبقاء ، والعناء ، والشاهد ، والفترة ، والمجاهدة ، من اصطلاحات التصوف
وقد تكاثرت الاصطلاحات الكلامية والصوفية والفقهية والاصولية حتى
صارت تعد بالالوف ، فاضطروا الى وضع المعجمات الخاصة لتفسيرها
وشرح ما اكتسبته من المعاني المختلفة باختلاف تلك العلوم . ومن أشهر
تلك المعجمات كتاب « التعريفات » للجرجاني في نيف ومائة صفحة
و « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي في نحو الفى صفحة كبيرة
و « كليات أبى البقاء » في اربعمائة صفحة و « اصطلاحات الصوفية »
الواردة في الفتوحات المكية وغيرها . فاذا ذكروا لفظا أوردوا معناه
اللغوي ، ثم معناه الاصطلاحى في الفقه أو الكلام أو التصوف أو
الاصول مع ما يناسب ذلك من المعاني الرياضية أو الطبيعية أو النحوية .
وقد يفتولون المعنى اللغوي على الاطلاق

الالفاظ العلمية الاجمعية

ونريد بها ما اضطر المترجمون الى نقله من لفته بلفظه ومعناه . وأكثر
ما يكون ذلك فى أسماء العقاقير والامراض والادوات والمصنوعات مما لم
يكن له نظير فى بلادهم : كالافسنتين ، والبقدونس ، واليزفون ،
والسقمونيا ، والقنطاربون ، والمصطكى ، من اللغة اليونانية . . والبابونج ،
والبورق ، والبنج ، وخيار شمير ، والزاتينج ، والزرجون ، والزرثيخ ،
والزاج ، والسرقيين ، والاسفيداج ، والشاهترج ، والشريج ،
والرداسنج ، من اللغة الفارسية
ومن أسماء الامراض ونحوها من الاستعمالات الطبيعية : القولنج ،

والترياق ، والكيموس ، والكيلوس ، وقيفال ، ولومان ، وملنخوليا ،
من اليونانية .. ورسام ، ومارستان ، من الفارسية
ومن المصنوعات والادوات : الاصطربلاب ، والقيراط ، والانبيق ،
والصابون ، من اليونانية .. والبركار ، والبوتقة ، والجنزار ،
والدسكرة ، والاسطوانة ، من الفارسية
ومن الاصطلاحات الفلسفية ونحوها : الهيولى ، والاسطقس ،
والفلسفة ، والطلسم ، والمغنطيس ، والقاموس ، والقانون ، من اليونانية
.. غير ما اقتبسوه من اللغة الهندية ، وأكثره من أسماء العقاقير ونحوها
فترى مما تقدم ان أهل تلك النهضة لم يكونوا يستنكفون من اقتباس
الالفاظ الاعجمية ولم يتعبوا انفسهم في وضع الفاظ عربية لتأدية المعانى
التي نقلوها عن الاعاجم ، بل كانوا كثيرا ما يستخدمون للمعنى الواحد
لفظين من لغتين اعجميتين . فالرسام مثلا اسم فارسي لورم حجاب
الدماغ استعمله العرب للدلالة على هذا المرض ، ولما ترجموا الطب من لغة
اليونان استخدموا اسمه اليوناني وهو « قرانيطس » . ولو استنكفوا من
استخدام الالفاظ الاعجمية لاستغنوا عن اللفظين جميعا

الترايب الاعجمية في اللغة العربية

قياسا على ما نشاهده من تطرق العجمة الى اسلوب كتبة أهل هذا
العصر فيما ينقلونه من الافكار الاعجمية ، نعتقد ان اسلافنا في النهضة
العباسية دخل اسلوبهم شيء من ذلك .. وان كنا لا نستطيع تتبعه الى
اصوله تماما لتباعد عهده واختلاطه . على اننا اذا فحصنا لغة ذلك العصر
وقابلنا بين عبارة كتب الطب والفلسفة وعبارة كتب الادب رأينا الفرق
بينهما واضحا . واذا دققنا النظر في سبب ذلك ، رأينا عبارة أصحاب
الفلسفة تمتاز بأمور هي سبب ضعفها وركاكتها أهمها :

- (١) استخدام فعل الكون بكثرة على نحو ما يستعمله أهل اللغات الافرنجية
- (٢) كثرة الجمل المعترضة الشائعة عندهم
- (٣) الاكثار من استعمال الفعل المجهول
- (٤) استعمال ضمير الغائب « هو » بين المبتدأ والخبر حيث يمكن الاستغناء عنه
- (٥) ادخال الالف والنون قبل ياء المتكلم في بعض الصفات كقولهم :
روحاني وفساني ونحو ذلك ، مما هو مألوف في اللغات الآرية ولا
يستحسن في اللسان العربي
ومن التعبيرات التي اقتبسها العرب من اللغة اليونانية مما لم يكن لهم
مندوحة عنها ولا بأس بها :

- (١) تركيب الالفاظ مع لا النافية وادخال ال التعريف عليها كقولهم :
اللانهاية ، واللا أدوية ، واللا ضرورة
(٢) صوغ الاسم من الحروف أو الضمير مثل قولهم : الكيفية ،
والكمية ، والهوية ، والماهية
(٣) نقل الالفاظ الوصفية الى الاسمية كقولهم : المائية ، والمنضجة ،
والخاصة

ومن هذا القبيل اقتباسهم بعض التعبيرات الفارسية الادارية مثل
قولهم : « صاحب الشرطة » و « صاحب الستار » وهو تعبير فارسي .
غير ما اصاب اللغة من التغيير في الفاظها على الاجمال على اثر نموها وبما
طرا على الآداب الاجتماعية من التغيير فضلا عن التجارة والصناعة ، وما
اقتضاه ذلك من تنوع الالفاظ العربية أو اقتباس الالفاظ الاعجمية ، غير
العادات والاخلاق ونحوها ، وغير ما اقتضاه ناموس الارتقاء من النمو
والتحدد والتنوع والتفرع . وقد عقدنا فصلا ضافيا في هذا الباب في
كتابنا تاريخ اللغة العربية تجاوزنا فيه هذا الدور الى ما يليه من الادوار
العباسية ، وفصلا في الالفاظ النصرانية واليهودية والتراكيب السريانية
والعبرانية التي دخلت هذه اللغة في اثناء التمدن الاسلامي (*)

مراجع هذا الموضوع

ومن الكتب التي يمكن الرجوع اليها في هذا الموضوع غير كتاب تاريخ
اللغة العربية المتقدم ذكره « كتاب التعريفات » للجرجاني المتوفى سنة
٨١٦ هـ ويشتمل على المصطلحات الفقهية والنحوية وغيرها مرتبة على
حروف المعجم ، وهو مطبوع في باريس سنة ١٨٤٥ وفي مصر . و « درة
الغواص » للحريزي طبع في مصر وغيرها . و « شفاء الغليل فيما في
كلام العرب من الدخيل » لشهاب الدين الخفاجي المتوفى سنة ١٠٦٩ هـ
وطبع بمصر سنة ١٢٨٢ . و « كشاف اصطلاحات الفنون » للتهانوي
سنة ١١٥٨ هـ طبع في كلكتة سنة ١٨٦١ . و « العرب من الكلام
الاعجمي » لأبي منصور الجواليقي المتوفى سنة ٥٣٩ هـ طبع في ليبسك
سنة ١٨٦٧ . وكتاب « العرب والدخيل » لأحد أبناء القرن الحادي
عشر للهجرة ، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . و « المغرب في
ترتيب العرب » لأبي الفتح المطرزي منه نسخة خطية في المكتبة
الخديوية . غير المعاجم اللغوية وكتب اللغة

(*) انظر في ذلك ايضا كتاب « التطور النحوي للغة العربية » لبرجستراسر « طبعة سنة
١٩٢٩ » ص ١٤٢ وما بعدها

الشعر

في العصر العباسي الاول

الانتقال الاجتماعي

انتقل الشعر في الدولة العباسية انتقالا كبيرا مثل انتقال الامة العربية من البداوة الى الحضارة ، ومن شظف العيش الى الرخاء ، ومن الملابس الخشنة الى الناعمة . . فتحضر كثيرون من الشعراء وشاركوا أهل الحضارة بأخلاقهم وشعورهم . وبعد أن كانوا يقيمون في المضارب لا تقع عين احدهم الا على صحراء قاحلة تسفى الرياح رمالها بيت فيها حذرا خائفا من غارات الاعداء ودبابات الصحراء . . لاهشير له الاجواده أوناقته ، أصبح وقد ركن الى الرخاء يقيم في القصور تكتنفها الحدائق . . فيها من كل فاكهة زوجان ، تجري فيها المياه مدبرة في الاحواض والاقنية ، تحف بها الازهار بازهي الالوان وتسرح في اكنافها الاطيار الداجنة من جميل الريش ورخيم الصوت . وبعد ان كان يرتدى العباءة من شعر الجمل ويتعل الحفاء أو يحتدى النعال من الخوص أو الجبال ، لبس الحرير والوشى وانتعل الخف والجورب ولبس الحرير ، واستبدل المضارب ، وفرشها الرمال ، بقاعات فرشها البسط والسجاد وعلى جدرانها الستائر من الخز والديباج بمسامير الفضة عليها طراز الذهب . وقد ضعفت انفة البداوة وحل عقل الحشمة ، وترك الناس وشأنهم ينغمسون فيما يشاءون وقد تدفقت عليهم الاموال بلا حساب وتكاثر الذهب بين ايديهم ، فانتشر التهلك وذهبت الفرة بشيوع التسرى وانتشار السكر . وللشعراء الحظ الاوفر من ذلك لترددهم على مجالس الفناء واختلافهم الى الخلفاء والوزراء والامراء من أهل البلخ والترف والرخاء ، فانطبعت في مخيلاتهم صور لم يألها أهل البادية

فلا غرو اذا اختلف الشعر في هذا العصر عما كان عليه في الدولة الاموية لرغبة الامويين في البداوة والاخذ بناصر العرب والازراء على سواهم ، فكان اكثر شعرائهم من أهل البادية يفدون عليهم من البصرة والكوفة أو الحجاز أو نجد ويندر فيهم المتحضرون . أما الدولة العباسية فأصحابها كانوا يرمون الى غرض يخالف ذلك . . كان العباسيون يرون تقديم غير العرب

ويودون التخلص من العرب والاستغناء عن جزيرة العرب (*)
 باختلاف طبائع الناس في الدولة العباسية عما كانوا عليه في العصر
 الاموي طبعي ، وفي جملتهم الشعراء . واليك أهم مميزات الشعر
 والشعراء في العصر العباسي الاول

مميزات الشعر

في العصر العباسي الاول

يختلف الشعر العربي في هذا العصر عنه في العصر الاموي مثل
 اختلاف العصرين في الاحوال السياسية والاجتماعية والادبية لأن الشعر
 مرآة اخلاق الأمة وآدابها وسائر احوالها ، وخصائص الشعر في هذا
 العصر ترجع الى ما يأتي :

١ - طريقة النظم (***)

يشتمل الشعر على الخيال الشعري وهو المعنى ، وعلى القالب الذي
 يسسبك فيه ذلك المعنى وهو الكلام المقفى الموزون أو النظم . وأهم ما
 يلاحظ في النظم ثلاثة أمور :

(١) طريقته وهي الخطة التي يجرى عليها الشعراء في تنسيق المعاني

(٢) الاسلوب وهو العبارة التي يختارونها للتعبير

(٣) اللفظ

ومن القواعد الاساسية في تاريخ الشعر ان يتبع في اسلوبه ولفظه
 وطريقته حال الأمة التي تقوله ، فيتنوع شعرها بتنوع نظام اجتماعها
 وسائر احوالها . ولكن العرب ظلوا الى عهد غير بعيد يقلدون طريقة
 الجاهليين فيما ينظمونه ، فيستهلون قصائدهم بذكر الرحيل والاطلال

(*) هذه مبالغة ، فقد كان العباسيون في القرن الثاني للهجرة يستمعون بالعرب كما كانوا
 يستمعون بالفرس ، ومن وزراءهم المشهورين الفضل بن الربيع وهو عربي الاصل ومثله ابن ابي
 ذؤاد . حقا انهم استعانوا بالفرس استعانة واسعة ، ولكن لا الى حد الاستغناء عن العرب
 وجزيرة العرب ، فقد كانوا عربا هاشميين ، وكانوا يعدون ذلك من اكبر مناقبهم ، واذا رجعنا
 الى قوادهم وولاتهم وجدنا كثيرين منهم عربا خلصا . فالعرب كانوا ممثلين في الجيش والدولة
 طوال العصر العباسي الاول ، كما كانوا ايضا ممثلين في الشعر والادب والحياة العقلية . وكل
 ما يمكن ان يقال في هذا الصدد ان كفة الفرس لعوامل سياسية كانت ترجح كفة العرب ، ومع
 ذلك كانوا اذا أوغلوا في تعصبهم عليهم تخلص منهم الخلفاء على نحو ما تخلص المنصور من
 ابي مسلم الخراساني والرشيد من البرامكة

(**) لم يتعرض المؤلف هنا لما طرأ على اوزان الشعر العربي في العصر العباسي الاول من
 تجديدات ، ومن المعروف ان العباسيين استحدثوا في هذا العصر بعض اوزان جديدة مثل
 المقتضب والمضارع والتدارك . وجددوا في القافية فاستحدثوا النوعين المعروفين باسم
 المزدوج والمسقط ، ويتألف الاول من شطرين على قافية ثم من شطرين آخرين وهيكلا ،
 ويتألف الثاني من بيت مصرع تليه أربعة أقسام أخرى على غير قافيته ، والمثلثون ان المواليسا
 وهي من فنون الشعر الشعبي بدأت في هذا العصر ، وراجع في ذلك الفصل الثاني من
 كتابنا « الفن ومداهجه في الشعر العربي »

والابل وغيرها من خصائص الجاهلية.. حتى الالفاظ فانهم كثيرا ما يقلدونها فيها ، وفيها الوحشى الذى لا يلائم المدنية لأن وحشى الكلام لوحشى الناس والسبب فى تمسكهم بالقديم رسوخ الاعتقاد بأفضلية آداب الجاهلية وشعراء الجاهلية ، اذ كان اليها مرجعهم فى صدر الاسلام لتحقيق الالفاظ والتركيب . ثم عظم الامويون مناقب الجاهلية وطباع البداوة لرغبتهم فى تأييد العرب ودولة العرب ، فرسخ فى اذهان الناس ان مناقب الجاهلية افضل ما يتبع . فلما تغلب العباسيون بأنصارهم الفرس وغلّب العرب على امرهم وعلت كلمة الفرس ، أخذ ذلك الاعتقاد فى الزوال

اما من حيث الاسلوب ، فان الشعر الجاهلى عريق فى البلاغة مع سلامته من الركاكة والعجمة . واما الخيال الشعري فيرى بعض العلماء ان العقل البشرى سائر نحو الارتقاء فى كل سبيل الا من حيث الخيال الشعري فانه لا يزال فى مكانه .. هذا هو ميروس لا يزال نابغة الشعراء وقد مر عليه نحو ٣٠٠٠ سنة والناس يتقدمون فى كل شئ

وانظر الى امرئ القيس والنابغة وزهير وغيرهم من الجاهليين ، فانهم لا يزالون يعدون من نوابغ الشعراء الى الآن . على ان للشعر العربى شأنًا خاصا من حيث الاسلوب ، فان كلام الاسلاميين يعد على العموم أعلى طبقة من كلام الجاهليين فى منشورهم ومنظومهم . . . نعى الشعراء والخطباء والمترسلين فى صدر الاسلام الى أوائل الدولة العباسية (١) ، فضلا عن تأثير الاحوال الاجتماعية على الخيال الشعري ولا سيما فى الانتقال من البداوة الى الحضارة ، ومجارى الطبيعة كالفناء المبرم لا يدفعها دافع . لكن تعظيم الامويين للعرب جعل الجاهليين مثالا يقتدى بهم فى الشعر . . . فكان الابداء يتحاشون نقد ذلك الاعتقاد فى الدولة الاموية . ومع ارتفاع الاسلوب واتساع الخيال ظلوا يقلدون طريقة الجاهليين فى النظم

فلما انتقل الامر الى بنى العباس ، هان عليهم الانتقاد وأخذوا يفكرون فى تقبيح تلك الطريقة . وأول من تجرأ على نقدها من الابداء ابن قتيبة فى أواسط القرن الثالث للهجرة فى كتابه الشعر والشعراء (٢) ، وسنعود الى ذلك فى تاريخ نقد الشعر

على ان الشعراء تنبهوا الى هذا الامر فى صدر الدولة العباسية ، فأخذوا فى انتقاد طريقة الجاهليين ، ولم يجدوا من يأخذ بناصرهم لغلبة التقليد على طابعهم . . . لكنهم حاولوا الخروج من تلك القيود على الاقل من العصر العباسى الاول ، عصر حرية القول ، وأصبح حديث الشعراء فى مجلسهم انتقاد تلك الطريقة ، وأقدم ما بلغنا من هذا القبيل اجتماع مطيع ابن اياس بفتى من أهل الكوفة ففاوضه فى ذلك ، فقال :

لأحسن من يبدٍ يحارٌ بها القَطَاً ومن جبنى طيٍ ووصفكما سلكنا
تلاحظ عيني عاشقين كلاهما له مقلة فى وجهه صاحبه ترعى (٣)

(١) ابن خلدون ٥٠٨ ج ١ (٢) الشعر والشعراء ٥ (٣) الاغانى ١٠٣ ج ١٢

وكان ذلك لسان حال اكثر الشعراء وان لم ينظموه . وممن جاهر به منهم أبونواس ومن اقواله التي يستدل بها على انكاره طريقة القدماء قوله :

لا تَبْكِ ليلي ولا تطربِ إلى هِنْدِ
واشربِ على الوردِ من حمراءِ كالوردِ
ومن هذا القبيل قوله :

صفةُ الطلولِ بلاغةُ القُدَمِ فاجعل صفاتك لابنة الكرمِ (١)
ولما سجنه الخليفة على اشتهاره بالخمير ، واخذ عليه المواثيق الا يذكرها
في شعره ، وكانه كلفه الرجوع عنها الى النظم على طريقة الجاهليين ، قال :

أعيرَ شعركَ الأطلالَ والمنزلَ القَفْرَا
فقد طالما أزرى به نَعْتُكَ الخمرا

دعاني إلى نعت الطلول مسلطاً

تضيق ذراعي أن أردّ له أمرا

فسمعا أمير المؤمنين وطاعة

وإن كنت قد جشمتني مركبا وعرا

فجاهر بأن وصفه الاطلال والقفر انما هو من خشية الامام ، والا فهو
عنده فراغ وجهل . واقتدى به أبو العتاهية ومن جاء بعده ، ولكن بين
الشعراء من يقلد الجاهليين حتى الآن
واتر في اسلوب الشعر ومعناه في هذا العصر ما نقل الى العربية أو حفظ
فيها من آداب الفرس وأخبارهم ، فاكسب الشعر العربي خيالا لطيفا
وزادت فيه معان جديدة ، على نحو ما كان من تأثير آداب اليونان القدماء في
أخلاق الرومان . ويشبه ذلك تأثير التمدن الحديث في آدابنا ومجاري أفكارنا

٢ - المعاني الجديدة باتساع الخيال

كان الاعتقاد في شعراء الجاهلية انهم لم يتركوا معنى من معاني الشعر
لم يترقوه . والواقع انهم طرّقوا أكثر المعاني التي تخطر لابن البادية ،
ولكن الحضارة لها معان خاصة ، أو هي توسع الخيال وتفتق القرائح
لاتنشار الناس في الارض . فاذا تأملت ما في أشعار الصدر الاول الاسلامي ،
من الزيادات على معاني القدماء والمخضمين ، ثم ما في طبقة جرير
والفرزدق واصحابهما من التوليدات والابداعات العجيبة التي لا يقع مثلها
للقدماء الا نادرا ، ثم قرأت بشار بن برد و ابا نواس واصحابه لترى ما
زادوه من المعاني وما زاده الذين جاءوا بعدهم . . علمت ان الشعر سار على

سنة الارتقاء مثل سائر احوال الحياة . ومن امثلة المعاني التي حدثت في العصر العباسي الاول قول بشار بن برد الاعمي :

يا قوم اذني لبعض الحسى عاشقة^(١) والأذن^٢ تعشق قبل العين أحيانا (١)
قالوا بمن لا ترى تهذي فقلت لهم الأذن كالعين توفى القلب ما كانا
وقول أبي نواس :

فكأنى وما أزيّن منها قعدى^٣ يزين التحكيما
كل^٤ عن حمله السلاح إلى الحر ب فأوصى المطيق ألا يقيما
والقعدة فرقة من الخوارج الذين كانوا يرون تكفير على لقبوله التحكيم ،
وقوله ايضا :

بنت على كسرى سماء مدامة مكللة^٥ حافاتها بنجوم
فلو رُد^٦ في كسرى بن ساسان روحه إذا لاصطفاني دون كل نديم
وقال أيضا في صفة النساء الخمارات ويروى لابن المعتز :

وثحت زنائير^٧ شدّدن^٨ عقودها
زنائير أعكان^٩ معاقدها الشرر^{١٠} (*)

فهذا تشبيه لم يسبق اليه ، وقال ايضا :
لست أدري أطال ليلي أم لا كيف يدري بذلك من ينقلني
لو تفرغت لاستظالة ليلي ولرغى^{١١} النجوم كنت مخلا^{١٢}
ومما زاد من المعاني في هذا العصر قول أبي تمام :

وإذا أراد الله نشر^{١٣} فضيلة^{١٤} طويت^{١٥} أتاح لها لسان^{١٦} حسود^{١٧}
لولا اشتعال^{١٨} النار فيما جاورت^{١٩} ما كان يعرف^{٢٠} طيب^{٢١} عرف^{٢٢} العود
وقوله :

بني مالك قد نبهت^{٢٣} حامل الشرى^{٢٤} قبور^{٢٥} لكم مستشرفات المعالم
غوامض^{٢٦} قيد الكف من تناول^{٢٧} وفيها علا^{٢٨} لا ير^{٢٩} تقى^{٣٠} بالسلام
غير ما أخذوه من المعاني القديمة أو توسعوا فيه ، ولاسيما النسيب
والفزل

(١) العمدة ١٨٨ ج ٢
(*) امكان : طيات

تلك معانٍ شعريّةٍ اقتضاهما توسع الخيال بالحضارة . وهناك معانٍ حدثت بدخول العلوم القديمة الى اللغة العربيّة ، فاستعار الخطباء والكتاب والشعراء تعابير فلسفيّة فيها الفاظ علمية قد تقدم ذكر أمثلة منها كالتناهي والتوليد والتجزؤ والمعاد . ومنها قول أبي نواس :

وذا ت خدٍ مورّدٌ قُوهِيةُ المتجرّدُ (*)
تأمّلُ العينُ منها محاسناً ليس تَنَمُّدُ
فبعضها قد تناهى وبعضها يتولّدُ
والحسنُ في كلِّ عضو منها مُعادٌ مردّدُ

وقوله :

يا عاقد القلب منى هلا تذكرت حلاً
تركت قلبي قليلاً من القليل أقتلاً
يكاد لا يتجزّأ أقل في اللفظ من لا (١)

واستعار آخرون معاني من أخبار اليونان كاقْتباس أبي العتاهية ما قاله بعض حكماء اليونان في تأبين الاسكندر ونظمه في رثاء ابن له ، وهو :

كفى حزناً بدفنك ثم إنى نفضت ترابَ قبرك من يديا
وكانت في حياتك لي عظامٌ فأنت اليوم أو عظمتُ منك حيناً

ومن المعاني التي دخلت الشعر في هذا العصر اقوال بعض الأئمة ورجال الافكار، اقتبسها الشعراء ، ونظموها كما نظم بشار الحكمة القائلة : « انظر الى ما ينفعك ودع كلام الناس ، اذ لا سبيل الى النجاة من كلام الناس » فقال :

من راقب الناسَ لم يظفر بحاجتهِ وفاز بالطيبات الفاتكُ اللّهجُ
وحضارة العباسيين اكثر عملها من الفرس ، فدخل اللغة طائفة من المعاني الفارسية فضلاً عن الالفاظ . . حتى لقد يقتبس الشعراء عبارات فارسية يدخلونها في اشعارهم كقول العماني من قصيدة مدح بها الرشيد: (**)
مَنْ يَلْتَقَهُ من بطلٍ مُشرّدى في زَعْفَةٍ محكمَةٍ بالسردِ
تجول بين رأسه والكرّدِ

(*) قوهية المتجرد : بيضاء الجسد

(١) البيان والتبيين ٦١ ج ١

(**) الفريب في أبيات العماني : المرندى : الغالب ، الزعفة : الورد ، السرد : سمر الزرد ، الهزبر الورد : الاسد القوى ، آب سرد : ماء بارد

والكرد العنق . وقوله :

لما هوى بين غياض الأسدِ وصار في كفِّ بهزْبِرِ الوَرْدِ

آلى يذوق الدهر آبَ سَرْدِ

واقتبسوا أيضا الفاظا سريانية من لفة نبط العراق ، كقول ابراهيم
الموصلى المعنى في وصف خمار نبطى .. وكأنه ينقل كلامه بلفظه اذ يقول :

فقال « أزل بشينا » حين ودعنى

وقد لعمرُك زنا عنه بالشئين (*)

ومن المعانى الجديدة وصف ما استحدث من ثمار تلك المدينة من أسماء
الآنية والابنية والقصور والرياش وسائر أسباب الحضارة ، ولا سيما
الفلمان والخمر كما سيجيء

٤ - المبالغة في المدح

لم يخل الشعر من المدح في عصر من العصور ، لكنه كان في الجاهلية
اقرب الى الواقع وابتعد عن المبالغة ، ثم أخذ يزداد مبالغة بازدياد الحضارة
والركون الى الرخاء واضطرار الشعراء الى التزلف والتملق ، ولا سيما
بعد الاختلاط بالفرس . فبعد أن كان زهير بن أبى سلمى يقول في مدح
كريم حازم :

تراه إذا ما جئتَه متهلِّلاً كأنك تعطيه الذى أنت سائله

صار منصور النمرى يقول في الرشيد :

إزى المكارم والمعروف أودية أحلك الله منها حيث تجتمع

إذا رفعت امرأً فالله رافعه ومن وضعت من الأقوام متضع

من لم يكن بأمين الله معتصماً فليس بالصلوات الخمس ينتفع

إن أخلف الغيث لم تخلف أئامله أو ضاق أمرٌ ذكرناه فيتسع

وقول رجل من ولد زهير بن أبى سلمى في مدحه : « فكانه بعد
الرسول رسول »

وقول العكوك في مدح أبى دلف :

أنت الذى تنزل الأيام منزلها وتنقل الدهر من حالٍ إلى حالٍ

ومأمدتْ مَدَى طرفٍ إلى أحدٍ إلا قضيتْ بأرزاقٍ وآجالٍ

(*) ازل بشين : كلمة سريانية معناها امض بسلام

على ان المبالغة زادت بعد هذا العصر من كل وجه بزيادة اسباب الزلفى
والانغماس في الرخاء كما استراه

٥ - وصف الخمر والفلمان

ذكرنا من مميزات الشعر في العصر الاموى أن الشعراء وصفوا الخمر على
اثر انغماسهم في المسكر والقصف. ولكن وصفها لم يكن الا في العصر العباسي
الاول الذي نحن بصددده. واشهر من نظم في وصفها من شعرائه ابونواس،
فان له في ذلك بضعة آلاف بيت في مئات من القصائد والمقاطيع تجدها
في ديوانه. ولذلك عدوا ابانواس امام الوصافين للخمر
اما الفلمان فقد تقدمت الاشارة الى تعشقهم في هذا العصر، ولم يبق
شاعر من شعرائه المقيمين في بغداد لم يشتهر بفلام يعشقه ويتغزل به،
واقدم من فعل ذلك منهم حماد عجرد ثم حسين بن الضحاك، واقتدى به
ابونواس، وكان معاصرا له، كما اقتدى به في وصف الخمر لكنه فاقه
في كليهما. وقد زادهما تمكنا من هذه الرذيلة تقربهما من محمد الامين،
وهو كثير الاقتناء للفلمان فكانوا فتنة لشعرائه. ولحسين المذكور أقوال
كثيرة في وصف الفلمان نشرها صاحب الاغانى في ترجمته (١٧٠ ج ٦)
اما ابونواس ففي ديوانه باب خاص بوصف الفلمان يسمونه « غزل
المذكر » فيه نحو ألف بيت اكتفينا بالاشارة اليها تنزيها للقارىء عن
مطالعتها. وقد اغضينا لذلك عن حوادث كثيرة تتعلق بغزل المذكر وتدل
على ما بلغ اليه القوم من المجون. وسيد هذه الرذائل المسكر، وعلّة
انتشاره تساهل بعض الفقهاء بتحليل شرب النبيذ لانه غير الخمر الوارد
النهي عنها. لكنه قد يسكر أو يتحول اذا طال مكثه الى خمر مسكرة.
كما يحللون بعض الالعاب اليوم لأنها غير مبنية على المصادفة فقط فلا تعد
من ألعاب القمار. ولكنهم قد يقامرون بها أو هي تجرهم الى المقامرة
الفاحشة. واصبح التغزل بالفلمان بعد هذا العصر بابا من أبواب الشعر

٦ - الشعر المجونى

ان استبحار عمران الدولة بعث كبراءها على الاستكثار من اسباب
اللهو، ولاسيما الخمر والجوارى والفلمان مع ميلهم الى سماع الأدب
والشعر. فتولدت طبقة من الشعراء أكثروا من المجون في منظومهم
وعرفوا بالشعراء المجان وامامهم ابونواس. وقد تهتكوا في مجونهم وتفنونوا
فيه وهم يمثلون الاداب الاجتماعية في تلك الطبقة من الناس في ذلك
العصر، والشعراء عنوان آداب الأمة أو مثال يدل عليها

٧ - وصف الرياض والازهار

توسعوا في هذا العصر في وصف الرياض والازهار. ومن وصافها
ابونواس، كقوله:

يوم" تقاصر واستتبث" نعيمه في ظل ملتف الحدايق أخضرا
 وإذا الرياح تنسكت في روضةٍ نثرت به مسكا عليك وعنبراً
 ولم يخل الشعر الجاهلي والأموي من وصفها ، ولا سيما في أقوال
 الشعراء الذين خالطوا الحضارة وراوا بساتين الحيرة أو غوطة الشام أو
 غيرهما من مدن العراق أو الشام كأعشى بكر القائل :

ماروضة" من رياض الحزنِ معشبة"

خضراء جاد عليها مسبل" هَطِل"

يضاحك الشمسَ فيها كوكب" شَرِق"

مؤزَّر" بعميم النبات مكتهل"

يوماً بأطيب منها نثرَ رائحةٍ

ولا بأحسن منها إذ دنا الأصل

على ان أهل هذا العصر فاقوهم فيه كأبي نواس وأبي تمام ، وفاقهما
 فيه أهل العصور التالية

الشعراء

في العصر العباسي الاول

رأيت في الكلام على شعراء الجاهلية أنهم كانوا ينظمون لقبائلهم أو لانفسهم فخرا أو حماسة وقل فيهم المتكسبون بالشعر ، ثم تبين لك ان شعراء بنى أمية كان القصد الرئيسي من تقديمهم عند الخلفاء الاستنصار بالسنتهم على أعدائهم لتعويل تلك الدولة على العصبيات بين القبائل . ثم قامت الدولة العباسية ونصراؤها خراسانيون فكانت في غنى عن تلك السياسة ، فلما استقرت أصولها أصبح تقريب الشعراء أكثره للتلذذ بالادب أو سماع المدح والاطراء . ويندر للخليفة أو الامير أن يقدم شاعرا لعصبية (*) أو يستنصره على عدو . فأصبح الشاعر بتوالي الاعوام كالنديم يجالس الخليفة أو الامير في مجالس الانس أو الادب تبعا لحال ذلك الخليفة أو الامير من حب العلم أو الخلاعة أو غيرها

١ - الاستجداء

وأصبح الشعراء في هذا العصر يفدون على بغداد ، كرسى العباسيين ، من الحجاز ونجد واليمامة ومن البصرة والكوفة والشام وغيرها في أوقات معينة أو غير معينة ، كما كانوا يفدون على دمشق ، كرسى الامويين ، وأكثرهم من أهل البادية . وكان الامويون يفضلون بقاءهم على البداوة ، فلا يرغبونهم في الإقامة عندهم . أما العباسيون فكانوا اذا وفد الشاعر على أحدهم وأعجبه شعره استبقاه في حاشيته . فأصبح أكثر الشعراء يقيمون في بغداد ، وظل بعضهم يقيمون في بلادهم وانما يفدون في المواسم أو غيرها فينالون الجوائز وينصرفون . فكثير الشعراء المتحضرين وصار لهم مذهب في الشعر يختلف من مذهب أهل البادية (١) وهم ينقطعون لمنادمة الخلفاء أو الامير أو الوزير أو الوجيه يمدحونه أو ينادمونه . وأكثرهم يختصون بمنادمة الخليفة أو الوزراء

(*) يفهم من كلام المؤلف أن العصبية زالت أو كادت في العصر العباسي ، وهو مبالغ في هذا الحكم ، فاما من جهة المصيبة القبلية فقد بقيت لها ظلال كثيرة نجدها عند أمثال دعبيل الخراسي ممن كانوا ينتصرون لليمانية على المضربة ، واما من جهة العصبية السياسية فقد فتح العباسيون فيها بابا جديدا ، هو الانتصار لهم ضد العلويين ، ومن شعرائهم المشهورين في هذا الباب مروان بن أبي حفصة ومنصور الثمري ، وكان للعلويين انصارهم مثل دعبيل والسيد الحميري وابن الرومي . وبجانب ذلك فتح باب الشعبوية على مصراميه ، فكان الموالي مثل بشرابن نواس يفتخرون بأجناسهم ، فرس وغير فرس ، على العرب

ولاسيما البرامكة. وفيهم من انقطع لمنادمة الامراء من بني هاشم كابراهيم
ابن المهدي ومحمد بن سليمان ، او بعض رجال الدولة كأبي دلف وابن طاهر
فلم يكن ينبغي شاعر من قبيلة او بلد الا وفد على الخلفاء او غيرهم
يقصيدة مدح ، يلتمس العطاء . ويندر فيهم من ينظم الشعر ولا يلتمس
به جائزة أو كسبا . فاذا تحضر صار نديما أو كالنديم . فقل الشعراء
الفرسان وأصحاب السيادة وكانوا كثيرين في العصر الجاهلي ، ولم يبق
منهم في العصر الاموي الا القليلون ، وهم في هذا العصر أقل كثيرا

٢ - التهتك والخلامة

ومع رغبة الخلفاء والامراء والوزراء في الادب والعلم ، فانهم ساءروا
الحضارة فكانوا يعقدون مجالس الانس والشراب يحضرها الشعراء
والمغنون . فكثر في شعرائهم أهل الخلاعة والمجون والتهتك ، ولم يكن من
هؤلاء في العصر الاموي الا القليل ، وأقل منهم من كان في العصر الجاهلي .
ومن أقبح أسباب التهتك في ذلك العصر تسرى القلمان كما تقدم . ونظرا
لكثرة تردد الشعراء على مجالس الانس والطرب أصبحت تلك العادة
أكثر شيوعا فيهم من سائر الطبقات ، فلم يخل من هذه الفاحشة منهم غير
الذين ظلوا على بداوتهم بعيدين عن مفاسد المدنية
أما التهتكون فبلغ من مجونهم أن يشترك بضعة رجال منهم في عشق
غلام (١) وقد يتوسط الشاعر في المصالحة بين عاشقين لاصلاح ذات البين .
ويفعلون أقبح من ذلك مما يخجل القلم من ذكره (٢) غير مجالسهم في أماكن
اللهو على موائد الشرب التي يخالطها تهتك وخلامة ، كما كانوا يفعلون
في منزل اسماعيل القراطيسي الكوفي ، وكان يجتمع عنده أبو نواس وأبو
العتاهية ومسلم بن الوليد وحسين الخليل يتذاكرون الشعر وينظمون
وإذا عملت الفكرة فيما لحق بعض الخلفاء والامراء من الفساد ،
رأيت أصله في الأكثر راجعا الى من يتولى تربيتهم أو من يعاشرهم من
الخاصة أو الشعراء . فجعفر بن المنصور أفسده مطيع بن اياس (٣) ،
ومحمد الامين ساعد على افساده حسين بن الضحاك وأبو نواس

٣ - الشعراء الموالى

وكان الشعر العربي في الجاهلية منحصرا في العرب ، لم يكن فيهم من
غير العرب الا عبد بنى الحساس . ثم تكاثرت الشعراء الموالى في العصر
الاموي ، لكنهم لم يزيدوا على عشرين في المائة . أما في العصر العباسي ،
فزادوا على ستين في المائة . وبعد أن كان أكثر وفودهم من البادية ،
صاروا يقدون أيضا من البصرة والكوفة وغيرهما من المدائن . وأكثر فحول
الشعراء في هذا العصر من الموالى : كأبي نواس ، وأبي العتاهية ،

(١) الاغانى ٨٥ ج ١١

(٢) الاغانى ١٩٨ ج ١

(٣) الاغانى ١٠٥ ج ١٢

وبشار بن برد ، وسلم الخاسر ، ومروان بن أبي حفصة . . فامتياز أولئك الموالى الاعاجم على أسيادهم العرب ، كما امتاز هوراس وفرجيل من كبراء شعراء الرومان ، وأولهما ابن مولى والآخر ابن خطاب (١)

٤ - الشكوك في الدين والزندقة

ذكرنا ما كان من الحركة الفكرية في هذا العصر على اثر الانقلاب السياسي وتجمع الحقائق العلمية والفلسفية والطبية واللاهوتية والرياضية والفلكية والادبية وتزاحمها في أذهان الناس ، وقد ظهرت طائفة جاهروا بالزندقة . وفيهم جماعة كبيرة من الادباء والشعراء أشهرهم : حماد عجرد ، وحفص ابن أبي وردة ، وابن المقفع ، ويونس بن أبي فروة ، وعلى بن الخليل ، وحماد الراوية ، وابن الزبيرقان ، وبشار بن برد ، وصالح بن عبد القدوس ، وابان اللاحتي ، وعمارة بن حمزة ، ويزيد بن الفيض ، وجميل بن محفوظ . وكانوا يجتمعون على الشراب يتنادمون ويقولون الشعر ولا يكادون يفترقون ، ويهجو بعضهم بعضا هزلا وجدا (٢) وكثيرا ما كانوا يشتركون في أموالهم وأحوالهم كما يفعل الاشتراكيون اليوم . فكان مطيع بن اياس ، ويحيى بن زياد الحارثي ، وابن المقفع ، ووالبة بن الحباب ، يتنادمون ولا يفترقون ولا يستأثر أحدهم على صاحبه بمال ولا ملك وكانوا جميعا يرمون بالزندقة وكان أولئك المتفلسفون ينظرون الى الدنيا من وجهها الاسود (*) فلا يرون فيها حسنا ولا يعترفون لأحد بفضيلة على شسائلة من يعبر عنهم الغربيون بكلمة Pessimists وذكروا ان مطيع بن اياس مر بيحيى بن زياد وحماد الراوية وهما يتجادلان ، فقال لهما : « قيم أنتما ؟ » قالا : « في قذف المحصنات » قال : « أو في الارض محصنة تقذفانها ؟ » ويدل هذا من جهة أخرى على رأيهم في المرأة

٥ - اطلاق حرية الاقلام والالسنه

والفضل في اطلاق الاقلام والالسنه في أواخر ذلك العصر للمأمون الخليفة العالم الفيلسوف ، فكانت حرية القول في أيامه أشبه بحرية الصحافة في البلاد المتمدنة اليوم . ومن أشهر الأدلة على ذلك خبره مع دعبيل الشاعر ، وكان متشيعا للعلويين كثير الهجو لبني العباس ، وله فيهم قصائد ، هجوها شديد ، واعدائه يحرضون المأمون على قتله ، ومن جملتهم أبوسعبد المخزومي فقد كان مغاضبا لدعبيل في أول أمره ، وكان يدخل على المأمون فينشده هجاء دعبيل له وللخلفاء ويحرضه عليه . . فلم يجد عند المأمون ما أراده فيه . وكان المأمون يقول : « الحق في يدك والباطل في يد غيرك والقول لك

(١) Litt. Auc. 184 (٢) الاغانى ١٤٩ ج ١٦ و ٨١ و ١٠٠ ج ١٢ (*) يبلغ المؤلف اذ يمد هؤلاء الشعراء متفلسفة ، وهم انما كانوا أصحاب لهو وعبث ، وهو يبلغ أيضا اذ يقول انهم كانوا ينظرون الى الدنيا من وجهها الاسود ، فمما لاشك فيه ان كثرتهم كانت تنظر اليها من وجهها الابيض المرح القائم على الفرحة بالحياة وما فيها من متاع ولذة حسية

ممكن فقل ما يكذب ، فاما القتل فاني لست استعمله الا فيمن عظم ذنبه «
ودخل أبو سعد مرة على المأمون وانشده قول دعبل :

ويسومني المأمونُ خبطةً عاجزٍ أو ما رأى بالأمس رأسَ محمد

وأردفها بقصيدة رد بها على دعبل ، ثم قال : « أتأذن لي يا أمير المؤمنين ان اجيئك برأسه ؟ » قال : « لا . . هذا رجل فخر علينا ، فافخر انت عليه ، فأما قتله بلا حجة فلا » وهل يقول اعدل من ذلك وزير من ارقى وزراء الأمم الدستورية المتمدنة اليوم في صحافي طعن في أمير أو ملك ؟ فلا غرو اذا اطلقت حرية الدين في عهده .

ومن هذا القبيل اطلاق حرية القول في انتقاد العنصر العربي ، وكان العرب في العصر الاموي مقدمين على سائر العناصر . ولم يكن هؤلاء يستنكرون من تفضيلهم ، بل كانوا يعتقدون فضلهم في اقامة الدين وانهم مادته وأصله . ولا كانوا يأنفون من ان يسموا العرب أسيادهم ويعترفوا بفضلهم عليهم في العقل والحزم . على ان اكثرهم كانوا يفعلون ذلك خوفا من الامويين وارضاء للعنصر العربي ، فلما اطلقت الالسنه والاقلام في ايام المأمون تظاهر اعداء العرب بالظن فيهم وظهرت طائفة الشعوبية القائلة بالمساواة بين بنى الانسان . ولذلك سموهم « أهل التسوية » ، وقامت المناظرة بينهم وبين المتعصبين للعرب . وظهرت الكتب في الطعن على العرب وفي الدفاع عنهم . وممن طعن على العرب سهل بن هرون قيم بيت الحكمة ، وأبو عبيدة الراوية ، وعلان الشعوبى . ولم يكن يجد المأمون بأسا في هؤلاء الطاعنين ، وقد جعلهم من بطانته . وممن دافع عن العرب ابن قتيبة فآلف كتابا في «تفضيل العرب» (١)

ومما لا يحسن الاغضاء عنه في هذا المقام ان شعراء العصر العباسى مثل شعراء العصر الاموى وشعراء معظم عصور التمدن الاسلامى الاولى اكثرهم من عرب الشام والعراق . وقد علل ذلك أبو منصور الثعالبي بقربهم من بلاد العرب ولا سيما أهل الحجاز ، وبعدهم عن بلاد العجم ، وسلامة السننهم من الفساد العارض لالسنه أهل العراق بمجاورة الفرنس والنبط ومدخلتهم اياهم

وانفق انهم كانوا يحكمون برؤساء من أهل الادب ومحبيه كعبد الملك في زمن بنى أمية ، والرشيد والمأمون في هذا العصر ، وغيرهم في عصور أخرى كما سيجىء

٦ - منزلة الشعراء عند الخلفاء والامراء

كان الخلفاء والامراء يقربون الشعراء في كل عصر . أما الامويون فكانوا يقربونهم في أول الامر لاغراض سياسية ، ثم فعلوا ذلك تلذذا بانثبعر وآذابه . وربما استقدموا الراوية من العراق الى الشام ليسألوه عن

(١) انرا تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامى ٥٨ و ١٣٥ ج ٢

معنى بيت أو من قاله ، كما فعل هشام بن عبد الملك في استقدام حماد الراوية (١)

أما في العصر العباسي فكان الفرض القالب من تقريب الشعراء رغبة الخلفاء والأمراء في الأدب. وكثيرا ما كانت تعقد مجالس الشعراء لغرض أدبي كوصف منظر أو أداة ، كما فعل الهادي إذ استقدم الشعراء إليه واقترح عليهم أن يصفوا سيفا أهدها إليه المهدي وهو سيف عمرو بن معدى كرب. فوضع السيف بين يديه ، وقال للشعراء صفوه . . فنال الجائزة ابن يامين البصرى (٢) وكان الرشيد من أكثر الخلفاء بحثا في الشعر وقائليه ، فقد سأل أهل مجلسه مرة عن صدر هذا البيت : « ومن يسأل الصعلوك أين مذهبته » فلم يعرفه أحد . . وكان الأصمعي مريضا لا يقدر على المجيء ، فأرسل إليه اسحق الموصلي وبعث معه ألف دينار لنفقته ، فجاء الجواب أن البيت من قصيدة لأبي النشاش النهشلي وهذا صدره :

وسائلة أين الرجيل وسائل

ومن يسأل الصعلوك أين مذهبته (٣)

وكثيرا ما كان الرشيد يعقد المجالس للبحث في معنى بيت . وقد سأل أهل مجلسه يوما عن معنى هذا البيت :

قتلوا ابن عفان الخليفة محرماً ورعاً فلم أر مثله مخذولا

وكان في المجلس الكسائي والأصمعي ، فطال الجدل بينهما والخليفة يسمع (٤). وأعطى الرشيد الفضل خاتما قيمته ١٦٠٠ دينار مكافأة على أحسن بيت قالته العرب في الذئب (٥) والمأمون ولي ابن الجهم البرمكي ولاية من أجل بيت طلبه منه واشترطه عليه ذلك (٦)

٧ - نفوذ الشعراء وثروتهم.

وكان الخلفاء إذا قدموا الشعراء بدلوا لهم الأموال الطائلة حتى وقع الشك في صحة بعض ما ذكروه من الجوائز الكبرى . وقد بينا في تاريخ التمدن الإسلامي أنها صحيحة وأن النقود لم يكن لها قيمة لكثرتها . وعلى كل حال فإن ما خلفه بعض الشعراء من الثروة ، ولا تكسب لهم من غير الشعر ، يدل على كثرة ما كان يصل إلى أيديهم من المال

ذكروا أن سلما الخاسر المتوفى سنة ١٨٦ هـ خلف ثروة مقدارها ٥٠٠٠٠٠٠ ر. د. و ١٥٠٠٠٠ درهم غير الضياع (٧) ومثله مروان بن أبي حفصة خلف ثروة طائلة وكانت جوائزها تبلغ ١٠٠٠٠٠٠ دينار مرارا (٨) وكان

(١) تاريخ التمدن الإسلامي ١٢ ج ٣ .
 (٢) المزهر ٨٣ ج ١ .
 (٣) المزهر ٢٧٨ ج ١ .
 (٤) المزهر ١٦ ج ١٣ .
 (٥) النجوم الزاهرة ٤٦٢ ج ١ .
 (٦) الأغانى ٨١ ج ٢١ .
 (٧) الأغانى ٨١ ج ٢١ .
 (٨) العمدة ١٥٠ ج ٢ .

أبو نواس يكتسب أكثر من ذلك لكنه كان متلافا سمحا ، وكان يتساجل في الانفاق هو والعباس بن الاحنف وصریح الغواني (مسلم بن الوليد) . وكان البحتري وهو من العصر العباسي الثاني قد فاض كسبه وكان يركب في موكب من عبيده . وأما أبو تمام فأنفق ماله في تجواله في الارض

وقد تبسط شعراء ذلك العصر في الميش وتوسعوا في مظاهر الابهة فكان لأبي تمام والبحتري قهارمة وكتاب (١) وبلغ من دالة أبي نواس على الرشيد انه كان يمر به بنو هاشم والقواد والكتاب يسلمون عليه ، وهو متكئ ممدود الرجل فلا يتحرك لأحد منهم (٢)

وكثيرا ما كان رجال الدولة يعولون على الشعراء في تبليغ بعض ما يخافون غضب الخليفة منه . كما فعلوا في تبليغ الرشيد خبر تقفور ملك الروم اذ غدر ، وهم أن يفرو بلاد الاسلام . ولم يجتريء يحيى بن خالد على ابلاغ الرشيد ذلك فأطمع بعض الشعراء بالمال حتى نظم الخبر في شعر قاله في حضرته (٣)

وكم من شعر وضع السيف في الرقاب ، كما فعل شعر سديف بالسفاح فحمله على قتل بني أمية . وكم من شعر رفع السيف عن الرقاب ، كما فعل مالك بن طوق وقد حكم عليه بالاعدام فقال للرشيد شعرا فعفا عنه (٤) وقد رفع الرشيد السيف عن ربيعة ، وأحسن اليهم بعد سماعه أبياتا قالها منصور النمرى استعطفه بها ، فأمر بكف السيف عن ربيعة لأجله

٨ - تأثير الشعر في الهيئة الاجتماعية

قد تقدم في صدر هذا الكتاب ان فطرة العرب شعرية ونفوسهم حساسة ولغتهم أدبية ، ولذلك كانوا أكثر الناس شعرا وشعراء . فمن لم ينظم الشعر حفظه وتناقله أو تناشده أو تذاكر فيه . وكانوا يعقدون المجالس للمناشدة في زمن الجاهلية في عكاظ وأمثالها . ثم عقدها في زمن الامويين بالمريد في البصرة . وأما في العصر العباسي فلولا اشتغال الناس بالعلوم القديمة ونقلها وتفهمها لأصبح كل منزل من منازل أهل الادب ناديا للمذاكرة والمناشدة . ومع ذلك فان الشعر كان عندهم فكاهة المجالس ومضرب الامثال وديوان العبر ومخزن الحكمة ، حتى كانوا لكثرة محفظهم منه يرمزون باسم الشاعر الى بيت من أبياته مشهور بمعنى ويريدون ذلك المعنى .. كما اتفق للرجل الجالس على جسر بغداد والمرأة التي مرت به قادمة من الرصافة فاستقبلها بقوله : « رحم الله على بن الجهم » فقالت له المرأة : « رحم الله أبا العلاء المعري » وما وقفا بل سارا مشرقا ومغربا . قال الراوى : « فتبعت المرأة ، وقلت لها والله ان لم تقولى لى ما أراد وما أردت لأفضحك . قالت : « أراد بعلى بن الجهم قوله » :

(١) العمدة ٧ ج ١
(٢) الاغانى ١٦١ ج ٣
(٣) الاغانى ٤٥ ج ١٧
(٤) قواف الوفيات ١٤٣ ج ١٧

عيون المها بين الرصافة والجسر
جكبن الهوى من حيث أدري ولا أدري

وأردت بأبي العلاء قوله :

فيا دارها بالخيف إن مزارها

قريب ولكن دون ذلك أهوال (١)

والحادثة المذكورة جرت بعد العصر الأول الذي نحن بصدده ، لكنها يصح ان تكون مثالا عنه . لأن أهل هذا العصر بلغ من شفقهم بالشعر أنهم نقشوه على جدران منازلهم وأديتهم وعلى فصوص خواتمهم ، وكتبوه في صدور مجالسهم وعلى القباب والمستنظرات والابواب ، وطرزوه على الستائر والطنافس والكلل والاسرة والوسائد والمراقق والمقاعد وعلى القناني والاقداح والكاسات والارطال والجامات وسائر آنية الفضة والذهب والصيني ، ونقشوه على العيدان والمضارب والسرنايات والطبول والمعازف والدفوف ، وزينوا به الثياب ، فطرزوه على ذيول الاقمصة والاعلام وطرز الوردية والاكمام ، وعلى العصائب ومشاد الطرر والزنانير والتكك والمناديل والمذاب والمراوح حتى النعال والخفاف . وزينوا به ظاهر ابدانهم فكتبوه بالحناء على الجبين والخذ والاقدام والراح . ونقشوا به التفاح والاترج وغيرهما . . فكنت حينما توجهت رأيت الشعر منقوشا أو مطرزا أو مكتوبا أو منسوجا . وتجد أمثلة من ذلك في كتاب الموشى الآتى ذكره

طبقات الشعراء

في العصر العباسي الاول

ان عدد الشعراء في هذا العصر اضعاف شعراء العصر الاموي ، لأن مدة العصر العباسي اطول ، وقد اتسعت مساحة البلاد التي يقيم فيها العرب ، وكثر الشعراء من غير العرب . وكانوا في زمن الامويين يفدون من جزيرة العرب وبعض ضواحيها فصاروا يأتون في زمن العباسيين من اكثر المدائن الاسلامية . وبعد ان كان الشعر منحصرا تقريبا في العرب ، شاركهم فيه الموالي وغيرهم رغم اشتغال القرائح بترجمة الكتب وأنصراف طبقة من الناس اليها . ولو شئنا تعداد شعراء هذا العصر لضاق المقام بهم لأنهم كثيرون يزيدون على بضع مئات ، يورد ابن النديم أسماءهم في الفهرست ، وقد ذكر عدد ما خلفه كل منهم من الابيات (١) واكثر ذلك ضاع الآن ومن العبث ان نأتي بأخبار كل هؤلاء الشعراء وفيهم من لا أهمية له وليس بين أيدينا شيء من نظمه

ويقال بالاجمال ان اكثر هؤلاء الشعراء من طلاب الرزق الذين انقطعوا الى الخلفاء وتحضروا في بغداد أو البصرة ، وبعضهم انقطعوا الى البرامكة وآخرون انحازوا للشيعة العلوية . ومنهم من اقتص ببعض الامراء والوزراء . وهناك جماعة منهم لم يتحضروا بل كانوا يقيمون في البادية وانما يفدون على بغداد في المواسم ، ينشدون ما ينظمونه في مدح الخليفة أو غيره ، ويعودون الى مضاربهم . ومنهم طائفة لم يفدوا على أحد ، فكانوا ينظمون الشعر لأنفسهم وهم قليلون أو ان اكثرهم ظل في ثنايا الاهمال لبعدهم عن الدولة

الشعراء المتحضرون

وهذه أسماء أشهر شعراء ذلك العصر الذين نزلوا المدن وتحضروا واكثرهم من الموالي غير العرب ، وقد أقام معظمهم في بغداد تحت ظل الخلفاء أو وزراءهم باعتبار أغراضهم أو غرض من ينتمون اليه أو يعيشون في ظله . وفيهم من توفي بعد سنة ٢٣٢ هـ ، ولكننا عددناه من شعراء هذا العصر لأنه نبغ فيه :

(١) الفهرست ١٥٧ وما بعدها

شعراء الخلفاء	شعراء البرامكة	شعراء سائر الأمراء
أبو دلالة	أبان بن عبد الحميد	ابراهيم بن سيابة مدح ابراهيم المؤصلي
حماد مجرد	ابن مناذر	محمد بن أمية وأخوه مدحا ابراهيم بن المهدي
بشار بن برد	الرقاشي	العكوك مدح ابا دلف
مروان بن أبي حفصة	مسلم بن الوليد	محمد صالح « ابن المدير
سلم الخاسر	اشجع السلمي	مطع بن أياس « جعفر بن المنصور
أبو نواس		أبو الشيص « عقبة بن جعفر
منصور النمرى		
أبو العتاهية		شعراء الشيعة
أبو تمام		السيد الحميري
علي بن الجهم		دمبل
حسين بن الضحاك		ديك الجن

شعراء لم يتكسبوا بالشعر

وهناك طائفة لم يتكسب أصحابها بالشعر ، أشهرهم :
 صالح بن عبد القدوس - العباس بن الاحنف من عدى
 محمد بن بشير مولى بنى اياس (ويدخل في هؤلاء أيضا السيد الحميري
 وديك الجن وقد ذكرا بين شعراء الخلفاء وشعراء الشيعة)

شعراء لم يتحضروا

أما الشعراء الذين ظلوا على بداوتهم فكانوا يفسدون على الخليفة أو
 الأمير ، فينالون الجوائز ، ثم يعودون الى بلدهم ، فكلهم من العرب ، وهالك
 أشهرهم : ربيعة الرقي من الرقة - كلثوم بن عمرو العتابي
 عمارة بن عقيل من هوازن - ناهض بن ثومة الكلابي من عامر
 ونسفت طائفة من الشعراء في ذلك العصر عرفت بطبقة المترفين وإبناء
 النعم ، منهم عبد الله بن عباس الربيعي من نسل الفضل بن الربيع . وقد
 يشترك بعض شعراء إحدى هذه الطبقات في خصائص طبقة أخرى ، وإنما
 أردنا بهذا التقسيم سهولة التعليق بالدهن .

هؤلاء هم أشهر الشعراء في العصر العباسي الأول وبهم قام ذلك الانقلاب
 الشعري فامتاز به شعر هذا العصر على سواه كما تقدم . وأكثرهم تأثيرا
 في ذلك الانقلاب أكثرهم تقربا من الخلفاء لتقدمهم في الشاعرية وارتفاع
 مقامهم وقد قلدهم الناس في أساليبهم أو استنباطهم . وفي مقدمتهم سبعة
 هم عمدة هذا الانقلاب هذه أسماؤهم مع سنى وفاتهم :

بشار بن برد توفي سنة ١٦٧ هـ - أبو تمام توفي سنة ٢٣٢
 السيد الحميري توفي سنة ١٧٣ هـ - أبو العتاهية توفي سنة ٢١١

ابو نواس توفى سنة ١٩٨ - دعبل توفى سنة ٢٤٦
مسلم بن الوليد توفى سنة ٢٠٨

واليك تراجمهم على هذا الترتيب بما يقتضيه المقام من الایجاز . والا
فان كلا منهم يحتاج في بسط ترجمته ودرس شعره ونقده الى مجلد قائم
بنفسه . فنترك ذلك الى من تفرغ للدرس والنقد من الادیاء

اهم الشعراء في العصر العباسي الاول

١ - بشار بن برد

توفى سنة ١٦٧ هـ

هو فارسي ، اصل آبائه من طخارستان ، أخذ أبوه برد في سبى وقع
في يد المهلب بن أبي صفرة . . فكان من فيء القشيرية امرأة المهلب .
فأقامته في ضيعة لها بالبصرة مع عبيدها ثم زوجته وأهدته الى امرأة عقيلية
كانت صديقة لها ، فولد له بشار . وأعتقته العقيلية ، فصار مولى .
وتشأ في البصرة ثم قدم بقراد بعد أن بناها المنصور
ولد بشار اعمى جاحظ الحدقتين يفشاهما لحم أحمر . وكان ضخما
طويلا ، عظيم الخلق والوجه مجدرا . وكان أطبع شعراء ذلك العصر على
الشعر ، وقد قوى العمى شاعريته لانصراف المخيلة الى التصور . . ولذلك
رايت أكثر العميان من الشعراء يفوقون معاصريهم في سعة الخيال مثل
هومروس اليوناني وملتن الانجليزى وبشار وأبى العلاء وغيرهما عند العرب
جاء بشار في أوائل العصر العباسي الاول فكان في مقدمة الذين نبغوا فيه ،
فهو مقدم عليهم باجماع الرواة (١) ورئيسهم بلا خلاف . قال الجاحظ
« المطبوعون على الشعر بشار والسيد الحميري وأبو العتاهية وابن أبي عيينة
ولكن بشارا أطبعهم » (٢) . وقد عاصروا أواخر الدولة الاموية وأوائل
العباسية . وقال الشعر وهو ابن عشرين ، وأدرك جريرا والفرزدق .
وهجا جريرا ، فأعرض جرير عنه استخفافا . قال بشار : « ولو هاجاني
لكنت أشعر الناس » فظل نحو ثمانين سنة وهو ينظم الشعر فمدح وهجا
ونال الجوائز . وبلغ ما نظمه نحو ١٢٠٠٠ قصيدة ولذلك جاهر بين يدي
أهل الادب بأن له ١٢٠٠٠ بيت جيد . فقالوا له : « هذا القدر لا يجمع لكل
الشعراء » فقال : « لى ١٢٠٠٠ قصيدة ألا يكون لى بيت جيد من كل
قصيدة ؟ » ولم يبق من هذه القصائد الى أيام ابن النديم صاحب الفهرست
الا ٤٠٠٠ بيت ، وليس منها الآن الا نثف متفرقة في كتب الادب
وليس لبشار ديوان شعر مجموع (*) . ويقال ان أكثر الناس شعرا في
الجاهلية والاسلام ثلاثة : بشار ، وأبو العتاهية ، والسيد الحميري (٣)

(١) الاغانى ٢٠ ج ٣

(٢) البيان والتبيين ٢٥ ج ١

(٣) الاغانى ٣ ج ٧

(*) تنشر لجنة التأليف والترجمة والنشر هذا الديوان ، وقد صدر منه ثلاثة اجزاء

ويمتاز بشار بأنه تصرف وتفنن في معاني الشعر شيئا كثيرا . وراج شعره في أيامه بالبصرة ، حتى لم يبق غزل ولا غزلة الا ويروى من شعر بشار ، ولا نائحة ولا مغنية الا تتكسب به ، ولا ذو شرف الا وهو يهابه ويخاف معرفة لسانه . وبشار مثل امرئ القيس ، فهو عندهم امام الشعراء المحدثين . وقد قالوا ذلك ايضا في ابي نواس ولكن بشارا اسبق ، وكان عند قيام الدولة العباسية منحازا للعلويين وكان ابراهيم ابن عبد الله بن الحسن ثائرا على المنصور ، فنظم بشار قصيدة حرض بها ابراهيم على الفتك بالمنصور مطلعها :

أبا جعفر ما طول عيش بدائم ولا سالم^١ عما قليل بسالم
ثم علم بفوز المنصور وقتله ابراهيم المذكور ، فقلب الكنية ، واظهر انه قال القصيدة في ابي مسلم الخراساني ، فقال :

أبا مسلم ما طول عيش بدائم ولا سالم^٢ عما قليل بسالم^٣
وفى هذه القصيدة أبيات حكيمة في غاية البلاغة منها (❖) :

إذ بلغ الرأي المشورة فاستعن^٤
برأى نصيح^٥ أو نصيحة حازم^٦
ولا تجعل الشورى عليك غضاضة^٧
فإن الخوافي قوة^٨ للقوادم^٩
وما خير^{١٠} كف أمسك الغل^{١١} أختها^{١٢}
وما خير سيف^{١٣} لم يؤيد بقائم^{١٤}
وخل^{١٥} الهويننا للضعيف ولا تكن^{١٦}
نؤوما^{١٧} فإن الحزم ليس بنائم^{١٨}
وحارب^{١٩} إذا لم تعط^{٢٠} إلا ظلامه^{٢١}
شينا الحرب خير^{٢٢} من قبول المظالم^{٢٣}

ثم انتقل الى بغداد ومدح العباسيين وعاصر المهدي . ومدح خالد بن برمك جد البرامكة ، وكان كلما وفد عليه اعطاه خمسة آلاف درهم ثم زادها له . ومن قوله بيتان أمر خالد أن يكتب في صدر مجلسه وهما :

أخالد^{٢٤} إن الحمد يبقى لأهله^{٢٥}
جمالا ولا تبقى الكنوز^{٢٦} على الكد^{٢٧}

(❖) الفريب في هذه الابيات : غضاضة : منقصة ، الخوافي الريش الصغير في جناح الطائر ، وهي ضد القوادم ، الغل : القيد والجامعة . الثبنا : جمع ثبنا ، وهي من كل شيء وحدة

فأطعمم وكلل من عارة مسترددة
ولا ثبها إن العواري للرد

وأخبار بشار كثيرة بسطها صاحب الاغانى فى ٦٠ صفحة من الجزء الثالث من كتابه . ولم يدع بشار بابا من أبواب الشعر الا طرقه وأجاد فيه ومن قوله فى الغزل :

لم يَطَّلْ ليلي ولكن لم أنم^٥ ونفسي عنى الكرى طيف^٦ ألم
وإذا قلت لها جودى لنا خرجت بالصمت عن لا ونعم^٧
نفسى يا عبد عنى واعلمى أننى يا عبد من لحم ودم
إن فى بردى^٨ جسما ناحلا^٩ لو توكت عليه لانهدم
ختم الحب لها فى عنقى موضع الخاتم من أهل الذمم
ومن قوله :

إذا كنت فى كل الأمور معاتبا صديقك لم تلق الذى لا تعاتبه
فعيش^{١٠} واحدا أوصل أخاك فإنه مقارف^(*) ذنب مرة^{١١} ومجانبه
إذا لم تشرب مرارا على القذى ظمئت^{١٢} وأى^{١٣} الناس تصفو مشاريه
ومن الغزل قوله :

يزهدنى فى حب عبدة^{١٤} معشر^{١٥} قلوبهم فيها مخالفة^{١٦} قلبى
فقلت دعوا قلبى وما اختار وارتضى فبالقلب لا بالعين يبصر ذو الحب^{١٧}
فما تبصر العينان فى موضع الهوى ولا تسمع الأذنان إلا من القلب
وكان بشار من أصحاب الفلسفة المتحيرين فى الدين وكان يعتقد ان
الانسان مسوق لا مخير ، يدل على ذلك قوله :

طبيعت^{١٨} على ما فى غير^{١٩} مخير^{٢٠} هوأى ولو خيَّرت كنت المهذبا
أريد فلا أعطى وأعطى ولم أرد وقصر^{٢١} علمى أن أنال المغيبا
فأصرف^{٢٢} عن قصدى وعلمى مقصر^{٢٣} وأمسى وما أعقبت^{٢٤} إلا التعجبا

وقد تقدم خبر انحرافه عن بنى العباس ولم يفنه تغيير مطلع القصيدة السابقة شيئا ، فان المنصور سكت عنه وما زال يعتقد انحرافه عنهم قلبيا ، ولذلك ظل فى خاطره شيء عليه . وكان المهدي بعده يظهر له فتورا ، ففضب بشار ومدح وزيره يعقوب بن داود فلم ينفعه . فهجاه بيتين كانا سبب موته وهما :

(*) مقارف ذنب : مركبه ومخالطه

بني أمية هُشُوا طال نومكم^{*} إن الخليفة يعقوب بن داود
ضاعت^١ خلافتكم يا قوم فالتمسوا خليفة الله بين الزنقي والعود
فبعث المهدي إليه صاحب الزنادقة فضربه حتى مات ، ولم يخرج في
دفته أحد ، لأنه مات وخصمه الخليفة
وتجد ترجمته في الأغاني ١٩ ج ٣ و ٤٧ ج ٦ ، وابن خلكان ٨٨ ج ١
والشعر والشعراء ٤٧٦ ، والفهرست ١٥٩ (*)

٢ - السيد الحميري

توفي سنة ١٧٣ هـ

اسمه يدل على انه من حمير نزل البصرة ، وكان شاعرا متقدما مطبوعا ،
وقد تقدم انه هو وبشار وأبو العتاهية أكثر الناس شعرا في الجاهلية
والاسلام . وبلغ منظومه ٢٣٠٠ قصيدة ، ولم يصلنا منها ما يستحق
الذكر . لأنه كان يسب الصحابة بتشيعه لعل ، فتحومي شعره وتخوف
الناس منه . أما من حيث الشعارية فله طراز ومذهب قلما يلحق فيه .
وكان أسمر اللون تام القامة أشنب ذا وفرة حسن الالفاظ جميل الخطاب ،
إذا تحدث في مجلس قوم اعطى كل رجل من المجلس نصيبه من حديثه .
وبعدده بعضهم من طبقة بشار وانهما اشعر المحدثين . ويمتاز عن سائرهم
بأنه كان يكره الاستجداء بالشعر ، وقد نظم في ذلك أبياتا وهي :

أيها المادح العباد ليُعطي
إن الله ما بأيدي العباد
فاسأل الله أما طلبت إليهم
وارج تفتح المقسم العواد
لا تقتل في الجواد ما ليس فيه
وتسمي البخيل باسم الجواد

فلما سمع بشار قوله ، قال : « لولا ان هذا الرجل شغل عنا بمدح
بني هاشم لشغلنا ولو شاركنا في مذهبنا لتعبنا » (١) ومن شعره في مدح
بني هاشم لما استقر الامر لأبي العباس السفاح قوله :

دعوتكموها يا بني هاشم
فجددوا من عهدنا الدار سا

(*) وانظر في بشار طبقات الشعراء لابن المعتز (طبع دار المعارف) ص ٢١ وتاريخ بغداد
ج ٧ ص ١١٢ والمختار من شعر بشار (طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر) والموشح للمرزباني
ص ٢٤٦ ونكت الهميان للصفدي ص ١٢٥ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٩٧ وشذرات الذهب لابن
العماد الحنبلي ج ١ ص ٢٦٤ والبيان والتبيين للجاحظ في مواضع متفرقة (انظر الفهرس في
طبعة عبد السلام هرون) . وانظر أيضا كتاب ابراهيم عبد القادر المازني عنه وكتابه آخر فيه
لطف الحاجري في سلسلة نوابغ الفكر العربي طبع دار المعارف وشخصية بشار لحمد النوبهي
وحديث الأربعة لطف حسين الجزء الثاني وجولد تسيهر في كتابه « دراسات اسلامية » ج ١
ص ١٦٢ ونيكلسون في كتابه تاريخ الادب العربي A Literary History of the Arabs
(طبعة سنة ١٩٢٣) ص ٢٧٣ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٧٤ ج ١
(١) الأغاني ٦ ج ٧

دونكموها فالبسوا تاجها
لو خير المنبر فرساته
قد ساسها قبلكم ساسة
ولست من أن تسلكوها إلى
ومن قوله في ذم الصحابة :

قل لابن عباسٍ سمى محمد
احرم بنى تيم بن مرة إنهم
إن تطهروا لا يشكروا لك نعمة
وإن اتتمنتهم أو استعملتهم
ولئن منعتهم لقد بدءوكم
منعوا ثراث محمد أعمامه
لا تعطين بنى عدى درهما
شر البرية آخراً ومقديما
ويكافئوك بأن تذم وتشتما
خانوك واتخذوا خراجك معنما
بالمع إذ ملكوا وكانوا أظلما
وابنيه وابنته عديلة مريمما

وله في مدح العلويين ما يدل على حرية في القول . ومن أدلة ترفعه عن
الجوائز ان الرشيد أعطاه جائزة ففرقها . وتجد ترجمته وأخباره في
الافغاني ٢ ج ٧ ، وفوات الوفيات ١٩ ج ١ (*)

٣ - أبو نواس

توفي سنة ١٩٨ هـ

هو الحسن بن هانيء ، ولد في الأهواز سنة ١٤٥ . في خلافة أبي جعفر
المنصور . وكانت أمه أهوازية اسمها جليان ، وكان أبوه دمشقيا من جند
مروان بن محمد آخر ملوك بني أمية ، أنفذه مروان إلى الأهواز فلقى جليان
فأحبها وتزوجها فولدت له أولادا . منهم أبو نواس وأبومعاذ . وقبل أن يتجاوز
أبو نواس السنة الثانية من عمره انتقل والداه إلى البصرة فنشأ فيها . ولم يكن
والداه في سعة أو لعل والداه مات وترك أولاده في كفالة أمهم ، فأسلمت
أبا نواس إلى عطار يتخرج عنده في مهنة العطار . . ولكن نفسه كانت تميل
إلى غير هذه الصناعة . وكان إذا قرأ شعرا ارتاحت نفسه إلى معانيه ،
ونشأت عنده رغبة في النظم . فإذا اجتمع بأديب أو راوية أو شاعر أو حضر
مجلس أدب وسمع شعرا أحب ناظمه وتمنى أن يراه . وكان في جملة من
سمع أشعارهم وأحب الاجتماع بهم والبة بن الحباب ، وكان ظريفا غزلا
وصافيا للشراب . واتفق أن والبة قدم الأهواز ليمدح أبا بجير الاسدي عامل
المنصور عليها ، فمر بذلك العطار فلقى أبا نواس . . وكان جميل الصورة ذكيا ،

(*) وراجع في السيد الحميري طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٢ وحدث الأرماء اطه
حسين ودائرة المعارف الإسلامية

فتوسم فيه النباهة فجالسه وخاطبه فأنس فيه فريجة وقادة ، فقال له :
 « ان فيك مخايل أرى ألا تضيعها وستقول الشعر ، فهل تصحبنى أخرجك ؟ »
 ولم يكن أبو نواس يعرف مخاطبه فقال : « ومن أنت ؟ » قال : « أنا أبو
 اسامة والبة بن الحباب » فقال : « نعم ، انا والله في طلبك ولقد أردت
 الخروج الى الكوفة بسببك لأخذ عنك وأسمع منك » فسار أبو نواس
 معه الى الكوفة ، ثم قدما بفداد

وكان والبة وبعض شعراء تلك الايام وتدمائه يجتمعون كل ليلة على
 الشراب وقول الشعر ، لا يكادون يفترقون فيهبو بعضهم بعضا هزلا
 وجدا ، ويصفون الخمر وغيرها . وكان أبو نواس يحضرهم فيسمع ويصيح
 ويزداد كل يوم علما ودرية . وكان يختلف الى أبي زيد الانصارى فتعلم منه
 غريب الالفاظ ، وتردد على أبي عبيدة معمر بن المثنى فتعلم منه أيام الناس
 ونظر في نحو سيبويه حتى أصبح في الطبقة الاولى من المولدين ، وشعره
 عشرة أنواع أجاد فيها كلها . وأحسن علم اللفظ وفروعها حتى قال فيه
 الجاحظ : « ما رأيت رجلا أعلم باللفة من أبي نواس ولا أفصح لهجة ، مع
 مجانية الاستكراه » وقال معمر بن المثنى : « كان أبو نواس للمحدثين كامرئ
 القيس للمتقدمين » وقد تقدم ان ذلك أولى أن يقال لبشار لأنه أسبق

ويروى عن أبي نواس انه قال : « ما قلت الشعر حتى رويت لستين
 امرأة من العرب منهن الخنساء وليلى فما ظنك بالرجال » وقال ابن
 السكيت : « اذا رويت من أشعار الجاهليين فلامرئ القيس والاعشى ،
 ومن الاسلاميين فلجرير والفرزدق ، ومن المحدثين فلابي نواس ، فحسبك »
 وهو يعد أيضا من الشعراء المجان

وقد قدمنا في كلامنا عن مزايا الشعر في العصر العباسي الاول ما كان
 لأبي نواس من الفضل في تغيير طريقته والتوسع في معانيه ، فهم يعدونه
 امام هذه الطريقة . ولذلك فهو يمتاز بتصرفه في الشعر . كان عندهم
 للشعر ألفاظ محدودة وأساليب معينة فتجاوزها كما تجاوزها الاعشى
 قبله . . (١) ولكن تقرب أبي نواس من الخلفاء ونفوذهم عندهم ساعد على
 نشر طريقته ، فصار الشعراء يقلدونه فيها شأنهم في تقليد كل وجيه
 نافذ الكلمة . ولذلك قالوا : « الناس على دين ملوكهم » واذا تدبرت
 تاريخ الاجتماع رأيت ذلك الاتجاه عاما في سائر أحوال الحياة

ووصف شعر أبي نواس لايفى به صفحة أو بضع صفحات . وهو أول من
 توسع في وصف الخمر والتغزل بالفلمان . وفي ديوانه المطبوع بمصر صفحات
 عدة من نظمه في هذين البابين فضلا عن تغزله بجارية أحبها اسمها جنان .
 وقد أشرنا الى تهتكه في جملة تهتكى ذلك العصر ، ولعله أكثرهم انغماسا
 في اللهو على أنواعه طمعا منه في عفو الله على حد قوله :

تكبير ما استطعت من الخطايا فإنك بالغ رباه غفورا

ستبصر إن وردت عليه عفواً وتلقى سيّداً ملكاً كبيراً
تعضّ ندامةً كفيك مما تركت مخافة الله السروراً
ومن لطيف نظمه في مدح محمد الأمين قوله يمدح ناقته :

وتجشمت بي هول كل تنوفةٍ هوجاءٍ فيها جراءةٌ مقدام (*)
تذرت المطىء وراءها فكأنها صفٌ تقدّمهن وهى إمام
وإذا المطىء بنا بلغن محمداً فظهورهن على الرجال حرام
وعابوا عليه المبالغة في مدح الرشيد ، لقوله :

وأخفت أهل الشرك حتى إنه لتخافك النطفة التى لم تخلق
ومن قوله في وصف الخمر :

وندمانٍ سقيت الراح صرفاً وستر الليل منسدل السجوف
صفت وصفت زجاجتها كمعنى دق في ذهن لطيف
وقوله :

مدام تبتت من مقام مشرف تلوح لنا أنوارها ثم تختفى
ولما شربناها ودب ديبها إلى موضع الأسرار قلت لها قفى
مخافة أن يسطو على شعاعها فيطلع جلاسى على سرى الخفى
وقوله :

معتقة صاغ المزاج لرأسها أكاليل در ما لناظمها سلك
جرت حركات الدهر فوق سكونها فذابت كذوب التبر أخلصه السبك
وقد خفيت من لطفها فكأنها بقايا يقين كاد يذهب الشك
ومن وصفه للأفداح وما عليها من النقوش قوله : (**)

تدار علينا الراح في عسجدية جنتها بألوان التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفي جنباتها مها تدر بها بالقسى الفوارس
فلخمر ما زرت عليه جيوبها وللماء ما دارت عليه القلائس
ويظهر انه كان مطلعاً على أقوال الاوائل المنقولة الى العربية ، ولا سيما

(*) التنوفة : المفازة ، الهوجاء : الناقة المسرمة
(**) الغريب في هذه الابيات : عسجدية : كأس مذهبة، المها : البقر الوحشية ، تدر بها :
تخالئها ، الجيوب : جمع جيب وهو طوق التميمص ، والزر : شند الارزاق

علم النجوم والطبيعات ، بدليل قوله وفيه المام بالفلك :
 ألم ترَ الشمسَ حَكَتِ الحَمَلَا وَقَامَ رِزْنُ الزَّمَانِ فاعْتَدَلَا
 وَغَنَّتِ الطَّيْرُ بَعْدَ عَجْمَتِهَا وَاسْتَوَفَتِ الخُمْرُ حَوْلَهَا كَمَلَا
 ومما يدل على معرفته علم الطبائع قوله :

قل لزهية إذا حداً وشداً أقلّ أو أكثره فأنت مهذار
 سخنت من شدة البرودة حتى صرت عندي كأنك النار
 لا يعجب السامعون من صفتي كذلك الثلج بارد حار
 وفي ذلك إشارة الى نظر أهل الهند في الطبائع ، فهم يزعمون ان الشيء
 اذا زاد في البرد عاد حاراً ، ومن أقوالهم : « ان الصندل الابيض اذا أفرط
 في حكه عاد حاراً مؤذياً » ومما يدل على المامه بخرافات اليونان والفرس
 قوله من قصيدة يمدح بها يحيى بن خالد :

ليس زاويش (١) حين سار أمام الحوت والبدر إذ هوى لانصباب
 منك أسخى بما تشح به الأذفس عند اتقاص درّ الحلاب
 لا وبهرام تستقل به العقه رب بالليل رائداً في الحساب (*)
 منك أمضى لدى الحروب ولا أهول في العين عند ضرب الرقاب
 واختلفوا في سنة وفاته والارجح انها سنة ١٩٨ هـ ، ولو اردنا الاتيان
 بأمثلة من نظمه لضاق المقام مع شينوع ديوانه . وقد جمعه غير واحد ، (٢)
 وهو مطبوع غير مرة في قينا ومصر وبيروت . وفي صدر طبعة مصر سنة
 ١٨٩٨ فصل لجامع الديوان حمزة بن الحسن الأصبهاني في شعر أبي نواس
 ونقده . والديوان نحو ٤٥٠ صفحة ، ويتضمن نحو ١٣٠٠٠ بيت مرتبة
 على ١٢ باباً :

(٢) المديح

(١) نقائضه مع الشعراء

(٤) العتاب

(٣) المرائي

(٦) الزهد

(٥) الهجاء

(٨) الخمریات

(٧) الطرد

(١٠) غزل المؤنث

(٩) الخمریات والمجون

(١١) غزل المذكر (١٢) المجون . وقد أهمل الناشر باب المجون لتهتكه
 الزائد . وتجد أخباره في الاغانى ٢ ج ١٨ و ١١٠ و ١٧٠ و ١٨٦ ج ٦

(١) يريد براويش (زيس) أحد آلهة اليونان

(*) الحوت وبهرام والمقرب من البروج

(٢) فهرست ١٣٩

و ١٤٨ ج ١٦ ، وابن خلكان ١٣٥ ج ١ ، وطبقات الادباء ٩٦ ، والشعر والشعراء ٥٠١ ، والفهرست ١٦٠ ، والعقد الفريد ٣٣٧ ج ٣ (**)

٤ - مسلم بن الوليد

توفي سنة ٢٠٩ هـ

ويعرف بصريع الفوائى ، وهو من أبناء الانصار ، كان مداحا محسنا . وجل مدائحه في يزيد بن يزيد ، وداود بن يزيد المهلبى ، والبرامكة ، ومحمد بن منصور بن زياد كاتبهم . وولاه المأمون بريد جرجان ، فلم يزل بها حتى مات . وهو أول من الطف في المعانى ورقق في القول ، وعليه يعول أبو تمام في ذلك وعلى أبى نواس ، ومن قوله في الوداع :

وإني وإسماعيل يوم وداعه لكالغمد يوم الرجوع زايلاه النصل
فان أغش قوما بعده أو أزرهم فكالوحش يدينها من الأتس المحل
ومن بديعه الذى امثله أبو تمام وغيره :

إذا مانكحنا الحرب بالبيض والقنا جعلنا المنايا عند ذاك طلاقها
ومن مدحه قوله في الفضل بن يحيى البرمكى :

تساقط يثناه الندى وشماله ال ردى ، وعيون القول منطقة الفصل
عجول إلى أن يودع الحمد ماله يعد الندى غنما إذا اغتنم البخل
له هضبة تأوى إلى ظل برمك منوط بها الآمال ، أطناها السبيل
ومن قوله في وصف سفينة :

أطلت بمجدافين يعثورانها يقو:مها كبنح اللجام من الدببر
كأن الصبا تحكى بها حين واجهت نسيم الصبامشى العروس الى الخدر
ومن لطيف غزله :

إذا التقينا منعنا النوم أعيننا ولا نلائم نوما حين نفترق
أقر بالذنب منى لست أعرفه كيما أقول كما قالت فتتفق

(**) وراجع في أبى نواس طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٩٢ والموشح للمريزبانى ص ٢٦٣ وأخبار أبى نواس لابن منظور وأبى هفان ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠ وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٤٣٦ وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٤٥ . وانظر بحثا فيه لمبدل الرحمن صدقى بعنوان أبى نواس وبحثا له آخر في خمرياته (طبع دار المعارف) وعدد أفسطس سنة ١٩٣٦ من مجلة الهلال وحديث الأربعماء لطف حسين وكتابا فيه لمباس العقاذ وكتابا آخر لمحمد التوبى وفون كريم فى كتابه حضارة الشرق : Culturgeschichte des Orients ج ٢ ص ٣٦٩ وما بعدها ، ونيكلسون ص ٢٩٢ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٢٥ ج ١

وله ديوان مطبوع في لندن سنة ١٨٧٥ . وتجد أخباره في الشعر والشعراء ٥٢٨ ، وفي الأغاني ٩ ج ١٣ ، والعقد الفريد ١٤٢ ج ١ ، وفي طبعة الديوان المذكورة (*) .

٥ - أبو العتاهية

توفي سنة ٢١١ هـ

هو مولى ، واسمه اسماعيل بن القاسم بن سويد بن كيسان . ولد بعين التمر سنة ١٣٠ هـ ، ونشأ في الكوفة . وكان في أول أمره يتخنت فيحمل زاملة المخنثين . ثم اشتغل بصناعة أبيه فجعل يصطنع الجرار ويحملها في قفص على ظهره ويدور في الكوفة ويبيع منه . ولكنه أحس من حدائته بقدرته على النظم . وكان الشعر يومئذ ديوان الناس وموضوع أحاديثهم وحيثما اجتمعوا تناشدوه وتذكروا فيه

فاتفق يوما وهو يدور بقفص الجرار انه مر بفتيان جلوس يتذكرون الشعر ويتناشدونه ، فسلم ووضع القفص عن ظهره ، ثم قال : « يافتيان أراكم تتذكرون الشعر فأقول شيئا منه فتجيزونه . فان فعلتم فلکم عشرة دراهم » فهزئوا منه وسخروا به ، لكنهم قالوا : « نعم » قال : « لا بد ان يشتري بأحد القمارين رطب يؤكل فانه قمار حاصل » وجعل رهنه تحت يد أحدهم ، وقال أجزوا :

ساكنى الاجداث انتم

وجعل بينه وبينهم وقتا في ذلك الموضع ، وعين نقطة منه اذا بلغت الشمس ولم يجيزوا البيت غرموا الخطر . فلما أعياهم ذلك جعل يهزأ بهم وتممه :

ساكنى الأجداث أتم مثلنا بالأمس كنتم

ليت شعري ما صنعتم أربحتم أم خسرتم

وهي قصيدة من شعره طويلة . فخجل الفتيان وأذاعوا خبره في الكوفة ، فجعل أدباؤها وطلاب الشعر من فتيانها يأتونه الى دكانه يستنشدونه فينشدهم أشعاره ، فيأخذون ما تكسر من الخزف فيكتبونها فيه

ثم وفد على بغداد في أول خلافة المهدي وأنشده قصيدة مطلعها :

ألا ما لسيدتي ما لها أدلا فأحمل إدلالها

وكان بشار بن برد حاضرا فاستخف بها حتى اذا وصل الى قوله :

أنته الخلافة منقادة إليه تجرر أذيالها

(*) وأنظر في مسلم طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٣٥ والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٢٨ والموشح للمرزباني ص ٢٨٩ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٩٦ ومعاهد التنصيص ج ٢ ص ١٠

فلم تك تصلح إلا له ولم يك يصلح إلا لها
ولو زامها أحد غيرُه لزلزلت الأرض زلزالها
ولو لم تطعه بنات القلو ب لما قبل الله أعمالها

قال بشار لجار له : « أنظر ويحك هل طار الخليفة عن فرشه طربا »
وصار أبو العتاهية من المقربين . وكان المهدي يقدمه ويكرمه فأحرز نفوذا
عظيما عنده ، حتى انه كثيرا ما كان يتوسط بالعفو لديه . ولما توفي المهدي
خلفه الهادي وكان واجدا عليه لانه كان يلازم أخاه الرشيد فهناه أبو العتاهية
بقصيدة يتقرب بها اليه مطلقا :

ألا شافع عند الخليفة يشفع فيدفع عنا شره ما يتوقع

فأذن بادخاله . ولم تطل مدة الهادي فخلفه الرشيد ، وكان أبو العتاهية
قد عاهد نفسه الا يقول شعرا فأجبره الرشيد على القول فأطاعه فحظي
عنده حظوة كبيرة ، حتى كان لا يفارقه في حضر ولا سفر ، وعين له راتب
مقداره درهم سوى الجوائز منه ومن أمرائه ووزرائه . وكان
بعض هؤلاء يجرون عليه الرواتب الشهرية أو السنوية

وكان أبو العتاهية سوداوي المزاج كثير التردد في أمر الدين فتقلب على
أطوار شتى ، شأن الدين يحلون أنفسهم من قيود الدين وينظرون فيه
نظر الناقد . واستقر رأى أبي العتاهية أخيرا على التمسك بالاسلام والزهد
عن الدنيا ، فأمره الرشيد أن يقول الشعر فأبى فحبسه وضربه ثم أطلقه
شفقة عليه . وله غزل كثير في عتبة جارية المهدي

وهو من مؤسسى الانقلاب الشعري في هذا العصر ، وقد أطلق نفسه من
التقليد في المعاني والالفاظ ، فأتى بمعان جديدة ونظم على أوزان لا تدخل
في العروض ولم يتقدمه فيها أحد (١) . ولم يتهيب مما يتهيب له كثيرون
من شعرائنا خوفا من الخروج على التقليد . فعد يوما عند قصار فسمع
صوت المدقة ، فحكى ذلك في أبيات من شعره فقال :

للمنون دائرا ت يدرن صرفها

هتن ينتقينا واحدا فواحدا (*)

ومن مخترعاته في المعاني قوله :

الناس في غفلاتهم ورحى المثية تطحن

وقوله لأحمد بن يوسف :

ألم تر أن الفقر يرجى له الغنى وأن الغنى يخشى عليه من الفقر

(١) الاغانى ١٢٦ ج ٣ والشعر والشعراء ٤٩٧
(*) هذان البيتان من مقلوبه بنح البسيط فوزنهما فاعلن مستعملان

وقوله في موسى الهادي :

ولما استقلوا بأثقالهم
قرنت التفاني بأثارهم

وقوله :

هب الدنيا تصير إليك عفواً أليس مصيرُ ذلك إلى زوالٍ
ومن لطيف معانيه قوله :

إذا المرءُ لم يعتق من المال نفسه تملكه المال الذي هو مالكة
ألا إنما مالى الذى أنا منفقٌ وليس لى المال الذى أنا تاركة
وذكروا له أرجوزة حكيمية في بضعة آلاف بيت ، منها :

حَسْبِكَ مِمَّا تَبْتَغِيهِ الْقَوْتُ مَا أَكْثَرَ الْقَوْتُ لِمَنْ يَمُوتُ
الْفَقْرُ فِيمَا جَاوَزَ الْكِفَافَا مَنْ اتَّقَى اللَّهَ رَجَا وَخَافَا

ومع ذلك فالاصمعى يقول : « شعر أبى العتاهية كساحة الملوك يقع
فيها الجواهر والذهب والتراب والخزف والنوى »

وكان أبو العتاهية أبيض اللون أسود الشعر نظيف الثياب له وفرة
جعدة وهيئة حسنة ولباقة وحصافة . وكان سيال القريحة سريع الخاطر
لطيف المعاني سهل الالفاظ . فقد سأله بعضهم : « كيف تقول الشعر ؟
قال : « ما اردته قط الا مثل لى فأقول ما أريد وأترك ما لا أريد »

وقد نظم في كل أبواب الشعر وامتاز منها بالزهد . ويؤخذ من سيرة
حياته انه كان مترددا متقلبا ، ويفلب ذلك في طباع الشعراء لانهم أهل
خيال وأوهام وخصوصا الذين يستجدون بشعرهم فانهم يتقلبون مع
الاهواء ويسعون وراء النفع حيثما كان . . على ان امتناع أبى العتاهية عن
قول الغزل بعد أن أمره به الرشيد يخالف هذه القاعدة ، ولكن لعل له
سببا حمله على ذلك

واما تقلبه فظاهر من تدبده في الدين كما تقدم . وانه كان اذا اختص
ببعض الامراء ادعى ولاء قبيلته ، فقد كان طول حياة يزيد بن منصور
يدعى انه مولى لليمن وينتفى من عنزة . فلما مات يزيد رجع الى ولائه .
وعاتبه بعضهم في ذلك ، وقال له : « ألم تكن تزعم ان ولاءك لليمن ؟ »
قال : « ذلك شيء احتجنا اليه في ذلك الزمن . وما في واحد انتميت اليه
خير ، ولكن الحق أحق أن يتبع » . وكان مع ما جمعه من الاموال
بخيلا ، وله حوادث كثيرة تدل على شدة بخله ذكرها صاحب الاغانى

وله ديوان مطبوع في بيروت سنة ١٨٨٧ . وتجد أخباره في الاغانى ١٢٦ ج ٣ و ١٨ ج ٦ و ٢٤ ج ٨ ، وابن خلكان ٧١ ج ١ وطبقات الشعراء ٤٩٧ ، والفهرست ١٦٠ ، وفي الهلال ١٣٣ سنة ١٣ (*)

٦ - أبو تمام

توفى سنة ٢٢٢ هـ

هو عربى من طى ، واسمه حبيب بن اوس الطائي . ولد في منبج في بلاد الشام وجاء مصر صغيرا . وكان يسقى الماء في الجامع بالفسطاط ثم جالس الابداء وأخذ عنهم وتعلم . وكان فطنا فهما يحب الشعر ، فلم يزل يعانیه حتى اجاده . وسار شعره وشاع ذكره في بغداد حاضرة الادب في ذلك الحين ، وخليفته المعتصم ، وقد التفت حوله حلقة من الشعراء . فبعث في طلب أبي تمام فنظم فيه القصائد ، فأجازه ، وقدمه على شعراء وقته . فلم يعد يقدر أحد منهم ان يأخذ درهما بالشعر في حياته . فلما مات اقتسم الشعراء ما كان يأخذه . وقد امتاز بمذهب في المطابق سبق به الشعراء ، وان كانوا قد فتحوه قبله وقالوا القليل منه . . فان له فضل الاكثار فيه والسلوك في جميع طرقه (١)

وهو من القدمين بحسن الديباجة ورقة العبارة وفي اجادة الرثاء ، (٢) ومطلع قصيدته التي رثى بها محمد بن حميد الطوسي لا يزال الراءثون والمؤبنون يتمثلون به الى اليوم وهو :

ألا فليجل الخُطْبُ وليفدح الأمرُ فليس لعينٍ لم يفضٍ ماؤها عذُر

وذكر صاحب الاغانى ان كثيرا من أبيات هذه القصيدة مسروق من قصيدة مكثف أبي سلمى من ولد زهير بن أبي سلمى ، هجا فيها ذفافة العبسى وذكر أبياتا منها (٣)

ومن مرثيه قوله يرثى ابنتين صغيرين لعبد الله بن طاهر ماتا معا :

لهفى على تلك المخايلِ فيهما لو أمهلت حتى تكون شمائلًا
لقدأ سكونهما حجي وصباهما حلما وتلك الأريحية نائلًا
إن الهلال إذا رأيت نموّه أيقنت أن سيكون بدرًا كاملا

(*) وراجع في أبي العتاهية طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٢٨ والموسم للمريزاني ص ٢٥٤ والبيان والتبيين وانظر الفهرست ، وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٢٥٠ ومناهد التنصيص ج ١ ص ٢٢٧ وشعرات الذهب ج ٢ ص ٢٥ ومقالة Oestrup عنه في دائرة المعارف الاسلامية وفون كريمر في كتابه (حضارة الشرق) ج ٢ ص ٣٧٢ وبروكلمن ج ١ ونيكلسون ص ٢٩٦

(١) الاغانى ١٠٠ ج ١٥ (٢) الصلدة ١١٩ ج ٢

(٣) الاغانى ١٠٧ ج ١٥

ومن مدائحه قوله : (*)

سودء اللباس كأنما نسجت لهم أيدي السموم مدارعا من قارم
بكروا وأسروا في متون ضوامر قيدت لهم من مربط النجار
لا يبرحون ومن رأيهم خالهم أبدأ على سقر من الأسفار
ولابي تمام وصية في كيفية النظم أوصى بها أبا عبادة البحتري ، بين
فيها أحسن الوسائل لإجادة النظم ، قال : « تخير الاوقات وانت قليل
الهموم صفر من الغموم . واعلم ان العادة في الاوقات ان يقصد الانسان
لتأليف شيء أو حفظه في وقت السحر ، وذلك ان النفس قد أخذت حظها
من الراحة وقسطها من النوم . فان أردت النسيب فاجعل اللفظ رقيقا
والمعنى رشيقا وأكثر فيه من بيان الصبابة وتوجع الكتابة وقلق الاشواق
ولوعة الفراق . وإذا أخذت في مدح سيد ذي آياد فأشهر مناقبه وأظهر
مناسبه وابن معاله وشرف مقامه وتفاصيل المعاني واحذر المجهول منها وإياك
ان تشين شعرك بالالفاظ الزرية . وكن كأنك خياط يقطع الثياب على
مقادير الاجسام ، وإذا عارضك الضجر فأرح نفسك ولا تعمل الا وأنت
فارغ القلب . واجعل شهوتك لقول الشعر اللذيعة الى حسن نظمه ، فان
الشهوة نعم المعين . وجملة الحال ان تعتبر شعرك بما سلف من شعر
الماضين فما استحسنته العلماء فاقصده وما تركوه فاجتنبه ترشد ان
شاء الله تعالى »

ديوان الحماسة

وله فضل على معاصريه من الشعراء ، فانه لم يكتف بما نظمه من ضروب
الشعر بل جمع مختارات من أشعار عرب الجاهلية وغيرهم في كتاب سماه
الحماسة ، وتعرف بحماسة أبي تمام تميزا لها عن حماسة البحتري . .
حمله على جمعها انه نزل عند صاحب له في همدان اسمه « ابن سلمة »
فأكرمه فأصبح ذات يوم وقد وقع ثلج كثير قطع السابلة ، فقم أبو تمام
وفرح « ابن سلمة » وقال : « وطن نفسك على البقاء ، ان الثلج لا ينحسر
الا بعد زمان » . واحضر له خزانة كتب فطالعا واشتغل بها وضمنف خمسة
كتب في الشعر ، منها كتاب الحماسة والوحشيات وهي قصائد طوال .
فبقى كتاب الحماسة في خزائن آل سلمة يضمنون به ولا يكادون يبرؤونه
لاحد ، حتى تغيرت أحوالهم ، وورد من همدان رجل من أهل دينور يعرف
بأبي العوادل فظفر به وحمله الى اصهان . فأقبل أدباؤها عليه ورفضوا
ما عدها من الكتب المصنفة في معناه ، فاشتهر فيهم وقد شرحه كثيرون

(*) هذه الابيات من قصيدة في مديح المعتصم ، وقد ذكر فيها أبو تمام خرقه لقائده :
بابك ومازيار اللذين كانا ثارين عليه ، وقد صلبهما متجاورين وعليهما سواد الخرق والنار .
والضوامر : الخيل . يقول أبو تمام انهما كانا معلقين ليلا ونهارا ، والى ذلك أشار بقوله في
البيت الثاني (بكروا وأسروا) . ويقول ان الضوامر التي حملتهما ليست من الخيل ، وإنما
هي خشبات من صنع بعض التجارين

ومن أحسن الشروح شرح الخطيب التبريزي المتوفى سنة ٥٠٢ هـ ، وقد طبع بمصر سنة ١٢٩٦ في أربعة أجزاء كبار ، بين فيها اشتقاق أسامي شعراء الحماسة وغيرهم وتفسير كل بيت وما فيه من الفريب والاعراب وإيراد الإخبار في أماكنها . وطبعت الحماسة بلا شرح في الهند سنة ١٨٥٦ ، ولها شرح للمرزوقي ، وآخر لآبي العلاء المعري ، وآخر لابن جنى ، منها نسخ خطية في المكتبة الخديوية وفي غيرها (*)

وقد عني بطبع الحماسة مع شرح التبريزي أيضا « فريتاغ » في مجلدين مع ترجمة وشروح لاتينية . ظهر المجلد الأول سنة ١٨٣٨ ، والثاني سنة ١٨٥١ في بون . وقد ترجمها إلى الألمانية فريدريك روكرت وطبعت مع الأصل في مجلدين في ستغارت سنة ١٨٤٦ . ولآبي تمام حماسة أخرى هي كتاب الوحشيات منها نسخة في جملة كتب خطية نادرة استنسخها زكي باشا سكرتير مجلس النظار من مكاتب أوروبا للطبع بمصر

وكان أبو تمام أسمر طويلا فصيحاً حلوا الكلام فيه متممة سيرة . وله ديوان شرحه كثيرون شروحا حسنة . منها شرح للصولي المتوفى سنة ٣٣٥ هـ ، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وقد طبع الديوان في مصر وفي بيروت سنة ١٣٢٣

وتجد أخبار أبي تمام في الأغاني ٩٩ ج ١٥ ، وابن خلكان ١٢١ ج ١ ، وطبقات الأدباء ٢١٣ ، والفهرست ١٦٥ (**)

٧ - دعبل الخزاعي

توفى سنة ٢٤٦ هـ

هو عربي من اليمن ، شديد التعصب للقحطانية على النزارية ، لا يخشى بذلك لوما ولا يخاف تهديدا . اسمه دعبل بن علي بن رزين من خزاعة . أصله من الكوفة ، وجاء بغداد بطلب من الرشيد . وهو شاعر مطبوع هجاء خبيث للسان ، لم يسلم منه الخلفاء ولا وزراءهم ولا أولادهم ولا ذو نباهة أحسن إليه أو لم يحسن ، ولا أفلت منه كبير ولا صغير . فكان الناس يخافونه ويتقونه ، حتى المأمون فإنه هجاء شديداً واحتمل ذلك منه . ومن شديد هجائه الذي يحتاج إلى جرأة قوله للمأمون :

(*) نشر شرح المرزوقي في لجنة التأليف والترجمة والنشر في أربعة مجلدات كبار (***) وراجع في أبي تمام طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٨٣ والموشح للمرزباني ص ٣٠٣ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٢٤٨ وكتاب أخبار أبي تمام للصولي طبع القاهرة وكتاب هبة الأيام فيما يتعلق بأبي تمام للبيدعي والموازنة بين الطائيين : أبي تمام والبحراني للإمدى وشدراة الذهب ج ٢ ص ٧٢ وحسن المحاضرة للسيوطي ج ١ ص ٢٦٧ (طبع القاهرة سنة ١٣٢١ هـ) ومروج الذهب للمسعودي (طبع باريس) ج ٧ ص ١٤٧ وخزانة الأدب للبغدادي ج ١ ص ١٧٢ ومقدمة الحماسة ، والجزء الثاني (طبع فريتاغ) . وانظر كتابنا : الفن ومداهبه في الشعر العربي ، الفصل الخامس من الكتاب الأول ، وكتاب من حديث الشعر والنثر لاطه حسين ودائرة المعارف الإسلامية وبروكلمن ٨٤ ج ١ ونيكلسون ص ١٢٩

إني من القوم الذين سيوفهم قتلت أخاك وشرفتك بمقتد
شادوا بذكرك بعد طول خمولة واستنقذوك من الحضيض الأوهده
يشير الى طاهر بن الحسين الخزاعي ، وما كان من قتله الامين حتى
تولى المأمون . ومن قوله في هجاء المعتصم :

ملوك بني العباس في الكتب سبعة* ولم تأتنا عن ثامن لهم كتب
كذلك أهل الكهف في الكهف سبعة* خيار إذا عثشوا وثامنهم كتب
وإني لأعلى كتبهم عنك رفعة* لأنك ذو ذنب وليس له ذنب
لقد ضاع مثلك الناس إذ ساس ملكهم وصيف وأشناس وقد عظم الكرب (*)

وهجا أيضا ابراهيم بن المهدي وغيره حتى آل طاهر مع انه كان ميالا
اليهم . وكان مسلم بن الوليد المتقدم ذكره شاخ ، ودعمل شاب وهو
يعترف بأستاذيته فجفاه مسلم ، فجهاه دعمل بقصيدة فيها عتاب
شديد (١) ختمه بقوله :

فهبك يميني استأكلت فقطعتها

وصبرت قلبي بعدها فتشجعا

وجرى له مع المطلب بن عبد الله أحد أمراء مصر حديث غاظ دعبلا ،
فهجا المطلب بقصيدة قال فيها :

تعلق مصر بك المخزيات وتبصق في وجهك الموصل
وعاديت قوما فما ضرهم وشرقت قوما فلم ينبلوا
شعارك في الحرب يوم الوغى إذا انهزموا : عجلوا عجلوا
فأنت إذا ما التقوا آخر* وأنت إذا انهزموا أوّل*

وله في مقابل ذلك مدائح في غاية البلاغة . وأكثر مدائحه في أهل البيت
لانه كان شديد التعصب لعلى وأهله . . على انه كثيرا ما كان يتخذ هجاء
للارهاب ، فيضطر الناس الى استرضائه ليكف عن هجائهم أو ليمدحهم .
ومن قوله في مدح المطلب المذكور :

أبعد مصر وبعد مطلب ترجو الغنى إن ذا من العجب
إن كاثرونا جننا بأسرته أو واحدونا جننا بمطلب

ومن أشهر قصائده قوله يمدح أهل البيت ويهجو الرشيد بعد موته : (*)

وليس حي من الأحياء نعلمه من ذى يمانٍ ومن بكرٍ ومن مضرٍ
 الا وهم شركاء في دماهم كما تشارك أيسار على جزرٍ
 قتل وأسروا وتحريق ومنهبة فعل الغزاة بأرض الروم والخزر
 أرى أمية معذورين إن قتلوا ولا أرى لبني العباس من عذرٍ
 أربع بطوس على القبر الزكي إذا ما كنت تربع من دين علي وطبر
 قبران في طوس خير الناس كلهم وقبر شهرم ، هذا من العبر
 ما ينفع الرجس من قرب الزكي ولا على الزكي بقرب الرجس من ضرر
 هيات تل امرى رهن بما كسبت له يدها ، فخذ ما شئت أو فذر

ومن أدلة اقتداره على انتقاء الالفاظ قوله في رثاء محمد بن يزيد الخزازي :

كانت خزاعة ملء الأرض ما اتسعت فقص مر الليالي من حواشيها
 هذا أبو القاسم الشاوي يبلتقة تسفي الرياح عليه من سواخيها
 هبت وقد علمت أن لا هبوب به وقد تكون حسيرا إذ ياربها
 أضحي قري للمنايا إذ نزلن به وكان في سالف الأيام يقريها
 ومن شعره في الفزل قوله :

لا تعجبي يا سلم من رجل ضحك المشيب برأسه فبكي
 لا تأخذوا بظلماتي أحدا قلبي وطرفي في دمي اشتراكا

فأنت ترى شاعرية هذا الرجل لكن ذكره خمل بسبب هجوه الخلفاء ، والناس على دين ملوكهم . فلم يصل إلينا من أشعاره إلا شذرات مبعثرة مع أخباره في الأغاني ٢٩ ج ١٨ ، وابن خلكان ١٧٨ ج ١ ، والشعر والسعراء ٥٣٩ ، والفهرست ١٦١ (***)

(*) الغريب في هذه الأبيات : الأيسار : المجتمعون على القمار ، والجزر : جمع جزور ، وهو مايجزر وينحر من النوق ، أربع : قف ، طوس : مدينة بخراسان ، كان بها قبر الرشيد وقبر الرضا أحد أئمة أهل البيت ، الرجس : اللئس

(**) وراجع ق دجل طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٦٤ والموشح ص ٢٦٩ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٢٨٢ وتهذيب ابن مسافر ج ٥ ص ٢٢٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١١١ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٢٠٢ ومعجم الأدباء لياقوت وكذلك معجم البلدان في مادة سمنجان وتاريخ ابن الأثير ج ٧ ص ٦٠ ودائرة المعارف الإسلامية وجولدسيهر في كتابه دراسات إسلامية ج ١ ص ٨٢ ، ٨٣ ، ١٥٦ ، وبيروكلمن ٧٨ ج ١

سائر الشعراء في العصر العباسي الاول

شعراء الخلفاء

نريد بشعراء الخلفاء الذين انقطعوا للخلفاء أو كان أكثر منظومهم فيهم أو أنهم لم يختصوا بسواهم ، وهم لا يدخلون في طبقة من الطبقات الأخرى . وقد ترجمنا لبعضهم فيمن تقدم من فحول هذا العصر ، ونأتي الآن على خلاصة أخبار الباقيين مراعاة للمقام ، ونرتبهم حسب سنى وفاتهم

١ - أبو دلامة

توفي سنة ١٦١ هـ

هو زند بن الجون ، وسمى أبا دلامة ، نسبة إلى ابنه دلامة . وهو كوفي المنشأ أسود اللون ، مولى لبني أسد . وكان أبوه عبداً لرجل منهم فأعتقه أدرك أبادلامة أواخر الدولة الأموية ، ولكنه نبغ في الدولة العباسية وانقطع إلى أبي العباس السفاح والمنصور والمهدى . وكانوا يقدمونه ويصلونه ويستطيبيون محاسنه ونوادره ، وفيه دعاية وظرف ، لا يخلو حديثه من نكتة أو ملححة . وكان مع ذلك معدوداً في جملة المتهمين بالزندقة وفساد الدين ، وكان يشرب الخمر ولا يحضر صلاة ولا فروضاً . وله قصائد عدة في مدح الخلفاء المذكورين ، منها قصيدة في قتل أبي مسلم الخراساني مطلعها :

أيا مسلم خوفتني القتلَ فاتتحتي عليك بما خوفتني الأسدُ الورْدُ
أنشدنا المنصور في محفل من الناس ، فقال له : « احتكم » فطلب عشرة آلاف درهم فقبضها . وله فيه مدائح كثيرة ، وكلما زاده عطاء زاده مدحا حتى قال فيه :

لو كان يقعدُ فوق الشمس من كرمٍ قومٌ لقيلاً اقعدهوا يا آل عباسِ
ثم ارتقتوا في شعاع الشمس كلكم إلى السماء فأتمم أظهر الناسِ
أو قدّموا القائم المنصور رأسكم فالعين والأنف والأذنان في الرئاسِ

ومن مداعباته ومجونه أن أبا العباس السفاح قال له : « سلني حاجتك » ، فقال أبو دلامة : « كلب أتصيد به » فاستغرب طلبه لكنه أمر بأعطائه ، فقال أبو دلامة : « ودابة أتصيد عليها » قال : « أعطوه » قال : « وغلام يصيد بالكلب ويقوده » قال : « أعطوه غلاما » قال : « وجارية تصلح لنا الصيد وتطعمنا منه » قال : « أعطوه جارية » قال : « هؤلاء يا أمير المؤمنين عبيدك فلا بد لهم من دار يسكنونها » قال : « أعطوه داراً تجمعهم » قال : « فان لم تكن لهم ضيعة فمن أين يعيشون ؟ » قال : « قد أعطيتك مائة جريب عامرة ومائة جريب غامرة » قال : « وما

الغامرة ؟ » قال : « التي لا نبات فيها » فقال : « قد أقطعتك أنا يا أمير المؤمنين خمسمائة ألف جريب غامرة من فيافي بني أسد » فضحك وقال : « اجعلوها كلها عامرة »

ومن مجونه ان المنصور الزمه الصلاة في مسجده ووكل به من يلاحظه ففاظه ذلك ، فكتب الى المنصور رقعة قال فيها :

لم تعلموا أن الخليفة لزرني(*) بمسجده والقصر ، مالى وللقصر
أصلى به الأولى مع العصر دائما فويلي من الأولى وويلي من العصر
ووالله مالى نية في صلاتهم ولا البر والأحسان والخير من أمرى
وما ضره والله يتصلح أمره لو ان ذنوب العالمين على ظهري
فضحك المنصور وأعفاه . وأخبره في الاغانى ١٢٠ ج ٩ ، وابن خلكان
١٩٠ ج ١ ، والشعر والشعراء ٤٨٧ ، والدميرى ١٣٢ ج ١ ، والمستطرف
٤٣ ج ٢ (*)

٢ - حماد عجرد

توفي سنة ١٦١ هـ

هو مولى أيضا نشأ في الكوفة ، ثم واسط ، وعاصر الدولتين ، لكنه
نبح في الدولة العباسية بعد أن نادى الوليد بن يزيد الاموى ، وجاء بغداد أيام
المهدى ومعه مطيع بن اياس ويحيى بن زياد وكلهم من المتهمين في دينهم .
وحماد من الشعراء الجيدين ، وكان ماجنا ظريفا خليعا ، وأدرك بشار بن برد
وله معه اهاج فاحشة لولا فحشها لذكرنا أمثلة منها . ولم يكن بهاب كبيرا
ولا صغيرا ولا عالما كان أو خليفة . وقد عاصر الامام ابا حنيفة وكانت بينهما
مودة ثم قاطعه أبو حنيفة ، وبلغ حمادا انه يتنقصه فكتب اليه :

إن كان شكك لا يتغير شتى وانتقاصى
فاقعد وقم بي كيف شت مع الأذاني والأقاصى
فلطالما زكيتنى وأنا المقيم على المعاصى
أيام تأخذها ونه طى في أباريق الرصاصى

واهتم أدباء ذلك العصر بالمهاجاة بين بشار وحماد كما اهتموا في العصر
الاموى بالمهاجاة بين جرير والفرزدق . وقد أجمع علماء البصرة انه ليس

(*) لزنى : الزمنى

(**) وراجع في أبى دلالة طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٥٥ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٨٨
والفهرست لابن النديم ص ١٤٣ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٢١٠ وشدرات الذهب ج ١ ص ٢٤٩
ومحاسن البيهقى (طبعة شوالى) ص ٦٤٥ والقائمة رقم ٤٠ من مقامات الخريزى مع شرح
الشريشى ج ٢ ص ٢٣٦ ومجمع الادباء لياقوت في زند بن الجون

في هجاء حماد لبشار شيء جيد الا . ٤ بيتا معدودة . أما بشار فله من الهجاء فيه اكثر من ألف بيت جيد ، وكل منهما هتك صاحبه بالزندقة . وكانا يجتمعان عليها ، فسقط عجرد وتهتك بفضل بلاغة بشار وجودة معانيه ، وبقي بشار على حاله لم يسقط

ومن ظريف أخباره انه هجا حفص بن ابي بردة وكان صديقه وزنديقا مثله ، وحفص أعمش أفضس أعضب مقبح الوجه . . فاجتمعوا يوما على شراب وجملوا يتحدثون ويتناشدون ، فأخذ حفص بن ابي بردة يظمن على مرقش ويعيب شعره ويلحنه فقال له حماد : (*)

لقد كان في عَيْنِكَ يا حفص شاغلٌ وأنفٍ كَثِيلِ العَوْدِ عما تَتَّبِعُ
تَتَّبِعُ لِحْنًا في كِلامِ مَرْقَشٍ ووجهك مَبْنِيٌّ على اللحنِ أَجْمَعِ
فَأَذْناكَ إِقْوَاءٌ وَأَنْفُكَ مَكْتَمًا وَعَيْنَاكَ اِيطَاءٌ فَأَنْتَ المَرْقَعِ
وقد سبق ابا نواس بالتفرد في الغلمان . من ذلك قوله في غلام كان يهواه اسمه ابو بشر :

أخى إن دائي ليس عندي دواؤه ولكن دوائي عند قلب أبي بشر
دوائي ودائي عند من لو رأيتَه يقلِّبُ عينيه لأقصرَّتَ عن زَجْرِي
فأقسم لو أصبحتَ في لوعة الهوى لأقصرَّتَ عن لومي وأطنبتَ في عذري
ولكن بلائي منك أنك ناصح وأنك لا تدري بأنك لا تدري

وكان السبب في وفاة حماد عجرد انه شب بزینب أخت محمد بن سليمان بن علي وبلغه غضب محمد ، فهرب الى الاهواز فبعث محمد في طلبه ، ففر الى غيرها ، ومرض في ثنقله ، حتى مات في شيراز ، ودفن فيها وتجد ترجمته في الاغانى ٧٣ ج ١٣ ، وابن خلکان ١٦٥ ج ١ ، والشعر والشعراء ٤٩٠ ، والفهرست ٩١ (*)

٣ - مروان بن ابي حفصة

توفي سنة ١٨١ هـ

هو من الشعراء الموالى ، أصل جده من سبى اصطخر ، وكان غلاما اشتراه عثمان بن عفان ووهبه لمروان بن الحكم ، واقام بعدئذ باليمامة ، وولد له غلام سماه مروان . وقد اختلفوا في حقيقة نسبه . . شب مروان على كره الشيعة لانه من موالى بنى أمية وقد حارب معهم . وكان شجاعا مجربا

(*) الغريب في هذه الابيات : العود : البعير ، الثيل : الغرول . الاتواء والابطاء والاكفاء من ميوب القافية في الشعر
(**) وانظر في حماد طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٦٧ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ١٤٨ ومعجم الادباء في حماد ، وكذلك حديث الاربعاء لطله حسين الجزء الثاني

فلما نبغ في الشعر قدم بفداد ومدح المهدي ثم الرشيد ، وكان يتقرب اليه بهجاء العلويين . وهو من الفحول المقدمين ، أول من شهره ونوه به معن ابن زائدة الجواد المشهور ، اذ مدحه مروان بقصيدة نونية ، مطلعها :

معنُ بن زائده الذي زيدت به شرفاً على شرف بنو شيبان
ولكنه اشتهر على الخصوص بقصيدة لامية مدح بها معنا مطلعها :

بنو مطرٍ يوم اللقاء كأنهم أسودٌ لها في بطن خفان أشبلٌ

فأجازه عليها بمال كثير ، فكان كلما زاده معن عطاء زاده مروان مدحا حتى غار منه المهدي وعنفه مرة ، وقد دخل عليه في جملة الشعراء وأنشده قصيدة في مدحه ، فقال له المهدي : « من أنت ؟ » قال : « شاعرك يا أمير المؤمنين وعبدك مروان بن أبي حفصة » فقال له المهدي : « أنت القائل :

أقمنا باليامة بعد معنٍ مقاما لا نريد به زوالا
وقلنا أين ترحل بعد معنٍ وقد ذهب النوال ولا نوالا

قد ذهب النوال كما زعمت فلم جئت تطلب نوالنا ؟ لا شيء لك عندنا ..
جروا برجله « فجروه برجله حتى اخرج . فلما كان من العام المقبل تلتطف حتى دخل مع الشعراء - وكانت الشعراء تدخل على الخلفاء في كل عام مرة - فمثل بين يديه وأنشد قصيدة في مدحه حتى بلغ الى قوله :

هل تطمسون من السماء نجومها بأفكم أو تسترون هلالها
أو تجحدون مقالة عن ربكم جبريل بكفها النبي فقالتها
شهدت من الأتفال آخر آية بترائهم فأردتم إبطالها

فطرب المهدي وسأل عن القصيدة كم هي ، فقيل مائة بيت ، فأمر له عن كل بيت بألف درهم فنال ١٠٠.٠٠٠ درهم . وهذه أول مرة نال فيها شاعر هذه العطية (١)

ولما تولى الرشيد جاءه مع الشعراء فأصابه معه ما أصابه مع المهدي ، اذ مدحه بقصيدة بائنة أعجبهت فاعطاه عن كل بيت ألف درهم . ولم ينل أحد من شعراء ذلك العصر ما ناله مروان بشعره فجمع مالا كثيرا ، ولكنه كان مطبوعا على البخل ويظهر ذلك على الخصوص حين تقابل بينه وبين سلم الخاسر الآتي ذكره لأن هذا يتمتع بماله فيأتي باب المهدي على البرذون قيمته ١٠٠.٠٠٠ درهم ، ويلبس الخز والوشى ويتطيب ويتنعم في الأكل على عكس مروان (٢)

(١) الاغانى ٤٤ ج ١

(٢) الاغانى ٣٩ ج ٨

وتجد أخبار مروان في الاغانى ٣٦ ج ٩ ، وابن خلكان ٨٩ ج ٢ ،
و ١٠٩ ج ٢ ، والشعر والشعراء ٤٨١ ، وخزانة الادب ٤٤٧ ج ١ ،
والفهرست ١٦٠ (*)

٤ - سلم الخاسر

توفى سنة ١٨٦ هـ

هو سلم بن عمرو ، أحد موالى أبى بكر الصديق . نشأ في البصرة ،
وكان شاعرا مطبوعا متصرفا في فنون الشعر ، وكان متظاهرا بالخلاعة
والفسوق والمجون . وزاد شاعرية وقدرة بالشعر على يد بشار لانه كان
راويته وتلميذه . . أخذ عنه واغترف من بحره ونسج على منواله ،
وكثيرا ما كان يأخذ أقواله فيسلخها ويمسخها كما مسخ هذا البيت :
من راقب الناس لم يظفر بحاجنه وفاز بالطيبات الفاتك اللهيج
فجعله :

من راقب الناس مات غمكا وفاز باللذة الجسور

فبلغ بيته بشارا فغضب وأقسم ألا يدخل عليه ولا يفيدته ما دام حيا ،
فاستشفع اليه بكل صديق حتى رضى ووبخه وقنعه بمخصرة كانت بيده .
وكان صديقا لابراهيم الموصلى المفي المشهور ولابى العتاهية . وكان يمدح
البرامكة وخصوصا الفضل بن يحيى . وكان أول اشتهاه انه حمل قصيدة
بشار الى عمر بن العلاء ، فلما أنشده اياها أمر لبشار بمائة درهم فقال
سلم : « ان خادمك (يعنى نفسه) قد قال في طريقه فيك قصيدة »
قال : « ما هي ؟ » فأنشده اياها ومطلعها :

قد عزتهى الداء فما لى دواء مما ألقى من حسان النساء
حتى تخلص الى المدح بقوله :

كم كربة قد مسنى ضررها ناديت فيها عمر بن العلاء
فأمر له بعشرة آلاف درهم ، وهى أول عطية سنية نالها . ثم توالى
عليه الجوائز من الخلفاء والوزراء والامراء ، وكان مترقا في المعيشة
ويلبس أحسن الملابس كما تقدم . وظل الى آخر أيامه يعترف انه جزء
من محاسن بشار
وتجد ترجمته في الاغانى ١١٠ ج ٢١ ، وابن خلكان ١٩٨ ج ١ (***)

(*) وراجع في مروان طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٤٢ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٤٢
والموشح للمرزباني ص ٢٥١ وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٠١ وأمالى المرتضى طبعة الحلبي (انظر
الفهرس) وحديث الاربعاء لطف حسين الجزء الثاني
(**) وانظر في سلم طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٩٩ وتاريخ بغداد ج ٩ ص ١٣٦ ومعجم
الادباء كياقوت وأمالى المرتضى (انظر الفهرس)

٥ - منصور النمرى

هو عربى من النمر بن قاسط ، نشأ فى الجزيرة بين النهرين . وهو تلميذ كلثوم بن عمرو العتابى الآتى ذكره بين الشعراء الذين لم يتحضروا وراويته . وعنه أخذ ومن بحره استقى . وقدمه العتابى الى البرامكة اذ وصفه للفضل بن يحيى وقرظه عنده حتى استقدمه من الجزيرة واستصحبه . ثم وصله بالرشيد ، وجرت بعد ذلك بينه وبين العتابى وحشة ، حتى تهاجرا وتناقضا ، وسعى كل منهما فى هلاك صاحبه

وكان مسكن النمرى فى الشام ، فطلب الى البرامكة ان يذكروه للرشيد فذكروه ووصفوه فاستحضره . وكان ذا حيلة سياسية فادرك ان الرشيد يسره ان يمدح بنفى الامامة عن على والطعن عليه ، لما كان يراه من تقديم مروان بن أبى حفصة بسبب ذلك . فسلك مذهبه ونحا نحوه ، والشعراء يومئذ انما يطلبون الكسب . لكنه لم يصرح بالهجاء والسب كما فعل مروان ، ومن قوله فيه قصيدة مطلعها (*) :

أمير المؤمنين اليك خضنا غمار الهول من بلد شطير
يخوص كالأهلة خافقات تلين على الشرى وعلى الهجير
حملن إليك أحمالا ثقالا ومثل الصخر والدر الثشير
فقد وقف المديح بمنتهاه وغايته وصار إلى المصير

ومما قاله فى تفضيله على أبناء على بالارث قوله :

فإن شكروا فقد أنعمت فيهم وإلا فالتدامة للكفور
وإن قالوا بنو بنتٍ فحق وردشوا ما يناسب للذكور
وما لبنى بناتٍ من تراثٍ مع الأعمام فى ورق الزبور

وكان الرشيد يفضل مروان عليه فى العطاء . وقد ذكرنا الابيات التى قالها فى مدح الرشيد وما فيها من المبالغة (١) وناهيك بالقصيدة التى رفعت السيف عن ربيعة (٢) وقد مدح أيضا يزيد بن مزيد بقصيدة مطلعها :

لو لم يكن لبنى شيبان من حسب سوى يزيد لفاقوا الناس بالحسب
وتجد أخبار منصور النمرى فى الاغانى ١٦ ج ١٢ و ٣٢ و ١٤١ ج ١٧ (***)

(*) الفريب فى الابيات : شطير : بميد ، الخوص : النوق ، واراد بالبيت الثالث شعره الذى يشبه بعضه الصخر وبعضه الدر
(١) الاغانى ٢٠ ج ١٤ ، والمعدة ١١٠ ج ٢ (٢) الاغانى ٢٣ ج ١٢
(**) وانظر فى منصور النمرى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤٢ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٦٥ والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٤٦ وامالى الرضى ج ٢ ص ٢٧٤ - ٢٧٨ وفى مواضع متفرقة (انظر فهرس)

٦ - علي بن الجهم

توفي سنة ٢٤٩ هـ

هو عربي قرشي شاعر فصيح مطبوع ، وقد خص بالمتوكل حتى صار من جلسائه . ثم أبغضه لانه كان كثير السعاية اليه بئدمايه ، واذا خلا به عرفه انهم يعينونه ويثلبونه ، فيكشف الخليفة عن ذلك فلا يجد له حقيقة . . فنفاه الى خراسان بعد أن حبسه مدة . وكان مذهبه في الشعر مذهب مروان بن أبي حفصة في هجاء آل أبي طالب وذمهم والاشراء بهم وهجاء الشيعة ، كقوله : (*)

ورافضة تقول بشعب رضوى إمام ، خاب ذلك من إمام
إمام من له عشرون ألفا من الأتراك مشرعة السهام

وهجا الخليفة المتوكل مرة ، فنفاه الى خراسان . وكتب الخليفة الى طاهر بن عبد الله صاحب خراسان ، أن يصلبه ، فقبض عليه وصلبه في الشاذياخ يوما الى الليل مجردا ، فلما نزل قال في ذلك قصيدة فخرية مطلعها :

لم ينصبوا بالشاذياخ عشية إلا
ثنين مسبوقة ولا مجهولا
نصبوا بحمد الله ملء قلوبهم
شرفا وملء صدورهم تبجيلا
ومما قاله عن حبسه بعد الخروج منه ، وفيه أحسن ما قيل في مدح
السجن (*) :

قالوا حبست فقلت ليس بضائري
حبسى وأى مهتد لا يغمد
أو ما رأيت الليث يالف غيله
كبرا وأوباش السباع تردد
والشمس لولا أنها محجوبة
عن نظريك لما أضاء الفرقد
والبدر يدركه السرار فتجلى
أيامه وكأنه متجدد
والغيث يحصره الغمام فما يترى
إلا وريته يروع ويرعد
والزاعية لا يقيم كعوبها
إلا الثقافت وجذوة تنوقد
والنار في أحجارها مخبوءة
لا تصطلى إن لم تشرها الأزند
وله أقوال في الغزل والعتاب وفي الوصف ، ومن أجمل ذلك قوله في

(*) يشير ابن الجهم في البيت الأول الى ما كان يعتقد بعض الشيعة من غيبة محمد بن الحنفية في شعب رضوى . (أنظر ترجمة كثير في الأغاني)
(*) الغريب في الأبيات : الغيل : الإجمة وبيت الأسد ، السرار ، آخر أيام الشهر ، ريق المطر : أوله ، يراخ : من داح المطر اذا كان شديداً الريح ، الزاعية : الرماح ، الثقاف : الصقل

وصف حفلة بعد صيد ، أقاموا بعدهم يشربون على الزعفران (*)
 وطئنا رياضَ الزعفرانِ وأمسكتُ^٥ علينا البزاةُ البيض حمر الدراج
 ولم تحمها الأدغال منا وإنما أبحنا حماها بالكلاب النواج
 بمستروحاتٍ سابحاتٍ بطونها على الأرض أمثال السهام الزوالج
 ومستشركاتٍ بالهوادي كأنها وما عَقَقَتْ منها رؤوس الصوالج
 ومن دالعاتٍ ألسنا فكأنها لحي من رجال خاضعين كواسج
 فكئنا بها العيطان فلياً كأنها أفامل إحدى الغايات الحوالج
 وتجد أخباره في الاغانى ١٠٤ ج ٩ ، وابن خلكان ٣٤٩ ج ١ (***)

٧ - حسين بن الضحاك

توفي سنة ٢٥٠ هـ

هو من موالى باهلة ، ولد في البصرة ، ونشأ فيها ، ونادم الخلفاء من بنى
 العباس ، وكان خليعاً فاسداً . وكان مع ذلك حسن التصرف في النظم ، لشعره
 قبول ورونق . . فهو من المتفنين ، وله معان جديدة في الخمر ، كان أبو نواس
 يأخذها عنه . ومع ان أبان نواس مات سنة ١٩٨ ، والضحاك مات سنة
 ٢٥٠ ، فقد تعاصرا لان مولدهما متقارب ، لكن ابن الضحاك عمر كثير

وهو أول من نادى الامين وله فيه مدائح كثيرة ، فلما رجع المأمون من
 خراسان بعد مقتل أخيه واستتب الامر له طلب قوما من أهل الادب
 يجالسونه ، فذكروا له جماعة فيهم حسين بن الضحاك ، فقال : « اليس
 هو القائل في محمد (الامين) :

هلا بقت لسد فافتنا أبداً وكان لغيرك التلف
 فلقد خلقت خلائفاً سلفوا ولسوف يعوز بعدك الخلف
 لا حاجة لى فيه والله لا يرانى أبدا الا في الطريق » ولم يعاقبه على ما
 كان من هجائه له وتعرضه به . وانحدر الحسين الى البصرة ، فأقام
 بها طوال أيام المأمون

(*) الغريب في هذه الابيات: الدراج: جمع دراج ، وهو طائر ملون الريش ، النواج :
 النواج ، الزوالج : السريعة : الهوادي : الامتاق ، عقت : عقت وعوجت ، والصوالج :
 جمع صولجان ، دالعات : مخرجات ، كواسج : جمع كوسج وهو الرسل للحيته على ذقنه ،
 الحوالج : اللاتي يندفن القطن حتى تخلص البلور منه
 (***) وراجع طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣١٩ ومعجم الشعراء والموشح للمريزاني ص ٢٤٤
 وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٦٧ وكذلك ج ٧ ص ٢٤٠ في ترجمة أبيه الجهم وابن أبي الحديد في
 شرح نهج البلاغة ج ١ ص ٢٦٢ وابن الاثير والطبري (انظر قهارسهما وكذلك قهارس مروج
 الذهب للمسعودي طبعة باريس) . وقد نشر خليل مردم سنة ١٩٤٩ ديوانه في دمشق

وله في الامين مرات جييدة . فلما تولى المعتصم سأل عن حسين بن الضحاك ، فقيل له انه في البصرة ، فاستقدمه فقدم ، وانشده قصيدة فيها من المديح قوله :

خَيْرُ الوفود مبشرٌ بخلافةٍ
وافته في الشهر الحرام سليمةً
أعطته صفقتها الضمائر طاعةً
سكن الأنام إلى إمام سلامةٍ
فحسى رعيته ودافع دونها
وأجار مملقها من الإملاق

وله أبيات في التغزل بالغلان ، اقتبس بعضها أبو نواس (١)

وتجد أخباره في الاغانى ١٧٠ ج ٦ ، وابن خلكان ١٥٤ ج ١ (*)

شعراء البرامكة

نريد بهم الشعراء الذين كان أكثر انقطاعهم للبرامكة ، أو اختصوا بهم دون سواهم ، أو كان لهم معهم شأن خاص ، وهاك أشهرهم :

١ - ابان بن عبد الحميد

هو من الشعراء الموالي ، وأكثر شعره مزدوج ومسمط . نقل كتابا من الفارسية الى العربية . وله ذكر خاص في آداب اللغة العربية ، لانه نظم كتاب كليلة ودمنة شعرا بإشارة البرامكة ، كما نظمه الفرس قبلا ليسهل حفظه على الأذهان . وقد نقله ابن المقفع نثرا . وهاك مطلع الترجمة الشعرية :

هذا كتاب أدبٍ ومِحْنَةٍ
وهو الذي يَدْعَى كليله دمنه
فيه احتمالاتٌ وفيه رشْدٌ
وهو كتابٌ وضعتَه الهندُ

فأعطاه يحيى بن خالد عشرة آلاف دينار ، وأعطاه الفضل خمسة آلاف دينار ، ولم يعطه جعفر شيئا ، وقال : « ألا يكفيك أن أحفظه فأكون راويتك ؟ »

وهذا النقل من جملة أفضال البرامكة على اللغة العربية ، لكن المنظومة ضاعت ولم يبق منها الا هذان البيتان (**). ونقله شعرا أيضا آخرون سندكرهم عند ذكر هذا الكتاب

(١) الاغانى ١٧٥ ج ٦

(**) وأنظر في الحسين بن الضحاك طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٦٨ ومعجم الادباء لياقوت وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢٢ وتاريخ بغداد ج ٨ ص ٤٤ (***) في كتاب الاوراق للصولي قطعة كبيرة من هذه المنظومة

وارتقى ابان في أيام البرامكة حتى اسند اليه يحيى بن خالد امتحان الشعراء وترتيبهم في الجوائز ، فامتحنهم ورتبهم وفي جملتهم أبو نواس . فلم يرض أبو نواس المرتبة التي جعله فيها ، وهجاه بقصيدة اتهمه فيها بالزندقة . واكثر اعدائه كانوا يتهمونه بذلك ، وفيهم المعدل بن غيلان فانه قال فيه :

رأيت أبانا يوم فِطْرٍ مُصْلِيًّا فقسّم فكرى واستفزنى الطرب
وكيف يصلى مظلم القلب دينه على دين مانٍ إن ذاك من العجب (*)
واغتنم ابان تقربه من البرامكة ووسطهم بايصاله الى الرشيد او
ايصال مديحه لعله يحظى كما حظى مروان بن ابي حفصة فلم يفعلوا .
ولما عاتبهم قالوا : « ان مروان يتقرب اليهم بهجاء آل ابي طالب فهل
تفعل ؟ » فقال : « لا » فقالوا : « فماذا نصنع ، لا تأتى الدنيا الا
بما لا يحل » ثم غلب عليه التماس الرزق ، فقال :

نشدت بحق الله من كان مسلماً أعثم بما قد قلته العجيم والعرب
أعثم رسول الله أقرب زلفه لديه أم ابن العم في رتبة النسب
وأيهما أولى به وبعهده ومن ذا له حق التراث بما وجب
فان كان عباس أحق بتلكم وكان على بعد ذاك على سبب
فأبناء عياس هم يرثونه كما العم لابن العم في الإرث قد حجب

وهي طويلة فقدموها الى الرشيد ، فأجازه عليها واتصل به من ذلك
الحين . ونجد أخباره في الاغانى ٧٣ ج ٢٠ ، والفرست ١٦٣ (*)

٢ - ابن مناذر

توفي سنة ١٩٨ هـ

هو مولى ، ويكنى أبا جعفر ، واسمه محمد بن مناذر . . شاعر فصيح
مقدم في العلم باللغة ، وامام فيها حتى أخذ عنه اكابر أهلها ، وكان في أول
أمره يتعبد ثم عدل عن ذلك ، فهجا النباس وتهتك ، وقذف أعراض
أهل البصرة حتى نفى عنها الى الحجاز ، فمات هناك

وكان ينحو نحو عدى بن زيد في شعره ويميل اليه ويقدمه . وقد مدح

(*) أنظر في مائى والمائوية وصلتهما بزنادقة العصر العباسى كتاب فجر الاسلام لاحمد امين
ودائرة المعارف الاسلامية

(**) وأنظر في ايان طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٤١ والاوراق للصولى في (اخبار الشعراء)
وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٤٤ وحديث الاربعاء الجزء الثانى ، وجولدتسيهر في كتابه دراسات
اسلامية ج ٢ ص ١٠١ وأنظر بحثا له في أعمال مؤتمر المستشرقين السابع (١٨٨٨ م) قسم
الابحاث السامية ص ١١٨ وما بعدها ودائرة المعارف الاسلامية

آل برمك وغيرهم . ولما نكب البرامكة وآلت الوزارة الى عدوهم الفضل ابن الربيع أصبح شعراء البرامكة في خطر . فأراد ابن منذر أن يتقرب الى الرشيد طلبا للرزق ، فأغتنم ذهابه الى الحج وتقدم اليه يوم التروية بفصيذة ، فلاح البشر في وجه الرشيد ، فقال الفضل بن الربيع للرشيد : « هذا شاعر البرامكة » فعبس الرشيد ، فقال الفضل : « مره أن ينشدك قوله فيهم » فأمره ، فاعتذر فألح عليه ، فأنشد القصيدة التي مطلعها :

أنا بنو الأملاك من آل برمك فياطيب أخباري ويا حسن منظر (١)

وكلها اطراء في البرامكة ، ولما فرغ منها استدرك بقوله : « كانوا اولياءك يا امير المؤمنين لما مدحتهم » فأمر الرشيد أن يلطم فلطموه وأمر فحبسوه ، وخرج لا يلوى على شيء . فلقبه أبو نواس فدفع اليه صرة فيها ٣٠٠ دينار ، وقال له : « استعن بهذه واعذرنى » ولم يعد ابن منذر يرى خيرا بعد البرامكة

وتجد أخباره في الاغانى ٩ ج ١٧ ، والشعر والشعراء ٥٥٣ (*)

٣ - الرقاشى

توفى سنة ٢٠٠ هـ

هو مولى ، واسمه الفضل بن عبد الصمد الرقاشى ، من أهل البصرة . كان سهل الشعر مطبوعا ، وكان منقطعا الى آل برمك مستغنيا بهم عن سواهم . وكانوا يصلون به على الشعراء ، ويروون أولادهم أشعاره ، ويدونونها القليل والكثير منها تعصبا له ، وحفظا لخدمته ، وتبويها باسمه ، وتحريكا لنشاطه ، فحفظ ذلك لهم ! فلما نكبوا صار اليهم في حبسهم ، فأقام معهم مدة إيمانهم ينشدهم ، ويسامرهم حتى ماتوا ، ثم رثاهم فأكثر رثاءهم . من ذلك قوله لما صلب الفضل بن يحيى واجتاز به الرقاشى وهو مصلوب على الجذع ، فوقف يبكى ، ثم قال :

أما والله لولا خوف واش وعين للخليفة لا تنام
لطفنا حول جذعك واستلمنا كما للناس بالحجر استلام
فما أبصرت قبلك يا ابن يحيى حساما حنقه السيف الحسام
على اللذات والدنيا جميعا ودولة آل برمك السلام

ونجد ترجمته في الاغانى ٣٥ ج ١٥ ، وفوات الوفيات ١٢٥ ج ٢ ،
والشعر والشعراء ٥١٥ (***)

(١) الاغانى ٢٥ ج ١٧
(*) وراجع في ابن منذر طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١١٩ والموشح للمزباني ص ٢٦٥
والبيان والتبيين للجاحظ « أنظر الفهرس وابن خلكان في ترجمة يحيى بن خالد البرمكى
(**) وانظر في الرقاشى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٢٦ وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢٤٥
والموشح ص ٢٩٨

٤ - أشجع السلمي

هو أشجع بن عمرو والسلمي من قيس، ولد باليمامة ومات أبوه فجاءت به أمه البصرة فماتت هناك. ونشأ أشجع بالبصرة، وقال الشعر وأجاد وعد من الفحول، وكان الشعر يومئذ في ربيعة واليمن. ولم يكن لقيس شاعر معدود، فلما نجم أشجع افتخرت به قيس. ثم اتصل بالبرامكة واختص بجعفر وأصفاه مدحه فأعجب به وأوصله إلى الرشيد، فأعجب به فأثرى. ومن بليغ شعره قوله في إبراهيم بن عثمان بن نهيك صاحب شرطة الرشيد وكان جبارا عبوسا:

في سيف إبراهيم خوف واقع^١ بذوى النفاق وفيه أمن المسلم
ويبيت يكلأ والعيون هو اجع^٢ مال المضيع ومهجة المستسلم
جعل الخطام بأنف كل مخالف حتى استقام له الذي لم يخطم
لا يصلح السلطان إلا شدة^٣ تغشى البريء بفضل ذنب المجرم
ومن الولاة مقحّم^٤ لا يتقى والسيف تقطر شفرتاه من الدم
منعت^٥ مهابتك النفوس حديثها بالأمر تكرهه وإن لم تعلم

وتجد أشعاره وأخباره في الاغانى ٣٠ ج ١٧، والشعر والشعراء ٥٦٢ (٥) وأكثر الشعراء مدحوا البرامكة وانتفعوا بهم، وإنما أتينا على أشهرهم في ذلك، وبعضهم يدخل في الابواب الاخرى

شعراء الشيعة

نريد بشعراء الشيعة الذين كانوا يتشيعون لآل علي ويتعصبون لهم ولو مدحوا غيرهم، وقد ترجمنا لاثنتين منهم هما السيد الحميرى ودعبل فيما سبق من شعراء هذا العصر. واليك ترجمة ثالثهم ديك الجن:

ديك الجن

المتوفى سنة ٢٣٥ هـ

اسمه عبد السلام بن رغبان، وأصله من اهل مؤتة (وقيل سلمية). وقد أسلم جده في أول الاسلام. ولد في حمص. وديك الجن لقب له، وكان شديد الشعوبية والعصبية على العرب يرد على الذين يحتقرون غير العرب بقوله: «ما للعرب علينا فضل، جمعنا وإياهم ولادة إبراهيم واسلمنا كما اسلموا» وهو شاعر مجيد يذهب مذهب أبى تمام والشاميين في شعره، وكان مقيما في حمص، ولم يبرح نواحي الشام ولا وفد إلى العراق

(٥) وراجع في أشجع طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٥١ والموشح ص ٢٩٥ وتاريخ بغداد ج ٧ ص ٤٥ والاوراق للصولي (أخبار الشعراء) ومعاهد التنصيص ج ٢ ص ١٣٣

ولا الى غيره منتجما بشعره ولا متصديا لاحد ، وهذا نادر في شعراء ذلك العصر . وكان يتشيع لآل البيت وله مراث كثيرة في الحسين بن علي ، كان بعضها مشهورا عند الخاص والعام يناج به . وكان مع ذلك خليعا ماجنا منعكفا على القصف واللغو متلافا لما ورث عن آبائه وما اكتسبه بشعره من احمد وجعفر ابني علي الهاشميين . ومن أقواله في الخلاعة والغزل قصيدة مطلعها :

مولاتنا يا غلام متسكره فباكر الكاس لي بلا نَظْرَه
وعشوق جارية نصرانية من أهل حمص اسمها وردة حملها على الاسلام
وتزوجها وله فيها تشبيب ، منه قوله :

انظر إلى شمس القصور وبدرها وإلى خَزْأماها وبهجة زهرها
لم تبك عينك أبيضاً في أسودٍ جمع الجمال كوجهها في شعرها
وردية الوجنات يختبر اسمها من ريقها من لا يحيط بخبثها
وتمايلت فضحكت من أردافها عجا ولكني بكيت لخصرها
تسقيك كأس مدامة من كفها وردية ومدامة من ثغرها

ودخل بعض أقربائه بينه وبينها واتهمها بحب رجل آخر ، واحتال حتى صدق ديك الجن التهمة وهي افتراء ، وقتلها على غضب ثم عرف انها بريئة فنظم في رثائها :

يا طلعة طلع الحمام عليها وجنى لها ثمر الربدى بيديها
رويت من دمها الثرى ولطائنا روى الهوى شفتي من شفثيها
قد بات سيفي في مجال وشاحها ومدامعي تجرى على خديها
فوحق نعليها وما وطء الحصى شيء أعز علي من نعليها
ما كان قتلها لأنى لم أكن أبكى إذا سقط الذباب عليها
لكن ضننت على العيون بحسنها وأنفت من نظر الحسود اليها

وبعضهم ينسب هذه الأبيات لغير ديك الجن . واحسن نظمه بعد ذلك فيها وكله جيد ، على انه كان مجيدا في الرثاء حتى فضلوه فيه على ابي تمام (١) . وتجد أخباره في الاغانى ١٤١ ج ١٢ ، وابن خلكان ٢٩٣ ج ١ والدميري ٣١٦ ج ١ . (*)

شعراء سائر الامراء

وهناك طبقة من شعراء القصر العباسي الاول انقطع كل منهم الى أمير أو

(١) العمدة ١١٦ ج ٢ (*) وانظر في ديك الجن دائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

وزير او كبير ، أشهرهم على بن جبلة المعروف بالعكوك انقطع لابي دلف ،
ومطيع بن اياس انقطع لجعفر بن المنصور ، وأبو الشيص لعقبة بن جعفر
ابن الأشعث . وهذه تراجمهم :

١ - مطيع بن اياس

هو عربي الأصل يرجع نسبه الى كنانة ، وقد عاصر الدولتين الاموية
والعباسية . وكان ماجنا خليعا ظريفا مليح النادرة متهما بالزندقة . ولد
ونشأ في الكوفة وانقطع لجعفر بن ابي جعفر المنصور ومدح قليلين غيره .
وهو من طبقة كانت في صدر الدولة العباسية قبل ابي نواس وأبي العتاهية
ادركوا المنصور ، وهو لا يقبل على الشعراء ، وكانوا ثلاثة هم : مطيع ،
وحمد عجرد ، ويحيى بن زياد ، فكانوا يتذكرون أيام بنى أمية وكثرة
الخير فيها وما هم فيه ببغداد من القحط أيام المنصور . وقد نظم مطيع
في ذلك شعرا منه قوله :

حَبَّذا عيشنا الذي زال عنا حَبَّذا ذاك حين لا حَبَّذا ذا
أين هذا من ذلك سَقِيًّا لهذا ك ولسنا نقول سَقِيًّا لهذا
زاد هذا الزمان عسراً وشرًّا عندنا إذ أحكنا بَعْدَذاذا
بلدة تمطر التراب على النبا س كما تمطر السماء الرذاذا
خَرَبَتْ عاجلاً وأخرب ذو العرش بأعمال أهلها كلواذا
وكانوا يتهتكون في تعشق الفلمان ، ولعلمهم أقدم من فعل ذلك من
الشعراء . وفي الأغاني حديث عنهم ، نخجل من ذكره ، يدل على مقدار
تهتكهم في ذلك العصر . ولمطيع قصيدة عامرة يمدح بها معن بن زائدة مطلعها :
أهلاً وسهلاً بسيد العرب ذي العُرُورِ الواضحات والتعجب
ففى نزارٍ وكهلها وأخى ال جود حَوَى غايتيه من كَتَبِ
وترى أخباره في الاغاني ٧٨ ج ١٢ و ٨٥ ج ١٣ و ٨٦ ج ٢١ (*)

٢ - أبو الشيص

توفي سنة ١٩٦ هـ

هو ابو جعفر محمد بن رزين من اليمانية . وهو عم دهميل الشاعر المشهور
وقد تقدمت ترجمته . وكان أبو الشيص من شعراء عصره متوسط المحل

(*) وراجع في مطيع طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٩٤ والحيوان للجاحظ (طبع الحلبي)
ج ٤ ص ٤٤٧ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٢٦ ولسان الميزان ج ٦ ص ٥١ وأمالى المرتضى (طبع
الحلبي) ج ١ ص ١١٤٢ وابن خلكان في ترجمة يزيد بن مريد ، وكذلك أنظر حديث الأربعماء ،
الجزء الثاني

فيهم غير نبيه الذكر لوقوعه بين مسلم بن الوليد واشجع وأبي نواس ، فحمل ، وانقطع الى عقبه بن جعفر بن الأشعث الخزاعي ، وكان أميراً على الرقة فمدحه بأكثر شعره وقلما يروى له في غيره . وكان عقبه جواداً فأغناه عن غيره ، لأنه كان يعطيه من كل بيت ألف درهم . وكان من وصافي الخمر وله مقدرة على الغزل . وأصيب آخر عمره بالعمى فنظم الشعر في بكاء عينيه ، فمن ذلك قوله :

يا نفس أبكى بأدمع هتئنا
على دليلي وقائدي ويدي
وواكف كالجثمان في سنن
ونور وجهي وسائس البدن
أبكى عليها بها مخافة أن
تقرنني والظلام في قرن
ومن أقواله في الغزال :

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي متأخر^١ عنه ولا متقدم^٢
أجد الملامة في هواك لذيدة^٣ جاء لذكرك فليمنني اللوم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذ كان حظي منك حظي منهم^٤
وأهنتني فأهنت نفسي صاغراً ما من يهون عليك ممن أكرم^٥
وهومما يتننى به .. وقد سرق أبو نواس معنى البيت الاول ، فنظمه في قوله :

فما جازه جود^٦ ولا حل^٧ دونه^٨ ولكن يسير الجود حيث يسير
وسرق آخرون معنى البيت الثاني ، فقال بعض المفاربة :

هددت^٩ بالسلطان فيك وإنما أخشى صدودك لا من السلطان
أجد اللذادة في الملام فلو درى أخذ الرمشا مني الذي يلحاني
وتجد أخباره في الاغانى ١٠٨ ج ١٥ ، وفوات الوفيات ٢٢٥ ج ٢ ،
والشعر والشعراء ٥٣٥ ، والفهرست ١٦١ (*)

٣ - العكوك

توفى سنة ٢١٣ هـ

أسمه علي بن جبلة الأنباري والعكوك لقبه ، وهو من الموالى أبناء الشيعة الخراسانية من أهل بغداد .. ولد في الحربية منها ونشأ فيها ، وكان ضريراً منذ ولادته مثل بشار بن برد . وهو شاعر مطبوع عذب اللفظ جزله

(*) وراجع في أبي الشيبس طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٧٢ وتكت الهميان ص ٢٥٧ وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٤٠١ ومما عهد التنصيص ج ٢ ص ١٤٢ وابن خلكان في ترجمة يزيد بن مزيد

لطيف المعاني حسن التصرف . وقد استنفذ شعره في مدح ابي دلف العجلي ، و ابي غانم حميد بن عبد الحميد الطوسي ، وزاد في تفضيلهما وتفضيل ابي دلف خاصة حتى فضل ربيعة على مضر فاستاء المأمون من ذلك ، وبلغه أبيات قالها العكوك في ابي دلف منها :

كل من في الأرض من عربٍ بين بساديه إلى حضره
مستعيرٌ منك مكرمةٌ يكتسبها يومَ مُفتخرة
فغضب المأمون وطلبه وسل لسانه من قفاه . ويقال بل هرب ولم يزل متواريا حتى مات . وسبب معرفة العكوك بأبي دلف طلب الرزق ، فقد بلغه أن الناس يقصدونه لجوده فقصده بقصيدة مدحه بها وهي أربعون بيتا في جملتها البيتان المتقدمان وهو أبرص أسود . وله في الغزل قوله :

بأبي من زارني مستترا خائفاً من كل شيء جزعا
زائراً نمّ عليه حسنه كيف يخفي الليل بدرأ طلعا
رصد الغفلة حتى أمكنت ورعى السامر حتى هجعا
ركب الأهوال في زورته ثم ما سلم حتى ودعا

وأخبار العكوك كثيرة وقد ذكرنا مدحه أبا دلف في أمثلة البالغة وتجد أكثر أخباره في الاغانى ١٠٠ ج ١٨ ، وابن خلكان ٣٤٨ ج ١ ، والشعر والشعراء ٥٥٠ (*)

وهاك أهم الذين انقطعوا لمدح الامراء غير من تقدم ذكرهم . وبجانب اسم كل منهم المصدر الذي يرجع اليه في مطالعة أخباره :

٤ - ابراهيم بن سيابة ، مدح ابراهيم الموصلى المكنى . أخباره بالاغانى ٦ ج ١١

٥ - محمد بن أمية وأخوه على ، مدحا ابراهيم بن المهدي . أخبارهما بالاغانى ٣٢ ج ١١ و ٦٣ ج ٢٠

٦ - محمد بن صالح ، مدح ابن المدبر . أخباره بالاغانى ٨٨ ج ١٥ و ٢٢٠ فوات ٢

شعراء لم يتكسبوا بالشعر

كل من تقدم ذكرهم انما كانوا يرتزقون بالشعر مدحا أو هجاء أو نحو ذلك مثل سائر شعراء ذلك العصر وغيره ، وقليل فيهم من لم يتكسب بالشعر أى يجعله بابا للرزق . ومن هذا القليل في العصر العباسى الاول صالح بن عبد القدوس ، والعباس بن الاحنف ، ومحمد بن يسير الرياشى

(*) وانظر في العكوك طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٧١ ونكت الهميان ص ٢٠٩ وتاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٥٩ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٠ وأمالى المرتضى (انظر الفهرس)

١ - صالح بن عبد القدوس

توفي سنة ١٦٧

هو صالح بن عبد القدوس بن عبدالله بن عبد القدوس من حكماء الشعراء متهم بالزندقة ، قوى الحجّة له منزلة كبرى عند أهل مذهبه . نشأ في البصرة ، وكان يقص على الناس ويعظهم . وبلغ المهدي خبر زندقته ، فبعث إليه يستقدمه من دمشق ، وكان قد رحل إليها وهو شيخ طاعن في السن . فلما جاء بغداد ومثل بين يدي المهدي ، قال له المهدي ألسنت القائل :

والشيخ لا يترك أخلاقه حنى يوارى في ثرى رمسه

قال : « بلى يا أمير المؤمنين » . قال : « وانت لا تترك أخلاقك حتى تموت » فأمر به فقتل وصلب على جسر بغداد سنة ١٦٧ هـ . وأكثر أشعاره في الحكم الفلسفية . ومن أحسن أقواله القصيدة التي منها ذلك البيت . وهو يقول فيها :

لا يبلغ الأعداء من جاهلٍ ما يبلغ الجاهل من نفسه
والشيخ لا يترك أخلاقه حتى يوارى في ثرى رمسه
إذا ارعوى عاد إلى جهله كذا الضئى عاد إلى نكسه
وإن من أدبته في الصبّا كالعود يسقى الماء في غرسه
حنى تراه مورقاً ناضراً بعد الذى أبصرت من يئسه
وقوله :

لا يعجبك من يظون ثيابه حذر الغبار وعرضة مبدول
ولربما افتقر الفتى فرأيته دنس الثياب وعرضه مغسول
وكان فيه ميل الى العزلة والانقطاع عن الناس شأن الفلاسفة ، ومن قوله :

أنست بوحدتى ولزمت بيتى فتم العزى لى ونمّا السرور
وأدبني الزمان فليت أئى هجرت فلا أزار ولا أزور
ولست بقائل ما دمت حيّاً أقام الحنن أم نزل الأمير
وله قصيدة حكمية أخلاقية بديعة مطلعها :

المرء يجمع والزمان يفرق ويظل يرفع والخطوات تمزق
وترى أكثر أخباره في فوات الوفيات ١٩١ ج ١ والدميرى ٢٦ ج ١ (*)

(*) وراجع في صالح طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٩٠ وتكت الهميان ص ١٧١ ومعجم الأدباء وتاريخ بغداد ج ٩ ص ٣٠٢ وتهذيب ابن مساكين ج ٦ ص ٢٧١ والحيوان والبيان والتبيين (انظر الفهارس) وأمالى المرتضى ج ١ ص ١٤٤ ونيكلسون ص ٢٧٢ وما بعدها ودائرة المعارف الإسلامية

٢ - العباس بن الاحنف

توفي سنة ١٩٢ هـ

هو عربي شريف النسب لم يتكسب بالشعر ، وانما كان ينظم ما يجيش في خاطره ، وأكثره في الغزل ولم يتجاوزه الى مديح أو هجاء . وله مذهب حسن ولديباحة شعره رونق ولعانيه عدوية ولطف . ولولا حذقه وسعة خياله لم يقدر أن يكثر من النظم في مذهب واحد لا يتجاوزه . ويندر ذلك في الشعراء قديما وحديثا وله ديوان طبع مع ديوان ابن مطروح بالاستانة سنة ١٢٩٨ هـ ، ولشعره الغزلي وقع في النفس فانهم كانوا يفنون كثيرا منه كقوله :

لا جزى الله دمعَ عينيَ خيراً وجزى الله كلَّ خيرٍ لساني
نمَّ دمعى فليس يكتُمُ شيئاً ورأيت اللسانَ ذا كتمان
كنت مثلَ الكتابِ أخفاه طيًّا فاستدلوا عليه بالعنوان
وقوله :

لو كنت عاتبةً لسكنتَ روعتى أملى رضاكٍ وزرتَ غيرَ مراقبٍ
لكن ملكتَ فلم تكن لى حيلةً صدُّ الملولِ خلافَ صدِّ العاتبِ
وقوله :

أأأذنون لصبٍ في زيارتكم فعندكم شهواتُ السمع والبصرِ
لا يضمنُ السوءَ إن طال الجلوسُ به عَفَّ الضميرُ ولكن فاسقُ النظرِ
وتجد أخباره وأشعاره في الاغانى ١٥ ج ٨ ، وابن خلكان ٢٤٥ ج ١ ،
والشعر والشعراء ٥٢٥ (*)

٣ - محمد بن يسير الرياشي

هو من الشعراء الموالي غير محمد بن بشير الخارجي . أما الرياشي فانه شاعر ظريف من أهل البصرة لم يفارقها ، ولا وقد على خليفة ولا شريف منتجعاً ، ولا تجاوز بلده . وكان ماجنا هجاء خبيثاً . وله في الهجاء قصيدة وصفية هجا بها شاة دخلت بستانه وفيه بقل من غرسه فأكلته ، ثم دخلت داره فلم تجد فيها غير القراطيس وفيها شعره فأكلتها وخرجت ، فنظم في ذلك قصيدة طويلة (١) مطلعها :

(*) وراجع طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٥٤ وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٢٧ والموسم ص ٢٩٠ ومعجم الأدباء لياقوت ومساعد التتبع ص ١ ص ٢٠ وبلدات الذهب ج ١ ص ٢٢٤ (١) الاغانى ١٣٠ ج ١٢

لىَ بسستان" أنيق" زاهر فاضر الخضرة ريان" تَرَف

وأحسن في وصف الشاة وحركاتها ، ويتخلل ذلك مجون لطيف . وأكثر قصائده على هذا الاسلوب ، منها قصيدة وصف بها فراخا (١) مطلعها :

ياربُّ ربِّ الرائحين عشيةً بالقوم بين منىً وبين تبيرٍ

وهي طويلة ، وفيها مجون . . وأكثر نظمه من هذا النوع . وتجد أخباره في الأغاني ١٢٩ ج ١٢ (*)

شعراء لم يتحضروا

أما الشعراء الذين ظلوا على بداوتهم أو لم يقيموا في بغداد ، بل كانوا يفدون على الخلفاء أو الامراء ، ثم يرجعون الى البادية فهم أقل كثيرا من الذين تحضروا ، أشهرهم :

١ - كلثوم بن عمرو العتابي

توفي سنة ٢٢٠ هـ

أصله من قنسرين ، مدح البرامكة وطاهر بن الحسين . وكان حسن الاعتدال في شعره ورسائله ، وله مصنفات في المنطق والادب واللغة ، وكان يقيم في (رأس عين) بعيدا عن دور الخلفاء والامراء . وبلغ الرشيد قصيدة قالها فأعجب بها فطلب أشخاصه اليه ، فجاء وعليه قميص غليظ وفروة وخف وعلى كتفه ملحفة جافية بغير سراويل . فلما رفع الخبر بقدمه الى الرشيد ، أمر بأن تفرش له حجرة وتقام له وظيفة ففعلوا . فكانت المائدة اذا قدمت اليه أخذ منها رقاقة وملحا ، وخلط الملح بالتراب فأكله بها . فاذا كان وقت النوم نام على الارض والخدم يتفقدونه ويتعجبون من فعله ، وسأل الرشيد عنه فأخبروه بأمره فأمر بطرده ، فخرج حتى أتى يحيى بن سعيد العقيلي وهو في منزله ، فسلم عليه وانتسب له ، فرحب به ، وقال له : « ارتفع » فقال : « لم آت لك للجلوس » قال : « فما حاجتك ؟ » قال : « دابة أبلغ عليها الى رأس عين » فقال : « ياغلام اعطه الفرس الفلاني » فقال : « لا حاجة لي في ذلك ، ولكن تأمر أن تشتري لي دابة أبلغ عليها » فقال لفلانته : « امض معه فابتع له ما يريد » فمضى به فعدل العتابي الى سوق الحمير ، فقال الغلام : « انما أمرني أن أبتاع لك دابة » فقال له : « انه أرسلك معي ولم يرسلني معك فان عملت ما أريد والا انصرف » فمضى معه فاشتري حمارا بمائة وخمسين درهما وقال : « ادفع اليه ثمنه » فدفع اليه فركب الحمار عريا بمرشحة عليه وبرذعة وسباقاه

(١) الاغانى ١٢٥ ج ١٢ (*) وانظر ترجمته في طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٨٠ وكتاب الورقة (طبع دار المعارف) ص ١١٢ والشعر والشعراء والموشح للمرزباني ص ٢٩٩

مكشوفتان ، فقال له يحيى بن سعيد : « فضحتنى ، امثلى يعمل مثلك ، على هذا ؟ » فضحك وقال : « ما رأيت قدرك يستوجب أكثر من ذلك » ومضى الى رأس عين . وكانت امرأته من باهلة فلامته وقالت : « هذا منصور النمري (تلميذك وراويتك) قد أخذ الأموال فحلى نساءه وبنى داره واشترى ضياعا وانت ههنا كما ترى » فأشدد يقول :

تلوم على ترك العنى باهليسة زوى الفقر عنها كل طرفٍ وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن في الثري مقلدة أعناقها بالقلائد
أسرك أنى نلت ما نال جعفر من العيش أو ما نال يحيى بن خالد
وأن أمير المؤمنين أغصنى مغمصهما بالمرهفات البوارد
دعنى تجتنى ميتتى مطمئنة ولم أتجشم هول تلك الموارد
ويرى صاحب الاغانى اضطرابا في هذا الخبر . على انه كان يفد على
الخلفاء والامراء وينال جوائزهم . وهو أستاذ منصور النمري . أخباره في
الاجانى ٢ ج ١٢ ، وقوات الوفيات ١٣٩ ج ٢ . (*)

٢ - ربيعة الرقى

هو ربيعة بن ثابت الانصارى ، ولد في الرقة ونشأ بها وكان شاعرا مطبوعا . وهو ضريب مثل بشار ، وكان منقطعا عن الحضارة بعيدا عن مجالسة الخلفاء فأخمل ذكره بسبب ذلك . لكنهم كانوا يستقدمونه اليهم ، وأول من فعل ذلك المهدي فمدحه ونال جوائزه . وكان ابن المعتز يرى ربيعة أشعر غزلا من أبى نواس لأن في غزل أبى نواس بردا كثيرا ، وغزل هذا سليم عذب سهل ، ولذلك فان شهرته بلغت الى بلاط الخليفة ، وكان يمدح غير الخلفاء وينال جوائزهم ويعود الى بلده . وان قصر أحد في عطائه هجاه ، وله في ذلك حديث مع العباس بن محمد بن على من أمراء بنى العباس ، وذلك أن الرقى مدحه بقصيدة مطلعها :

لو قيل للعباس يا ابن محمد قل « لا » وأنت مخلد ما قالها
ما إن أعد من المكارم خصلة إلا وجدتك عمها أو خالها
وإذا الملوك تسايروا في بلدة كانوا كواكبها وكنت هلالها
إن المكارم لم تزل معقولة حتى حلت براحتك عقالها
فبعث اليه العباس دينارين وهو يتوقع أن يعطيه ألفى دينار ، فأعطى

(*) وراجع في العتابى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٦١ ومعجم الشعراء ص ٣٥١ وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٤٨٨ ومعجم الادباء في كلثوم بن عمرو والموشح ص ٢٦٣ والشعر والشعراء لابن قتيبة ص ٥٤٩ والبيان والتبيين والحيوان للجاحظ (انظر الفهارس)

الدينارين الى الرسول على أن يوصل اليه رقعة كتب فيها :

مدحتك مدحة سيف المحدثى لتجرى في الكرام كما جريت
فهنبا مدحة ذهبته ضياء كذبت عليك فيها وافترت
فأنت المرء ليس له وفاء كأنى إذ مدحتك قد زنت

فغضب العباس وشكاه الى الرشيد فأحضره الرشيد ، وهم بقصاصه ،
فقص عليه الحديث . فلما اطلع الرشيد على الحقيقة احتقر العباس ، وكان
ينوى أن يزوجه ابنته فتغير عليه وأمر للرقى بثلاثين ألف درهم وبغلة ،
وأوصاه ألا يذكر العباس تعريضا ولا تصريحاً . واتفق للرقى أيضا مثل
ذلك مع معن بن زائدة ، وقد لقيه فى بعض قدماته الى العراق ، فمدحه ،
فلم يهش له ، فهجاه بقصيدة مطلعها :

معن يا معن يا ابن زائدة الكلب الذى فى الذراع لا فى البنان
لا تفاخر اذا فخرت بأباك وافخر بعمك الحوقزان

ومن غزله أبيات يفتى بها وهى :

وتزعم أنى قد تبدلت خلة سواها وهذا الباطل المنقول
لحى الله من باع الصديق بغيره فقالت نعم حاشاك إن تك تفعل
ستصرم إنسانا إذا ما صرمتنى بحبك فانظر بعده من تبدل

وتجد أخباره فى الاغانى ٣٨ ج ١٥ ، وخرانة الادب ٥٥ ج ٣ (*)

٣ - عمارة بن عقيل : هو من الشعراء البدوى فى هذا العصر ، حفيد جريب
الشاعر المشهور . وهو شاعر مقدم فصيح كان يسكن بادية البصرة ويؤور
الخلفاء العباسيين فيجزلون صلته ويمدح قوادهم فيحظى بكل فائدة .
وكان النحويون بالبصرة يأخذون عنه . وتجد أخباره فى الاغانى ١٣٨ ج ٢٠ ،
وطبقات الادباء ٢٣٣

٤ - ناهض بن ثومة : هو من عامر ، شاعر بدوى فارس فصيح كان
يقدم البصرة فيكتب عنه شعره وتؤخذ عنه اللفظة . وأخباره فى الاغانى
٣٣ ج ١٢

وهناك شعراء كثيرون لم تبلغنا أخبارهم لانهم قضوا حياتهم فى البادية
ولم يقدوا على أحد . ناهيك بمن نظم الشعر من غير الشعراء وفيهم طائفة
من اللغويين والنحاة والفقهاء والمحدثين ، حتى الوزراء والخلفاء والولاة
والخدم والنساء وغيرهم ممن جمعت أشعارهم فى ذلك العصر ، وبقي كثير

(*) وانظر فى ترجمة ربيعة الرقى طبقات الشعراء لابن المعتز ص ١٥٧ ونكت الهميان ص
١٥٤ ومعجم الادباء لياقوت وابن خلكان فى ترجمة يزيد بن حاتم بن قبيصة ودوح بن حاتم

منها الى اواسط القرن الرابع . فقد ذكر ابن النديم في الفهرست مئات من أولئك الشعراء ، فيهم من الشعراء الكتاب بضع مئات وعدة أسر ، تسلسل الشعر في أعقابها كال أبي أمية ، وآل اللاهثي ، وآل أبي عيينة المهلبى ، وآل المعدل ، وآل أبي العتاهية ، وطائفة من النساء . وذكر ابن النديم لبعض الشعراء مقدار ما خلفوه من الشعر بعدد الورق . بتقدير الورقة صفحتين ، في كل منهما عشرون سطراً ، فذكر نحو مائة شاعر منهم بشار له ألف ورقة ، وأبو نواس ٨٠٠ ورقة ، وابن هرمة ٥٠٠ ورقة ، وغيرهم ٣٠٠ وأقل الى ٥٠ أو ٢٠ ورقة على ما كان معروفاً في عصره بأواسط القرن الرابع . ولم يبق من ذلك الى اليوم الا القليل ، فمن اراد مراجعة قائمة ابن النديم فهي تبدأ بصفحة ١٥٩ من الفهرست

العلوم اللسانية

الادب والادباء وعلم الادب

اختلف العلماء في تعريف الادب وتحديدده . اما علم الادب فيشتمل في اصطلاحهم على أكثر علوم العربية ، كالنحو واللغة والتصريف والعروض والقوافي وصناعة الشعر وأخبار العرب وأنسابهم . وصاحب هذه العلوم أو أحدها كانوا يسمىـمونـه « أديب » (١) . وقالوا الفرق بين الأديب والعالم ان الأديب يأخذ من كل شيء أحسنه فيألفه ، والعالم من يقصد لفن من العلم فيتقنه (٢) . ولكن التعريف الأول أقرب الى المراد ، ولذلك جعلوا الغاية من علم الادب الاجادة في فنى المنثور والمنظوم . وقد شاعت هذه التسمية قبل أن تتميز هذه العلوم ويستقل بعضها عن بعض . وكانت في أول أمرها مختلطة متشابهة ، ثم استقلت بالتدرج وتفرعت وصار كل منها علما ، له احكام مستقلة جريا على سنة النشوء والارتقاء .

فكان المراد بالادب في أول الاسلام جمع أقوال العرب وأشعارهم وأخبارهم وأمثالهم للاستعانة بها على تفسير القرآن الكريم وضبط ألفاظه وتفهم أساليبه . . أخذوا بذلك من القرن الأول للهجرة . وكان ابن عباس يقول : « اذا قرأتم شيئا من كتاب الله لم تعرفوه فاطلبوه في أشعار العرب لأن الشعر ديوان العرب » (٣)

ثم وضع أبو الاسود الدؤلى النحو لضبط المعانى كما تقدم ، فزادت الحاجة الى جمع أقوال العرب وأشعارهم للاستنبهاد بها في الأعراب والتصريف . واهتمت الدولة الاموية باحياء لغة العرب وآدابها ، وأخذ خلفاؤها في حفظ الآداب الجاهلية ، فجعلوا يقربون الذين يحفظونها أو ينقلونها أو يروونها ويبدلون لهم العطاء

الادباء في الدولة العباسية

وظلت الرغبة في اللغة وأدبها متصلة بالدولة العباسية ولا سيما في عصرها الأول ، لرغبة خلفائها الأولين ووزرائها البرامكة في العلم والادب والشعر . ولم تكن رغبتهم مقصورة على الشعر ، ولكنهم نشطوا الادب على الاجمال . واستقدموا الادباء من الكوفة والبصرة للسمع أو لتعليم أبنائهم اللغة والنحو

(٣) العمدة ١١ ج ٧

(٢) معجم الادباء ١٧ ج ١

(١) طبقات الادباء ١١٧

والشعر . فالمنصور استقدم شرقى القطامى ليعلم ابنه المهدي الادب والنسب (١) . فشب المهدي على حب الادب والادباء فألف له المفضل الضبي المفضليات . وكثيرا ما كان يعقد المجالس للمناظرة بين الادباء في النحو أو اللغة يحضرها الكسائي واليزيدي وغيرهما (٢) ثم عهد الى الكسائي بتعليم ابنه هارون (الرشيد) في حديث لطيف يدل على عناية المهدي باللغة (٣)

فلما صارت الخلافة الى الرشيد نشأ على احترام أستاذه حتى كان يجلسه على كرسي في حضرته ، وبأمره الا ينزعج لهضته (٤) وعهد اليه بتعليم ابنه الامين . وكان الرشيد شديد الرغبة في سماع مناظرات الادباء ، فكان يعقد المجالس للمناظرة بين الاصمعي وأبي عبيدة (٥) أو يدعو أحد الرواة إذا أرق أو ضجر ليقص عليه اخبار العرب . . فإذا سره حديثه أجزل عطاءه وأبلغه الى مائة ألف درهم أو نحوها فضلا عن الهدايا وغيرها ، وقد يجادله أو ينتقده مما يشف عن علم ومعرفة (٧) . وكان الرشيد يحب أن يكون محاطا بالادباء والشعراء حتى في دار النساء ، فكان يؤثر الجواري المتعلمات ويعرضهن على الاصمعي أو غيره ليمتحنهن ويعلم درجتهن . معارفهن (٨) . واعتبر ذلك أيضا في الوزراء والامراء ، فالبرامكة تنشيطهم للادب أشهر من أن يذكر . والففضل بن الربيع فاضل بين الاصمعي وأبي عبيدة (٩) أما الامراء فكانوا يقتدون بالخلفاء في تقريب أهل الادب

وكان العرب في الصدر الاول مشتغلين عن الادب بالسياسة أو الشعر أو الخطابة ، وهم في غنى عن الاستشهاد في ضبط كلامهم أو قراءتهم لاستغنائهم بملكتهم الفطرية عن تعلم القواعد وحفظ الالفاظ . وكان الاعاجم الذين دخلوا الاسلام من أهل فارس والعراق وخراسان بالولاء أو بالخدمة يفتقرون في تعلم العربية الى قواعد وشواهد لأنها ليست لغتهم . وأكثرهم مع ذلك أهل فاقة يلتمسون الرزق ، فتوافدوا للاشتغال بالادب على البصرة والكوفة لأنهما على حدود البادية أو هما واسطة الاتصال بين الحضارة والبداءة . وزاد توافدهم في الدولة العباسية لأنها جعلت قصبتها في العراق على مقربة من هذين البلدين ، وفيهما جماعة كبيرة من قبائل العرب تزولهما في صدر الاسلام وأنزلوا مواليهم معهم . . فنبت من هؤلاء الموالي طائفة من الادباء كان لهم فضل كبير على آداب اللغة وأكثرهم من موالي بني أسد النازلين بجوار الكوفة وغيرهم بجوار البصرة

فمن أولئك الادباء جماعة اشتغلوا بجمع الاشعار والاخبار والامثال ونحوها ، وسمعوا الرواة لانهم يروون ما سمعوه . وكانوا يأخذون ذلك عن عرب البادية الذين لم يخالط لسانهم العجمة ممن كانت قريش تتخير الفاظهم وأساليبهم . وأكثر ما نقلوه عن قبائل قيس وتميم وأسد والثقات

- | | | |
|-----------------------|-----------------------|-----------------------|
| (١) طبقات الادباء | (٢) الاماني ٧٦ ج ١٨ | (٣) طبقات الادباء ٨٧ |
| (٤) الزهر ٢١١ ج ٢ | (٥) طبقات الادباء ١٤٥ | (٦) طبقات الادباء ١٦٢ |
| (٧) ابن خلدون ٥٠٩ ج ١ | (٨) طبقات الادباء ١٥٧ | (٩) طبقات الادباء ١٦١ |

من الرواة . ثم قبيلة هذيل وبعض كنانة وبعض طيء . ولم يأخذوا شيئاً عن الحضرة ولا من البدو المجاورين ، فلم يأخذوا من لخم وجرهم لمجاورتهم أهل مصر ، ولا من قضاة وغسان وأبياد لمجاورتهم أهل الشام وأكثرهم نصارى يقرأون العبرانية والسريانية ، ولا من بكر لمجاورتهم النبط والفرس ، ولا من عبد القيس والازد وعمان لأنهم كانوا بالبحرين يخالطون الهند والفرس ، ولا من أهل اليمن لمخالطتهم الهند والحبشة ، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة ، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن ، ولا من حاضرة الحجاز لان الذين نقلوا اللغة صادفهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب وقد خالطوا غيرهم من الامم وفسدت السنتهم

فأهل البصرة والكوفة هم رواة اللغة وواضعو أساس آدابها وعلومها . وكانوا يركبون في طلب ذلك الى البادية ، يحادثون العرب ويستطلعون أخبارهم وأشعارهم ويعودون بها الى البصرة . وكان أولئك العرب في أول الامر لا يرون بأساً من املاء ما يعرفونه ولا يطلبون عن ذلك اجرا . ثم علموا ان الرواة يرتزقون بما يأخذونه عنهم فصاروا يطلبون به مالا . ثم صار الفصحاء من العرب يتوافدون هم أنفسهم على البصرة يقيمون فيها أو في ضواحيها ، تخفيفاً لمشاق الرحلة على الرواة وتسابقاً الى التكبسب من املاء ما يعرفونه من اللغة أو الشعر . وربما كان الراوي لا يكتفى بالأخذ عن الوافدين فيرحل الى البادية ليأخذ عن أهلها . بدأوا بذلك من أواخر العصر الاموي وتكاثر الرواة والوافدون في الدولة العباسية الى البصرة وبغداد . . وكان أكثر وفودهم في العصر العباسي الاول أولا الى البصرة ، فأصبحت خاصة بالادباء والرواة والشعراء والفصحاء وغيرهم

الفصحاء الذين نقل الرواة عنهم

- فمن الفصحاء الذين أخذ عنهم الرواة في ذلك العصر أو حواليه :
- ١ - أبو البيداء الرياحي : اعرابي نزل البصرة ، وكان يعلم الصبيان بأجرة وأقام بها عمره يؤخذ عنه العلم
 - ٢ - أبو مالك عمرو بن كركرة : اعرابي كان يعلم في البادية ويورق في الحضرة ، وكان يحفظ اللغة
 - ٣ - أبو عراب : اعرابي من بني عجل ، فصيح يقرب من ابي مالك في معرفة اللغة
 - ٤ - أبو زياد الكلابي : اعرابي بدوي ، قدم بغداد أيام المهدي
 - ٥ - أبو سوار الغنوي : كان فصيحاً ، وأخذ عنه أبو عبيدة
 - ٦ - أبو الجاموس ثور بن يزيد : اعرابي كان يفد على آل سليمان بن علي ، وعنه أخذ ابن المقفع الفصاحة
 - ٧ - أبو الشمخ : اعرابي بدوي ، نزل الحيرة
 - ٨ - شبيل بن عرعة الضبعي : من خطباء الخوارج وعلمائهم ، مات بالبصرة

- ٩ - أبو عدنان : وهو أبو عبد الرحمن عبد الأعلى ، كان راوية أبي
البيداء الرياحي
- ١٠ - أبو ثوابة الاسدي : اعرابي روى عنه الاموي
- ١١ - أبو خيرة نهشل بن زيد : اعرابي بدوي من بني عدى نزل الحيرة
- ١٢ - أبو شبل العقيلي : اعرابي فصيح ، وفد على الرشيد واتصل
بالبرامكة
- ١٣ - نصر بن مضر : من بني أسد
- ١٤ - أبو محلم الشيباني : اعرابي من أعلم الناس بالشعر واللفظة ، كان
يغلظ طبعه ويفخم كلامه ويعرب منطقه
- ١٥ - أبو مهدية : اعرابي صاحب غريب يروى عنه البصريون
- ١٦ - أبو مسحل : اعرابي حضر بغداد وافدا على الحسن بن سهل
- ١٧ - الوحشى العكلي : اعرابي فصيح كان يعلم في البادية
- ١٨ - أبو ضمضم الكلابي : وفد على الحسن بن سهل
- ١٩ - البهدلي : كان راجزا فصيحاً راوية وعنه أخذ الاصمعي
- ٢٠ - جهم بن خلف المازني : عاصر خلفا والاصمعي
- ٢١ - الجرمازي : اعرابي بدوي قدم البصرة
- ٢٢ - أبو العميثل : اعرابي كان يؤدب ولد عبدالله بن طاهر في خراسان
- ٢٣ - الفقعسي : راوية بني أسد وصاحب مآثرها وأخبارها أدرك
المنصور ، ومن بعده ، وعنه أخذ العلماء مآثر بني أسد
- ٢٤ - ابن أبي صبيح : اعرابي بدوي نزل بغداد ومات بها ، أخذ عنه
العلماء
- ٢٥ - ربيعة البصري : بدوي تحضر ، وكان راوية

وقد ذكر صاحب الفهرست عشرات من الفصحاء لا فائدة من إيراد
أسمائهم ، (١) ولبعض من تحضر من هؤلاء الاعراب كتب ألفوها في اللغة
أكثرها في النوادر والغريب والفروق وكتب الخيل والابل والحشرات وخلق
الإنسان لم يصلنا منها شيء

الرواة الذين نقلوا عنهم

أما الرواة الذين أخذوا عن أولئك الفصحاء بالبصرة أو رحلوا في طلب
اللغة الى البادية فأكثرهم من الموالى منهم :

١ - اللحياني غلام الكسائي : لقي العلماء الفصحاء من الاعراب ، وعنه
أخذ أبو عبيد القاسم بن سلام

٢ - الاموى : هو عبدالله بن سعيد ليس من الاعراب ، لقي العلماء ودخل البادية واخذ عن الفصحاء من الاعراب

٣ - ابو المنهال : أحد الرواة

٤ - خلف الاحمر : مولى أبى موسى الاشعري وسنعود اليه

٥ - اليزيديون : هم أسرة تنسب الى كبير منها سمي اليزيدي لانه صحب يزيد بن منصور خال المهدي ، ولهم مؤلفات كثيرة في اللغة والشعر لم يصل اليها منها شيء ، ولكن استفاد منها الرواة الذين وصلتنا كتبهم أو أخبارهم . وأكثر من وصلنا أخبارهم الرواة المقربون من الخلفاء أو الوزراء في بغداد كالاصمعي وأبى عبيدة وغيرهما ، وربما كان بين الذين ضاعت أخبارهم جماعة أولى بالبقاء

عمدة الرواة

أو مرجع الناس في علوم العرب

قد رايت كثرة المشتغلين في علوم العرب وأخبارها بين قادم من البادية ونازل من العراق وفارس وخراسان ، يلتقون في البصرة أو الكوفة أو الحيرة فيتبادلون أخبار العرب وآدابهم وأشعارهم على غير نظام . وقد انتهى ذلك في العصر العباسي الاول الى ثلاثة ، هم عمدة الرواة وأئمة الناس في تلك العلوم ، وعنهم روى الرواة وأخذ الآخذون ، وهم : أبو زيد الأنصاري ، وأبو عبيدة ، والاصمعي . وكلهم أخذوا عن أبي عمرو بن العلاء - أحد القراء السبعة - اللغة والنحو والشعر ، ورووا عنه القراءة . واشتهر بصدق الرواية قبل هؤلاء قتادة السدوسي ، وجاء بعدهم القاسم بن سلام . واليك تراجمهم حسب سنن الوفاة :

١ - قتادة بن دعامة

توفي سنة ١١٧ هـ

قتادة بن دعامة السدوسي الاكهم من أهل البصرة ، كان عالما كبيرا مقصدا للطلاب والباحثين ، لم يكن يمر يوم لا تأتيه راحلة من بني أمية تنسخ بابه لسؤال عن خبر أو نسب أو شعر . وكان يدور البصرة أعلاها وأسفلها بغير قائد ، وبلغ من اشتهاره بالعلم وصحة الرواية أن قالوا لم يأتنا من علم العرب شيء أصح مما أتانا به قتادة (١) لكنه لم يخلف أثرا . وهو من أهل العصر الاموي ، لكننا وضعناه هنا لمواصلة سياق الموضوع . وترجمته في ابن خلكان ٤٢٧ ج ١ (*)

٢ - أبو عمرو بن العلاء

توفي سنة ١٥٤ هـ

هو زيان بن العلاء بن عمار بن عبدالله بن الحصين التميمي المازني ، أحد القراء السبعة . وكان من أشرف العرب ووجوهها ، مدحه الفرزدق

(١) ابن خلكان ٤٢٧ ج ١ والزهر ١٧١ ج ٢ (*) وراجع في قتادة طبقات ابن سعد ص ٢ من القسم الثاني من الجزء السابع وطبقات القراء لابن الجوزي ج ٢ ص ٢٥ واللباب لابن لاثير ج ١ ص ٥٣٧ ومراة الجنان ج ١ ص ٢٥١ وتكت الهميان ص ٢٣٠ وانباء الرواة على النجاة للقفطي (طبع دار الكتب المصرية) ج ٣ ص ٣٥ وشذرات الذهب ج ١ ص ١٥٣ وتهذيب التهذيب ج ٨ ص ٣٥١ وتذكرة الحفاظ ج ١ ص ١١٥ ، ومعجم الادباء (طبع القاهرة) ج ١٧ ص ١

وغيره ، وكان اعلم الناس بالقراءات والعربية وأيام العرب ، وكانت دقاته الى السقف ثم تنسك فأحرقها (١) . وكان له شغف بالرواية وجمع علوم العرب وأشعارهم . وعامة أخباره عن اعراب أدركوا الجاهلية ، ومع ذلك فقد قال : « ما انتهى اليكم مما قاله العرب الا أقله » (٢) وعنه أخذ أكثر نحاة ذلك العصر فضلا عن رواته وأدبائه ، لكنه لم يخلف أثرا مكتوبا . وتجد أخباره في ابن خلكان ٣٨٦ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣١ ، وفوات الوفيات ١٦٤ ج ١ ، والفهرست ٢٨ (*)

٣ - أبو عبيدة معمر بن المثنى

توفي سنة ٢٠٩ هـ

هو معمر بن المثنى التيمي مولى بنى تيم من قريش ، ولد سنة ١١٠ وهو أجمع سائر الرواة لعلوم العرب وأخبارهم وأنسابهم . كان في البصرة ويفد على الخلفاء في بغداد ، وله حكايات في مجلس الرشيد مع الاصمعي للمناظرة والمناقشة . ثم انتقل الى بغداد سنة ١٨٨ ، استقدمه اليها الفضل بن الربيع في خلافة الامين . وأخذ عنه جماعة من علمائها أشهرهم : أبو عبيد القاسم بن سلام ، وأبو عثمان المازني ، وأبو حاتم السجستاني . وكان أبو عبيدة يقول : « ما التقى فرسان في جاهلية أو اسلام الا عرفتهما وعرفت فارسيهما » (٣) وهو الذي روى أخبار أيام العرب التي يتناقلها المؤرخون الى الآن ، (٤) وزوى أشعار كثيرين من الشعراء . وكان ابنه عبدالله يتكسب باملاء الاشعار على الطلاب ، فكان يملئ شعر كثير بثلاثين دينارا . (٥) وكان أبو عبيدة شعوبيا أي متعصبا على العرب ، ويرى رأى الخوارج . ومع سعة معرفته في اللغة كان اذا أنشد بيتا لم يقم اعزابه . وكان شديد الطعن حاد اللسان ، فلم يسلم شريف من طعنه وألف كتابا في المثالب . وكان غليظ الشفة وسخا ، مدخول الدين والنسب ، لكنه كان كثير الاشتغال بالتأليف . فذكر له صاحب الفهرست مائة مؤلف وخمسة في موضوعات شتى في القرآن واللغة والامثال والفتوح والانساب والمثالب وبيوتات العرب وأيامهم والتراجم وغيرها ، لم يصلنا منها الا :

١ - كتاب نقائض جرير والفرزدق: منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية ، وقد طبعت النقائض في ليدن سنة ١٩٠٥ زواية أبي عبدالله اليزيدي المتوفى سنة ٣١٠ هـ عن السكري عن محمد بن حبيب عن أبي عبيدة ، (٦) ولم يذكره صاحب الفهرست بين كتبه

(١) فوات الوفيات ١٦٤ ج ١ (*) وانظر في أبي عمرو كتاب الاشتقاق لابن دريد ص ١٢٦ والبيان والتبيين للجاحظ ج ١ ص ٢٢٠ وأخبار النحويين البصريين للسرياني ص ٢٨ وطبقات النحويين واللغويين للزبيدي (طبع الخانجي) ص ٢٨ وكتب طبقات النحاة الاخرى مثل البنية للسيوطي وكتب طبقات القراء ودائرة المعارف الاسلامية
(٢) العقد الفريد ٤٧ - ٩٣ ج ٣
(٣) المهر ٢٠٣ ج ٢
(٤) الاغانى ٢٨ ج ٢
(٥) الاغانى ٦٨ ج ٥
(٦) الاغانى ٦٨ ج ٥

وتجد أخباره في ابن خلكان ١٠٥ ج ٢ ، وطبقات الادباء ١٣٧ ، والفهرست
٥٣ (*)

٤ - الاصمعي

توفي سنة ٢١٤

هو عبد الملك بن قريب من قيس ، وقد اشتهر بكنيته « الاصمعي » .
ولكثرة ما يروى عنه أصبحت هذه الكنية مرادفة للفظ « الراوى » . وكان
اتفق القوم وأعلمهم بالشعر وأحضرهم حفظا ، تعلم نقد الشعر على خلف
الاحمر ، وقد روى عنه كثيرون . وهو من أهل البصرة ، وقدم بغداد في
أيام الرشيد مع أبى عبيدة ، فقيل لأبى نواس ذلك فقال : « أما أبو عبيدة
فاذا أمكنوه قرأ عليهم أخبار الاولين والآخرين ، وأما الاصمعي فلبيل يطربهم
بنغماته » وكان الاصمعي شديد الحفظ ، يحفظ ١٢٠٠٠ أرجوزة ، وإذا
انتقل حمل كتبه في ١٨ صندوقا (١) . ولما تولى المأمون كان الاصمعي قد
عاد الى البصرة ، فاستقدمه ، فاعتذر بضعفه وشيخوخته ، فكان يجمع
المشكل من المسائل ويسيرها اليه فيجيب عنها . وأخباره كثيرة

أما مؤلفاته فقد ذكر منها ابن النديم نيفا وأربعين كتابا في موضوعات
مختلفة ، ذهب معظمها . على أن حظه من البقاء خير من حظ أسلافه من
الرواة . أما كتبه الباقية مما بلغ خبره اليها ، فبعضها شعرية والبعض
الأخر كتب لغوية في دلالات الالفاظ . أكثرها موضوع في مجاميع ، كل
كتاب في باب خاص من الاسماء ، بعضها لأسماء الوحوش والآخر للابل
وغيرها وهي :

١ - الاصمعيات : هي مجموع مختارات الاصمعي للشعراء طبعت في
ليبسك سنة ١٩٠٢ (***)

٢ - رجز العجاج : رواية الاصمعي ، منه نسخة خطية في المكتبة
الخدوية

٣ - كتاب أسماء الوحوش طبع سنة ١٨٨٨

٤ - كتاب الابل طبع في بيروت سنة ١٣٢٢

٥ - كتاب خلق الانسان طبع في بيروت سنة ١٣٢٢ هـ (٢)

٦ - كتاب الخيل طبع في فيينا سنة ١٨٩٥ مع ترجمة نمساوية

(*) وراجع في ترجمة أبى عبيدة اخبار النحويين البصريين ص ٦٧ وإياه الرواة ٢ ص ٢٧٦
وبغية الرعاة ص ٣٩٥ وتاريخ بغداد ١٣ ص ٢٥٢ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ٣٢٨
وقريب التهذيب ج ٢ ص ٢٥١ وطبقات الزبيدي ص ١٢٤ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٤ ومرآة
الجنان ج ٢ ص ٤٤ والمعارف لابن قتيبة ص ٢٣٦ ومعجم الادباء ١٩ ص ١٥٤ ودائرة
المعارف الاسلامية

(١) المشرق ٦٢٨ سنة ١٠

(**) نشر عبد السلام هرون الاصمعيات بدار المعارف بالقاهرة
(٢) هذان الكتابان طبعا معا باسم الكثر اللغوي

- ٧ - كتاب الشفاء طبع سنة ١٨٩٦
 ٨ - كتاب الدارات طبع في بيروت
 ٩ - كتاب الفرق طبع في فينا
 ١٠ - كتاب النبات والشجر طبع في بيروت
 ١١ - كتاب النخل والكرم طبع في بيروت سنة ١٩٠٢
 ١٢ - كتاب الفريب منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال
 وتجد ترجمة الاصمعي في ابن خلكان ٢٨٨ ج ١ ، وطبقات الادباء ١٥٠ ،
 والفهرست ٥٥ ، والدميري ٣١٠ ج ٢ (*)

٥ - أبو زيد الانصاري

توفي سنة ٢١٥ هـ

هو أبو زيد سعيد بن أوس الانصاري من أهل البصرة ، أخذ عن أبي عمرو بن العلاء . وكان عالماً ثقة بالنحو واللغة ، وكان سيبويه إذا قال : « سمعت الثقة » فانه يريد أبا زيد الانصاري . وعنه أخذ كثيرون من علماء البصرة . وكان لفرط رغبته في استيعاب العلم يأخذ عن أهل الكوفة أيضاً ، ولم يرو من البصريين عن أهل الكوفة إلا أبو زيد ، (١) فقد روى عن المفضل الضبي أكثر كتابه « النوادر في اللغة » . على ان أكثر رواياته عن العرب أنفسهم (٢) . وقد غلب عليه اللغة والنوادر والغريب . وكان يمتاز عن رفيقيه أبي عبيدة والاصمعي بالثقة ، فانه كان أوثقهم كما كان الاصمعي أحفظهم وأبو عبيدة أجمعهم ، (٣) وجاء أبو زيد بغداد حين قيام المهدي (٤) وقد ألف كتباً كثيرة في علوم الادب لم يصلنا منها الا :

- ١ - كتاب النوادر في اللغة : طبع في بيروت سنة ١٨٩٤
 ٢ - كتاب المطر : منه نسخة خطية في المكتبة الاهلية بباريس وطبع في بيروت
 ٣ - كتاب اللين : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

(*) وانظر في الاصمعي اخبار البصريين للصيرافي ص ٥٨ وبغية الوعاة للسيوطي ص ٢١٣ وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٤١٠ وطبقات النحويين للزبيدي ص ١١٧ وانباء الرواة ج ٢ ص ١٦٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٦ والمعارف ص ٢٣٦ وتهذيب التهذيب ج ٦ ص ٤١٥ والانساب للسمعاني ٥١ وخلاصة تذهيب الكمال ص ٢٠٧ وروضات الجنات ص ٤٥٨ وطبقات القراء ج ١ ص ٤٧٠ واللباب لابن الاثير ج ١ ص ٥٦ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٦٤ وتاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ٣٠ ودائرة المعارف الاسلامية

(٢) المزهري ج ٧٥ ص ١

(١) طبقات الادباء ١٧٥

(٤) الفهرست ٥٤

(٣) ابن خلكان ٢٠٨ ج ٢

وتجد أخباره في ابن خلكان ٢٠٧ ج ١ ، وطبقات الادباء ١٧٣ ،
والفهرست ٥٤ (*)

٦ - أبو عبيد القاسم بن سلام

توفي سنة ٢٢٣ هـ

كان أبوه عبدا روميا لرجل من أهل هراة . وقد اشتغل أبو عبيد بالحديث والادب والفقه ، وكان متدينا ورعا متفنا في أصناف علوم الاسلام والقراءات والفقه والعربية والأخبار ، حسن الرواية صحيح النقل لم يطعن أحد في شيء من دينه . وهو يصح أن يعد من رجال الحديث لولا أن كتبه كان لها شأن لغوى . تولى القضاء في طرسوس ١٨ سنة ، وروى عن أبي زيد والاصمعي وأبي عبيدة وابن الاعرابي والكسائي والقراء وغيرهم . وألف بضعة وعشرين كتابا في القرآن والحديث وغريبه والفقه ، وهو أول من ألف في غريب الحديث . وانقطع الى عبد الله بن طاهر ، وكان كلما ألف كتابا أهداه اليه فيحمل له مالا كثيرا . فلما عمل كتاب غريبه الحديث استحسنته ابن طاهر ، وقال : « ان عقلا بعث صاحبه على عمل مثل هذا الكتاب لحقيق الا يخرج عنا الى طلب المعاش » فأجرى له عشرة آلاف درهم في كل شهر . وذكر له صاحب الفهرست بضعة وعشرين كتابا في غريب الحديث ومعاني القرآن وفي الادب والشعر واللغة والنحو لم يصلنا منها الا ما يأتي :

١ - كتاب غريب الحديث : منه نسخة خطية في مكتبة كوبرلي بالاستانة
٢ - كتاب غريب المصنف : تكلم فيه على نعوت الانسان والطعام والشراب والابنية والمراكب والسلاح والطيور والحشرات والنار والشمس والقمر وغير ذلك . اشتغل في تأليفه ٤٠ سنة ، وفيه ألف فصل و ١٢٠٠ شاهد ،
منه نسخة خطية في مكتبة اباصوفيا بالاستانة وفي المكتبة الخديوية
٣ - كتاب الامثال : منه نسخة خطية في مكتبة باريس وكوبرلي
بالاستانة ، وطبع مع ترجمة لاتينية في غوتنجن سنة ١٨٣٦ وقد شرحه
البكري

٤ - كتاب فضائل القرآن وأدبه : في مكتبة برلين

٥ - كتاب المواعظ : منه نسخة خطية في مكتبة ليبسك

وتجد أخباره في ابن خلكان ٤١٨ ج ١ ، وطبقات الادباء ١٨٨ ،
والفهرست ٧١ (***)

(*) وانظر في أبي زيد كتب طبقات النحاة مثل أخبار النحويين البصريين ص ٥٢ وانباء الرواة ج ٢ ص ٣٠ وبغية الوعاة ص ٢٥٤ وتاريخ بغداد ص ٩ ص ٧٧ ومعجم الادباء لياقوت ج ١١ ص ٢١٤ والمعارف ص ٢٢٧ وتهذيب التهذيب ج ٤ ص ٣ وخلاصة تدهيب الكمال ص ١١٥ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٤ وطبقات الزبيدي ص ١١٦ وطبقات القراء لابن الجزري ج ١ ص ٣٠٥ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٥٨ والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢١٠
(**) وراجع في أبي عبيد بن سلام انباء الرواة ج ٣ ص ١٢ وبغية الوعاة ص ٢٧٦ ومعجم الادباء ج ١٦ ص ٢٥٤ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٨٣ وطبقات القراء ج ٢ ص ١٦ وطبقات الزبيدي ص ١٢٨ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٥٤ وروضات الجنات ص ٥٦ وتهذيب التهذيب ج ٨ ص ٢١٥ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ٥ وكتب التاريخ وسنة وقته ودائرة المعارف الإسلامية

رواية الشعر

وهناك طبقة من الرواة غلبت عليهم رواية الشعر على ما سواه من علوم العربية ، فاشتغلوا بجمع شعر عرب الجاهلية وغيرهم ودونوه أو حفظوه . وهم غير الذين يختص كل راو منهم بشاعر فيكون راويته . . وقد علمت من كلامنا عن شعراء الجاهلية انهم كانوا كثيرين ، عددنا منهم مائة وبعض المائة ، وهم اكثر من ذلك لضنياع اخبار الباقيين منهم في اثناء ظهور الاسلام ، بسبب كثرة من قتل منهم ومن روايتهم في الحرب والغزو على عهد الرسول والراشدين

فلما احتاج المسلمون في صدر الاسلام الى معرفة معاني الالفاظ في التفسير والقراءة ، عمدوا الى جمع اشعار العرب وامثالهم واقوالهم بلا تخصيص . ثم غلب على بعضهم جمع الشعر ، وعلى البعض الآخر شواهد النحو ، او الامثال ، او رواية اللفظة . فأخذوا يطلبونها في أماكنها وينقلونها عن أصحابها أو من سمع عنهم . والمشهور أن أخبار الجاهلية لم يدون منها شيء قبل الاسلام . ثم ظهر أن بعض ذلك كان مدونا في صحف عند أهل الحيرة من أيام المناذرة

وأول من اشتغل بجمع الشعر بعد الاسلام ممن بلغ الينا خبره : حماد الراوية المتوفى سنة ١٥٦ ، وقد عاصر الدولتين الأموية والعباسية وعاصر أبا عمرو بن العلاء المتقدم ذكره . ثم ظهر خلف الأحمر ، والمفضل الضبي ، وغيرهما ، وهذه تراجمهم :

١ - حماد الراوية

توفى سنة ١٥٦ هـ

هو حماد بن ميسرة ، أصله ديلمى من موالى بنى بكر بن وائل . نشأ في الكوفة ، وكان في أول أمره يتشطر ويصحب الصعاليك واللصوص . فنقب ليلة على رجل فأخذ ماله ، وكان فيه جزء من شعر الانصار ، فقرأه حماد فأعجب به وحفظه ، ثم طلب الادب والشعر وأيام الناس ولفات العرب بعد ذلك . . وترك ما كان عليه ، قبلت في العلم ما بلغ حتى عرف بحماد الراوية تمييزا له عن نفر بهذا الاسم . وكان قوى الحافظة الى درجة بعيدة ، ومن أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها . . لكنه اختص بجمع الشعر ، وكان ضعيفا في العربية يلحن في كلامه . وكان بنو أمية يقدمونه ويستزيرونه على البريد ،

وينال منهم الجوائز ويسألونه عن أيام العرب وأشعارها وعلومها . وسأله الوليد بن يزيد يوما : « بم استحققت أن تدعى الراوية ؟ » فقال : « باتى أروى لكل شاعر تعرفه يا أمير المؤمنين أو سمعت به ثم أروى لأكثر منهم ممن تعترف أنك لا تعرفه ولا سمعت به ، ثم لا ينشدنى أحد شعرا قديما ولا محدثا الا ميزت القديم من المحدث » فقال له : « فكم مقدار ما تحفظ من الشعر ؟ » قال : « كثير ، ولكننى أنشدك على كل حرف من حروف المعجم مائة قصيدة كبيرة سوى المقطعات من شعر الجاهلية دون شعر الاسلام » قال : « سأمتحنك فى هذا » . ثم أمره بالإنشاد ، فأنشده حتى ضجر الوليد ، فوكل به من استحلفه أن يصدقه عنه ويستوفى عليه ، فأنشده ألفين وتسعمائة قصيدة للجاهلية ، وأخبره الوليد بذلك فأمر له بمائة الف درهم

وكان حماد هذا وحماد عجرد الشاعر المتقدم ذكره وحماد بن الزبرقان يتنادمون على الشراب فى الكوفة ، وكانوا متهمين بالزندقة جميعا . فلما آل الأمر الى بنى العباس « كان حماد هذا قد اشتهر بالرواية فسمع به المنصور وكان حزينا على موت أخيه أبى العباس ، وأراد أن يرثيه بأبيات كان يعلم أن هفان بن همام قالها فى رثاء أبيه وقد ذهبت عن خاطر المنصور ، فبعث فى طلب حماد ليرويها له فجاءه وأنشده اياها فبكى وقال : « هكذا كان أخى رضى الله عنه (١) » . وظل حماد حيا الى أيام المهدي وكان يستدعيه اليه ، ويستنشده كما يستنشد المفضل الضبى . وكان يؤثر المفضل عليه لانه أصدق منه فيما يرويه . وكان حماد يزيد فى أشعار الناس ما ليس منها وينسبه اليهم وسيأتى خبر ذلك

وهو الذى جمع المعلقات التى بين أيدينا وجمع أشعار أكثر القبائل وأكثر شعراء بنى أمية ، وجعل شعر كل قبيلة أو شاعر فى كتاب . . فكان عنده كتاب لشعر قريش وآخر لشعر ثقف وآخر لغيرهم (٢) ، لكنها ضاعت كلها ولم يذكر منها صاحب الفهرست شيئا وانما روى الناس عنه وصنفت الكتب بعده

وتجد أخباره فى الاغانى ١٦٤ ج ٥ ، وابن خلكان ١٦٤ ج ١ ، وطبقات الأدباء ٤٣ (*)

٢ - المفضل الضبى

توفى سنة ١٦٨ هـ

هو المفضل بن محمد الضبى ، كان ثقة من أكابر الكوفيين أخذ عنه أبو زيد الأنصارى من البصريين لثقتهم . وقد أدرك المهدي العباسى فقربه وأدناه ، فجمع له الأشعار المختارة التى سماها المفضليات كما جمع

(١) الاغانى ١٦٩ ج ٥ (٢) الاغانى ١٧٤ ج ٥
 (*) وانظر فى حماد المعارف (طبعة وستنفلد) ص ١٦٩ ، ٢٦٨ والشعر والشعراء ص ١٥٧ ، ٤٨٣ وخزانة الادب ج ٤ ص ١٢٨ والفهرست ص ٩١ ودائرة المعارف الاسلامية

أبو تمام ديوان الحماسة . لكن هذا جمع الحماسة من كتب مدونة ،
وأما المفضل فأخذ أكثرها عن الألسنة . وهو غير المفضل بن سلمة
اللفوى الآتى ذكره . وهذه مؤلفاته الباقية :

١ - المفضليات وتسمى الاختيارات : وهى عبارة عن مائة وست
وعشرين قصيدة ، وقد تزيد أو تنقص حسب الروايات . طبعت فى
ليبسك سنة ١٨٨٥ وفى مصر . ولها شرح خطى فى المكتبة الخديوية لآبى
يكر بن الانبارى

٢ - كتاب الامثال : طبع فى الاستانة سنة ١٨٨٢

وتجد اخباره فى طبقات الادباء ٦٧ ، والفهرست ٦٨ ، والمقد الفريد
١٣١ ج ٣ (**)

٣ - خلف الاحمر

توفى سنة ١٨٠ هـ

هو خلف بن حيان ، كان مولى أبى بردة وأصله من فرغانة ، لكنه
حفظ كلام عرب الجاهلية وأشعارهم حتى صار يقول الشعر فيجيده ،
وينحله الشعراء المتقدمين فلا يتميز من شعرهم لمشاكلته كلامه كلامهم .
وكان من أهل البصرة ، وقد أخذ الاصمعى وسائر أهل البصرة عنه .
وله قوة عجيبة على تمييز الأشعار وتعيين أصحابها . وهو أول من أحدث
السماع بالبصرة ، وذلك أنه جاء إلى حماد الراوية فسمع منه (١) .
وكان ضئيلاً بآدبه . وهو معدود أيضاً بين الشعراء . وذكر له صاحب
الفهرست كتاباً واحداً عن العرب وما قيل فيها من الشعر

وتجد أخباره فى طبقات الادباء ٦٩ ، والفهرست ٥٠ ، والشعر
والشعراء ٤٩٦ ، والمقد الفريد ١٠٧ ج ٣ (**) .

٤ - أبو عمرو الشيبانى

توفى سنة ٢٠٦ هـ

هو من الموالى ، واسمه اسحق بن مرار . كان يؤدب فى أحياء بنى شيبان
بالكوفة فنسب اليهم . وكان راوية واسع العلم باللفة ثقة بالحديث كثير
السماع . وقد جمع دواوين أشعار القبائل وعنه أخذت . وكان له بنون

(*) وراجع تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٢١ وميزان الاعتدال للذهبي ج ٢ ص ٤٩٨ والانساب
للسمعاني ٣٦١ أ وبغية الدعاة ٣٩٦ وطبقات الزبيدي ص ١٣٣ وطبقات القراء ج ٢ ص ٣٠٧ .
واللباب فى الانساب ج ٢ ص ٨١ ولسان الميزان ج ٦ ص ٨١ والمعارف ص ٢٣٧ ومعجم الادباء
١٩ ص ١٦٤ وانباء الرواة ج ٣ ص ٢٩٨ وذيل الامالى للقالى ص ١٢١

(١) طبقات الادباء ٧٠
(*) وانظر فى خلف طبقات الزبيدي ص ١١٣ والمعارف ص ٢٣٧ والامالى للقالى ج ١ ص ١٥٦
واللالى لآبى عبيد البكرى ص ٤١٢ وبغية الرواة ص ٢٤٢ ومعجم الادباء ج ١١ ص ٦٦ وروضات
الجنات ص ٢٧٠ وتهذيب اللفة للزهري ج ١ ص ٤ وانباء الرواة ج ١ ص ٢٤٨ والاغانى
(انظر الفهرست)

وبنو بنين يروون عنه كتبه . وذكر أحد أولاده ان أباه جمع أشعار نيف وثمانين قبيلة ، وكان كلما جمع أشعار قبيلة وأخرجها للناس كتب مصحفا وجعله في مسجد الكوفة . وعاش أكثر من مائة سنة ، وكان يكتب بيده الى أن مات . وخلف بضعة مؤلفات في الخيل والحديث والنوادر وخلق الانسان والحروف ذكرها صاحب الفهرست ، ولم يصلنا منها الا : كتاب الجيم في اللغة ، منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال في عشرة أجزاء .
وتجد أخباره في ابن خلكان ٦٥ ج ١ ، ومعجم الادباء ٢٢٣ ج ٢ ، والفهرست ٦٨ (*)

هؤلاء هم عمدة رواة الأشعار في ذلك العصر ، وان لم يقتصروا عليها . وعندهم أخذ من ألف في طبقات الشعراء أو دون أشعار الأفراد أو القبائل . فضلا عن أبي عبيدة والاصمعي وأبي عمرو بن العلاء المتقدم ذكرهم . وغير من اشتغل برواية الشعر بعدهم من النحاة واللغويين كمحمد بن حبيب وخالد بن كلثوم وابن الاعرابي وغيرهم . وقد يجمع أشعار الشاعر أو القبيلة غير واحد ويختلفون في الرواية أو الأشعار أو الأخبار ، فيأتي من يجمع بين الروايات وينقح ويضبط . . كما حدث في شعر امرئ القيس ، فقد رواه أبو عمرو بن العلاء والاصمعي وخالد بن كلثوم ومحمد بن حبيب ثم صنعه من جميع هذه الروايات أبو سعيد السكري ، وصنعه أيضا أبو العباس الاحول وابن السكيت

فظهر بعد هذه الطبقة من الرواة طبقة من الجامعين الذين ينظرون في الروايات ويجمعون بينها ويعدلونها ، نخص منهم بالذكر اثنين من أهل العصر العباسي الاول هما : محمد بن سلام ، وابن أبي الخطاب القرشي

٥ - محمد بن سلام

توفي سنة ٢٢٢ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن سلام الجمحي البصري ، كان عالما بالشعر والاعراب فألف كتابا في طبقات الشعراء الجاهليين وطبقات الشعراء الاسلاميين . هو أقدم ما وصل الينا من كتب الطبقات ، وظل مرجع طلاب الشعر الى عهد غير بعيد . وقد ذكره صاحب الفهرست فجعله كتابين أحدهما في الشعراء الجاهليين والآخر في الاسلاميين . وذكره صاحب الاغانى مرارا كثيرة واستشهد بأقواله ورجع اليه في تعيين طبقات كثيرين من الشعراء ، وكذلك فعل القالي والزجاج فقد ذكراه في اماليهما مرارا . وعول عليه السيوطي في كتابه « المزهرة » ونقل عنه أقوالا تدخل في بضع صفحات . وذكره صاحب كشف الظنون في مقدمة الدين الفوا في طبقات

(*) (راجع في أبي عمرو الشيباني تاريخ بغداد ج ٦ ص ٢٢٩ وبغية الوعاة ص ١٩٢ وانباه الرواة ج ١ ص ٢٢١ وتهذيب اللغة للازهري ج ١ ص ٦ وتهذيب التهذيب ج ١٢ ص ١٨٢ . وخلاصة تهذيب الكمال ص ٢٨٤ وروضات الجنات ص ١٠٠ وطبقات الزبيدي ص ١٢٤ . ومرآة الجنان ج ٢ ص ٥٧ والمعارف ص ٢٣٧ ومعجم الادباء ج ٦ ص ٧٧ وشدرات الذهب ج ٢ ص ٢٢٢

الشعراء . وهو اول من فعل ذلك ثم قلده غيره . وقد ذكرنا في الجزء الاول من هذا الكتاب انه ضاع لاننا لم نجد في مكاتب أوربا ولا الاستانة ولا المكتبة الخديوية ولا غيرها من المكاتب الكبرى التي تيسر لنا الوقوف على فهارسها ، ثم علمنا بوجود نسخه خطية منه بين كتب وقفها المرحوم الشيخ الشنقيطي للمكتبة الخديوية ولها فهرس خاص (١) ، وتصفحتها فاذا هي منقولة بخط جميل عن نسخة في مكتبة شيخ الاسلام في المدينة وتدخل في ٢١٠ صفحات (**) ، تبدأ بنقد الشعراء ثم بأول من وضع النحو في البصرة وتاريخ ذلك . ثم قسم المؤلف الشعراء الى جاهليين واسلاميين وقسم كل طائفة منهما الى عشر طبقات في كل طبقة أربعة من الفحول يشتركون في بعض الاحوال . وقدم الكلام في الشعر وتاريخه وأشار الى ما أدخله الرواة من الشعر المصنوع . ثم ذكر طبقات الشعراء الجاهليين وهي :

الطبقة الاولى : امرؤ القيس والنابغة الذبياني وزهير والاعشى

الثانية : سقط بعضها في النسخ ، ولعل من شعرائها كعب بن زهير والحطيئة (***)

الثالثة : نابغة بنى جعدة وأبو ذؤيب الهذلي والشماع بن ضرار ولبيد ابن ربيعة

الرابعة : طرفة بن العبد وعبيد بن الابرص وعلقمة بن عبدة وعدي بن زيد

الخامسة : خداس بن زهير والاسود بن يعفر وأبو يزيد المخبل وتميم ابن ابي بن مقبل

السادسة : عمرو بن كلثوم والحارث بن حلزة وسويد بن ابي كاهل (وسقط الرابع) (***)

السابعة : سلامة بن جندل وحصين بن الحمام والتملمس والمسيب بن علس

الثامنة : عمرو بن قميئة والنمر بن تولب واوس بن غلفاء وعوف بن عطية

التاسعة : ضابى بن الحارث وسويد بن كراع والحويذرة الذبياني وسحيم عبد بنى الحسحاس

العاشرة : أمية بن حرثان وحرث بن محفص والكميت بن معروف وعمرو بن شأس

وأضاف الى ذلك أصحاب المراثي وجعلهم طبقة وهم : متمم بن نويرة والخنساء وأعشى باهلة وكعب . ثم تكلم عن شعراء القرى وهي المدينة ومكة والطائف واليمامة والبحرين وذكر فحول كل قرية

(١) نهبنا الى وجودها هناك مصطفى الراقى الشاعر فنشكره على صدق وجهته في خدمة آداب اللغة

(**) طبعت هذه الطبقات بعناية يوسف هل سنة ١٩١٣ وطبعت اخيراً بدار المعارف طبعة محتقة بقلم محمود محمد شاكر

(**) الطبقة الثانية في طبعة دار المعارف هي اوس بن حجر وبشر بن ابي خازم وكعب بن زهير والحطيئة

(***) الرابع في الطبعة السابقة هو منترة . انظر من ١٢٨

وجعل الشعراء الاسلاميين في عشر طبقات :

الاولى : جرير والفرزدق والراعي والاخلط وغيرهم

الثانية : البعيث والقطامي وكثير وذو الرمة

الثالثة : كعب بن جعيل وعمرو بن احمر وسحيم بن وثيل واوس بن مغراء

الرابعة : نهشل وحמיד بن ثور والاشهب وعمر بن لجأ

الخامسة : أبو زيد الطائي والعجير السلولى وعبد الله بن همام ونفيع ابن لقيط

السادسة : ابن قيس الرقيات والاحوص وجميل ونصيب

السابعة : المتوكل الليثى ويزيد بن ربيعة وزياذ الاعجم وعدى بن الرقاع

الثامنة : عقيل بن علفة المري وبشامة بن الغدير وشيبب بن البرصاء وقراد بن حنش

التاسعة : كلهم رجاز وهم الاغلب المعجلى وأبوالنجم والعجاج ورؤبة ابنه

العاشر : مزاحم بن الحارث ويزيد بن الطثرية وأبوداود الرؤاسي والقحيف

وقد قابل في كل طبقة بين شعرائها وقاضل بينهم

وذكر صاحب الفهرست لابن سلام كتابا في بيوتات العرب وآخر في ملح الاشعار

وتجد أخباره في طبقات الادباء ٢١٦ ، والفهرست ١١٣ (*)

٦ - ابن أبي الخطاب

صاحب جمهرة اشعار العرب

اسمه ابو زيد محمد بن ابي الخطاب القرشي لم نقف على ترجمته (***) ، ولكن يظهر أنه نبغ في أواسط القرن الثالث للهجرة . . . وإنما عمدنا الى ذكره لانه جمع خيرة اشعار الجاهلية وصدر الاسلام في كتاب سماه « جمهرة اشعار العرب » في سبعة مجاميع فصلناها في كلامنا على طبقات الشعراء في الجزء الاول ، والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣٠٨ ، وفي صدره مقدمة انتقادية في الشعر واللغة والمقابلة بين لغة القرآن وأقوال الشعراء ، وفي الشعر والشعراء وأقدمهم وغير ذلك في ٣٩ صفحة كبيرة

(**) وانظر في ترجمه ابن سلام تاريخ بعده ج ٥ ص ٢٢٧ وطبقات الزبيدي ص ١٢٧ واللياب ج ١ ص ٢٣٦ ولسان اليزان ج ٥ ص ١٨٢ ومراتب النحويين لابي الطيب اللغوي (طبعة ابي الفضل ابراهيم) ص ١٠٨ . وانباء الرواة ج ٣ ص ١٤٣ وبنية الرواة ص ٤٧ والانساب للسماعى ١٣٤ ب وطبقات ابن قاضي شعبة ج ١ ص ٥٧ وميزان الامتدال ج ٢ ص ٣٨٥ ومعجم الادباء ج ٨ ص ٢٠٤

(***) لم يدرج اسم ابي الخطاب القرشي بين الرواة الاقدمين ، ويغلب على الظن أنه كان يعيش في القرن الرابع الهجرى ، فقد ذكره ابن رشيقتونى بمنصف القرن الخامس الهجرى في كتابه « العنيدة في صناعة الشعر ونقده » . ويتضح من المقدمة التى وضعها بين يدي كتابه « الجمهرة » أن بينه وبين القرن الثانى نحو جيلين من الرواة

ما هو مدى صدق الرواة واصطناع الأشعار (*)

ان ما بين أيدينا من اخبار العرب وأشعارهم في الجاهلية انما وصل اليه،
على أيدي الرواة الذين ذكرناهم ، فهم رَوَوْا تلك الأشعار والأخبار ورواها
الناس عنهم ، فهل نقلوها عن ثقة ؟ وهل هم صادقون في روايتها ؟

والجواب على ذلك ان رواياتهم على اجمالها صادقة ، وان كان ما وصل
اليها من أشعار الجاهلية لا يخلو من المنسوب لغير أصحابه . ولذلك سيبان
يتصل أحدهما بالعرب الذين تلووا تلك الأشعار على الرواة ، والثاني يتصل
بالرواة أنفسهم . فالعرب لما قام الإسلام شغلوا به عن مفاخراتهم
ومناشداتهم ، فلما انقضت دولة الراشدين وقام الامويون واقتضت
سياستهم احياء عصبية الجاهلية عادت القبائل الى مفاخراتهم . . . كل قبيلة
تفاخر سواها بمن نبغ فيها من الشعراء وما قالوه . وكان قد ذهب
معظمه ، فأخذ أبناء الشعراء أو بعض أهلهم يزيدون في الأشعار التي
قيلت ، ولم يكن يخفى ذلك على أهل العلم . كما اتفق لابن داود بن ميم
ابن نويرة وقد قدم البصرة لما يقدم له البدوي من الجلب والميرة ، فاتاه
بعض الرواة وسأله عن شعر أبيه فلم يرو بعضه حتى أدركوا المصنوع منه (١) .
لكن كثيرا من الأشعار تنسب لغير أصحابها اعتبارا لتشابه القافية
والوزن والمعنى ، فكثير من أشعار كثير تنسب لمجنون ليلي . وكذلك سائر
العشاق تتشابه أشعارهم لتشابه معانيها . فاذا اتحدت قوافيها وأوزانها
اختلفت وصعب تمييزها كقصيدة ابن الحدادية الياثية التي مطلعها :

سقى الله اطلالا^١ لنعمهم^٢ ترادفت^٣ بهن^٤ النوى حيث حللنا المطالبا^٥
فان بعضهم يدخل أبياتا منها في قصيدة مجنون ليلي (٢) التي مطلعها :
تذكرت^٦ ليلي والسنين الخواليا وأيام لا أعدي على الدهر عاديا^٧
وقس على ذلك وامثاله وهو كثير ، وقد ينسبون القصيدة الى غير
واحد . وبعض القصائد تنسب الى عشرين شاعرا أو أربعين

تعمد الانتحال

والرواة يتفاوتون ثقة . . فمنهم الثقة المحقق ، ومنهم من يتعجل في
التصديق ، وبعضهم يتقلب في رواياته مع الأهواء ، فينظم الأبيات على لسان .

(*) ناقش طه حسين في كتابه « في الادب الجاهلي » . الانتحال في الشعر الجاهلي مناقشة .
واسعة . ومن كتب في هذا الموضوع مرجليوث ، فقد نشر بمجلة الجمعية الملكية الآسيوية .
(عدد يوليو سنة ١٩٢٥) مقالا في أصول الشعر العربي زعم فيه ان الشعر الجاهلي لم ينظم
في مصره ، انما نظم في العصور التالية . وعلى النقيض منه عنى ليال في مقدمته للمفضليات .
ودبران عبيد بن الأبرص بتصحيح هذا الشعر وتوثيق نسبه الى عصره . وأنظر مصادر الشعر
الجاهلي (طبع دار المعارف) لناصر الدين الأسد

(٢) الاغانى ٨ ج ١٣

(١) المزهر ٨٧ ج ١

بعض الجاهليين وينسبها اليهم لمطمع مالى أوغرض آخر. وأشهر من فعل ذلك حماد وخلف المتقدم ذكرهما ، وهما مرجع رواة الاشعار كما رأيت . فكان حماد كثيرا ما يصنع الابيات أو القصيدة ينسبها الى شاعر من قوم ، يريد أن يتزلف الى رجل منهم صاحب نفوذ أو سيادة في عصره . . كما فعل في ولاية خالد بن عبد الله القسرى ، وكان خالد شديد العصبية لقومه من اليمانية على القيسية . فنظم حماد أبياتا نسبها الى ابن الحدادية ، يمدح بها أسد بن كرز من بجيلة قبيلة خالد القسرى المذكور وأسد بن كرز أبو جده . فأورد حماد حكاية جرت لابن الحدادية مع ناس من قومه أصابوا دما في قوم من خزاعة فهربوا حتى نزلوا في بجيلة على أسد بن كرز . فأواهم وأحسن اليهم ، وذكر ان ابن الحدادية نظم فيه قصيدة يمدحه بها ، الى آخر الحديث (١) ، ولكن الرواة المحققين يقولون انها من نظم حماد للغرض الذى تقدم . وكذلك كانوا يفعلون في وضع الانساب طمعا فى المال . قال ابن الكلبي : « أول كذبة كذبتها في النسب ان خالد بن عبد الله سألني عن جدته أم كرز ، وكانت أمة بغيا لبنى أسد يقال لها زينب . . فقلت له هي زينب بنت عرعة بن خزيمة بن نصر بن قعين ، فسر بذلك ووصلني » (٢).

وقد شهد المفضل الضبي وهو معاصر لحماد أيضا قال : « قد سلط على الشعر من حماد الراوية ما أفسده فلا يصلح أبدا » فقيل له : « وكيف ذلك أيخطيء في روايته أم يلحن ؟ » قال : « لئنه كان كذلك ، فان أهل العلم يردون من أخطأ الى الصواب ولكنه رجل عالم بلغات العرب وأشعارها ومذاهب الشعراء ومعانيهم ، فلا يزال يقول الشعر يشبه به مذهب رجل ، ويدخله في شعره ، ويحمل ذلك عنه في الآفاق ، فتختلط أشعار القدماء ولا يتميز الصحيح منها الا عند عالم ناقد وأين ذلك »

وقد بلغ قول الضبي الخليفة المهدي فأكده له بالامتحان بين يديه ، فاعترف حماد بأبيات زادها في أشعار زهير بن أبى سلمى . فأمر المهدي بإبطال روايته لأنه يدخل بأشعار الناس ما ليس منها ووصل المفضل لصدقه وصحة روايته (٣)

وخلف الاحمر كان يفعل فعل حماد ، وقد قال عن نفسه انه كان ينظم الاشعار وينحلها غير أصحابها . وانه كان يأخذ من حماد الصحيح من أشعار العرب ويعطيه المنحول فيقبله . وكان خلف شاعرا مجيدا فينظم القصائد الجيدة ويدخلها في دواوين الشعراء ، ويقال انه صاحب القصيدة المنسوبة للشنفرى التى أولها :

أقيموا بنى أمى صدور مطيئكم فإنى إلى أهل سواكم لأمنيل

وقال أبو حاتم كان خلف الاحمر شاعرا ، وقد وضع على عبد القيس شعرا مصنوعا عبثا منه . وأدخل أيضا على غيرهم من القبائل أبياتا وقصائد ، وكان أهل البصرة والكوفة يأخذون ذلك عنه لانه كان تمكنه

(٣) الاغانى ١٧٢ ج ٥

(٢) الاغانى ٥٨ ج ١٩

(١) الاغانى ٥ ج ٢٣

من الشعر والشعراء اذا نظم على السنة الناس أشبه كل شعر يقوله بشعر الذى يضعه له . وتنسك في أواخر أيامه وندم على ذلك وكف عن النظم . ثم خرج يوما الى أهل الكوفة واعترف لهم بما كان يعمله وعرفهم بالاشعار التى قد أدخلها فى أشعار الناس ، فقالوا : «أنت كنت عندنا فى ذلك الوقت أوثق منك الساعة» ولم يستطيعوا اخراج ذلك من دواوينهم (١)

وممن كان يفعل فعل حماد وخلف ابن داب والشرقى بن القطامى ، سئل ابن القطامى : « ماذا كانت العرب تقول فى صلاتها على موتاها ؟ » فقال : « لا أدري » ف قيل له : « اكذب ؟ » فقال : « كانوا يقولون رويدك حتى تبغت الخلق باغثة » فشاع ذلك وتحدثوا به (٢) . حتى الرواة الثقات كالاصمعى وأبى عبيدة وأبى زيد ، قد كانوا يتطاعنون ويضعف كل منهم رواية الآخرين . . ولكن المحققين ينزهون هؤلاء عن الكذب . وقد قال محمد بن سلام الجمحى : « فى الشعر موضوع مفتعل مصنوع لا خير فيه ولا حجة باعرا به » (٣)

على ان المحققين فى العصر العباسى الثانى كأبى الفرج الاصبهاني وابن قتيبة وابن عبيد ربه وغيرهم ممن عانى الادب وانتقد الشعر ، بينوا أماكن الضعف فى كثير من المواضع وجعلوا للرواية شروطا (٤) فى الاسناد والاخذ والتحقيق لا محل لها هنا . وانتقد محمد بن سلام شيئا من ذلك فى مقدمة طبقاته

ولابى القاسم عمر بن حمزة البصرى المتوفى سنة (٣٧٥ هـ) كتاب فى انتقاد الرواة سماه « التنبهات على أغاليط الرواة » ضمنه التنبيه على الاغاليط التى وقعت فى نوادر أبى زياد الكلبي ، ونوادر أبى عمرو الشيباني ، وكتاب النبات لابى حنيفة الدينورى ، والكامل للمبرد ، والفصيح لشعلب ، والفريب للقاسم بن سلام ، واصلاح المنطق لابن السكيت وغيرهم . وفى المكتبة الخديوية نسخة خطية من هذا الكتاب واذ فرغنا من الكلام على الرواية بأنواعها وهى أصل علم الادب ، فلننتقل الى ما يتفرع اليه الادب من العلوم وأهمها النحو واللغة . . فان أصحابهما كانوا فى الاصل من جملة الرواة ، ثم اختص بعضهم بهذا العلم والبعض الآخر بذلك

(١) الزهر ٢٠٣ ج ٢

(٢) الزهر ٨٥ ج ١

(٣) الزهر ٨٥ ج ١

(٤) الزهر ٧١ ج ١

النحو

في العصر العباسي الاول

البصريون والكوفيون

النحو باعتبار ما تقدم فرع من الادب ، لكنه ولد قبله لاحتياج المسلمين الى ضبط القراءة . . فوضعه ابو الاسود الدؤلي كما تقدم في العصر الاموي ، وقد نضج وصار علما في أيام العباسيين على ايدي ادباء البصرة والكوفة . واهل البصرة اسبق الى ذلك وهم الذين ضبطوا النحو والفوا فيه . ومنهم ابو الاسود واضعه ، وابن ابي اسحق الحضرمي اول من علله ، وعيسى بن عمر الثقفي اول من ألف فيه ، وهارون بن موسى اول من ضبطه ، وسيبويه اول من اجاد في تأليفه . ثم قلدهم الكوفيون ، وخالفوهم في بعض قوانينه ، وقامت المناظرة بين البلدين ، وصار لكل منهم مذهب في النحو كما هو مشهور (**) . واهل البصرة ارسخ قديما وأوسع علما وأولى بالثقة . ولكن السياسة اقتضت ظهور الكوفيين بعد قيام الدولة العباسية ، فقدمهم خلفاؤها لانهم كانوا من انصارهم . فكانوا يقربونهم ويفضلونهم على نحويي البصرة ويختارون منهم اساتذة لاولادهم ، فالكسائي والفراء والمفضل الضبي والشرقي بن القطامي كلهم من اهل الكوفة وقد علموا أبناء الخلفاء ، ولولا الفرض السياسي ما كان لهم ذكر . وتحامل الامين على سيبويه في المناظرة التي عقدها بينه وبين الكسائي (***) بشأن النحلة والزبور ، وهي أشهر من أن تذكر (١)

اول من علله

فالبصريون اصحاب الفضل في وضع النحو وترقيته وتنسيقه ، بدأ بذلك ابو الاسود فوضع بعض قواعده وأخذ يلقيها ويعلمها لمن شاء من الادباء أو القراء . . فكان أبرع تلامذته عنبسة بن معدان المهري ، فأقبل

(**) انظر في مذهبي البصريين والكوفيين كتاب الانصاف في مسائل الخلاف بين النحويين البصريين والكوفيين ، ومقدمة فيل weil له ، وهي مقدمة نفيسة ، وراجع ضحي الاسلام ، الجزء الثاني

(***) لم تكن هذه المناظرة في مجلس الامين ، انما كانت في مجلس يحيى بن خالد البرمكي كما سيحي

الناس يطلبون النحو على يده ، فتفتقه عليه جماعة كان أبرعهم ميمون الاقرن (١) ، فجعل الناس يأخذون النحو عنه تلقينا بلا تعليل ولا ضبط . ويقال ان أول من علله ، أى ذكر أسباب اعرابه ، عبد الله بن أبى اسحق الحضرمي المتوفى سنة ١١٧ هـ ، والغالب في اعتقادنا ان تعليل الاعراب لم ينضج الا بعد نقل كتب الفلسفة اليونانية الى العربية في العصر العباسي الذي نحن بصدده

اول من ضبط قواعده واث فيهِ (*)

أما ضبط قواعده فأول من أقدم عليه هارون بن موسى ، وهو يهودى من أهل البصرة أسلم واشتغل بالادب وضبط النحو لكنه لم يؤلف فيه . وأول من ألف فيه عيسى بن عمر الثقفي المتوفى سنة ١٤٩ هـ ، وكان فصيحاً يتقعر في كلامه ، فيقال انه ألف كتابين أحدهما الجامع والآخر الاكمال ذكرهما الخليل في شعره ولم يرهما أحد (٢)

وقد عانى النحو وقواعده كل من ظهر في البصرة من الأدباء في ذلك العصر لانه من علم الادب ، الا ان بعضهم كان يميل الى النحو أكثر من سواه وربما دخل في جملة ما يكتبه في الادب أو اللغة كما فعل الخليل بن احمد وأضع علم العروض . . فقد أتى على أشياء من قبيل النحو في كتاب العين الأتني ذكره . وهكذا يقال في أمثاله الذين اشتغلوا بفنون الادب كأبى عمرو ابن العلاء . ومنهم من اقتص بالنحو ونصب نفسه للإفادة وان لم يؤلف فيه ، كيونس بن حبيب المتوفى سنة ١٨٣ وكان معاصراً لهؤلاء جميعاً وأخذ عن أبى عمرو بن العلاء . . وتمكن من النحو حتى صار له فيه مذاهب وأقيسة تفرد بها . وعقد لنفسه حلقة في البصرة يلقي فيها هذا العلم . وكان يقصده طلبة العربية وفصحاء الاعراب ، فكان يعلم النحو واللغة وهما لم يفترقا بعد . ولم يستقل النحو بنفسه استقلالاً تاماً حتى ألف فيه سيبويه كتابه المشهور . وهك أشهر نحاة هذا العصر حسب سنى الوفاة :

علمه النحو في العصر العباسي الاول

١ - سيبويه

توفى سنة ١٨٣ هـ

هو من الموالى ، واسمه أبو بشر عمرو بن عثمان ، مولى بنى كعب بن كعب . وسيبويه بالفارسية معناه رائحة التفاح . نشأ في البصرة الأثر والفقه ، ثم طلب النحو وأخذه عن الخليل ويونس وعيسى

سيبويه

أو فاذا هو

فقلب على

باب اذا

(١) طبقات الادباء ١٦

(*) أنظر في نشأة النحر العربي وأهم من وضعوا قواعده وعلله، ضحى الاسلام فقلب على

(٢) طبقات الادباء ٢٨

حتى برع فيه ، و ألف كتابه الذي لم يسبقه أحد الى مثله ، ونسب فيه الى كل من أساتذته أقواله واعتمد على أبي زيد الانصارى وكان يسميه الثقة . . فكان لذلك وقع جميل عند أهل البصرة وصار كتابه تحفة يتسابق الفضلاء الى التهادى به . واشتهر حتى أصبح قائلهم اذا قال : « قرأ فلان الكتاب » علم انه يعنى كتاب سيبويه . وكان أبو العباس المبرد اذا أراد احد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه ، يقول له : « هبل ركبت البحر ؟ » تعظيما للكتاب واستصعابا لما فيه . وقال أبو عثمان المازنى : « من أراد أن يعمل كتابا كبيرا فى النحو بعد كتاب سيبويه فليستخ . وأخذ العلم عنه جماعة من المشاهير أشهرهم أبو الحسن الاخفش وكان أكبر سنا منه ، وقطرب وكانت له معهما ومع سواهما مناظرات

وكان أهل الكوفة فى أثناء ذلك قد عنوا بالنحو ، فأخذوه عن أهل البصرة واشتغلوا فيه . . فنسب معاذ الهراء المتوفى سنة ١٨٧ ، وأبو جعفر الرؤاسى ابن أخى معاذ ، فوضع كتابا فى النحو ، وهو أول من فعل ذلك من الكوفيين ، والكتاب ضاع

كتاب سيبويه

أما كتاب سيبويه فانه باق ، ومنه عدة نسخ خطية فى المكتبة الخديوية وغيرها ، وقد طبع فى باريس سنة ١٨٨٣ - ١٨٨٩ بعناية المستشرق ديرنبورج فى مجلدين كبيرين ، فى ١٠٠٠ صفحة كبيرة ، علق عليها تعاليق مفيدة ومقدمة باللغة الفرنسية عن مسودات هذا الكتاب ومطابقتها وما قيل فيها . وطبع بمصر سنة ١٨٩٦ ، وفى كلكتا ١٨٨٧ . وقد نقله الى الألمانية الدكتور ياهن ، وطبع فى برلين سنة ١٨٩٤ - ١٨٩٨ ، وفى الكتاب ٧٢ فصلا ، يحتوى الجزء الاول منه على الكلم وأقسامه والفاعل والمفعول فالفعل وما يعمل عمله واحكام المصدر والحال والظرف والجر والبسمل والمعرفة والنكرة والصفة والابتداء والخبر والاسماء التى بمنزلة الفعل والاحرف المشبهة به والنداء والترخيم والنفى بلا والاستثناء وباب لكل حرف من أحرف الجر . وفى الجزء الثانى ما ينصرف وما لا ينصرف والنسبة والاضافة والتثنية والتصغير والمقصود والممدود والجمع وفعلت وافعلت وما يليها من الزيدات والوقف وشروطه وما يكون عليه الكلم وما أبدل من الفارسية وغير ذلك مما يطول شرحه . وهو على غير الترتيب المألوف عندنا ، ^{الأدب} أصل الكتب المؤلفه فى النحو كتاب سيبويه وكتاب العين للخليل .

(*) انظر عرض جماعة لانتقاد كتاب سيبويه منهم المبرد (١) . وقد ألف أبو البصريين ^{له} الذى كتابا سماه كتاب الاستدراك على كتاب سيبويه ، انتقد فيه الجزء الثانى ^{له} . (*) كما سيجى . وقد شرح الكتاب السيراقى ، ومن هذا الشرح بضع نسخ فى (١) تاريخ

المكتبة الخديوية احداها بخط عبد اللطيف البغدادي الرحالة الشهير
وأخبار سيبويه في ابن خلكان ٣٨٥ ج ١ ، وطبقات الادباء ج ٧١ ،
والفهرست ٥١ ، والدميري ١٢٤ ج ٢ (*)

٢ - معاذ الهراء

توفي سنة ١٨٧ هـ

هو أبو مسلم عم أبي جعفر الرؤاسي من أساتذة الكسائي الاتي ذكره ،
ولم يخلف مؤلفا وإنما ذكرناه لانه أول من وضع التصريف
وترجمته في ابن خلكان ٩٩ ج ٢ ، وطبقات الادباء ٦٤ ، والفهرست
٦٥ (***)

٣ - الكسائي

توفي سنة ١٨٩ هـ

هو أشهر نحاة الكوفة ، واسمه على بن حمزة ، مولى بني أسد ، وأصله
من فارس. أخذ النحو عن أبي جعفر الرؤاسي ومعاذ الهراء المتقدم ذكرهما .
وخرج الى البصرة ولقى الخليل بن احمد ، فأخذ عنه وعشق النحو. وهو
من القراء السبعة . واستقدمه الخلفاء العباسيون الى بغداد ليعلم أبناءهم ،
وقدمه البرامكة فارتفعت منزلته وأخذ يعرض بسبويه وكتابه حتى كانت
مسألة الزنبور والنحلة . فتعصب الخليفة الامين لمعلمه الكسائي ، وجمع
الرجلين فتناظرا في حضرته ، وشهد بدوى بصحة رأى سبويه لكن الامير
تعصب لمعلمه حتى اضطر سبويه الى الفرار في حديث طويل (***) .
وألف الكسائي عدة كتب في النحو والقراءات والادب والنوادر وغيرها لم
يصلنا منها الا رسالة في لحن العامة منها نسخة خطية في مكتبة برلين ، وقد
طبعت في برسلاو

(*) وراجع ترجمة سبويه في اخبار النحويين البصريين ص ٤٨ وأنباه الرواة ج ٢ ص ٢٤٦
وبغية الوعاة ص ٣٦٦ وطبقات الزبيدي ص ٣٨ والمعارف ص ٢٣٧ ومعجم الادباء ج ١٦ ص ١١٤
وطبقات ابن قاضي شهبة ج ٢ ص ٢٠٦ وطبقات القراء لابن الجزري ج ١ ص ٦٠٢ والفنلاكة
والمفلوكين ص ٨٣ ومراة الجنان ج ١ ص ٣٤٨ والمزهر للسيوطي « طبعة الحلبي » الجزء الثاني
في مواضع متفرقة وشذرات الذهب ج ١ ص ٢٥٢ وتهذيب اللغة للازهري ج ١ ص ٩ وروضات
الجنات ص ٥٠٣ وتاج العروس ج ١ ص ٣٠٥ وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ١٩٥ وكتب التاريخ في
سنة وفاته ودائرة المعارف الاسلامية

(**) وانظر في معاذ أنباه الرواة ج ٣ ص ٢٨٨ وبغية الوعاة ص ٣٩٣ وشذرات الذهب
ج ٢ ص ٣١٦ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ٢ ص ٢٤٨ ومراة الجنان ج ١ ص ٤٠٣ وطبقات
الزبيدي ص ٨٧ والمزهر ج ٢ ص ٤٠٠ ، ٤٢٣ ، ٤٢٩ وكتب التاريخ في سنة وفاته
(١) المزهر ٢٠٢ ج ٢

(***) انما كانت هذه المناظرة في مجلس يحيى بن خالد البرمكي إذ اختلف سبويه
والكسائي في قول العرب : « كنت أظن الزنبور أشد لسا من النحلة فاذا هو أي فاذا هو
أياها » . وأنكر سبويه التعبير الثاني وصححه الكسائي وشهد له العرب الثقات ، فغلب على
صاحبه . والمناظرة مبسطة في ترجمتهما بكتب طبقات النحاة وفي المغني لابن هشام باب « اذاه »

وأخياره في ابن خلكان ٣٣٠ ج ١ ، وطبقات الادباء ٨١ ، والفهرست ٢٩ و ٦٥ (*)

واشتهر من النحاة في العصر العباسي الاول آل اليزيدي وهم كثيرون ، وأبو الحسن الاخفش ، وأبو عمر الجرمي ، وغيرهم من أهل البصرة . وجماعة كبيرة من أهل الكوفة نبغوا بعد فوز الكسائي لان انتصاره كان انتصارا لبلده ، واشتهر جماعة منهم في بغداد كالفراء وابن الاعرابي وهشام بن معاوية الضيرر وابن السكيت وهاك أشهرهم :

٤ - الفراء

المتوفى سنة ٢٠٧ هـ

هو أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء الديلمي ، من موالي بني أسد في الكوفة وأخذ عن الكسائي ، وكان اماما ثقة له شأن عظيم في اللغة ومذهب واتباع ومريدون . قال أبو العباس : « لولا الفراء لما كانت اللغة لانه حصلها وضبطها ، ولولا الفراء لسقطت العربية لانها كانت تتنازع ويدعيها كل من أراد . ويتكلم الناس على مقادير عقولهم وقرائحهم فتذهب » وقال أبو بكر بن الانباري : « لو لم يكن لأهل بغداد والكوفة من علماء العربية الا الكسائي والفراء ، لكان لهم بهما الافتخار على جميع الناس »

ومما رفع قدره وجمع الادباء حوله حظوته عند المأمون الخليفة ، فانه كان يقدمه وعهد اليه تعليم ابنه النحو واقترح عليه ان يؤلف ما يجمع به أصول النحو وما سمع من العربية . وأمر ان تفرد له حجرة من الدار ووكل بها جوارى وخدماء للقيام بما يحتاج اليه وسير اليه الوراقين يكتبون ما يمليه حتى صنف كتاب « الحدود » في سنتين ، ثم خرج للناس وأملى كتاب « المعاني » فخرنه الوراقون عن الناس ليتكسبوا بنسخه كل خمس أوراق بدرهم فشكاهم الناس اليه . فلما أبوا اخراج كتابه أخذ يملى كتابا آخر في المعاني أطول وأوسع ، فخاف الوراقون فرضوا ان ينسخوا كل عشر أوراق بدرهم

وعظم قدر الفراء في الدولة حتى تسابق تلميذاه ابنا المأمون الي تقديم نعله اليه لما نهض للخروج ، ثم اصطلحا على ان يقدم كل منهما فردة . وبلغ المأمون ذلك فاستدماه وقال له ذلك ، فقال : « لقد أردت منعهما ولكن خشيت ان أدفعهما عن مكربة سبقا اليها أو اكسر نفوسهما عن شريفة حرصا عليها » (١) ففرح المأمون وقال : « لو منعتهما عن ذلك لأوجعتك لوما »

(*) وراجع فن ترجمة الكسائي الانساب للسمعاني ٤٨٢ ٢ وتاريخ بغداد ج ٨١ ص ٤٠٣ وتهذيب اللغة للزمخري ج ١ ص ٧ وروضات الجنات ٤٧١ وانباء الرواة ج ٢ ص ٢٥٦ ونبذة الرواة ص ٣٣٦ وطبقات الزبيدي ص ٨٨ وطبقات ابن قاضي شبهة ج ٢ ص ١٤٧ وطبقات الفراء ج ١ ص ٥٣٥ واللباب ج ٣ ص ٤٠ ومرآة الجنان ج ١ ص ٤٢١ والمعارف ص ٢٣٧ ومعجم الادباء ١٣ ص ١٦٧ وشننرات الذهب ج ١ ص ٣٢١ وكتب التاريخ في سنة وفاته (١) طبقات الادباء ١٣١ وابن خلكان ٢٢٨ ج ٢

ولم يكن الفراء مقتصرًا في معرفته على النحو ، فإنه كان ماهراً في النجوم والطب وإيام العرب وأخبارها . وله مؤلفات كثيرة تدخل في ثلاثة آلاف ورقة أي ٦٠٠٠ صفحة ، كان يملئها على تلامذته بدون كتاب لأنه كان قوى الحافظة . وكان أكثر مقامه في بغداد يجمع طوال دهره ، فإذا كان آخر السنة خرج إلى الكوفة وأقام بها ٤ يوماً يفرق ما جمعه حتى توفي سنة ٢٠٧ هـ ، وذكر له صاحب الفهرست عدة مؤلفات في النحو واللغة لم يصلنا منها إلا :

١ - كتاب معاني القرآن منه نسخة في كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية (**)

٢ - بلغنا أن في المكتبة الاحمدية بحلب نسخة من كتاب المذكر والمؤنت تنسب اليه

وكان له أصحاب ومريدون أشهرهم : أبو جعفر محمد بن قادم معلم المعتز ، وسلمة بن عاصم أحد علماء الكوفة الثقات ، وغيرهما . وأكثرهم الفوا في النحو وضاعت كتبهم

وتجد أخبار الفراء في ابن خلكان ٢٢٨ ج ٢ ، وطبقات الادباء ١٢٦ ، والفهرست ٦٦ (***)

٥ - ابن السكيت

توفي سنة ٢٤٤ هـ

هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق السكيت آخر نحاة الكوفة في هذا العصر ، أصله من الاهواز . وكان يؤدب ولد جعفر المتوكل . أخذ النحو عن أبي عمرو الشيباني ، والفراء ، وابن الاعرابي ، الاتى ذكره بين اللغويين . ولقى الاعراب وأخذ عنهم ، وعلم عبدالله بن طاهر وغيره ، وغضب عليه المتوكل في آخر أيامه لجرائته في الدفاع عن علي بن أبي طالب وآله . . . وذلك أن المتوكل سأله يوماً وهو يعلم ابنه : « يا يعقوب أيهما أحب إليك ابنائى هذان أم الحسن والحسين ؟ » فأجابه : « أن قنبراً خادم على خير منك ومن ابنك » فأمر المتوكل فسلوا لسانه من قفاه فمات ، وقد خلف بضعة وعشرين مؤلفاً في النحو واللغة والمنطق والشعر ذكرها صاحب الفهرست وهالك ما بلغنا خبره منها :

١ - كتاب اصلاح المنطق : منه نسخ خطية في أكثر مكاتب أوروبا والاستانة وفي المكتبة الخديوية ، وقد طبع في مصر سنة ١٩٠٧

٢ - كتاب الالفاظ أو تهذيب الالفاظ : في اللغة وليس في النحو ، يبحث

(**) تنشر دار الكتب المصرية الان هذا الكتاب ، وقد ظهر منه الجزء الاول
(***) وانظر في ترجمة الفراء كتب طبقات النحاة المختلفة وطبقات القراء ومعجم الادباء
ج ٢٠ ص ٩ وشذرات الذهب لابن العماد الجزء الثاني وتهذيب التهذيب ، الجزء الحادى عشر ،
ودائرة المعارف الاسلامية

في أحوال الالفاظ ومعانيها ، منه نسخة خطية في مكتبتى باريس ولندن .
وقد طبع في بيروت بعناية الاب شيخو عن تينك النسختين سنة ١٨٩٦ مع
شروح للتبريزى ، وطبعوا منه طبعة مختصرة سنة ١٨٩٧ سموها مختصر
تهذيب الالفاظ.

وتجد أخباره في ابن خلكان ٣٠٩ ج ٢ ، وطبقات الادباء ٣٢٨ ، والفهرست
٧٢ (*)

فالنحو نضج في هذا العصر ووضعت فيه الكتب الواقية بخلاف الادب ،
فانه كان لا يزال مشتتا مضطربا وسينضج في العصور الاتية . وكذلك علم
اللغة كما سنبينه في مكانه

(*) دراجع في ابن السكيت بنية الوعاة للسيوطى وطبقات الزبيدى ص ٢٢١ ومعجم الادباء
ج ٢٠ ص ٥٠ وكتب التاريخ في سنة وفاته ودائرة المعارف الاسلامية

علم اللغة

في العصر العباسي الاول

تريد بعلم اللغة الاشتغال بالفاظ اللفة من حيث معانيها وأصولها واشتقاقها ، وهو ينتهي بتأليف المعاجم اللغوية ، ولم يتم نضجها الا في العصر العباسي الثالث كما سيجيء . لكن السبيل تمهدت لها في هذا العصر وما يليه بما ألفه الادباء من الكتب في الفاظ الموضوعات الخاصة . وقد جاء ذكر بعضها في مؤلفات الاصمعي وغيرها من كتب الادب ، ككتاب الخيل وأسماء الوحوش وكتب الشاء وخلق الانسان . وقد يتبادر الى الاذهان من قراءة أسمائها انها كتب في علم الحيوان أو التشريح ، ولكنها كتب لغوية يحوى كل منها أسماء الحيوانات وأعضائها ، ومن الانسان أسماء أعضائه وأحواله . وكانت للعرب همة عالية في استقصاء ذلك في صدر دولتهم يتبارون في التنقيب عنه من أماكنه ، اما بالسفر الى البادية أو بالسؤال ممن يفد على البصرة والكوفة من فصحاء العرب كما تقدم

وكان الامويون يستحثون الادباء على ذلك بمناقشات يشرونها بين أيديهم في هذه الموضوعات كما فعل عبد الملك في مجلس من مجالسه ضم جماعة من خاصته ومسامريه فقال : « أيكم يأتيني بحروف المعجم في بسدنه وله على ما يتمناه ؟ » فقام اليه سنويد بن غفلة فقال : « انا لها يا أمير المؤمنين » فقال : « ما عندك ؟ » قال : « أنف . بطن . ترقوة . ثغر . جمجمة . حلق . خد . دماغ . ذكر . رقبة . زند . ساق . شفة . صدر . ضلع . طحال . ظهر . عين . غيبة . فم . قفا . كتف . لسان . منخر . هامة . وجه . يد . فهذه آخر حروف المعجم والسلام على أمير المؤمنين »

فقام بعض أصحاب عبد الملك وقال : « يا أمير المؤمنين انا أقولها في جسد الانسان مرتين ، فضحك عبد الملك وقال لسويد : « اما سمعت ما قال ؟ » قال : « نعم انا أقولها ثلاثا » فقال له : « لك ما تمنى » فقال : « أنف . أسنان . أذن . بطن . بصر . بز . ترقوة . تمر . تينة . ثغر . ثنايا . ثدى . جمجمة . جنب . جبهة . حلق . حنك . حاجب . خد . خصر . خاصرة . دبر . دماغ . دردر . ذكر . ذقن . ذراع . رقبة . رأس . ركة . زند . زردمة . زغب . ساق . سر . سبابة . شفة . شعر . شارب . صدر . صدغ . صلعة . ضلع . ضفيرة . ضرس . طحال . طرة . طرف . ظهر . ظفر . ظلم . عين . عنق

عائق . غيبة . غلصمة . غنة . فم . فك . فؤاد . قلب . قدم .
 قفا . كف . كتف . كعب . لسان . لحية . لوح . مرفق . منكب .
 منخر . نفنوخ . ناب . نن . هامة . هيف . هيئة . وجه . وجنة .
 ورك . يمين . يسار . ياقوخ . ثم نهض مسرعا وقبل الارض بين يدي
 عبد الملك . فقال : « والله ما نزيد عليها اعطوه ما تمنى » ثم أجازته وأنعم
 عليه وبالغ في الاحسان اليه

اوليات كتب اللغة

فهذا وأمثاله بعث الناس على العناية بحفظ الفاظ اللغة ، وحمل الآخرين
 على التأليف فيها بشكل مجاميع كل مجموع في موضوع . . فكتاب النخل
 والكرم مثلا لا يبحث في طبائع النخل والكرم ومعالجتهما أو زراعتهما ،
 وإنما هو يبحث في أسماء أنواعهما وأغصانهما وما يتعلق بهما من اسم أو
 فعل . وهاك قطعة من أول هذا الكتاب على سبيل المثال :

« من صفار النخل الجثيث وهو أول ما يطلع من أمه ، وهو الودى والهرأ
 والفسيل ، وإذا كانت الفسيلة في الجذع ولم تكن مستأرضة فيه فهو من
 خسيس النخل والعرب تسميها الراكب . فإذا قلعت الودية من أمها بكرها
 قبل ودية منقلة . فإذا غرسها حفر لها بئرا ففرسها ثم كبس حولها بترنوق
 المسيل والدمن ، فتلك البئر هي الفقير يقال : فقرنا للودية تفقيرا ، والأشياء
 من صفار النخل

« ومن نعوت سعفها وكرها وقلبها يقال للفسيلة إذا أخرجت قلبها قد
 انسفت . ويقال للسعفات اللواتي يلين القلبية « العواهن » في لغة أهل
 الحجاز . أما أهل نجد فيسمونها « الخوافي » وأصول السعف الغلاظ
 الكرايف الواحدة كرافة . والعريضة التي تيبس فتصير مثل الكتف هي
 الكرية وشحمة النخلة هي الجمار . فإذا صار للفسيلة جذع قيل قد
 قعدت وفي أرض بنى فلان من القاعد كذا وكذا . والسعف هو الجريد عند
 أهل الحجاز وأحدثه جريدة وهو الخرص وجمعه خرصان والخلب الليف
 وأحدثه خلبة . . . » (١)

وقس على ذلك كتب خلق الانسان والابل وغيرها . فكل منها يشتمل
 على أسماء وأفعال تجمعها صفة مشتركة بينها في المعنى . فهي من قبيل
 المعاجم المعنوية التي تجمع مفردات اللغة فيها حسب معانيها تميزا لها عن
 المعجمات اللفظية التي تجتمع فيها الالفاظ بحسب هجائها على ترتيب
 الأبجدية . وأشهر المعجمات المعنوية فقه اللغة للشعالبي ، والمخصص لابن
 سيده ، وهي أهم مما فعله الأصمعي وأثرابه ولكنها تشبهها من حيث المراد
 بها وسياق ذكرها في مكانها . وعلى كتب الخيل والشاء والابل والشجر
 والكرم وخلق الانسان وأشباهاها من كتب النوادر والامثال والاضداد

واللغات والفروق وغريب القرآن والحديث وكتب المياه والجبال ، ونحوها ،
عول واضعو المعجمات في ضبط الالفاظ ومعانيها فضلا عن تحريمهم للمفردات
عن فصحاء الاعراب

علماء اللغة في العصر العباسي الاول :

١ - الخليل بن أحمد

توفي سنة ١٨٠ هـ

هو ابو عبد الرحمن الخليل بن أحمد البصرى الفراهيدى الازدى ، سيد
أهل الادب في تصحيح القياس واستخراج مسائل النحو وتعليقه . وكان
من تلامذة أبى عمرو بن العلاء ، وعنه أخذ سيبويه . وعامة الحكاية في
كتاب سيبويه عن الخليل ، وكلما قال سيبويه « سألته » أو « قال » من
غير أن يذكر القائل فهو يعنى الخليل . وأخذ عنه أيضا النضر بن شميل ،
ومؤرج السدوسى ، وعلى بن نصر ، وغيرهم

وقد علمت انه أول من ضبط اللغة ، وهو أيضا أول من استخراج علم
العروض الى الوجود ، وخصر أقسامه في خمس دوائر يستخرج منها ١٥
بحرا . ثم زاد فيه الاخفش بحرا سماه الخبب . وقد ضبط أوزان الشعر
ووقعها على المقاطع والحركات ، واستفرق في درس ذلك حتى كان يقضى
الساعات في حجرته وهو يوقع بأصابعه ويحركها . . رووا ان ابنه دخل
عليه مرة وهو فى هذه الحال فظن أنه أصيب بالجنون فقال له الخليل :

لو كنت تعلم ما أقول عذرتنى أو كنت تعلم ما تقول عذرتكا
لكن جهلت مقالتي فعذلتنى وعلمت أنك جاهل فعذرتكا

وكان الخليل فى فاقة وزهد لا يبالي بالدنيا ، وذكروا ان سليمان بن
على وجه اليه من الاهواز لتأديب ولده ، فأخرج الخليل الى رسول سليمان
خبزا يابساً وقال : « كل ، فما عندي غيره ، وما دمت أجده فلا حاجة لى
الى سليمان » فقال الرسول : « فما أبلغه » فقال :

أبلغ سليمان أنى عنه فى سعة وفى غنى غير أنى لست ذا مال
سختى بنفسى أنى لا أرى أحداً يموت هزلاً ولا يبقى على حال
والفقر فى النفس لا فى المال تعرفه ومثل ذلك الغنى فى النفس والمال
فالرزق عن قدره لا العجز ينقصه ولا يزيدك فيه حول محتال

وأهم مؤلفاته كتاب العين

كتاب العين

الخليل أسبق العرب الى تدوين اللغة وترتيب الفاظها على حروف المعجم قبل الأصمعي وسيبويه وسواهما من الادباء والنحاة . . فله فيها كتاب سماه كتاب العين جمع فيه ما كان معروفا في أيامه من الفاظ اللغة وأحكامها وقواعدها وشروطها ورتب ذلك على حروف الهجاء . لكنه رتب الحروف حسب مخارجها من الحلق فاللسان فالاسنان فالشفقتين ، وبدأ بحرف العين وجعل حروف العلة في الآخر . وهاك ترتيبه (*) : ع ح ه ح غ ق ك ش ص ض س ر ط ذ ث ظ ذ ث ز ل ن ف ب م و ا ي . فكان الخليل حداً بذلك حذو الهنود في ترتيب حروف لغتهم السنسكريتية ، فانهم يبدأون بأحرف الحلق وينتهون بالأحرف الشفوية (١)

وكان من عادة العرب أن يسموا الكتاب بأول لفظ من الفاظه ، ككتاب الجيم للهروي وهو كتاب رتبه على حروف المعجم بدأ به بحرف الجيم (١) ، وكتاب الجيم لأبي عمرو الشيباني ، ومثلهما كتاب الفين ، وكتاب الميم ، ويستفاد من ترتيب الحروف في كتاب العين أن الجيم كانت تلفظ كالكاف الفارسية

ومن أبحاث كتاب العين احصاء الفاظ اللغة في أيامه ، فقد نقل عنه السيوطي انه احصى فيه عدد أبنية كلام العرب المستعمل والمهمل ، فبلغ ١٢٣٠٥٤١٢ كلمة ، ولعله أراد ما يمكن تكوينه بتركيب أحرف الهجاء على كل شكل من الثنائي والثلاثي والرباعي والخماسي . ولم يذكر عدد الكلام المستعمل منها . على أن أبا بكر الزبيدي الذي اختصر كتاب العين وجه نظره الى هذه المسألة ودرسها ، فكانت نتيجة درسه أن عدد الالفاظ العربية ٦٦٩٩٤٠٠ لفظ لا يستعمل منها الا ٦٢٠ ره لفظا والباقي وهو ٦٦٩٩٣٧٨٠ لفظا مهلا . وقد قسمها من حيث عدد أحرفها على هذه الصورة :

عدد الالفاظ	المستعمل منها	المهمل
٧٥٠	٤٨٩	١٦١
١٩٦٥٠	٤٢٦٩	١٥٣٨١
٣٣٤٠٠	٨٢٠	٣٠٢٥٨٠
٦٣٧٥٦٠٠	٤٢	٦٣٧٥٥٥٨
٦٤٢٩٤٠٠	٥٦٢٠	٦٦٩٣٦٨٠

(*) نقل المؤلف هنا الترتيب السنسكريتي الذي يظن أن الخليل تأثر به في ترتيب معجمه اذ رتبه على حروف الحلق . غير أن هذا الترتيب يخالف من بعض الوجوه الترتيب الذي ذكره ابن منظور لكتاب العين في مقدمته لسان العرب ، ولعل الخليل أحدث في الترتيب الذي أخذ به نحاة السنسكريتية بعض الاختلاف

ومن النظر الى هذا الجدول ، يتبين لك أن الزبيدي عنى بعدد الفاظ اللغة ما عناه الخليل وان كان قد جعل عددها نصف ما قاله ذلك ، فانك تجد أكثرها مهملًا . . فهو يريد بالمهمل الالفاظ التي يمكن أن تتركب من الحروف الهجائية كما تقدم لا التي تركبت واستخدمها الناس زمانا ثم أهملت لسبب من الاسباب (*)

ولم يصل اليها من كتاب العين الا قطع قليلة والا ما نقل عنه في كتب اللغة كالزهر للسيوطي وكتاب النحو لسيبويه . ولم ينبغ نحوي ولا لغوي ولا أديب في عصر الخليل وما يليه الا استفاد من كتابه . ولكن الثقات الباحثين مختلفون في حقيقة نسبته اليه ، وفي صحة ما جاء فيه من الروايات والاقوال . من ذلك ما رواه ابن النديم في الفهرست عن ابن دريد قال : « وقع في البصرة كتاب العين سنة ثمانى وأربعين (ومائتين) قدم به وراق من خراسان وكان في ثمانية وأربعين جزءا ، فباعه بخمسين ديناراً وكان قد سمع بهذا الكتاب وانه في خراسان بخزائن الطاهرية حتى قدم به هذا الوراق . وقيل أن الخليل عمل كتاب العين وحج وخلف الكتاب بخراسان ، فوجه به الى العراق من خزائن الطاهرية . ولم يرو هذا الكتاب عن الخليل ولا روى في شيء من الاخبار انه عمل هذا البتة . وقيل ان الليث من ولد نصر بن سيار صحب الخليل مدة يسيرة ، وان الخليل عمله له وأخذ طريقته وعاملت المنية الخليل فتممه الليث » (١)

وذكر السيوطي آراء القوم في أصله وحجج القادحين ، فلتراجع في الزهر (٣٩ ج ١ وما بعدها) ولكن الغالب في سبب تلك الحملة على الخليل انهم حسدوه لما واتاه من السبق الى ذلك العمل الجليل . . وكل سابق محسود . فلا خلاف في فضله على الاطلاق ، وهب أنه لم يتم الكتاب في حياته فله الفضل في تبويبه والشروع فيه . وأكثر ما جاء في الكتاب من قواعد النحو على مذهب الكوفيين مع ان الخليل بصرى . . فخالف ما جاء في كتاب سيبويه مما رواه سيبويه عنه . وقد جعلوا هذا حجة للطعن في الكتاب ، وانه ليس لل خليل . ويرى الاكثرون انه له ، وذلك لم يمنع انتقاده والاستدراك عليه . وقد ألف في انتقاده جماعة منهم الفضل بن سلمة ، وعبدالله بن محمد الكرمانى ، وابن دريد ، وغيرهم . وقد اختصره أبو بكر الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ هـ اختصاراً لطيفاً ، وشاع مختصره وأقبل عليه الناس وتحدثوا به فاستعملوه وفضلوه على الكتاب نفسه لكونه حذف ما أورده المؤلف من الشواهد المختلفة والحروف المصحفة والابنية المختلة . وفضلوه أيضا على سائر ما ألف على حروف المعجم من كتب اللغة يومئذ لاجل صغر حجمه . وألحق به بعضهم ما زاده أبو علي القالى في البارع على كتاب العين فكثرت الفائدة . على أن بعضهم انتقد على الزبيدي حذفه الشواهد

(*) واضح من هذا الجدول الذى ساقه المؤلف عن الزبيدي أن به ضرباً من الاختلال ، إذ لا يعقل أن يكون المستعمل من العربية نحو خمسة آلاف لفظاً ، بينما المعروف أن القاموس المحيط يشتمل على نحو ٦٠ ألف مادة ، وفي كل مادة من الزيدات والمشتقات نحو عشرين لفظاً (١) المهرست ٤٢

وبالجملة فان كتاب العين تحفة من تحف الادب ، وللخليل فضل كبير في وضعه . وللأسف ضاع ، وقد كان موجودا حتى القرن الرابع عشر للميلاد . ولا يبعد أن يعثر الباحثون على نسخة منه في بعض المكتبات الخاصة

أما مختصره للزبيدي ، فمنه نسخة خطية في مكتبة برلين ، وأخرى في الاسكوريال باسبانيا ، وكذلك في مدريد ، وفي مكتبة كوبرلي بالاستانة وذكر له ابن النديم من المؤلفات أيضا كتاب النغم ، وكتاب العروض ، وكتاب الشواهد ، وكتاب النقط والشكل ، وكتاب الايقاع . وفي المكاتب الكبرى في أوربا مما ينسب الى الخليل :

- ١ - كتاب في معنى الحروف في مكتبة ليدن ومكتبة برلين
 - ٢ - شرح حروف الخليل في مكتبة برلين قطعة منه
 - ٣ - جملة آلات العرب في مكتبة أيا صوفيا بالاستانة
 - ٤ - قطعة من كلام عن أصل الفعل في مكتبة اكسفورد (بودليان)
- وتجد ترجمته في ابن خلكان ١٧٢ ج ١ ، وطبقات الادباء ٥٤ ، والفهرست ٤٢ ، وابن خلدون ٤٨٢ ج ١ (*)

٢ - مؤرّج السدوسي

توفي سنة ١٩٥ هـ

هو أبو فيد مؤرّج بن عمر السدوسي ، كان من أكابر أهل اللغة وأخذ عن أبي زيد الانصاري وصحب الخليل بن أحمد وكان من كبار أصحابه . أصله من البادية ، قدم البصرة ولا معرفة له بالقياس في العربية . وأول ما تعلم ذلك في حلقة أبي زيد ، وكان يحفظ ثلثي اللغة وكان شاعرا . وصحب المأمون من العراق الى خراسان ، وسكن مدينة مرو مدة ثم قدم الى نيسابور وأقام فيها وكتب عنه مشايخها وله من المؤلفات كتاب الأنواء ، وكتاب غريب القرآن ، وكتاب جماهير القبائل ، وكتاب المعاني ، وغيرها لم يصلنا منها شيء وتجد أخباره في ابن خلكان ١٣٠ ج ٢ ، وطبقات الادباء ١٧٩ (***)

(*) وراجع في ترجمة الخليل اخبار النحويين البصريين ص ٣٨ والانساب ٤٢١ ١ وتهذيب الاسماء واللغات ج ١ ص ١٧٧ وتهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٦٣ وتهذيب اللغة للازهري ج ٦ ص ٤ وروضات الجنات ص ٢٧٢ وشذرات الذهب ج ١ ص ٣٧٥ وطبقات الزبيدي ص ٢٢ وأنباء الرواة ج ١ ص ٢٤١ والفلاحة والمفلوكين ص ٦٩ وطبقات الشعراء لابن الجزري ج ١ ص ٢٧٥ واللباب ج ٢ ص ٢٠١ ومرآة الجنان ج ١ ص ٣٦٢ والمعارف ص ٢٣٦ ومعجم الادباء ج ١١ ص ٧٢ والمزهر للسيوطي ج ٢ ص ٤٠١ ومراتب النحويين ص ٤٣ وطبقات ابن قاضي شعبة ج ١ ص ٣٣٥ وشرح مقامات الحريري للشريشي ج ٢ ص ٢٤٦ وكتب التاريخ في سنة وفاته وتهذيب الاسماء للنووي « طبعة وستنفلد » ص ٢٣٠ وخلاصة تذهيب الكمال ص ٩١ ودائرة المعارف الإسلامية

(**) وانظر في ترجمة مؤرّج اخبار النحويين البصريين ص ٥٢ وبغية الوعاة ص ٤٠٠ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٥٨ وطبقات الزبيدي ص ٤٧ وطبقات ابن قاضي شعبة ج ٢ ص ٢٦١ ومراتب النحويين ص ١٠٧ والمعارف ص ٢٣٦ ومعجم الادباء ج ١٩ ص ١٩٦ وأنباء الرواة ج ٣ ص ٣٢٧

٣ - النصر بن شميل

توفى سنة ٢٠٣ هـ

هو أبو الحسن النصر بن شميل التميمي البصري ، من تلامذة الخليل .. أخذ عنه وعن فصحاء العرب كآبي خيرة الاعرابي وأبي الدقيش ، وأقام في البادية أربعين سنة في هذا السبيل . وعنه أخذ أبو عبيد القاسم بن سلام الآتي ذكره . وبعد أن أقام في البصرة مدة ضاق به الرزق ، فنزح عنها الى خراسان فأصاب بها مالا عظيما . وكانت اقامته في مرو ، وله مع المأمون في أثناء اقامته هناك حكايات ونوادير لانه كان يخالسه ، وله عدة كتب ذهب خبرها ، عدا كتاب غريب الحديث ، أخذ الثعالبي عنه وأخبره في ابن خلكان ١٦١ ج ٢ ، وطبقات الادباء ١١٠ ، وفهرست ٥٢ (*)

٤ - قطرب

توفى سنة ٢٠٦ هـ

هو أبو علي محمد بن المستنير البصري من الموالي ، كان من كبار علماء اللغة . أخذ عن سيبويه وجماعة من أهل البصرة ، وكان يذهب مذهب المعتزلة وله عدة مؤلفات منها :

١ - كتاب الاضداد : مرتب على الابجدية منه نسخة خطية في مكتبة برلين

٢ - ما خالف فيه الانسان البهيمة : طبع في فينا سنة ١٨٨٨ م

٣ - كتاب الأزمئة : في المتحف البريطاني

٤ - مثلث قطرب : هو منظومة في بضعة وستين بيتا تحتوي على الالفاظ التي يختلف معناها باختلاف حركاتها مثل سهام وسهام وسنهام ، ولكل منها معنى وهو أول من فعل ذلك . ومنه نسخ في مكاتب لندن وباريس والاسكوريال والمكتبة الخديوية . وقد طبع في مايرج سنة ١٨٥٧ مع ترجمة لاتينية . وله شروح منها شرح ابراهيم اللخمي وغيره . ومن هذه الشروح نسخ في أكثر مكاتب أوروبا الكبرى (*)

(*) وراجع في ترجمة النصر طبقات النحويين للزبيدي ص ٢٩ ومراتب النحويين ص ١٠٧ والعارف ص ٢٣٦ وبنية الوعاة ص ٤٠٤ وانباء الرواة ج ٣ ص ٣٤٨ والفلاحة والفلوكين ص ٦٤ وطبقات القراء ج ١ ص ٢٤١ وطبقات ابن قاضي شعبة ج ١ ص ٢٧٢ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٧ ونهذيب التهذيب ج ١٠ ص ٤٣٧ وخلاصة تهذيب الكمال ص ٣٤٤ والمسزهر ج ٢ ص ٤٠٥ وكتب التاريخ في سنة وفاته
(*) انظر في ترجمة قطرب اخبار النحويين البصريين ص ٤٩ وطبقات الزبيدي ص ٦٦ ومراتب النحويين ص ١٠٨ وبنية الوعاة ص ١٠٤ وانباء الرواة ج ٣ ص ٢١٩ وتاريخ بغداد ج ٣ ص ٢٩٨ وتهذيب اللغة للازهري ج ١ ص ١٤ وروضات الجنات ص ٥٩٥ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٥ وطبقات ابن قاضي شعبة ج ١ ص ١٢٦ ولسان الميزان ج ٥ ص ٢٧٨ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٣٠٠ ومعجم الادباء ج ١٩ ص ٥٢ وكتب التاريخ في سنة وفاته

٥ - ابن الاعرابي

المتوفى سنة ٢٣١ هـ

هو أبو عبدالله محمد بن زياد من موالى بنى هاشم ، وكان من أكابر أئمة اللغة بالكوفة . ولم يكن في الكوفيين أشبه برواية البصريين من روايته ، وكان ربيبا للمفضل الضبي وسمع منه الدواوين وصححها . وكان أحفظ الناس للغات والانساب ، وطريقته طريقة الفقهاء والعلماء ، وله من الكتب الباقية الى الان :

١ - كتاب أسماء الپئر وصفاتها : منه نسخة في المكتبة الخديوية ، وقد نشرته مجلة المقتبس (مجلد ٦ ج ١) في سبع صفحات بتصحيح السيد محمود شكرى الالوسى

٢ كتاب أسماء الخيل وأنسابها : منه نسخة خطية بين كتب الشنقيطى بالمكتبة الخديوية

وأخبره فى ابن خلكان ٤٩٢ ج ١ ، وطبقات الادباء ٢٠٧ ، والفهرست

٦٩ (*)

(*) وراجع ترجمة ابن الاعرابي فى طبقات الزيندى ص ١٣٥ ومراتب اللحيين ص ١٤٩ وبغية الوعاة ص ٤٢ وانباه الرواة ٣ ص ١٢٨ وتاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٨٢ وتهذيب اللغاة للازهري ج ١ ص ٩ وروضات الجنات ص ٥٩٦ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٧٠ ومرآة الجنان ج ٢ ص ١٠٦ وطبقات ابن قاضى شعبة ج ٢ ص ٥٠ ومعجم الادباء ج ١٨ ص ١٨٩ والمزهرن ج ٢ ص ٤١١ ، ٤٦٤ وكتب التاريخ فى سنة وقاته

الإنشاء والمنشئون

الإنشاء من فنون الأدب ، وقد تقدم تاريخه في الجاهلية وعصر صدر الإسلام والامويين . ورأيت أنه اختلف في هذه العصور باختلاف أحوالها من المدنية أو الجاهلية ، ومن الحضارة أو البداوة . والعرب على اقتدار عليه مثل اقتدارهم على الشعر ، واللغة أكبر مساعد على ذلك .

كان الإنشاء في صدر الإسلام مقصورا على مكاتبة الخلفاء وأمرائهم وقوادهم ، أو مع سواهم في طلب حرب أو صلح أو حث أو تحريض . فلما صار الإسلام دولة ، تفرعت الكتابة إلى أقسام اقتضاها تعدد مصالح الدولة وتفرغ احتياجاتها . فصارت الكتابة خمسة أنواع ذكرناها في الجزء الأول من تاريخ التمدن الإسلامي . وأهمها بالنظر إلى الإنشاء والبلاغة ، كتابة الرسائل . وصاحبها يسمى كاتب السر ، وهو يد الخليفة ومستودع أسراره . وقد نبغت طائفة من كتاب الرسائل في الدولة الاموية ، آخرهم وأبلغهم عبد الحميد كما تقدم

فلما صارت الدولة إلى العباسيين على أثر ذلك الانقلاب الذي تبذلت فيه رجال الدولة ، وانتقل كرسى الخلافة وتنوعت أغراض الخلفاء - كما بينا ذلك في مكانه - أصاب الإنشاء تغيير يلائم ذلك الانقلاب . وأهم ظواهره الاستبحار في المدنية والاعراق في الحضارة بالنظر إلى الدولة الاموية . وظهر أثر ذلك على أقلام المنشئين ، كما ظهر في قرائح الشعراء

اول ثمار الرخاء

فالإنشاء في صدر الدولة العباسية أخذ في النزوع إلى ثمار الرخاء والترف ، وأهمها التطويل والاطناب . وزادهم الاختلاط بالفرس وما ترجم من آدابهم تانقا في العبارة ، ونزوعا عن أسلوب البلاء في صدر الإسلام وفي العصر الاموي وأخذوا يضمنون رسائلهم الأشعار والأمثال . وخالط ذلك في العصر العباسي الأول شيء من الاطراء والتفخيم ، وخصوصا فيما كانوا يكتبونه إلى الامراء يستعطفونهم أو يطلبون نوالهم ، كما فعل ابراهيم بن سيابة في رسالة كتبها إلى يحيى بن خالد بن برمك توخى فيها التسجيح فضلا عن الاطراء فقال في مطلعها (*) :

(*) الغريب في القطعة التالية :
الاصيد : السيد ، الواري الرند : التريم ، الحلالح : ذو المروءة

« للأصيد الجواد ، الوارى الزناد ، الماجد الأجداد ، الوزير الفاضل ،
الأشم الباذل ، اللثاب الحلاحل ، من المستكين المستجير ، اليأس
الضّرير ، فإنى أحمد الله ذا العزة القدير ، إليك وإلى الصغير والكبير ،
بالرحمة العامة ، والبركة التامة .. أما بعد ، فأغنم واسلم ، واعلم إن كنت
لا تعلم ، أن من يرّحم يترّحم ، ومن يحرم يحرم ، ومن يحسن يفتنم ،
ومن يصنع المعروف لا يعدم . وقد سبق إلى تغضبك على ، واطراحك لى
وغفلتك عنى بما لا أقوم له ولا أقعد ، ولا أتبه ولا أرقد ، فلست بحى
صحيح ، ولا بميت مستريح ، فررت بعد الله منك إليك ، وتصلت بك
عليك » .. إلى آخر الرسالة

وهى كما ترى أشبه بما صار إليه الانشاء فى أواسط الدولة العباسية .
ولولا ثقتنا بصدق رأوبها وهو الجاحظ (١) مع قرب عهده من ذلك العصر
لشككنا فى صحتها . فالظاهر أن ابن سيابة بالغ فى تميمق عبارته حتى
خرج عن الاسلوب المألوف فى عصره ، فأعظم الناس اقتداره وعملوا على
حفظ أقواله فقد ذكر الجاحظ أن البغداديين ، حتى عامتهم ، كانوا
يحفظون هذه الرسالة فى تلك الايام . ولا يصح أن تعد مثالا لاسلوب ذلك
العصر ، وإنما امام الانشاء فيه ابن المقفع وأسلوبه مشهور وسنعود الى
ذلك ..

وتنوعت أساليب الانشاء ومذاهب المنشئين فى الدولة العباسية بتنوع
العلوم ، فأصبح للفقهاء أسلوب والفاظ وتراكيب .. ومثل ذلك الجندى
أو المحدث أو الفيلسوف أو الطبيب ، لتعود كل منهم على مصطلحات علمه
وفنه ، كما هو شأننا لهذا العهد ، فان للصحافى أسلوبا خاصا ومثله للمؤلف
والروائى والعالم والمحامى وغيرهم ، تظهر فيه صيغة المهنة الخاصة بكل
منهم . ولكن هذه الاساليب كانت ولا تزال تتشابه وتتقارب لاضطرار
أصحابها الى تقليد أساليب القرآن والفاظ العرب العرباء

التوقيعات

وظل الميل الى الإيجاز متغلبا فى نفوس الادباء ولا سيما فى التوقيع ، ويراد
به ما يعلقه الخليفة على القصص أو الرقاع (العرضحالات) . وكان الخلفاء
فى صدر الاسلام هم الذين يوقعون بأنفسهم أو يأمرؤن كتابهم بتدوينه .
والغالب فى توقيعهم أن يكون اقتباسا من آية أو حديثا أو حكمة مشهورة
أو من الشعر الحكيم . ومن أمثلة ذلك أن سعد بن أبى وقاص عامل العراق
كتب الى عمر بن الخطاب كتابا يستأذنه فيه أن يبنى دارا فوق فى أسفل

الكتاب : « ابن ما يكنك من الهواجر وأذى المطر » ووقع أيضا لعمر بن العاص عامله على مصر جوابا على كتاب كتبه اليه : « كن لرعيك كما تحب أن يكون لك أميرك » . وتشكى قوم لعثمان بن عفان من مروان بن الحكم وذكروا انه أمر بضرب أعناقهم ، فوقع في ذلك الكتاب : « فان عصوك فقل اني برىء مما تعملون » وأرسله اليه

وقس على ذلك توقيعات بنى العباس ، فقد وقع السفاح الى قوم من أهل الأنبار شكوا اليه أن منازلهم أخذت منهم وأدخلت في بناء ، أمر به ولم يعطوا أثمانها ، فوقع : « هذا بناء أسس على غير تقوى » وأمر باعطائهم الأثمان . وشكا أهل الكوفة الى أبي جعفر المنصور سوء معاملة عاملهم ، فوقع على كتابهم : « كما تكونون يؤمر عليكم » ووقع على قصة رجل شكا عيلة : « سل الله من رزقه » . وجاء من عامله على حمص كتاب فيه خطأ فوقع في أسفله : « استبدل بكاتبك والا استبدل بك » . وكتب صاحب أرمينيا الى المهدي يشكو سوء طاعة رعاياه ، فوقع في الكتاب : « خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » وشكا بعضهم اليه اهمال عامله على خراسان ، فوقع على شكواهم : « أنا ساهر وأنت نائم » وأرسله اليه . ومن توقيعات هرون الرشيد الى عامله في خراسان : « داو جرحك لا يتسع » والى عامله على مصر : « احذر أن تخرب خزانتي وخزانة أخى يوسف ، فيأتيك منه ما لا قبل لك به ، ومن الله أكثر منه » . وكتب ابن هشام الى المأمون يتظلم من أمر فوقع على كتابه : « من علامة الشريف أن يظلم من فوجه ويظلمه من دونه ، فأى الرجلين أنت ؟ »

ولم تكن التوقيعات خاصة بالخلفاء . فمن توقيعات الامراء والوزراء توقيع جعفر البرمكي لمحبوس : « ولكل أجل كتاب » ووقع في كتاب جاءه في شكوى بعض عماله : « لقد كثر شاكوك ، وقل شاكروك ، فاما اعتدلت واما اعتزلت »

الانشاء المرسل او اسلوب المؤلفين

هذا كله من انشاء الرسائل في المخاطبات والمكاتبات . ولكن هناك ضربا من الانشاء نضج في العصر العباسي الاول ، نعني الانشاء المرسل في تأليف الكتب او كتابة المقالات الطويلة في الوصف او الموعظة او الفلسفة ، وهو غير اسلوب المراسلات . . فان هذا أقرب الى الخطابة او الشعر منه الى الاسلوب المتناسق الذي يقتضيه الاسترسال في وصف موضوع طويل متسلسل

ولم ينضج الاسلوب المرسل الا في العصر العباسي الاول لاضطرار الناس الى التأليف من عند أنفسهم ، بأن يدونوا أفكارهم أو ينقلوا أفكار سواهم من اللغات الأخرى . وأشهر من فعل ذلك في العصر المذكور عبدالله ابن المقفع في نقل كتاب كليله ودمنة وغيره من الفارسية القديمة (الفهلوية) الى العربية

وكان ابن المقفع عريقاً في الفارسية عالماً بأدائها متمكناً من أساليبها لأنها لغته ولغة آبائه . وكان يعرف اللغة اليونانية جيداً . وقد نشأ في النصف الأول من القرن الثاني للهجرة وهي حافلة بالأدباء والشعراء ، فبرع في اللغة العربية وآدابها ، وكان سليم الذوق ذا قريحة انشائية . ولما نقل كتاب كليلة ودمثة من الفارسية إلى العربية ، جاءت عبارته شاملة للبلاغة والسهولة . وقد تحداها من جاء بعده لأنه أقدم من حفظ انشاؤه في الموضوعات الأدبية باللغة العربية

وكتاب كليلة ودمثة أقدم ما وصل إلينا من الإنشاء المرسل من قلم رجل واحد ، هو من أدباء الفرس . ونظراً لما يمتاز به الكتاب المذكور من السهولة والرشاقة عن سائر ما كتب في عصره أو ما بعده من كتب الأدب ، يغلب على ظننا أنه اكتسب ذلك من تأثير أساليب اللغات الأخرى التي كان يعرفها ابن المقفع مع اقتدار خاص فيه على مثل ذلك الأسلوب . وقد قل من جاء بمثله بعده ولم يأت أحد بأحسن منه في بابه مع ما بلغ إليه العلم من الرقي في العصر العباسي وما نبغ فيه من عليّة الكتاب المشاهير ، مما يدل على أن الإنشاء قريحة خاصة مثل قريحة الشعر

ويقسم المنشئون في العصر العباسي الأول إلى طبقتين : منشئو الرسائل ، ومؤلفو الكتب

منشئو الرسائل (*)

والمنشئون للرسائل كثيرون مثل كثرة الشعراء للأسباب التي قدمناها . ومنهم طائفة حسنة من كبار الرجال حتى الخلفاء والأمراء والوزراء والشعراء . واشتهر بإنشاء الرسائل في هذا العصر من الأمراء والوزراء ونحوهم إبراهيم بن المهدي أخو الرشيد وله رسائل وشعر جيد . ومنهم أبو دلف والفتح بن خاقان وآل طاهر ، وخصوصاً طاهر بن الحسين

١ - طاهر بن الحسين

وهو رئيس هذه الأسرة توفي سنة ٢٠٧ هـ ، وكان من نوابغ المنشئين ، وله مجموع مراسلات ، ضاع خبرها إلا رسالة بليغة كتبها لابنه عبد الله ، لما ولاه المأمون الرقة ومصر وما بينهما ، أوصاه فيها بجميع ما يحتاج إليه في دولته وسلطانه من الآداب الدينية والحلقية والسياسية ومكارم الأخلاق . وهي منشورة في مقدمة ابن خلدون بباب : « أن العمران لا بد له من سياسة ينتظم بها أمره » تدخل في ثمانين صفحات

وتجد ترجمة طاهر في ابن خلكان ٢٣٥ ج ١

(*) لم يفصل المؤلف الحديث في كتاب الرسائل الديوانية أثناء العصر العباسي الأول ويمكن الرجوع إليهم في كتاب الوزراء والكتاب للنجاشي ، وانظر تطور الأساليب الشعرية لانيس المقدسي ، ومن خير الكتب التي تتضمن رسائل هذه الفترة كتاب جمهرة رسائل العرب لآحمد زكي صفوت

٢ - عمرو بن مسعدة

ومنهم عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول المتوفى سنة ٢١٧ هـ وزير المأمون، كان كاتباً بليغاً جزل العبارة وجيزها سديد المقاصد والمعاني. وكان يوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي في أيام الرشيد. وقد أثرى في خدمة المأمون حتى قيل أنه خلف بعد موته ٨٠٠.٠٠٠.٠٠٠ درهم، فقيل ذلك للمأمون، فقال: « هذا قليل لمن اتصل بنا وطالت خدمته لنا، فبارك الله لولده فيما خلف، وأحسن لهم النظر فيما ترك »

وتجد مثالا من انشائه في ترجمته في ابن خلكان ٣٩٠ ج ١
ومنهم ابن الليث كاتب يحيى بن خالد. وذكر ابن النديم أسماء جماعة خلفوا رسائل مجموعة في كتاب منهم: غيلان جمعت رسائله في ألف ورقة، وخالد بن ربيعة الإفريقي نشأ في الدواوين ورسائله ٢٠٠ ورقة. وغيرهم كثيرون لافائدة من ذكرهم لأن آثارهم ضاعت. ثم إن كتاب ديوان الرسائل أكثرهم في صدر الدولة العباسية من المنشئين البلغاء، كابن عبد الملك الزيات الوزير، وأبى على البصير وأحمد بن يوسف كاتب المأمون، وحמיד بن مهران كاتب البرامكة، وابن يزداد وزير المأمون، وموسى بن عبد الملك، وميمون بن أبراهيم، وغيرهم (١)

الكتاب المؤلفون

١ - عبد الله بن المقفع

توفى سنة ١٤٣ هـ

هو امام هذه الطبقة وقد تقدم ذكره، وكان في بادئ أمره مجوسياً فأسلم على يد عيسى بن علي عم السفاح ثم اخص بالمنصور، وكتب له حتى قتل (**) وهو في مقتبل العمر لم يتجاوز ٣٦ سنة، لكنه خلف آثاراً حفظت ذكره قروناً ولا تزال .. أهمها:

كتاب كلیلة ودمنة (***)

هو كتاب في اصلاح الاخلاق وتهذيب النفوس، وضعه فيلسوف هندي اسمه بيدبا منذ نيف وعشرين قرناً للملك من ملوك الهند اسمه دبشليم، ذكروا أنه تولى الهند بعد فتح الاسكندرية وطفى وبغى فأراد بيدبا اصلاحه وتدريبه، فألف هذا الكتاب وجعل النصح فيه على السنة البهائم والطيور

(١) لغيرست ١١٥ - ١٢٥

(**) هذا سهو من المؤلف فان ابن المقفع لم يكتب للمنصور، إنما كتب لعمه عيسى بن علي، وهو الذي أسلم على يديه، وظل في خدمته الى أن قتله والي البصرة
(***) أنظر في تحقيق هذا الكتاب وترجمة ابن المقفع له وأصوله السنسكريتية وما زيد عليه من فصول مقدمة عبد الوهاب عزام لكليلة ودمنة طبع دار المعارف، وزاجع دائرة المعارف الإسلامية

على عادة الهنود البراهمة في عصورهم القديمة . فانهم كانوا يروون الحكمة على السنة الحيوانات لاعتقادهم بتناسخ الأرواح . والمظنون أن معظم ما يتناقله الناس من أمثال هذه الاقاصيص أصله من الهند . وقد صنف في هذا الموضوع وعلى هذه الكيفية غير واحد من الحكماء . ويقال ان بيدبا أول فاتح لهذا الباب وكل من صنف بعده في نوادر الحكايات مقتبس من ضيائه . .

وترجع موضوعات النصح في هذا الكتاب الى ما يحتاج الناس اليه في معاملاتهم كوجوب الابتعاد عن سماع كلام الساعى والنمام ووخامة عاقبة الأشرار ومنافع الأصحاب وعدم جواز الامن من كيد العدو ومضار الإهمال والقفلة وآفة التعجيل وفائدة الحزم وعدم الاعتماد على أرباب الحقد ونحو ذلك مما يهذب النفوس ويرقى العواطف في حكايات ، يتفرع بعضها عن بعض . .

وقد كتب أولا باللغة الهندية السنسكريتية في ١٢ بابا ، ونقل الى لغة التيب ، فاللغة السريانية ، ثم الى الفهلوية أى الفارسية القديمة ، وعنهما نقل ابن المقفع الترجمة العربية وصدرها بمقدمة سماها « عرض الكتاب » وصف بها الكتاب وافاض في التحريض على مطالعته . فلما اطلع العرب على فوائده أعجبوا به وأخذوا يتدارسونه ويتناقلونه ، وكان علماء اللغة وأدباءها حسدوا ابن المقفع على سبقه في ترجمته فأقدم بعضهم على نقله ثانية ، واشتغل غيره بنظمه شعرا تسهلا لحفظه ، وتصدى آخرون لمعارضته كما سيجىء

على أن الترجمات ذهبت كلها الا ترجمة ابن المقفع التى هى بين أيدينا ، وقد تعدلت بتوالى الأزمان بين تنقيح وتصدير وتذييل فبلغت أبوابها ٢١ بابا بعضها هندي الأصل والآخر فارسي والآخر عربى

فالأبواب الهندية ١٢ وهى : باب الأسد والثور، الحمامة المطوقة، اليوم والغربان ، القرد والفيلم ، الناسك وابن عرس ، الجرذ والسنور ، الملك والطائرة فنزة ، الاسد وابن آوى ، اللبؤة وبلاذ وبابرخ ، السائح والصائح ، ابن الملك وأصحابه

والفارسية ثلاثة : مقدمة برزويه ، وباب بعثة برزويه ، وباب ملك الجرذان . وهناك ستة أبواب لم تكن معروفة قبل الترجمة العربية ، نعنى مقدمة الكتاب على لسان بهنود بن سحوان المعروف بعلى بن الشاه الفارسي ، وباب عرض الكتاب لابن المقفع ، وباب الفحص عن أمر دمنة ، وباب الناسك والضيف ، وباب مالك الحزين والبطلة ، وباب الحمامة والثعلب ومالك الحزين . وبعض هذه الفصول لا يوجد الآن فى النسخ المطبوعة من الترجمة العربية

ثم فقد الأصل الهندي والترجمة الفهلوية ، ولم يبق غير العربية ، وعنهما أخذت الامم هذا الكتاب ونقلته الى السنثها . فنقل الى اللغة السريانية مرة ثانية والى اليونانية والايطالية والفارسية الحديثة والتركية والعبرانية

واللاتينية والاسبانية والمقلية والانجليزية والروسية . ونقل عن بعض هذه التراجم الى لغات أخرى . وقد عقدنا لتاريخ هذا الكتاب فصلا ضافيا في الهلال سنة ١٤ ج ٧
 وطبع كتاب كليلة ودمنة في العربية مرارا من اواخر القرن الثامن عشر الى الآن . وبعض طبعاته مزدانة بالرسوم . وقد ضبطه بالشكل الكامل المرحوم الشيخ خليل اليازجى . وهو لا يزال الى الآن من خيرة الكتب في الانشاء ، وقد شغف العرب بمعانيه فنقلوها الى الشعر

نظم كليلة ودمنة

أقدم من نظم هذا الكتاب في العربية أبو سهل الفضل بن نوبخت الفارسي، ممن خدم المنصور العباسي وابنه المهدي في صدر الدولة العباسية . وكان له الفضل في خزانة الحكمة بأيام الرشيد ، وله عدة كتب نقلها من الفارسية الى العربية ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ٢٧٤) ليس بينها نظم كليلة ودمنة . ولكن كشف الظنون ذكر ذلك في عرض كلامه عن هذا الكتاب ، فقال : «نقله أيضا عبد الله بن هلال الأهوازي ليحيى بن خالد البرمكي في خلافة المهدي سنة ١٦٥هـ ، ونظمه أبو سهل بن نوبخت الحكيم ليحيى بن خالد وزير المهدي والرشيد . فلما وقف عليه أجازته بالف دينار » وقد ذكرنا في ترجمة أبان اللاحقى الشاعر انه نظم كليلة ودمنة شعرا

ثم نظمته على بن داود كاتب زبيدة بنت جعفر زوج الرشيد . ونظم بعضه بشر بن المعتمر . وكل هذه المنظومات ضاعت . ثم نظمها ابن الهبارية المتوفى سنة ٥٠٤هـ في كتاب سماه «كتاب نتائج الفطنة في نظم كليلة ودمنة» كان منه نسخ مشتتة في الأستانة ولندن والهند . فنشرت نسخة الهند في بمباى سنة ١٣٠٤هـ على الحجر . ثم طبع الكتاب طبعة أخرى عن نسخة أخرى في بعبدا (لبنان) سنة ١٩٠١ بعناية الخورى نعمة الله الأسمر . وقد تقحها ونظم منها قطعا لم ينظمها ابن الهبارية ، منها باب الحمامة والثعلب ومالك الحزين (١)

ثم نظمها ابن ممتاى المصرى المتوفى سنة ٦٠٦هـ وضاع نظمه . وجاء بعده عبد المؤمن بن الحسن من أهل القرن السابع للهجرة فنظمه أو شيئا منه أو كتابا على مثاله سماه «درر الحكم في أمثال الهنود والعجم» منها نسخ خطية في فينا وميونخ ، ثم نظمها جلال الدين النقاش من أهل القرن التاسع . ومن نظمها نسخة في مكتبة الآباء اليسوعيين في بيروت ، وأخرى في المتحف البريطانى

وعارض كليلة ودمنة سهل بن هارون الكاتب الاثنى ذكره ، فنظم كتابا على مثاله سماه «كتاب ثعلة وعفرة» وقد ضاع ، (٢) ومن مؤلفات ابن المقفع المنقولة عن الفارسية أيضا :

(٢) الفهرست ١٢٠ والبيان ٢٤ ج ١

(١) المشرق ٩٨١ سنة ٤

٢ - كتاب الادب الصغير : في الاخلاق والمواعظ والفلسفة والاجتماع . طبعته جمعية العروة الوثقى في الاسكندرية مضبوطا بالشكل الكامل بتحقيق احمد زكي (باشا) كاتب اسرار مجلس النظار ، وقد صدره بمقدمة انتقادية في أسلوب الكتاب ونسبته الى كليله ودمنة

٣ - كتاب الدرة اليتيمة ويسمى أيضا كتاب الادب الكبير (**) : هي رسائل في النصح والارشاد . قال ابن المقفع في الفرض منها يخاطب القارئ : « وأنا واعظك في أشياء من الاخلاق اللطيفة والامور الغامضة التي لو حنكتك سن كنت خليقا أن تعلمها وان لم تخبر عنها ، ولكن أحببت أن اقدم اليك فيها قولاً لتروض نفسك على محاسنها قبل أن تجرى على عادة مساويها . فان الانسان قد تبندر اليه في شببته المساوىء وقد يغلب عليه ما يبدر اليه منها »

وقد طبعت الدرة اليتيمة مرارا في نحو . ٥ صفحة منها طبعة بيروت سنة ١٨٩٧ مع مقدمة وشروح للأمير شكيب ارسلان . وهي تحت الطبع الآن مضبوطة بالشكل الكامل باسم « الادب الكبير » بتحقيق زكي (باشا) . ولها تمة لابن العربي سماها : « عظمة الالياب وذخيرة الاكتساب » منها نسخة في مكتبة باريس

٤ - رسالة في الاخلاق : منها نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية بالاستانة

وله كتب أخرى ادبية وأخلاقية نقلها عن الفارسية منها كتاب التاج في سيرة أنوشروان ، وكتاب سير ملوك العجم لم تقف عليها . . . لكن منها نقلنا نقلها ابن قتيبة في كتاب عيون الاخبار . وتجد أخبار ابن المقفع في ابن خلكان ١٤٩ ج ١ ، وتراجم الحكماء لابن القفطي ١٤٨ ، والفهرست ١١٨ (***)

٢ - سهل بن هارون

هو سهل بن هارون بن رامنوي الدستيميساني ، فارسي الاصل انتقل الى البصرة ثم أقام في بغداد ، وكان متحققا في خدمة المأمون وصاحب خزانة الحكمة له . وكان حكيما فصيحاً شاعرا شعوبى المذهب

(**) طبع الادب الكبير لابن المقفع باسم اليتيمة ، فظن المؤلف كما ظن كثيرون إنهما كتاب واحد ، وهما كتابان . يدل على ذلك ما في المثنور والمنظوم لابن طيفور من فصول نقلها عن اليتيمة ، وليست في الادب الكبير المنشور

(***) وراجع في ابن المقفع خزانة الادب ج ٣ ص ٤٥٩ والوزراء والكتاب للجهمي طبع الحلبي من ١٠٣ . رسائل البلغاء لمحمد كرد علي وأمرام البيان له أيضا وتطون الاساليب الشعرية لانيس المقدسي وضحى الاسلام لاحمد أمين ، الجزء الاول ، وكتابنا « الفن ومذاهبه في النثر العربي » الفصل الثالث من القسم الاول ومن حديث الشعر والنثر لطلح حسين وابن المقفع لعبد اللطيف حمزة وهيارت Hyart في كتابه الادب العربي ص ٢١١ والمجلة الاسيوية ، المجموعة العاشرة ، المجلد السابع عشر (١٩١١ م) ص ٥٥٤ ودائرة المعارف الاسلامية

شديد العصبية على العرب . وله في ذلك كتب كثيرة ورسائل في البخل . وكان الجاحظ يفضلهُ ويصف براعته وفصاحته ويحكي عنه . وله من الكتب ديوان الرسائل ، وكتاب ثعلبة وعقبة المتقدم ذكره ، وكتاب الهدلية والمخرومي ، وكتاب النمر والثعلب ، وغيرها كثير لم نقف عليها . وأخباره في الفهرست ١٢٠ ، والدميري ٣١٢ ج ١ (*)

ومنهم على بن عبيد الريحاني ، له اختصاص بالمأمون وكان يرمى بالزندقة ، وذكر له صاحب الفهرست (صفحة ١١٩) نحو خمسين مؤلفاً ضاعت كلها . وللمستشرق الروسي اينوسترانسيف كلام عن مؤلفاته في كتابه عن تأثير آداب الفرس في اللغة العربية طبع في بطرسبرج سنة ١٩٠٩

الموسيقى والغناء (*)

الموسيقى من الفنون الجميلة مثل الشعر . . . وعند العرب استعداد فطري لها ، لحدة احساسهم وشدة تأثيرهم . وكان لهم في جاهليتهم الحان توافق خشونتهم ، فلما ظهر الاسلام واختلطوا بالروم والفرس اقتبسوا الموسيقى عن تلك الامم قبل سائر العلوم الدخيلة لان اقتباسها لا يحتاج الى نقل أو ترجمة . وأول من فعل ذلك عبد مكي اسمه سعيد ابن مسحج ، كان حسن الصوت مغرماً بالموسيقى . وكان في مكة عند حصار الامويين لها على عهد عبد الله بن الزبير في الثلث الاخير من القرن الاول للهجرة . واستخدم ابن الزبير رجالاً من الفرس في ترميم الكعبة ، فسمع ابن مسحج بعضهم يغنى بالفارسية فطرب والتقط النغم منه . ثم رحل الى الشام وفارس وأخذ الالحان الرومية والفارسية واستبعل منها ما استبجحه من النبرات والنغم مما لا يالفه الدوق العربي ، وغنى على هذا المذهب وهو أول من فعل ذلك . وأخذ عنه من جاء بعده من مغني المسلمين ، فنبغ منهم جماعة كبيرة . وكان الغناء يزداد اتقاناً ويزداد نبوغ المغنين كلما قربت الدولة من الترف والقصص . ولذلك كثروا في اواخر الدولة الاموية وأواسط الدولة العباسية . ومن أشهر المغنين ابن سريج والغريز ومعبد وحكم الوادي وفليح بن أبي العوراء وسياط ونشيط وعمر الوادي وابراهيم الموصلي وابنه اسحق وغيرهم . ومن المغنيات جميلة وحبابة وسلامة وعقيلة وغيرهن

ولما اشتغل المسلمون في نقل العلوم الدخيلة كان من جملة كتب الموسيقى لليونان والهند ، فتناولها المسلمون ودرسوها وأصبحت الموسيقى عندهم علماً له أصوله . وقد جمعوا بين الحان اليونان والهنود والفرس

(*) وانظر في سهل معجم الادباء لياقوت ج ١١ ص ٢٦٥ وشرح العيون طبع المطبعة الوطنية ص ١٣٢ والبيان والتبيين والحيوان والبخل للجاحظ «انظر الفهارس» وكتابتنا « الفن ومذاهبه في النثر العربي » الفصل الثالث من القسم الاول
 (***) من خير المراجع في هذا الموضوع كتاب فارمر عن « تاريخ الموسيقى العربية » وقد ترجمه حسين نصار ، وأرجع الى كتابتنا « الشعر الغنائي في المدينة » و « الشعر الغنائي في مكة » ففيهما حديث واسع عن الغناء والمغنين في العصر الاموي وتأثيرهما في الشعر والشعراء

والعرب ، فألفوا من ذلك علما خاصا بالتمدن الاسلامى بلغ درجة حسنة من الاتقان ، فألفوا فيه المؤلفات المسهبة فضلا عما استنبطوه من الالحن أو اخترعوه من الآلات

ففى العصر العباسى الاول صار للعرب مذاهب فى الغناء خاصة بهم . وأصبح الغناء علما قائما بنفسه فعمدوا الى تدوينه . وأول من دونه يونس بن سليمان الكاتب ، أصله فارسى وصار مولى لعمر بن الزبير . نشأ فى المدينة وكان أبوه فقيها أسلمه الى الديوان فكان من كتابه ، وأخذ الغناء عن معبد ، ولم يكن فى أصحاب معبد أحدق ولا أقوم منه . وله غناء حسن فوضع كتابا فى الاغانى وهو أول من فعل ذلك (١) وقد ضاع كتابه . وللخليل بن أحمد كتاب فى الموسيقى جمع فيه أصناف النغم وحصر به أنواع الالحن ، وحدد ذلك كله ولخصه وذكر مبالغ أقسامه ونهايات اعداده وقد ضاع هذا أيضا

وممن اشتغل بفن الموسيقى يحيى بن أبى منصور الموصلى ، فألف كتابا فى الاغانى على الحروف ، وآخر فى العود والملاهى لم تقف على خبرهما . ووضع المغنون كتابا ضبط كل منهم فيها الالحن التى حدثت فضلا عن الاصوات القديمة ، لان المغنى كان اذا برع واشتهر استنبط الالحن حتى انتهى ذلك الى اسحق بن ابراهيم الموصلى . . فأصبح هو امام المغنين ، وينسبون اليه كتابا كبيرا فى الاغانى يشك النقادون فى نسبته اليه . وألف يحيى بن مرزوق المكي كتابا فيه ١٢٠٠٠ صوت أهدها الى محمد ابن عبد الله بن طاهر فوصله بثلاثين ألف درهم . وشاع هذا الكتاب .

الغناء القديم والغناء الحديث

ولما زها العصر العباسى الاول فى زمن الرشيد والمأمون وأطلقت الالسنة والافكار ، أخذ المغنون يفكرون فى تعديل الالحن واستنباط أسلوب جديد . وأول من تجرأ على ذلك ابراهيم بن المهدي أخو الرشيد ، وكان من الطامعين فى الخلافة . فلما استتب الامر لابن أخيه المأمون انصرف هو الى الغناء ، كما انصرف خالد بن يزيد الاموى الى الكيمياء لما يئس من الخلافة . وكان ابراهيم من أعلم الناس بالنغم والوتر والايقامات وأطبعهم فى الغناء وأحسنهم صوتا ، وهو يعد من الطبقة الاولى فى عصره . . لكنه كان مقصرا عن أداء الغناء القديم على طريقة الموصلى . فكان يحذف نغم الاغانى الكثيرة العمل حدقا شديدا أو يخففها على قدر طاقته ، وإنما تجرأ على ذلك بما ناله من المنزلة عند الناس . فكان اذا عوتب قال : « أنا ملك ، أغنى كما اشتهى » وصارت له طريقة يسمونها الغناء الحديث ، وسموا طريقة اسحق الطريقة القديمة . وانقسم المغنون فى ذلك الى قسمين ، وأصحاب فن الغناء كانوا يعدون عمل ابراهيم بن المهدي افسادا فى هذه الصناعة ، لانهم كانوا يفضلون القديم فأخذوا فى الرجوع اليه

على أن ذلك بعثهم على أعمال الفكرة والتعمق في هذا الفن وانتهى ذلك إلى عبيد الله بن عبد الله بن طاهر من أهل العصر العباسي الثاني ، وكان من كبار العلماء المفكرين ولا سيما في علوم الأوائل والموسيقى والهندسة . . فوضع كتابا في النغم وعلل الاغانى سماه « الآداب الرفيعة » نال شهرة واسعة وتأسف لضياعه مثل ضياع أكثر ما وضعه العرب في الموسيقى أو الغناء ، قبل كتاب الاغانى لابی الفرج الاصبهاني وسيأتي ذكره (١)

(١) راجع تاريخ الغناء في الجاهلية والاسلام في تاريخ التمدن الاسلامي ١٩٧ ج ٣ و ٣٢٢ ج ٥

العلوم الإسلامية الشرعية

في العصر العباسي الاول

الفقه

في هذا العصر ضبط الفقه ودونت أحكامه بعد أن أفضت الخلافة الى بنى العباس . وكان أكثر أئمة الفقه في المدينة . وفقه المدينة يومئذ الامام مالك الشهير ، فاستفتاه أهلها في أمر المنصور فأفتى بخلع بيعته فخلعوها ، وبايعوا محمد بن عبد الله من آل علي . وعظم أمر محمد هذا وجاربه المنصور ولم يتغلب عليه الا بعد العناء الشديد . فرجع أهل المدينة الى بيعة المنصور قهرا ، وظل مالك مع ذلك ينكر حق البيعة لبنى العباس . وعلم أمير المدينة يومئذ وهو جعفر بن سليمان عم المنصور بذلك ففضب ودعا بمالك وجرده من ثيابه وضربه بالسياط (١)

الرأى والقياس

وكانت علوم القرآن قد انتشرت في العراق وفارس ونيغ من أبنائها من درس الفقه والفتيا ، ولكنهم ما زالوا عيالا فيهما على أهل المدينة لانهم أوثق الناس في حفظ الحديث وقراءة القرآن . وكان الحديث قليلا في العراق على الخصوص . والمسلمون غير العرب هناك ، أكثرهم من الفرس ، وهم أهل تمدن وعلم ، فعمدوا الى استخدام القياس العقلي في استخراج أحكام الفقه من القرآن والحديث . فخالقوا بذلك أهل المدينة لانهم كانوا شديدي التمسك بالتقاليد ، فكان من جملة مساعي المنصور في تصغير أمر المدينة وفقهائها وخصوصا مالكا بعد أن أفتى بخلع بيته انه نصر فقهاء العراق القائلين بالقياس ، وكان كبيرهم يومئذ أبا حنيفة النعمان في الكوفة ، فاستقدمه الى بغداد وأكرمه وعزز مذهبه . وكان أبو حنيفة لا يعاب بشيء سوى قلة العربية

فلما نصر المنصور أبا حنيفة وأصحابه (**) وهم المعروفون بأهل الرأى أو

(١) ابن خلكان ١٦٥ ج ٢

(**) يبالح المؤلف هنا في تصوير هذه الخصومة بين المنصور وفقهاء المدينة وعلى رأسهم مالك، والمعروفه أن الذي أمر مالكا بتأليف كتابه «الموطأ» عمدة أهل الحديث ومرجعهم الاول هو أبو جعفر المنصور ، وكان يجلس مالكا ويكبره . انظر في ذلك مقدمة حاشية الزرقاني على الموطأ . أما مسألة انقسام الفقهاء الى أهل حديث في الحجاز وأهل رأى وقياس في العراق فان ذلك يرجع الى ظروف البيهتين لا الى عمل خليفة أو خلفاء ، وقد بدأ هذا الاختلاف بين البيهتين منذ العصر الاموي وقبل تحول الخلافة من دمشق الى بغداد

القياس، ازداد مالك تمسكا برأيه ، وتبعه فقهاء الحجاز، وهم أهل الحديث . وانقسم الفقهاء كافة الى قسمين : أهل الحديث ، وأهل الرأي ، وزعيم أهل الحديث مالك وأنصاره من أهل الحجاز وأصحاب الشافعي وأصحاب سفيان الثوري وأصحاب أحمد بن حنبل وغيرهم من أهل التقليد . وعرفوا بأصحاب الحديث لانهم بذلوا عنايتهم في تحصيل الأحاديث ونقل الأخبار وبناء الأحكام على النصوص ولا يرجعون الى القياس الجلي أو الخفي ما وجدوا خبرا أو اثرا . ويدلك على شدة تمسكهم بذلك قول الشافعي : « اذا وجدتم لى مذهباً ووجدتم خبراً على خلاف مذهبي ، فاعلموا ان مذهبي ذلك الخبر »

وزعيم أصحاب الرأي أبو حنيفة النعمان وأصحابه فقهاء العراق ومنهم محمد بن الحسن الشيباني ، وأبو يوسف القاضي ، وزفر بن الهذيل المتوفى سنة ١٥٨ هـ ، واللؤلؤي ، وابن سماعة المتوفى سنة ٢٣٣ هـ ، وأبو مطيع البلخي ، وعافية القاضي وغيرهم . وقد سموا أهل الرأي لان عنايتهم كانت توجه الى تحصيل وجه من القياس ومعنى مستنبط من الأحكام وبناء الحوادث على ذلك وربما يقدمون القياس الجلي على آحاد الأخبار (١)

وجاء بعد مالك من أصحاب مذهبه محمد بن ادريس الشافعي ، فرحل الى العراق ، وخالط أصحاب أبي حنيفة ، وأخذ عنهم ، ومزج طريقة أهل الحجاز بطريقة أهل العراق ، واختص بمذهب ، خالف فيه مالكا في كثير من مذهبه . ثم جاء بعده أحمد بن حنبل وكان من علية المحدثين وقرأ أصحابه على أصحاب الامام أبي حنيفة مع وفرة بضاعتهم من الحديث فاختصصوا بمذهب آخر . ووقف التقليد في الامصار عند هؤلاء الاربعة ، وتولدت منهم مذاهب الاسلام الاربعة : الحنفي ، والمالكي ، والشافعي ، والحنبلي واليك خلاصة تراجمهم حسب سني وفاتهم مع ما خلفوه من الكتب :

الائمة الاربعة

١ - أبو حنيفة النعمان

توفي سنة ١٥٠ هـ

هو النعمان بن ثابت ، مولى بنى تميم من أهل الكوفة . ولد سنة ٨٠ هـ وكان خزازا يبيع الخبز ، وكان عالما عاملا زاهدا كثير الخشوع دائم التضرع ، فأتصل خبره بالخليفة أبي جعفر المنصور فبعث اليه ، فلما جاءه أراد أن يوليه القضاء فحلف انه لا يفعل ، وقال : « لن أصالح في قضاء » . وكان حسن الوجه حسن المجلس شديد الكرم حسن المواساة لآخوانه . وكان ربعة في الرجال ، وقيل كان طويلا تعلوه سمرة ومن أحسن الناس منطلقا وأحلامهم نفمة . وكان قوى الحججة حتى قال عنه الامام مالك : « انه رجل لو كلمته في هذه السارية أن يجعلها ذهباً لقام بحجته » . وكان طلق اللسان جهورى الصوت ،

إذا سألته عن الفقه تفجر وسال كالوادي وسمعت له دويًا وجهارة وهو الذي بوب الفقه وفرع له فروعا ، وعمدته فيما قاله القياس . وكان بعيدا عن الغيبة لا يذكر أحدا بسوء ، ولو كان عدوا له . وكان واسع العلم في كل العلوم الإسلامية الى ذلك العهد الا انهم عابوه بالعربية . وكان مذهبه في النحو كوفيا لانه من أهل الكوفة . وذكر المسعودي انه مات وهو ساجد في صلاته ومن مؤلفاته الباقية :

١ - الفقه الأكبر : منه نسخ خطية في اكثر مكاتب أوروبا وفي المكتبة الخديوية ، وقد طبع في لكانا الهند مع ترجمة هندستانية . وهو من قبيل أصول الدين ، وفيه دفاع ضد المرجئة . وله شروح ومختصرات في المكتبة الخديوية وغيرها . طبع بمصر وعليه شرح ملا علي القاري . وأكد لنا غولتزر أن نسبة هذا الكتاب الى أبي حنيفة خطأ

٢ - مسند أبي حنيفة : جمعه تلامذته ، ومنه عدة نسخ خطية بالمكتبة الخديوية

٣ - وصيته لأصحابه : في الاصول منها نسخ خطية في غوطا وباريس ، وعليها شروح في مكاتب غوطا واياصوفيا ونور عثمانية والمكتبة الخديوية والاسكوريال

٤ - وصيته لابنه : منها نسخة في باريس

٥ - المخارج في الحيل : في الفقه رواها تلميذه أبو يوسف ، منها نسخة خطية في المكتبة الخديوية

تجد أخباره في ابن خلكان ١٦٣ ج ٢ ، والفهرست ٢٠١ وغيرهما (*)

٢ - مالك بن أنس

توفى سنة ١٧٩ هـ

هو أبو عبد الله مالك بن أنس الاصبحي امام دار الهجرة وصاحب المذهب المالكي ، ولد سنة ٩٥ هـ . أخذ الفقه عن ربيعة الرأي فقيه أهل المدينة المتوفى سنة ١٣٦ هـ بالهاشمية . وكان مالك بن أنس ورعا تقيا ، اذا أراد أن يحدث تواضاً ، وجلس على صدر فراشه ، وسرح لحيته ، وتمكن في جلوسه بوقار وهيبة ثم حدث . وكان يأتي المسجد ويشهد الصلوات والجمعة والجنائز ، ويعود المرضى ، ويقضى الحقوق . وهناك يجتمع اليه أصحابه يأخذون عنه الفقه والفتوى وهم الذين نشروا مذهبه وكتبوا فيه . وعنه أخذ الامام الشافعي . وكان مالك بن أنس

(*) وراجع في ترجمة أبي حنيفة تاريخ بغداد ج ١٣ ص ٣٤٣ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ١ ص ١٦٠ ومناقب الامام الاعظم أبي حنيفة للموفق المكي وفجر الاسلام وضحى الاسلام لاحمد أمين ، الجزء الثاني ، وتاريخ التشريع الاسلامي لمحمد الخضري وبخفا لابن زهرة فيـه وبخفا آخر فيه لمحمد يوسف موسى وآخر لعبد الحليم الجندی وتاريخ الفقه الاسلامي لمحمد يوسف موسى الجزء الثالث ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

شديد البياض مع ميل الى الشقرة ، طويلا عظيم الهامة ، أصيلع يلبس
التياب المعدنية الجياد ، ويكره حلق الشارب ويعيبه ، وله من الكتب :

١ - كتاب الموطأ : أساس المذهب المالكي وهو كالحديث رواه عنه تلامذة
كثيرون ، ومنه نسخ خطية في اكثر مكاتب أوروبا . وقد طبع في دلهي بالهند
سنة ١٢١٦ هـ ، وفي لاهون بالهند سنة ١٨٨٩ م ، وله شروح للبطلوسي
ولابن العربي والقرطبي والزرقاني . وقد طبع هذا الاخير بمصر سنة ١٢٨٠ هـ
وغيرها في أربعة مجلدات . وقد رواه الشيباني المتوفى سنة ١٨٩ هـ ، ورد
فيه على ما يخالف مذهب مالك . وطبع في لكانا الهند سنة ١٢٩٧ ، وفي
لودهيانا الهند سنة ١٨٩٢ . وله شروح أخرى لا فائدة من ذكرها

٢ - رسالة في الوعظ : بشأن الرشيد ويحيى البرمكي ، منها نسخة
في الاسكوريال وطبعت في بولاق سنة ١٣١١

٣ - كتاب المسائل على لسان تلميذه ابن عبد الحكم منها نسخة في
غوطا وترجمته في ابن خلكان ٤٣٩ ج ١ ، والفهرست ١٩٨ (*)

٣ - الامام الشافعي

توفى سنة ٢٠٤ هـ

هو الامام ابو عبد الله محمد بن ادريس الشافعي ، وينتهي نسبه
الى هاشم بن عبد المطلب بن مناف القرشي . ولد بغزة من بلاد الشام
سنة ١٥٠ هـ وتوفى في مصر سنة ٢٠٤ هـ في زمن المأمون بن الرشيد .
ودفن في القرافة بمصر ومقامه مشهور . وقدم بغداد سنة ١٨٥ ، وبعد
سنتين خرج الى مكة ثم عاد الى بغداد بعد سنة فأقام بها شهرا . ثم قدم
مصر فأقام فيها ، وما زال بها الى أن توفاه الله . وكان الامام الشافعي
كثير المناقب ، جم المفاخر ، حاز من العلوم الاسلامية أقصاها وأدناها
من العلم بالكتاب والسنة وكلام الصحابة وآثارهم وأختلاف أقاويل
العلماء وغير ذلك من معرفة كلام العرب واللغة والشعر حتى أقر له
بالسبق الاصمعي الراوي الشهير ، وأحمد بن حنبل الامام . وقال ابو عبيد :
« مارأيت رجلا قط أكمل من الشافعي » وسأل عبد الله بن أحمد بن حنبل
والده عنه فقال : « يابني ، كان الشافعي كالشمس للدنيا والعافية
للدين » وهو أول من تكلم في أصول الفقه ، وهو الذي استنبطه . وقد
ذكر له الفهرست نيفا ومائة مؤلف ، لم يصل اليها منها الا :

١ - كتاب الام : رواه عنه الربيع بن سليمان ، فانه يبدأ هكذا : أخبرنا
ابوعلى الحسين بن حبيب بن عبد الملك في دمشق سنة ٣٣٧ ، قال أخبرنا

(*) وانظر في مالك كتاب المعارف لابن قتيبة «طبعة وستفلة» ص ٢٥٠ و٢٩٠ والانساب
للسمعاني ٤١ ا وحاشية الزرقاني على الموطأ والمدارك للقاظم عياض والديباج المذهب لابن
فرحون وفجر الاسلام وضحي الاسلام وبحثا فيه لابي زهرة وتاريخ التشريع الاسلامي لمحمد
الخضري ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبروكلمن ١٧٥ ج ١ وملحق أ ص ٢٩٧

- الربيع بن سليمان قال أخبرنا محمد بن ادريس الخ « وهو كتاب ضخيم ،
منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية ، وطبع بمصر في سبعة مجلدات
٢ - السنن الماثورة : في مكتبة كوبرلي بالآستانة
٣ - أصول الفقه : هي رسالة في الاصول طبعت بمصر
٤ - مسند الشافعي ، في الحديث : منه نسخة خطية في بني جامع
وكوبرلي ، وقد رواه النيسابوري وشرحه ابن الاثير
٥ - قصيدة تنسب اليه : في ليدن
وترجمته في ابن خلكان ٤٤٧ ج ١ ، والذميري ٢٥ ج ١ ، وسير
الملوك ١٥٠ ، والفهرست ٢٠٩ (*)

الامام أحمد بن حنبل

توفي سنة ٢٤١ هـ

- هو الامام أبو عبدالله احمد بن حنبل ، يتصل نسبه بشيخان من ربيعة ، ولد
في بغداد سنة ١٦٤ هـ ، وكان من أصحاب الامام الشافعي ، وشهد له الشافعي
عند خروجه الى مصر بقوله : « خرجت من بغداد وما خلفت بها اتقى ولا أفقه
من ابن حنبل » . وظهر في أيامه القائلون بخلق القرآن فدعى للقول بقولهم فلم
يجب ، فضرب وحبس وهو مصر على الامتناع . وكان حسن الوجه ربيعة ،
يخضب بالحناء خضبا ليس بالقاني ، في لحيته شعيرات سود . . ودفن في
بغداد بمقبرة باب حرب . وهو صاحب المذهب الحنبلي ، وأهم مؤلفاته الباقية :
١ - المسند في الحديث : رواه ابنه عبد الله وهو موجود خطأ في
أكثر مكاتب أوروبا والآستانة والمكتبة الخديوية . وقد طبع بمصر وهو
مرتب حسب الرواة ، فيقسم الى مساند أولها مسند أبي بكر فعمر
فعثمان الى غيرهم من الصحابة
٢ - كتاب السنة موصل المعتقد الى الجنة : مكتبة برلين
٣ - كتاب الزهد : في برلين
وترجمته في ابن خلكان ١٧ ج ١ ، والفهرست ٢٢٩ (*)

(*) وراجع في الشافعي الانساب للسمعاني ، الورقة ٣٢٣ وطبقات القراء ج ٢ ص ٩٥
وطبقات التفسيرين ٢٢٧ ومعجم الادباء ١٧ ص ٢٨٧ وحادثة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع
ويحتمل فيه لابي زهرة وفجر الاسلام وضحي الاسلام لاحمد أمين ، الجزء الثاني ، وتاريخ
التشريع الاسلامي للنضري ، والفقه الاسلامي لاحمد يوسف موسى ، وبروكلمن ١٧٨ ج ١
وملحق ١ ص ٢٠٣

(**) وانظر في أحمد بن حنبل تاريخ بغداد ج ٤ ص ٤١٢ ومختصر طبقات الحنابلة لابن
ابرييلى ص ٣ ومختصر تاريخ ابن عساكر ج ٢ ص ٢٨ ومناقب أحمد لابن الجوزي وصفة
الصفوة له أيضا ج ٢ ص ١٩٠ وتذكرة الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ١٧ وطبقات الشافعية للسبكي
ج ١ ص ١٩٩ وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ١ ص ٧٢ وشذرات الذهب لابن العماد ج ٢
ص ٩٦ ، وتاريخ الطبري وابن الاثير « أنظر فهرسيهما » . وله ترجمة مطولة في تاريخ الاسلام
للذهبي نقلها الشيخ أحمد شاكر في مقدمته للمسنند « طبع دار المعارف » وراجع بروكلمان ١٨١
ج ١ وملحق ١ ص ٣٠٩

ونبع طائفة من تلامذة أولئك الائمة واصحابهم وقد ذكرنا بعضهم ، وليس منهم في هذا العصر من خلف آثارا تستحق الذكر الا ثلاثة : اثنان من اصحاب ابي حنيفة ، والثالث من اصحاب مالك ، وهم :

١ - القاضي ابو يوسف

توفي سنة ١٨٢ هـ

هو القاضي ابو يوسف يعقوب بن ابراهيم الانصاري . ولد سنة ١١٣ هـ ، وهو من اهل الكوفة ، وكان صاحباً للامام ابي حنيفة وقد اخذ عنه الفقه وما يتعلق به . وكان فقيهاً عالماً اخذ عن كثيرين من الفقهاء ، ولكن غلب عليه مذهب ابي حنيفة وان يكن خالفه في بعض المواضع . وذاع صيته حتى تولى القضاء في بغداد على عهد ثلاثة من خلفاء بني العباس : المهدي ، والهادي ، والرشيدي . وهو اول من دعى بقاضي القضاة ، وميز العلماء بلباس خاص . وكانوا لا يميزهم شيء من ذلك عن سائر العامة . وقد ذكر ابو احمد الخطيب البغدادي في تاريخ بغداد ان ابا يوسف تكلم عن نفسه قائلاً : « كنت اطلب الحديث والفقه وانا مقل رث الحال ، فجاءني ابي يوما وانا عند ابي حنيفة فانصرفت معه فقال : يا بني لا تمد رجلك مع ابي حنيفة ، فان ابا حنيفة خبزه مشوى وانت تحتاج الى المعاش » فقصرت في كثير من الطلب وآثرت طاعة ابي ، فتفقدني ابو حنيفة وسأل عني فجعلت اتعهد مجلسه . فكلما كان اول يوم اتيته بعد تأخرى عنه قال لي : ما شغلك عنا ؟ قلت : الشغل بالمعاش وطاعة والدي فجلست ، فلما انصرف الناس دفع الي صرة وقال : استمتع بها ، فنظرت فاذا فيها مائة درهم ، وقال لي : الزم الحلقة واذا فرغت هذه فاعلمني ، فلزمت الحلقة . فلما مضت مدة يسيرة دفع الي مائة اخرى ، ثم كان يتهدني وما اعلمته بخلة قط ولا اخبرته بنفاد شيء وكانه كان يخبر بنفادها حتى استغنيت وتمولت « اهـ . والباقي من مؤلفاته : كتاب الخراج ، وفيه مقدمة يخاطب بها الرشيد ، رواه تلميذه الشيباني . منه نسخ خطية في برلين وباريس واياصوفيا ونور عثمانية وكوبرلي وطبع بمصر سنة ١٣٠٢ هـ . وترجمته في ابن خلكان ٣٠٣ ج ٢ ، والدميري ١٢٩ ج ١ (*)

٢ - محمد بن الحسن الشيباني

توفي سنة ١٨٩ هـ

هو ابو عبد الله محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني بالولاء الفقيه الحنفي ، ولد سنة ١٣٥ هـ وهو ابن خالة الفراء النحوي المشهور . وكان مولده في واسط بالعراق ، واصله من قرية عند باب دمشق في وسط

(*) وراجع في ابي يوسف الفهرست لابن النديم وابن قطلوبغا طبعة فلوجل رقم ٢٤٩ ووضعي الاسلام الجزء الثاني والفقه الاسلامي لمحمد يوسف موسى ودائرة المعارف الاسلامية ١٧١ ج ١

غوطتها . ونشأ بالكوفة ، وحضر مجلس أبي حنيفة وتفقه على أبي يوسف المتقدم ذكره ، وألف كتبا كثيرة في الفقه وغيره ، وهو الذي نشر مذهب أبي حنيفة . وكان فصيح اللسان حتى قالوا انه « اذا تكلم خيل الى سامعه ان القرآن نزل بلفته » وقد عاصر الامام الشافعى ، وجرت بينهما أحاديث ومجالس بحضرة الخليفة هرون الرشيد . وقال الامام الشافعى : « مارأيت أحدا يسأل عن مسألة فيها نظر الا تبينت الكراهة في وجهه ، الا محمد ابن الحسن » وخلف مؤلفات جمة أشهرها :

- ١ - كتاب المبسوط : وهو كتاب الاصل في الفروع منه نسخ خطية في اياصوفيا ونور عثمانية والمكتبة الخديوية . وهو غير المبسوط للرخسى
- ٢ - كتاب الزيادات : منه نسخة في المكتبة الخديوية ونسخة مشروحة
- ٣ - الجامع الكبير : في الفروع منه نسخة في المكتبة الخديوية وبنى جامع ، ولها شروح وتلخيصات متفرقة في مكاتب أوربا والأستانة والخديوية
- ٤ - الجامع الصغير : مطبوع بمصر على هامش كتاب الخراج المتقدم ذكره

٥ - كتاب الآثار في المكتبة الخديوية

٦ - كتاب السير الكبير : وفيه أحكام الحرب ، ومنه نسخ خطية في أكثر مكاتب أوربا وفي المكتبة الخديوية . وترجمة الشيباني في ابن خلكان ٤٥٣ ج ١ (*)

٣ - عبد الرحمن بن القاسم

توفى سنة ١٩١ هـ

هو أبو عبد الله عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة مولى زيد بن الحارث العتقى ، تفقه على الامام مالك ، فصحبه عشرين سنة وانتفع به أصحاب مالك بعد موته . وقد اشتهر على الخصوص بالمدينة الكبرى في مذهبهم ، وهى كتاب ضخيم على سبيل السؤال والجواب ولها شأن كبير لدى المالكيين ، طبعت بمصر ، ولها شروح منها شرح على موادها المشكلة ، منه نسخة في المكتبة الخديوية وغيرها . وتجد ترجمته في ابن خلكان ٢٧٦ ج ١ (*)

ومن الفقهاء في هذا العصر فقهاء الشيعة ، لم ينبغ منهم من يستحق الذكر . ومنهم من لا ينسب الى امام أشهرهم يحيى بن آدم بن سليمان المتوفى سنة ٢٠٣ هـ ، وله كتاب الخراج ، طبعه جونبول في ليدن سنة ١٨٩٦

(*) وانظر في محمد بن الحسن المعارف لابن قتيبة ص ٢٥١ وتاريخ الطبرى «طبعة دى جويه» القسم الثالث ص ٢٥٢١ والفهرست ص ٢٠٣ والانساب للسمعاني ٣٤٢ ومناقب الامام الاعظم أبي حنيفة «طبعة جيدر آباد» ج ٢ ص ١٤٦ - ١٦٧ وابن قطلوبغا رقم ١٥٩ ، والفقه الاسلامى محمد يوسف موسى ، ودائرة المعارف وما بها من مراجع

(**) وراجع فى ابن القاسم ترجمة اسد بن الفرات فى كتاب معالم الايمان لابي الناجى «طبعة تونس» ج ٢ ص ٢ - ١٧ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

فترى مما تقدم ان المسلمين دونوا فقههم وأقروه واستنبطوا الاحكام والشرائع قبل انقضاء القرن الثاني من تأسيس دولتهم ، ولم يتفق ذلك لدولة من الدول قبلهم (*) فان الشريعة الرومانية لم يستقر أمرها وتضبط الا في زمن يوستينيان ، وذلك بعد تأسيس الدولة الرومانية بأكثر من عشرة قرون

الحديث

لم يتضح علم الحديث ويتم تكوينه الا في آخر هذا العصر وفي العصر العباسي الثاني ، وكان في العصر الاول مختلطاً بالفقه ، وقد اشتغل الأئمة الاربعة المتقدم ذكرهم بالحديث في جملة اشتغالهم بالفقه واختلفوا في عدد الصحيح منه . فالامام ابو حنيفة زعيم أصحاب الرأي لم يصح عنده فيما يقال الا كتبهم . فأبو حنيفة ألف كتاباً في الحديث خاصة . وأما مالك بن انس فقد دون الاحاديث في الموطأ وقد تقدم ذكره . وكذلك الشافعي قد ذكرنا له السنن

واشتغل بالحديث في هذا العصر جماعة كبيرة في أنحاء المملكة الاسلامية اكثرهم في المدينة ومصر وبغداد والكوفة والبصرة ، هالك أشهرهم حسب سنى الوفاة ومكانها :

بغداد	٢٠٧	الواقدي مولى	بغداد	١٤٩	ابن جريج من الموالي
اليمن	٢١١	ابن نافع الصنعاني مولى	بجروت	١٥٧	الاوزاعي عربي
مصر	٢٢١	عبد الله بن عبد الحكم	البصرة	١٦١	سفيان الثوري عربي
البصرة	٢١٤	عبد الله بن مسلمة عربي	الكوفة	١٨٣	زياد البكالي عربي
بغداد	٢٣٠	كاتب الواقدي	الكوفة	١٩٣	ابن عياش عربي
المدينة	٢٣٣	يحيى بن معين الحافظ	مسكة	١٩٨	سفيان بن عيينة مولى
			البصرة	٢٠٣	السمان فارسي

وبعض هؤلاء سيأتي ذكرهم في الابواب الاخرى ، ويذكر ما لهم في الحديث في جملة مؤلفاتهم الاخرى . وإنما نذكر هنا الاوزاعي ، فان له كتاباً في الحديث منه نسخة خطية في جملة كتب الشنقيطي في المكتبة الخديوية . ويلى هؤلاء الأئمة في الحديث أصحاب الكتب الستة ، وهي عمدة المحدثين ، وسيأتي الكلام عليها في العصر الآتي :

التفسير والقراءة

فلما اشتغل القوم بالتفسير في هذا العصر (*) ، ولم يدونوا ما يستحق الذكر منه . وقد ذكرنا تفسير ابن عباس في الجزء الاول ، وهو يبدأ

(*) انظر في الفقه وتكوينه مادة فقه في دائرة المعارف الاسلامية وكتاب العقيدة والشريعة في الاسلام لجولدتسيهر وتاريخ الفقه الاسلامي لمحمد يوسف موسى
 (*) هذه مبالغة من المؤلف فقد عنى العلماء بالتفسير كما عنوا بالحديث والفقه ، ويوضح كتاب مذاهب التفسير الاسلامي لجولدتسيهر نشاطهم الواسع في هذا الباب

هكذا : « أخبرنا عبد الله الثقة بن المأمون الهروي ، قال أخبرنا أبي ، قال أخبرنا أبو عبد الله ، قال أخبرنا أبو محمود بن محمد الرازي ، قال أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروي ، قال أخبرنا علي بن اسحاق السمرقندي عن محمد بن مروان عن الكلبى عن أبي صالح عن ابن عباس ، قال . . » وسيأتى ذكر بعض كتب التفسير فى أثناء الكلام على الموضوعات الأخرى لاشتغال الأدباء والمؤرخين والنسائين به . والتفسير لم ينضج وتظهر فيه المؤلفات الوافية إلا فى العصر الآتى . ولم يحدث فى القراءة ما يستحق الذكر فى هذا العصر

التاريخ

في العصر العباسي الاول

بدأ التاريخ يتكون في العصر الاموي كما تقدم ، لكنهم لم يشتغلوا الا فيما دعتهم اليه دولتهم واغراضها من الاطراء بمشاهيرهم أو تحقيق الانساب لأجل العطاء ونحوه ، ولم يصل اليها منه شيء للدهاب ذلك في اثناء الفتن أو لتعمد العباسيين محو آثار الامويين أو لاهمال الناس تلك الكتب مراعاة لرأى العباسيين

على ان التاريخ بمعناه الحقيقي لم يتم تكمينه حتى في العصر العباسي الاول الذي نحن بصددده . انما تمهد فيه السبيل لتأليف التواريخ العامة أو الخاصة (*) . ثم ظهر التاريخ في العصر الذي يليه بعد نقل العلم والادب عن غير العرب واستقرار الاحوال السياسية والاجتماعية . فاهل المائة الاولى من العصر العباسي كان اشتغالهم على سبيل التمهيد مثل اشتغالهم في الادب والتفسير والحديث . وفي كتب الادب كثير من مواد التاريخ عن العرب وبلادهم

على انهم لما أخذوا في جمع القرآن وتفسيره وجمع الاحاديث احتاجوا الى تحقيق الاماكن التي نزلت فيها الآيات أو قيلت فيها الاحاديث ، فعمدوا الى جمع السيرة النبوية لانها شاملة لكل ذلك . ولما اشتغل المسلمون بشئون الخراج اختلفوا في البلاد هل فتحت عنوة أو صلحا أو امانا ، فاضطروا الى تحقيق ذلك وتدوين اخبار الفتوح

مؤرخو الفتوح

١ - الشيخ أبو اسماعيل الأزدي

أقدم كتب الفتوح التي وصلت اليها كتاب فتوح الشام للشيخ أبي اسماعيل محمد بن عبد الله الأزدي البصري من أهل أواسط القرن الثاني للهجرة ، طبع في كلكتة الهند سنة ١٨٥٤ ، وهو عظيم الأهمية ، وقد ذكرناه مفصلاً في باب الانشاء من عصر صدر الاسلام ، والكتاب نحو ٢٦٠ صفحة غير الفهارس والمقدمات مع خلاصة ترجمته بالانجليزية

(*) انظر في التاريخ عند العرب وتكوينه وتطوره مادة تاريخ في دائرة المعارف الاسلامية ولصل التاريخ عند العرب في كتاب علم التاريخ ترجمة العبادي وطبع لجنة التأليف والترجمة والنشر

٢ - الواقدي

توفي سنة ٢٠٧ هـ

يليه الواقدي وهو مولى من موالى بنى هاشم في المدينة ، واسمه أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد كاتب جليل القدر . كان عالما بالحديث والمغازي والفتوح وقد قربه المأمون وولاه القضاء بشرقي بغداد في عسكر المهدي وتوفي هناك . وكان المأمون يرعاه ويبالغ في إكرامه ، لكن المحققين يستضعفون حديثه ، وله مؤلفات عدة ذكر منها ابن النديم ٢٨ كتابا ، هالك ما وصلنا منها :

١ - كتاب المغازي : يشتمل على غزوات الرسول ، طبعه كرامر في كلكتا سنة ١٧٥٦ في ٤٠٠ صفحة ، وله خلاصة انجليزية طبعها ولهاوزن في برلين سنة ١٨٨٢

٢ - كتاب فتوح الشام : وهو بالقصص أشبه منه بالتاريخ لما حواه من التفاصيل والمبالغ ، لكنه مؤسس على الحقيقة . وفيه حقائق لا توجد في سواه من كتب الفتوح ، وقد طبع مرارا ، أحداها في الهند سنة ١٨٥٤ - ١٨٦٠ في ثلاثة مجلدات مع ملاحظات وتعليقات بقلم المستشرق نساو . وطبع أيضا في مصر سنة ١٨٨٢ وغيرها

٣ - فتح افريقيا : طبع في تونس سنة ١٣١٥ في مجلدين

٤ - فتح العجم : طبع في الهند سنة ١٢٨٧

٥ - فتح مصر والاسكندرية : طبع في ليدن سنة ١٨٢٥

٦ - تفسير القرآن : منه نسخة خطية في المتحف البريطاني

٧ - عدة كتب في الفتوح تنسب اليه ، كفتح منف والجزيرة والبهنسا طبعت بمصر وغيرها . وكان له كتاب يسمى فتوح الامصار لم نقف عليه ، ولكن المؤرخين نقلوا عنه . وأكثر كتبه محشوة بالمبالغيات ولا يعول عليها . وفي مجلة المشرق البيروتية مقالة انتقادية في الواقدي ومؤلفاته (صفحة ٩٣٦ سنة ١٠) جزيلة الفائدة

وترجمة الواقدي في ابن خلكان ٥٠٦ ج ١ ، والفهرست ٩٨ (*)

ومن كتب الفتح كتاب فتوح مصر وأعمالها على عهد عمر بن الخطاب لابن اسحق الاموي طبع على الحجر بمصر سنة ١٢٧٥ هـ ، وهو كالقصة داخل في كتاب فتوح الشام للواقدي ، وسنذكر سائر كتب الفتوح في أماكنها حسب العصور

كتب الطبقات

قد رأيت فيما تقدم من كلامنا عن القرآن وقراءاته والحديث والنحو

(*) وراجع في الواقدي كتاب المعارف ص ٢٥٨ والانساب للسماعي ٤٧٧ ومجمع الادباء ص ٢٧٧ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبروكلمن ١٣٥ ج ١ وملحق ص ٢٠٧ ص ٧٣

والادب ، ان العلماء اضطروا لتحقيق مسائل هذه العلوم الى البحث في اسانيدها والتفريق بين ضعيفها ومتينها . . فجرهم ذلك الى النظر في رواة تلك الاسانيد وتراجهم وسائر احوالهم ، حتى أصبح من شروط الاجتهاد في الفقه معرفة الاخبار بمتونها واسانيدها ، والاحاطة بأحوال النقلة والرواة عدولها وثقاتها ومطعونها ومردودها ، والاحاطة بالوقائع الخاصة بها . . فقسموا رواة كل فن الى طبقات ، فتألف من ذلك تراجم العلماء والادباء والفقهاء والنحاة وغيرهم مما يعبرون عنه بالطبقات . ومنها طبقات الشعراء وطبقات الادباء وطبقات النحاة وطبقات الفقهاء وطبقات الصحابة والتابعين وطبقات المحدثين واللغويين والمفسرين والحفاظ والمتكلمين والنسائين والاطباء حتى الندماء والمغنين وغيرهم ، والفوا في كل باب غير كتاب . ولذلك كان المسلمون اكثر أمم الارض كتبوا في التراجم لافراد الرجال

واقدم كتب الطبقات التي وصلت الينا غير طبقات الشعراء لابن سلام الذي تقدم ذكره ، كتاب طبقات الصحابة لابن سعد المعروف بكتاب الواقدي

ابن سعد صاحب الطبقات

توفى سنة ٢٣٠ هـ

هو عبد الله محمد بن سعد بن منيع الزهرى . كان من الفضلاء النبلاء كثير العلم صادق ثقة . صحب الواقدي وكتب له فعرف به . ولم يذكر له صاحب الفهرست الا كتاب اخبار النبي لم يصل الينا . ولكننا عرفنا كتابا ينسب اليه اسمه طبقات الصحابة والتابعين او كتاب الطبقات الكبير يدخل في بضعة عشر مجلدا طبع في ليدن سنة ١٣٢٠ - ١٣٢٥ هـ . وهو كتاب نفيس جزيل الفائدة اشترك في الوقوف على طبعه وتصحيحه المستشرقون سخاو وهوروفتش وليبرت وسترسين وبروكلمن . ويقسم الى عدة اقسام في ثمانية اجزاء : الجزء الاول في السيرة النبوية (١٦١ صفحة) والثاني في المغازي (١٣٧ صفحة) والثالث في تراجم البدرين من الصحابة (٤٥٦ صفحة) والرابع في تراجم الانصار والمهاجرين ممن لم يشهدوا بدرا وأسلموا قبل فتح مكة (٢٨٤ صفحة) والخامس تراجم أهل المدينة من التابعين ومن كان منهم ومن الصحابة في مكة والطائف واليمن واليمامة والبحرين (٤١٢ صفحة) والسادس تراجم الصحابة من الكوفيين (٢٩١ صفحة) والسابع عن الصحابة البصريين والثامن تراجم الصحابة من النساء (٣٦٥ صفحة) فصفحات الكتاب كله نيف وألفا صفحة كبيرة غير التعليقات والفهارس ونحوها وهي نحو الف صفحة أخرى . والطبقات تحتوى على سيرة الرسول وغزواته وتراجم نحو ٣٠٠٠ من الصحابة والتابعين . وروايتها في صدرها سلسلة من ابن سعد الى عدة رواة آخرهم شرف الدين بن محمد عبد المؤمن بن خلف بن أبى الحسين الدمياطى . واسانيد ابن سعد في كل ترجمة على حدة . وأكثر روايته عن محمد بن عمر بن واقد (الواقدي) ومحمد بن اسحق وهشام الكلبي وعبد الملك بن هشام .

وفي الكتاب فوائد كثيرة عن تاريخ الجاهلية وآدابها ، ومنه نسخ خطية في مكاتب لندن وغوطة وبرلين والأستانة وغيرها
وترجمة ابن سعد في ابن خلكان ٥٠٧ ج ١ ، والفهرست ٩٩ (*)

الانساب وكتابتها

ونعد الانساب من قبيل التاريخ ، دعا الى وضعها حاجة الناس الى العطاء على الانساب حسب ديوان عمر . وقد ذكرنا في الجزء الاول ما كان منها في الجاهلية ، وفي العصر الأموي ، وقد نبغ من علماء النسب في العصر العباسي الاول الذي نحن في صدده جماعة أشهرهم :

١ - هشام الكلبي

هو أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبي ، نشأ في الكوفة ، وكان نسابة عالما بأخبار العرب وأيامها ومثاليها ووقائعها . أخذ عن أبيه محمد ابن السائب . وكان محمد هذا من علماء الكوفة في التفسير والأخبار وأيام الناس ، معدودا بين المفسرين والنسائين . توفي بالكوفة سنة ١٤٦ هـ ولم يخلف الا كتابا في تفسير القرآن اما هشام فخلف نحو مائة كتاب ذكرها صاحب الفهرست مفصلة (صفحة ٩٦ - ٩٨) وقسمها الى أبواب بعضها في الاحلاف والبعض الآخر في المآثر والبيوتات والمنافرات والموعودات وبعضها في أخبار الأوائل . وبعضها في أخبار الجاهلية وغيرها في أخبار الاسلام وأخبار البلدان وأخبار الشجر وأيام العرب وفي الاسمار والانساب . وأهم كتبه في الانساب كتاب النسب الكبير ويحتوي على أنساب أهم قبائل العرب من العدنانية والقحطانية فضلا عن الانساب المفردة لاشهر القبائل على حدة مما يضيق المقام عن وصفه ولا فائدة منه ، لان هذه الكتب ضاعت منذ أزمان ولم يبق منها الا الروايات المنقولة في كتب النسب ونحوها منسوبة اليه وقطع محفوظة في بعض المكاتب ، منها :

١ - جزء من كتاب النسب الكبير أو جمهرة الانساب منه نسخ خطية في مكاتب باريس والاسكوريال واكسفورد ولندن وغيرها

٢ - نسب فحول الخيل في الجاهلية والاسلام : منه نسخ في غوطة والاسكوريال وفيينا

٣ - كتاب الاصنام : أو كتاب تنكيس الاصنام نقل معظمه ياقوت في معجم البلدان ، وهو يشير هناك الى مصدره ومنه نسخة في جملة كتب زكي (باشا) في ٢٩ ورقة (**) ()

(*) وانظر في ابن سعد تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٢ ص ١٣ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبروكلمن ١٣٦ ج ١ والملحق ج ١ ص ٢٩٨
(**) نشر أحمد زكي (باشا) هذا الكتاب

وتجد ترجمه هشام الكلبى فى ابن خلكان ١٩٥ ج ٢ ، وطبقات الادباء
١١٦ ، والفهرست ٩٥ (ج١)

ومن النسابين أيضا فى هذا العصر :

٢ - الهيثم بن عدى الكوفى المتوفى سنة ٢٠٧ هـ ، ذكر له صاحب
الفهرست عشرات من الكتب

٣ - المدائنى المتوفى سنة ٢٢٥ هـ ذكر له أيضا كثيرا من المؤلفات تزيد
علي ما ذكره لهشام الكلبى

٤ - ابن عبدة

٥ - علان الشعوبى وغيرهم ..

ولو جمعت كتبهم فى النسب وغيره لزادت على بضع مئات ، لم يصلنا
منها غير ما يرد ذكره عرضا منقولاً عنهم فى كتب الادب أو التاريخ أو الفتوح
كالتبرى والبلاذرى وياقوت وأبى الفرج صاحب الاغانى وغيرهم

السيرة النبوية

وقد يسمونها « المغازى » وذكروا أسماء كثيرين اشتغلوا بجمعها فى
أواخر القرن الأول وفى النصف الأول من القرن الثانى للهجرة .. لم يصح
منها الا كتاب المغازى للزهري المتوفى سنة ١٢٤ هـ ، وقد ضاع . وكتاب
المغازى لموسى بن عقبة المتوفى سنة ١٤١ هـ ، وفى مكتبة برلين نسخة بهذا
الاسم جمعها يوسف بن محمد بن عمر تشتمل على الغزوات النبوية ، ومنها
قطع منتخبة طبعت فى أوروبا سنة ١٩٠٤

سيرة ابن هشام

وأما سيرة الرسول كاملة ، فأقدم من كتب فيها محمد بن اسحق وقد
اعتمد على سيرته عبد الملك بن هشام فى سيرته التى اتفقوا على صحتها ،
وفىها أيضا نسب الرسول وكثير من أخبار الجاهلية وأنسابهم وعاداتهم
وأديانهم ونحوها ، الا أن بها بعض الشعر المنحول نقله عن ابن اسحق وقد ذكر
صاحب الفهرست أنهم كانوا ينظمون الاشعار ويأتون بها اليه ويسألونه أن
يدخلها فى كتابه فى السير فيفعل

عبد الملك بن هشام

هو أبو محمد عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميرى الماعزى ، كان
مشهورا بعلم النسب والنحو ، أصله من البصرة وأقام فى مصر وألف كتابا
فى الانساب ضاعت وتوفى بمصر سنة ٢١٣ هـ وهو الذى روى سيرة الرسول

(ج١) وراجع فى هشام الكلبى معجم الادباء ج ١٩ ص ٢٨٧ ، ودائرة المعارف الاسلامية فى
مادة الكلبى

من المغازي والسير لابن اسحق وهذبها ولخصها ، وهي الموجودة في أيدي الناس وتمتد أقدم المصادر التي بين أيدينا عن الرسول وأوثقها . وترجمته في ابن خلكان ٢٩٠ ج ١ (*)

محمد بن اسحق

أما ابن اسحق صاحب السيرة الاصلى ، فهو أبو بكر محمد بن اسحق ابن يسار الملقب بالولاء المدني بالمقام . كان جده يسار مولى قيس بن مخزومة ابن المطلب بن عبد مناف . سباه خالد بن الوليد في عين التمر ، وكان ابن اسحق ثبتا في الحديث والمغازي فسمع عن أكثر العلماء ، أتى الى المنصور وهو في الحيرة فكتب له المغازي فسمع منه أهل الكوفة بذلك السبب ، وتوفي ببغداد سنة ١٥١ هـ . ومن كتبه في المغازي أخذ عبد الملك بن هشام السيرة التي نحن بصدها . وترجمت في ابن خلكان ٤٨٣ ج ١ (***)

وقد طبعت السيرة مرارا أضبطها طبعة غوتنجن سنة ١٨٦٠ بعناية وستنفيلد المستشرق الالماني في مجلدين مضبوطة بالشكل اللازم . وألحقها بجزء ثالث فيه تعاليق وملاحظات وفهارس . وفي صدره ترجمة ابن اسحق نقلًا عن ابن قتيبة وابن خلكان وابن النجار ، ونقل عن كتاب عيون الاثر لابن سيد الناس اليعفرى من أهل القرن الثامن للهجرة ما قيل في ابن اسحق ومناقبه وما قيل من الطعن فيه والرد على الطعن ، وغير ذلك من الفوائد الكثيرة . وقد طبعت السيرة أيضا في بولاق في ثلاثة أجزاء سنة ١٢٩٥ . ومنها نسخ خطية في أكثر مكاتب أوروبا . وترجمها وايل المستشرق الى الالمانية ونشرت الترجمة في ستجارت سنة ١٨٦٤

وأما النسخة الاصلية رواية ابن اسحق ، فالظنون أن منها نسخة في مكتبة كوبرلي بالاستانة . ووقفنا على كتاب خاص بتراجم الرجال الذين روى محمد بن اسحق عنهم ، طبع في ليدن سنة ١٨٩٠

الغلامنة

وبالجملة لم يبق أديب من أدباء ذلك العصر الا واتي في كتبه على شيء من التاريخ كما فعل الاصمعي وأصحابه . وكذلك المترجمون فانهم كتبوا كثيرا من الحوادث وذهبت كتبهم . ولبيان ذلك زاجع مقدمة مروج الذهب للمسعودي ، فتجد أسماء عشرات من خيرة المؤلفين الذين استعان بهم المسعودي في تأليف كتابه ، وأكثرهم من أبناء العصر العباسي الاول ، ولم يبق من مؤلفاتهم شيء الى اليوم . ولعلنا نقف على شيء منها بالبحث كما اتفق للدكتور كيلر الالماني منذ عامين ، فانه عثر على الجزء السادس من

(*) وانظر في عبد الملك بن هشام بغية الرواة للسيوطي ص ٢١٥ وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٥٤ بين أئمة النحو واللغة ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع
(**) وراجع المعارف لابن قتيبة «طبعة وستنفيلد» ص ٢٤٧ ومعجم الأدباء لياقوت ج ١٧ ص ٥ ودائرة المعارف الاسلامية

كتاب تاريخ بغداد لاحمد بن أبى طاهر المعروف بطيفور المتوفى سنة ٢٨٠ هـ وسنعود إليه . . وكما وقفنا على طبقات ابن سلام الجمحي بعد أن ظل المستشرقون دهرا يأسفون لضياعها ، والفوا في ذلك الكتب والرسائل

نظرة عامة

انقضى العصر العباسى الاول وهو فاتحة العصور العباسية ، وفيه نضج النحو ووضع علم العروض وظهر أئمة الفقه ووضعوا أساس المذاهب الاربعة الباقية الى الان . وتكاثر الادباء والشعراء وتميز الشعر بالحضارة وتبدلت طريقتة وتلطف أسلوبه وتولدت فيه ابواب جديدة

وفيه دخل اللغة العربية طائفة من العلوم القديمة ، نعى علوم اليونان والفرس والهند وغيرهم . وظهرت المؤلفات فيها فضلا عن الترجمات وكان أكثر اشتغال أدباء البصرة والكوفة في اللغة العربية وجمع الفاظها وأخبار أصحابها وأمثالهم وأشعارهم وأنسابهم . وفيه وضعت السيرة النبوية وكتب المغازى والفتوح . وأكثر المشتغلين في هذه النهضة الموالى وأهل الدمة وبعض العرب

وهناك علوم أخرى ستولد أو تنشأ في العصور الالية . وبعض العلوم التى ولدت في هذا العصر ستنضج فيما يلى ، وسيأتى الكلام على كل شيء في مكانه

ومما بلغت الانتباه من أخبار هذا العصر كثرة ما وضع فيه من كتب الادب واللغة والنحو والنسب ومجاميع الأشعار والأخبار والأمثال مما يعد بالمئات أو الالوف ولم يبق منها الا بضع عشرات . وقد تقرأ لأحدهم مئات من أسماء الكتب التى ألفها ثم لا تجد منها الا كتابا أو بضعة كتب ، كما رأيت في أخبار المدائنى وهشام الكلبى وأبى عبيدة والأصمعى وغيرهم وبعضهم لم يبق من آثارهم شيء

على ان هذا العصر أحسن حظا من العصر الاموى الذى سبقه . وستكون العصور الالية أحسن حظا منه

العصر العباسي الثالث

او المائة الثانية من العصر العباسي الثاني

من سنة ٢٣٢ - ٣٣٤ هـ

تاريخه

يبدأ هذا العصر بخلافة المتوكل على الله العباسي سنة ٢٣٢ هـ ، وينتهي بظهور الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ ، وقد يسمى العصر التركي لتسلط الأتراك فيه على أمور الدولة تمييزا له عن العصر الماضي وهو فارسي لتغلب العنصر الفارسي فيه . وأما الأتراك فأول من استكثر منهم وقدمهم في الدولة المعتصم (١) ، وبدأ استبدادهم في أيام المتوكل على الله لأنه كان يكره الشيعة العلوية ، وهم من الفرس ، فاستبد بهم وزاد في رعاية الأتراك لينصروه عليهم فزاد طمعهم في الدولة . ثم أغرأهم ابنه المنتصر - أو هم أغرؤه - على قتله فقتلوه ، وكان ذلك أول جرأتهم على الخلفاء . وولوا المنتصر بعده ولم تطل مدة حكمه أكثر من بضعة أشهر ، فمات وضميره يخزه . وتولى بعده المستعين بالله سنة ٢٤٨ هـ ، ثم المعتز بالله سنة ٢٥١ هـ . وقد استفحل أمر الأتراك استفحالا عظيما . ومما يحكى عن استبدادهم بالخلفاء انه لما تولى المعتز قعد خواصه وأحضروا المنجمين وقالوا لهم : « انظروا كم يعيش الخليفة وكم يبقى في الخلافة » وكان في المجلس بعض الظرفاء فقال : « أنا أعرف من هؤلاء بمقدار عمره وخلافته » فقالوا له : « فكم تقول انه يعيش وكم يملك ؟ » قال : « ما أراد الأتراك » فلم يبق في المجلس الا من ضحك (٢)

وقد قتلوا المعتز هذا شر قتلة ، فانهم جروه برجله الى باب الحجرة وضربوه بالدبابيس وخرقوا قميصه وأقاموه في الشمس بالدار ، فكان يرفع رجلا ويضع أخرى لشدة الحر وبعضهم يلطمه بيده (٣) والمستكفي سملوا عينيه ثم حبسوه حتى مات في الحبس (٤) . وبلغ من فقر القاهر بالله أنهم حبسوه وهو ملف بجبة قطن وفي رجله قبقاب خشب . . فلا فرو اذا أصبح الخلفاء آلة في يد الأتراك . واذا تنازع هؤلاء على السلطة كان الخليفة مع الغالب . وبعد أن كان القواد يحلفون للخليفة بالطاعة ، صار الخليفة يحلف لهم

(١) راجع تفصيل ذلك في تاريخ التمدن الاسلامي صفحة ١٥٥ ج ٤

(٢) الفخرى ٢٢٠ (٣) ابن الأثير ٧٧ ج ٧

(٤) ابن الأثير ١٧٧ ج ٨

وفي هذا العصر عظم نفوذ الخدم في الدولة العباسية ، ولم يكن لهم شأن قبله . وسبب ذلك أن الأتراك لما استبدوا وصاروا يولون الخلفاء ويعزلونهم ، كان في جملة ما استعانوا به على الاستبداد بهم أن يجبروا عليهم قبل الخلافة ويحبسونهم في القصور ليزيدونهم ضعفا . وكان الخلفاء من الجهة الأخرى يميلون إلى حبس أولادهم وأقاربهم خوفا من تواطئهم مع بعض الأتراك على خلعهم أو قتلهم . ولا عسير لهم في أثناء الحجر إلا الخدم والخصيان فالفوا أخلاقهم . وتحققوا بالاختبار أن حياتهم تتوقف في الأكثر على أمانة أولئك الخدم لما آنسوه من غيرتهم عليهم وخصوصا الخصيان ، إذ لا عصبية فيهم تمنعهم من التغاضي في خدمة أسيادهم ولا مطمع لهم في الملك لأولادهم وأهلهم . فأصبح ولاية العهد إذا أفضت الخلافة إليهم بالفوا في تقريب الخدم بالعطايا والأكرام التماسا لحمايتهم إذا أراد الأتراك الفتك بهم . فعمدوا إلى الاستكثار من الخدم ، وكانوا يقدمونهم ويكرمونهم ويستشيرونهم في أمورهم

واستكثروا منهم حتى الفوا منهم الفرق . وأول من استكثر منهم ورفع منزلتهم المقتدر بالله ، فقد تولى سنة ٢٩٥ هـ وعنده من الخدم والخصيان ١١٠٠٠ خادم من الروم والسودان وكثير من المال والجوهر ، فتمكن من الحكم ٢٥ سنة . وكان يقدم الخدم ويستعين بهم وقد ولاهم قيادة الجند وغيرها . وفي أيامه نبغ مؤنس الخادم ، فقدمه وكان يستشير في أموره . فتصرف مؤنس في مصالح الدولة كما يشاء وتولى رئاسة الجيش وإمارة الأمراء وبيوت الأموال ، واستبد في كل شيء لكنه على الأجمال خدم الخليفة المقتدر خدمات ذات بال . ثم كانت بينهما وحشة تكررت حتى أدت إلى خروب انتهت بقتل المقتدر

فتكاثر الفساد بسبب ذلك وعمت الرشوة والمصادرة والفتك ، فأصبح الناس يخافون على أموالهم وأرواحهم لأنها طوع إرادة الخليفة أو الوزير أو القائد أو تابعة لهواهم ومطامعهم . وكانت المصادرة متبادلة بين الخليفة ووزرائه وقواده (١) ، ناهيك بالجاسوسية وسوء الأحكام . قال ذلك إلى طمع العمال والولاة في أعمالهم ، فأخذوا يستقلون . فتشعبت المملكة العباسية إلى إمارات وممالك . وانقضى العصر الذي نحن بصدد بدخول الدليل بغداد في أيام المستنصر سنة ٣٣٤ هـ ، وأنشأوا هناك دولة عرفت بدول آل بويه وبها يبدأ العصر العباسي الثالث

والفساد الذي تقدم ذكره أثر في آداب اللغة ، ولا سيما في الآداب التي هي من آثار النفس أو أعمالها كالشعر والخطابة والإنشاء وقل النابغون فيها كما سترى . وفيه قيدت الأفكار بمطاردة المتوكل للمعتزلة والشيعة ، فضعفت الحرية وعمد الناس إلى التستر في أفكارهم خوفا على حياتهم خلافا لما كانوا عليه في أواخر العصر الماضي

مميزات هذا العصر

ويمتاز العصر العباسي الثاني بالنظر الى آداب اللغة بأمور تمت فيه ،
وهي :

١ - استقر الخط العربي على القاعدة التي وصلت اليها ، وقد وضعها
أو ضبطها ابن مقلة المتوفى سنة ٣٢٨ هـ

٢ - ظهر أثر الانقلاب الادبي في الفاظ اللغة العربية ، فتنوعت معاني
بعضها حتى خرجت عما وضعت له في المعاجم . وشق ذلك على أدباء اللغة ،
فوضعوا المقالات أو الكتب في انتقاد ذلك واصلاحه . ولكنه قلما أفاد لأن
ذلك التنوع حدث بطبيعة العمران . وممن انتقده ابن قتيبة في كتابه أدب
الكاتب وسنين ذلك في مكانه . وراجع كتابنا « تاريخ اللغة العربية »

٣ - وفي هذا العصر ترجمت التوراة الى اللغة العربية ترجمة لا تزال
باقية الى الان . ويقلب على الظن انها ترجمت كلها أو بعضها الى اللغة
العربية قبل الاسلام (*) وشاعت بين أدباء العرب وضاعت في صدر الاسلام .
ثم ترجمت ترجمة أخرى في زمن المأمون على يد أحمد بن عبدالله بن سلام (١) ،
ورأينا بعض أدباء ذلك العصر ينقلون عنها فصولا من أخبار الخليفة (٢) ، وربما
ترجمها سواه أيضا . ولم يبق من تلك الترجمات شيء الى الان . وأقدم
ما وصل اليها من ذلك ترجمة سعيد بن يعقوب الفيومي ويقال له سعديا

سعيد الفيومي وترجمة التوراة

ولد سعيد الفيومي في الفيوم نحو سنة ٢٨٢ هـ في ولاية خمارويه بن
أحمد بن طولون على مصر ، وكان اسرائيليا من الطائفة الربانية ، وكان بين
هذه الطائفة وطائفة القرائين مناظرة وجدال . وكان سعيد من كبار رجال
الدين والعلم فيهم ، فكتب كتبا كثيرة جدلية في العبرانية ، وأخيرا ترجم
كتب موسى الخمسة وسفري أشعيا وأيوب من الاصل العبراني للتوراة الى
العربية توسيعا للدائرة أحزابه الربانيين . وقد طبعت الاسفار الخمسة
من ترجمته في الاستانة بالحروف العبرانية سنة ١٥٤٦ مع ترجمات أخرى ،
وعرفت هذه الطبعة باسم « تراغلوت » . ثم ظهرت في طبعة البوليفلوت
بباريس بعد قرن . وطبعت ترجمته لأشعيا في جينا سنة ١٧٩١ ، وأما
سفر ايوب فمنه نسخة خطية في مكتبة اكسفورد . وقد طبعت على حدة
مع ترجمة فرنسية بعناية ديرنبورج بباريس سنة ١٨٩٣

(*) أكبر الظن أن هذه مبالغة ، وراجع كلمة توراة في دائرة المعارف الاسلامية
(١) الفهرست ٢٢
(٢) كتاب المعارف ٤

أشهر الشعراء

في العصر العباسي الثاني

مميزات الشعر في هذا العصر

- ١ - ظهرت في هذا العصر شكوى الشعراء من ذهاب دولة الشعر وانقضاء العصر الذي كان الشعر فيه يثير النفوس ويستنهض الهمم بذهاب الخلفاء والأمراء الذين كانوا يعرفون قدر الشعر ويقدمون أصحابه بالسخاء . وقد عبر ابن الرومي عن ذلك (وهو من أهل ذلك العصر) بقوله :
ذهب الذين تهزئهم مدهاحهم هزء الكماة عوالي المرءان
كانوا إذا امتدحوا رأوا ما فيهم . فالأريحية منهم بمكان (١)
- ٢ - كثر فيه ذكر المعاني الفلسفية وتعبيراتها لتفتى علوم الاقدمين بين المسلمين على اثر ترجمة الكتب في العصر الماضي وفي هذا العصر . وظهر جماعة من الشعراء عدوا بين الفلاسفة لتغلب العلوم الطبيعية على نفوسهم . على أن الآراء الفلسفية ظهرت ناضجة في شعراء العصر العباسي الآتي ذكره
- ٣ - ظهر فيه البديع ولم يكن منه قبلا الا نزر يسير . على أن البديع قديم في العربية حتى في النثر فضلا عن الشعر ، لان هذه اللغة تمتاز بقبولها للاستعارات والكنائيات (٢) . ولكن المشهور أن أول من فتح البديع بشار بن برد وابن هرمة ، ثم اتبعهما مقتديا بهما كلثوم بن عمرو العتابي ومنصور النمري ومسلم بن الوليد وأبو نواس واتبع هؤلاء أبو تمام والبحترى ، ثم ابن المعتز فانتهى البديع اليه (٣) فانه ألطف أصحابه شعرا وأكثرهم بديعا وهو من شعراء العصر العباسي الثاني
- ٤ - نبغت طبقة من الكتاب انتقدوا الشعر وروايته ، وكانوا ينقلونه في العصر السابق بلا تمحيص . . فصاروا في هذا العصر ينظرون فيه ويتدبرون معانيه وأساليبه بعين النقد . ولا سيما بعد اطلاعهم على ترجمة كتاب أرسطو في نقد الشعر الذي نقله أبو بشر من السريانية الى العربية . وأكثر الذين اشتغلوا في ذلك من الادباء . وسيأتي ذكرهم في باب الادب . أما النقد التاريخي فلم يجرأوا عليه في هذا العصر
- ٥ - وفي هذا العصر تقدم الشعراء خطوة أخرى في الزهريات والتفزل بها كقول ابن المعتز يصف قضييا من الريحان :

(١) العمدة ٨٥ ج ١

(٢) البيان ١٧٥ ج ١

(٣) يقيمة الدهر ٩ ج ١

قضيبي من الريحان شابه لوثه إذا ما بدا للعين لون الزمرد
 وشبهته لما تأملت حسنه عذاراً تدلني في عوارض أمر د
 وقول البحتری :

ورق تغني على خضر مهذلة تسمو بها وتمس الأرض أحياناً
 تجال طائرها نشوان من طرب والغصن من هزّه عطفه نشواناً

وقد رأيت كثرة الشعراء في عصر بني أمية للاغراض السياسية التي
 اقتضاها مسلك الامويين في السياسة بين العصبيات والاحزاب مع تغلب
 البداوة على انفسهم . ورأيت كثرة الشعراء في العصر العباسي الاول بانتقال
 الدولة من البداوة الى الحضارة مع رغبة الخلفاء ورجال الدولة في الشعر
 وسائر فنون الادب ، وهو الياعث الاقوى على ظهور قرائح الشعراء في
 كل عصر

أما في العصر العباسي الثاني الذي نحن في صدره ، فقد ضعفت تلك
 الاسباب واشتغل الخلفاء بانفسهم ورجالهم . فلم ينبغ من فحول الشعراء
 فيه الا الذين قويت شاعريتهم . وهم نفر لا يتجاوزون عدد أصابع اليدين ،
 ولشعرهم صيغة ثلاثم ذلك العصر ، وهم :

١ - ابن الرومي

توفي سنة ٢٨٣ هـ

هو أبو الحسن علي بن العباس بن جريح أو جورجيسي ، ويعرف بابن
 الرومي نسبة الى أصله ، وهو من موالى بني العباس . اشتهر بالتوليد في
 الشعر لانه أتى بكثير من المعاني التي لم يسبق اليها . ومن مميزاته أنه
 لا يترك المعنى حتى يستوفيه ويمثله للقارئ تمثيلاً ، ولد في بغداد سنة
 ٢٢١ هـ وتوفي سنة ٢٨٣ هـ ، وكان شديد الهجاء جريئاً فيه حتى مات
 بسببه لانه هجا القاسم بن عبيدالله وزير المعتضد ، فذس اليه ابن فراش
 فأطعمه خشكناًجة مسمومة وهو في مجلسه . فلما أحس بالسم نهض
 فقال له الوزير : « الى أين ؟ » فقال : « الى الموضع الذي بعثتني اليه » فقال
 له : « سلم على والدي » فقال : « ما طريقى على النار » وأتى منزله فأقام فيه
 أياماً ومات (*) . ومن بديع شعره في المديح قوله :

المنعمون وما مكثوا على أحد يوم العطاء ولو مكثوا لما مكثوا
 كم ضنن بالمال أقوام وعندهم وفر وأعطى العطايا وهو يدان
 وله أيضاً ، وقال ما سبقني أحد الى هذا المعنى :

(*) أكبر الظن أن هذه القصة في موت ابن الرومي موضوعة ، إذ الصحيح انه مات ميتة
 طبيعية ، بسبب أمراضه التي اصطلحت عليه

آراؤكم ووجوهكم وسيوفكم في الحادثات إذا بدوَنَ نجومٌ
منها معالم للهدى ومصباحٌ تجلو الدجى والأخريات نجومٌ
ومن معانيه البيديعة قوله :

وإذا امرؤٌ مدح امرءاً لنواله وأطال فيه فقد أراد هجاءه
لو لم يقدر فيه بعد المستقى عند الورود لما أطال رشاءه
وكذلك قوله في ذم الخضاب ، وهو مما لم يسبق إليه :

إذا دام للمرء السوادُ وأخلقتُ شيبته ظنُّ السوادِ خضاباً
فكيف يظن الشيخ أن خضابه يظنُّ سواداً أو يخال شاباً
وله في بعض الرؤساء وقد سأله حاجة فقضاها له ، وكان لا يتوقع
منه خيراً :

سألتك في أمر فيجدهتَ بيكذله على أنى ما خلت أنك تفعلُ
وألزمتنى بالبذل شكراً وإنه على من الحرمان أدهى وأعضلُ
لئن سرَّنى ما نلت منك فإنه لقد ساءنى إذ أنت ممن يؤمِّل
ومن نظمه في الحكم :

أرى فضل مال المرء داءً لعرضه كما أن فضل الزاد داءٌ لجسمة
فليس لداء العرض شيءٌ كبذله وليس لداء الجسم شيءٌ كحسمة
ومن بديع معانيه :

دهرٌ عَلا قَدْرُ الوضيع به وترى الشريف يحفظه شرفه
كالبحر يرسب فيه لؤلؤه سَفْلاً وتعلمو فوقه جيفه
ويمتاز ابن الرومى بتفضيله المعنى على اللفظ كالتنبي ، فيطلب صحة
المعنى ولا يبالي حيث وقع من هجئة اللفظ (١) ومع ذلك فانك تجد في نظمه
سهولة ومثانة

وكان شعره غير مرتب رواه عنه المتنبي ثم جمعه أبو بكر الصولى ورتبه
على الحروف . وجمعه أبو الطيب وراق ابن عبدوس وزاد في جميع النسخ
نحو ألف بيت ، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٤٠٠ ورقة ،
صفحاتها مزدوجة كبيرة بخط قديم كتبت فيها الأبيات في نهرين كل نهر
في شطرين . وأكثر شعره في على بن يحيى بن أبى منصور ، والحسن بن

عبيدالله بن سليمان ، وأبى القاسم التوزي الشطرنجي ، والمعتمد ،
والقاسم بن عبيدالله ، وابن المدبر ، وغيرهم ممن عاصروه . وله أهاج
شديدة ومدائح بليغة ، وقد أبدع في وصف الاخلاق والمواطف وفي العتاب ،
وله مراث مؤثرة بعضها في ابنه وأمه . وله قصائد طويلة بعضها يزيد على
٣٠٠ بيت ، أكثرها في المدح . ومن هذا الديوان نسخة في مكتبة الاسكوريال ،
وأخرى في مكتبة طوب قيو وفي نور عثمانية بالاستانة . ومن الغريب ان
هذا الديوان النفيس لم ينشر بعد (*)

وأخبار ابن الرومي في ابن خلكان ٣٥٠ ج ١ ، والفهرست ١٦٥ (***)

٢ - البحترى

توفي سنة ٢٨٤ هـ

هو أبو عبادة الوليد بن عبيد الطائي ، ولد بمنبج من أعمال الشام وتخرج
بها . ثم خرج الى العراق ومدح جماعة من الخلفاء أولهم المتوكل على الله ،
وخلقا كثيرا من الاكابر والرؤساء . وأقام في بغداد دهرا طويلا ثم عاد الى
الشام . وله أشعار كثيرة يذكر فيها حلب وكان يتفزل بها . وقد أدرك
أبا تمام بخص وعرض عليه شعره في جملة من كان يأتيه لهذا الغرض .
فلما سمع أبو تمام قوله أقبل عليه وترك سائر الناس ، فلما تفرقوا قال
له : « أنت أشعر من أنشدني » وأوصى به أهل معرفة النعمان فصار اليهم
فأكرموه ووظفوا له ٤٠٠٠ درهم . واشتهر بعد ذلك حتى صار من الطبقة
الاولى ، ويشبهون شعره بسلاسل الذهب لتناسبه . وصار بعضهم يفضل
على أبي تمام . وسئل هو مرة : « من أشعر : أنت أم أبو تمام ؟ » فقال :
« جیده خير من جيدى ، وردئى خير من ردئته » وسئل أبو العلاء المعرى ،
« أى الثلاثة أشعر : أبو تمام أم البحترى أم المتنبي ؟ » فقال : « المتنبي
وأبو تمام حكيمان ، وإنما الشاعر البحترى » . على أنه أمتاز بقوة التصوير ،
فانه كان يصور أخلاق الممدوح تصويرا لم يسبقه أحد الى مثله . ومن
أحسن شعره في المتوكل قصيدة مطلعها :

أخفى هوى لك في الضلوع وأظهر وألام في كمدٍ عليك وأعذر

ويقول منها (***) :

بالبر صمت وأنت أفضل صائم وبسنة الله الرضية تقطر

(*) نشر كامل كيلاني ثلاثة أجزاء من هذا الديوان ، وهي مختارات مختلفة منه
(**) وراجع في ابن الرومي الموشح للمرزياني ص ٣٥٨ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٤٣
وزهر الاداب للحصرى ج ٢ ص ١٧١ وما بعدها والكشكول لبهاء الدين الساملي ص ٥٨ وسر
الفصاحة ص ٧٢ والعمدة لابن رشيق في مواضع متفرقة ورسالة الففران لابي العلاء « أنظر
الفهرس » وطبقات النحويين للزبيدي في ترجمة الاخفش على بن سليمان ص ١٢٦ وراجع ابن
الرومي لعبدس العقاد ومن حديث الشعر والنثر لظه حنين والفن ومذاهبه في الشعر العربي
ولرافون بيبست بحث فيه بعنوان : Life and Works of Ibn El-Rumi وكذلك
لمحمد عبد الفتى حسن بحث فيه نشرته دار المعارف في سلسلة نوابغ الفكر العربي
(***) الغريب في هذه الابيات : الجحفل : الجيش الضخم ، اللجب : كثير الصباح ،
البيض : السيق ، ترهر : تضيء ، المعاج : الغبار ومثله المشر

فانتعم يوم الفطر عينا إنه يوم أغر من الزمان شهرا
 أظهرت عز الملك فيه بجحفل لجب يحاط الدين فيه وينصر
 خلنا الجبال تسير فيه وقد غدت عددا يسير بها العديد الأكثر
 فالخيل تصهل والفوارس تدعى والبيض تلمع والأسنة تزهر
 والأرض خاشعة تميد بثقلها والجو معتكر الجوانب أغبر
 والشمس طالعة توفد في الضحى طورا وتطفئها العجاج الأكر
 حتى طلعت بنور وجهك فانجلى ذلك الدجى وانجاب ذلك العثير
 فافتن فيك الناظرون فاصبع يومي إليك بها وعين تنظر
 يجدون رؤيتك التي فازوا بها من أنعم الله التي لا تكفر
 ذكروا بطلعتك النبي فهللوا لما طلعت من الصفوف وكبروا
 حتى انتهت إلى المصلى لابساً نور الهدى يبدو عليك ويظهر
 ومثيت مشية خاشع متواضع لله لا يزهى ولا يتكبر
 فلو ان مشتاقا تكلف فوق ما في وسعه لمشى إليك المنبر

وظل البحرى في العراق في خدمة المتوكل ووزيره الفتح بن خاقان ،
 وله الحرمة التامة حتى قتلا ، فرجع الى منبج . وقد قلد أبا تمام في
 البديع وكان يعده اماما له ويقدمه على نفسه كما رأيت . ثم صارت له
 طريقة في الجزالة والعدوبة والفصاحة والسلاسة خاصة به ، قلدها
 معاصروه ومن جاء بعدهم من الشعراء وعرفت بطريقة أهل الشام ، وكان
 الصاحب بن عباد يعجب بها ويخرض على حفظ أشعار أصحابها ويستملى
 الطارئین عليه من تلك البلاد ما يحفظونه منها حتى كتب دفترا ضخما الحجم
 فيها كان لا يفارق مجلسه ولا يملأ منه عينه غيره . وصار ما جمعه فيه
 على طرف لسانه وفي سن قلمه ، فطورا يحاضر به في مخاطباته ومحاوراته
 وتارة يحله أو يورده في مراسلاته كما هو

وكان البحرى بخيلا وسخ الثوب ومن أبغض الناس انشادا ، يتشادق
 ويتزاور في مشيه مرة جانبا ومرة القهقري ، يهز رأسه مرة وكتفه أخرى
 ويشير بكمه . ويقف عند كل بيت ويقول : « أحسنت والله مالكم لا تقولون
 أحسنت ؟ » فحجر المتوكل منه .

وما زال شعر البحرى غير مرتب حتى جمعه أبو بكر الصولى ورتبه
 على الحروف . وجمعه أيضا على بن حمزة الإصبهانى ورتبه على الأنواع .
 وقد طبع في الاستانة سنة ١٣٠٠ وفى بيروت سنة ١٩١١ مضبوطا بالشكل
 الكامل في جزعين كبيرين . أكثره في مدح المتوكل والمعتز والمستعين والمعتمد
 ورجال دولتهم . ولا تكاد تخلو قصيدة من استهلال بالفزل

وللبحتري حماسة مثل حماسة أبي تمام طبعت في بيروت سنة ١٩١٠ بعناية الأب شيخو ، وقد ذيلها بالفهارس . وهى تمتاز على حماسة أبي تمام من أوجه كثيرة : منها كثرة الأبواب ، لان حماسة أبي تمام مؤلفة من عشرة أبواب وحماسة البحتري من ١٧٤ بابا تتضمن معظم المعانى الشعرية . وقد رواها عن نحو ٦٠٠ شاعر أكثرهم من الجاهليين والمخضمين . وتمتاز على الخصوص بخلوها مما تنبو عنه الاسماع من الالفاظ البديته حتى الغزل والنسيب فقد تحاشاهما ٠٠ كان البحتري جمعها لشبيبة هـسده الأيام . واطلعنا فى المكتبة الخديوية على نسخة من الحماسة المذكورة بالتصوير فى ٤٠٠ صفحة عن نسخة خطية محفوظة فى مكتبة ليدن

وللبحتري أيضا كتاب معانى الشعر ، وألف الحسن بن بشر الأمدى المتوفى سنة ٣٧١ كتابا انتقاديا فى الموازنة بين أبي تمام والبحتري تعصب فيه على أبي تمام ، وجد فى طمس مجاسنه وتزيين مردول البحتري ، طبع فى الاستانة سنة ١٢٨٧ هـ

وأخبار البحتري فى ابن خلكان ١٧٥ ج ٢ ، والأغانى ١٦٧ ج ١٨ ، والفهرست ١٦٥ (*)

٣ - ابن المعتز

توفى سنة ٢٩٦ هـ

هو أبو العباس عبدالله بن المعتز بن المتوكل من أبناء الخلفاء العباسيين ، تحزب له جماعة من الجنود والأتراك على العادة الجارية فى ذلك العهد وخلصوا المقتدر سنة ٢٩٦ ، وبايعوا لابن المعتز وسموه المرتضى بالله أقام يوما وليلة . ثم تحزب أصحاب المقتدر وتراجعوا وحاربوا أعوان ابن المعتز وشتتوهم وأعادوا المقتدر الى دسته . واختفى ابن المعتز فى بيت ابن الجصاص التاجر الجوهري المشهور يومئذ . فأخذه المقتدر وسلمه الى مؤنس الخادم ، فقتله ودفعه الى أهله ملفوفا فى كساء . وكان ابن المعتز منحرفا عن العلويين ، وله فيهم قصيدة بائية يطعن عليهم فيها ويجعل للعباسيين الفضل عليهم بالخلافة مطلعها :

ألا من لعينٍ وتَسْكَابِها تشكَّى القذاةَ وتَنكِي بها
الى أن يقول :

ونحن ورثنا ثياب النبي فلم تجذبون بأهدابها

(*) وانظر فى ترجمة البحتري طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٣٩٤ والموشح للمريزبانى ص ٣٢٠ ومعاهد التنصيص ج ١ ص ٨١ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٤٧٦ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٦ ومعجم الادباء ج ١٩ ص ٢٤٩ والموازنة بين الطائيين للامدى واعجاز القرآن للباقلانى ، ودائرة المعارف الاسلامية وراجع فى شعره الفن ومناهبه فى الشعر العربى ، ومن حديث الشعر والنثر لطلح حسين

لكم رَحْمٌ يَا بَنِي بِنْتِهِ وَلَكِنْ أَرَى الْعَمَّ أَوْلَىٰ بِهَا
بِهِ نَصَرَ اللَّهُ أَهْلَ الْحِجَازِ وَأَبْرَأَهَا بَعْدَ أَوْصَالِهَا
وعارضه صفى الدين الحلى بقصيدة من وزنها وقافيتها مطلعها :

أَلَا قُلْ لَشَرِّ عِبَادِ الْإِلَهِ وَطَاغِي قَرِيْشٍ وَكَذِّبِهَا
ومن شعره قصيدة تاريخية من نوع الشعر القصصى مدح بها الخليفة
المعتضد ، ومزيتته على الخصوص بما فى شعره من أنواع البديع كقوله فى
وصف مليح :

وَجَاءَنِي فِي قَمِيصِ اللَّيْلِ مُسْتَتْرَأً
يَسْتَعْجِلُ الْخَطْوُ مِنْ خَوْفٍ وَمِنْ حَذَرٍ
فَقَمْتُ أَفْرَشَ خَدَّيْ فِي الطَّرِيقِ لَهُ
ذُلًّا وَأَسْحَبُ أَذْيَالِي عَلَى الْأَثَرِ
وَلَا حِ ضَوْءٌ هَلَالٍ كَادَ يَفْضَحُنَا
مِثْلَ الْقَلَامَةِ قَدْ قَدَّمَتْ مِنَ الظَّمْرِ
ومن قوله وقد ذكره ابن خلكان :

وَمُتَّقِرٌ طَقَّ يَسْعَى إِلَى الثَّمَدَاءِ
بِعَقِيْقَةٍ فِي دُرَّةٍ بِيضَاءِ
وَالْبَدْرِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ كَدَرِهِمْ
مَلَقَى عَلَى دِيَابِجَةِ زُرْقَاءِ
كَمْ لَيْلَةٌ قَدْ سَرْنِي بِمَبِيَّتِهِ
عِنْدِي بِلَا خَوْفٍ مِنَ الرِّقْبَاءِ
ومن تشابيهه قوله :

خَلِيْلِي قَدْ طَابَ الشَّرَابُ الْمُوْرَدُ
وَقَدْ عَدَّتْ بَعْدَ النَّشْكِ وَالْعُوْدُ أَحْمَدُ
فَهَاتَا عَثَارًا فِي قَمِيصِ زَجَاجَةٍ
كِيَا قُوْتَةٍ فِي دُرَّةٍ تَتَوَقَّدُ
يَصُوغُ عَلَيْهَا الْمَاءُ شِبَاكُ فُضَّةٍ
لَهُ حَلَقٌ بِيضٌ تُحَلُّ وَتَعْقَدُ
وَقَتْنِي مِنْ نَارِ الْجَحِيْمِ بِنَفْسِهَا
وَذَلِكَ مِنْ إِحْسَانِهَا لَيْسَ يُجْحَدُ

وكان ابن المعتز شاعرا مطبوعا مقتدرا على الشعر قريب المآخذ سهل
اللفظ جيد القريحة ، ومن مزاياه الإبداع للمعاني . وكان أيضا من الأدباء
والعلماء ثقف على المبرد وتعلب وغيرهما . واشتغل بالعلم والأدب ، فألف
فيهما بضعة عشر مؤلفا وصلنا منها :

١ - كتاب الأدب : منه نسخة خطية فى المتحف البريطانى

٢ - كتاب مختصر طبقات الشعراء : فى مكتبة الاسكوريال (*)

٣ - كتاب البديع : وهو أهم كتبه بالنظر الى اختصاصه فى هذا الفن ،

منه نسخة خطية فى مكتبة الاسكوريال (***)

(*) نشرت دار المعارف هذا الكتاب وهو رقم ٢٠ من سلسلة ذخائر العرب
(**) نشر كراتشكوفسكى كتاب البديع سنة ١٩٢٥ - وقد طبع فى مصر كما طبع له
كتاب فصول التماثيل الاى ذكره

٤ - كتاب أشعار الملوك : منه نسخة في مكتبة المستشرق أهوارت
وياسمه في مكتبة باريس « كتاب الشراب » شعر ونثر . وفي مكتبة
برلين كتاب قصول التماثيل في تباشير السرور ، ولم يذكره له مؤرخوه .
وعنى لانغ الالماني بترجمة بعض شعره وتاريخه الى الالمانية وطبعه في المجلة
الالمانية الشرقية سنة ١٨٨٦ ، وفعل ذلك أيضا لوث وطبعه في ليبسك
سنة ١٨٨٢

وقد جمعت أشعاره في ديوان مرتب على الانواع كالفخر والفزل وغيرهما .
وكل منها مرتب على الابجدية ، منه نسخ خطية في مكاتب باريس والقاهرة
وغيرها ، وطبع بمصر سنة ١٨٩١ وله قصائد متفرقة في مكاتب برلين وغوفا
ونجد أخباره في ابن خلكان ٢٥٨ ج ١ ، وطبقات الادباء ٢٩٩ ، وقوات
الوفيات ٢٤١ ج ١ ، والاغانى ١٤٠ ج ٩ ، والفهرست ١١٦ (*)

٤ - البسامى البغدادى

توفى سنة ٣٠٢ هـ

هو أبو الحسن على بن محمد بن نصر بن منصور ، ويعرف بابن بسام
أيضا . وهو غير ابن بسام الاندلسى المتوفى سنة ٥٤٢ هـ ، وأما البسامى
فأمه بنت حمدون النديم . وكان شاعرا هجاء لم يسلم من لسانه أمير ولا
وزير ولا صغير ولا كبير . وقد هجا أباه واخوته وسائر أهل بيته ، فمن
ذلك قوله في أبيه :

هبك عُمِّرَتْ عَمْرٌ عَشْرِينَ نَسْرًا أَتْرَى أَنْتَى أَمُوتَ وَتَبْقَى
فَلْتَن عَشْتُ بَعْدَ مَوْتِكَ يَوْمًا لِأَشْقَنَ جَيْبَ مَالِكَ شَقَا
وقال في هدم المتوكل قبر الحسين :

تالله إن كانت أمية قد أتت قتل ابن بنت نبيها مظلوما
فلقد أتاه بنو أبيه بمثله هذا لعمرك قبره مهدوما
أسفوا على أن لا يكونوا شاركوا في قتله ففتبعوه رَمِيمًا
وليس له ديوان معروف . وله مؤلفات في مناقضات الشعراء وأخبار
الاخوص وعمر بن أبي ربيعة ، لم يصلنا خبرها
وأخباره في ابن خلكان ٣٥٢ ج ١ ، والفهرست ١٥٠ ، وقوات الوفيات
٨٣ ج ٢ (**)

(*) وانظر في ابن المعتز تاريخ ابن الاثير « راجع فهرسه » وتاريخ بغداد ج ١٠ ص ٩٥
والاوراق للصولى في أشعار أولاد الخلفاء وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٢١ ومعاهد التنصيص
ج ١ ص ١٤٦ والطبرى ج ٣ ص ٢٢٨١ وما بعدها وعريب ص ٢٥ وما بعدها . وراجع أيضا
من حديث الشعر والنثر وكتاب الفن ومذاهبه في الشعر العربى
(**) وانظر في البسامى معجم الادباء ج ١٤ ص ١٢٩ وتاريخ بغداد ج ١٢ ص ٦٣

٥ - الخبز أرزي

توفي سنة ٣١٧ هـ

هو أبو القاسم نصر بن أحمد من أهل البصرة ، وكان أميا لا يقرأ ولا يكتب ، وكان يخبز خبز الارز بمريد البصرة ومنه اسمه ، لكنه كان مطبوعا على الشعر ، وكان ينشد أشعاره المقصورة على الغزل والناس يزدحمون عليه لسماع شعره. ويعجبون من حاله . ثم ذاع خبره وتناقل الناس أشعاره . فمن غزله قوله :

خليلى هل أبصرتما أو سمعتما بأكرم من مولى تمشى إلى عبدي
أتى زائرا من غير وعدٍ وقال لى أجلك عن تعليق قلبك بالوجد
فما زال تجم الوصل بينى وبينه يدور بأفلاك السعادة والسعد
فطوراً على تقييل رجبٍ ناظرٍ وطوراً على تعضيض ثقافة الخد
وله أيضا :

رأيت الهلال ووجه الحبيب فكانا هلالين عند النظر
فلم أدر من حيرتى فيهما هلال الدجى من هلال البشر
ولولا التورث في الوجنتين وما راعنى من سواد الشعر
لكنت أظن الهلال الحبيب وكنت أظن الحبيب القمر
وذكر له ابن خلكان كثيرا من الاخبار وأمثلة من الشعر في ترجمته
١٥٣ ج ٢ ، وفي يتيمة الدهر ١٣٢ ج ٢ (*)

٦ - ابن العلاف

توفي سنة ٣١٨ هـ

اسمه أبو بكر الحسن بن على ، كان ضريرا من أهل النهروان جيد الشعر ، واشتهر بقصيدة رثى بها هرا ، والمقصود بالبراء غلام كان له ، قتله على بن الحسين . والقصيدة من أحسن شعره مطلعها :

ياهره فارقتنا ولم تعد وكنت عندى بمنزل الولد
فكيف تفك عن هواك وقد كنت لنا عده من العدد
تطرد عنا الأذى وتحرسنا بالغيب من حجة ومن جرد
وتخرج الفأر من مكانها ما بين مفتوحها إلى السدد
يلقاك في البيت منهم مدد وأنت تلقاهم بلا مدد

(*) وراجع في الخبز أرزي معجم الادباء ج ١٩ ص ٢١٨ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ٢٩٦

وهي طويلة نشر ابن خلكان أكثرها في صفحة ١٣٨ ج ١ ، والدميري
 ٢٣٧ ج ٢
 ومن نوابغ شعراء هذا العصر فضل جازية المتوكل العباسي المتوفاة سنة
 ٢٦٠ هـ . وكانت تهاجى الشعراء ويجتمع عندها الأدباء ولها في الخلفاء
 والملوك مدائح ، وكانت في أول أمرها تشيع وتتعصب لأهل مذهبها وتقضى
 حوائجهم بجاهها عند الملوك . وعشقت سعيد بن حميد وكان منحرفا عن
 أهل البيت فانتقلت الى مذهبه . ولها أشعار نفيسة منها أمثلة في قوات
 الوفيات ١٢٦ ج ٢ والأغاني (*) ١١٤ ج ٢١

(*) انظر في ترجمة ابن العلاف طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٥٩ ولأريخ بغداد ج ٧
 ص ٢٧٩ وتكت الهميان ص ١٢٩ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٧٧

الأدب و الأدباء

في العصر العباسي الثاني

خطا الأدب في هذا العصر خطوة أخرى نحو النشوء والتفرع ، فبدأت علومه بالاستقلال بعضها عن بعض . وكانت في العصر الماضي مختلطة يدرس الأديب النحو واللغة والأخبار والأمثال معا . وقل من تفرغ لواحد منها ، إلا النحو فإنه استقل في ذلك العصر كما رأيت . ففي هذا العصر أخذ علم اللغة في الاستقلال ، علماء اشتغلوا بتعريف الألفاظ واشتقاقها ومعانيها وترتيبها على الإبجدية تمهيدا لوضع المعاجم التي لم تظهر ناضجة إلا في العصر العباسي الثالث .

فالادب هنا ينقسم الى ثلاثة أقسام : الادب كما هو ويدخل فيه الاخبار والأمثال والشعار وغيرها ، والنحو ، واللغة . فنتكلم عن كل منها على حدة وقبل التقدم الى ذلك لا بد لنا من التنبيه الى امرين مهمين في تاريخ آداب اللغة : الاول ان الأغراض السياسية التي ذكرناها في صدر العصر العباسي الاول من تفضيل أهل الكوفة على أهل البصرة واثارة المنافسة بين البلدين ضعفت في هذا العصر ، وفرغ البصريون والكوفيون من الغرض الذي أحيا ذينك البلدين لقربهما من البادية وسطا بين الحضارة والبداءة . واستبحر عمران بغداد وغلبت الحضارة على نفوس المسلمين ، فأخذ الأدباء وطلاب العلم في الانتقال الى بغداد وخصوصا بعد أن سطا صاحب الزنج على البصرة وخربها . والامر الثاني ان نقل العلوم الى اللغة العربية أكسبها ميلا الى تأليف الكتب وغيرها ، على مثال ما شاهدوه هناك من الكتب الجامعة لموضوعات مختلفة والتوسع في الموضوع الواحد . فالكتب التي جاء ذكرها لأصحاب العصر الاول أوفأها ما كتب في الفقه والسيرة النبوية والطبقات والفتوح والنحو . أما في هذا العصر فعمدوا الى التأليف في سائر الموضوعات العلمية والأدبية والفلسفية والتاريخية وغيرها ، وان لم ينضج التأليف على الاجمال الا في العصر الآتي

مميزات الادب

يمتاز الادب في هذا العصر بأشياء أهمها :
١ - انه كان في العصر الماضي مقصورا على النقل بلا تصرف ، فكان هم الأديب ان يروي ما سمعه بالاسناد الى الراوي أو سرد ما عاينه . . كما كان يفعل حماد ، والاصمعي ، وأبو عبيدة . فأصبح يتدبر تلك الروايات

ويبنى عليها أو يستنتج منها حكمة أو عظة كما فعل الجاحظ وابن قتيبة وغيرهما . والسبب في ذلك اتساع اختبارهم وتعودهم النظر والتدبر بما اطلعوا عليه من كتب الادب التي نقلت الى العربية من الفارسية والهندية . وكتب المنطق وتحليل القياس ونحوهما عن اليونانية (١)

٢ - ان ما ألم بالأمة من تغير الحال لفساد الحكومة وتوالي النكبات على الخلفاء حول هم المفكرين الى نشر الحكم وأخبار الزهد والزهاد وأقوال الحكماء وسير رجال العدل والحزم التي يترتب عليها العظة والاعتبار ، مع الحث على الاقتداء بهم لرد الناس عن غيهم وتعزية المصابين والمظلومين فأخذوا يجمعون ذلك في كتب الادب

٣ - أخذوا يجمعون شتات أخبار العرب على اختلاف موضوعاتها ومصادرها في كتاب واحد أو بضعة كتب ، وترتيبها في أبواب مبنية على الحكمة المستفادة منها للأسباب التي قدمناها . . كما في الموشى والعقد الفريد .

٤ - تغيرت وجهة الادب في نظر الادباء ، فقد كان الغرض منه في الاكثر طلب الرزق في دور الخلفاء بما كان لهؤلاء من الرغبة في الاطلاع على أخبار العرب وأشعارها وأمثالها . . فأصبح في هذا العصر صناعة علمية في الانشاء والتأليف ، وقل المقتصرون عليها منهم . وانصرفت القرائح في الاكثر الى الاشتغال بالنحو واللغة ، ولم ينقطع الاشتغال بالادب بالمعنى الذي قدمناه ، وقد اخترنا بضعة منهم غلب عليهم الاشتغال بالادب ، مع اشتغالهم بغيره أخرى من التاريخ أو السياسة أو الشعر ، وهذه تراجمهم حسب سنى الوفاة :

ادباء العصر العباسي الثاني

١ - الجاحظ

توفى سنة ٢٥٥ هـ

هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى الليثى بالولاء ، من أهل البصرة ، ويعرف بالجاحظ لجحوظ عينيه . واشتهر بقبح خلقته ، وكان جده أسود اللون جمالا لعمر بن قلع الكنانى ، وبلغ الجاحظ من الذكاء وجودة القريحة وقوة العارضة والتفكير ما جعله من كبار أئمة الادب . نشأ في البصرة وهي أهلة بالادباء والنخاة وأصحاب اللغة ونبيغ في كل ذلك ، وبلغ خبره الى المتوكل ، وكان عازما على اختيار من يؤدب ولده فاستقدمه اليه في « سر من رأى » . فلما رآه استبشع منظره ، فأمر له بعشرة آلاف درهم وصرفه . وله أخبار كثيرة تتعلق بقبح منظره . وأصيب في أواخر أيامه بالفالج النصفى ، فكان يطلى نصفه الأيمن بالصندل والكافور لشدة حرارته ، والنصف الآخر لو قرض بالمقاريض ما أحس به من شدة برده .

(١) راجع تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ص ١٥٢ وما بعدها

وكان قد اشتهر وذاع صيته في العالم الاسلامي ، فتقاطر الناس لمشاهدته والسماع منه . . فلا يمر اديب أو عالم بالبصرة الا طلب أن يرى الجاحظ ويكلمه . وكان اذا طلب أحد أن يراه يقول : « وما تصنع بشق مائل ولعاب سائل ولون حائل » وتوفي بالبصرة سنة ٢٥٥

وهو امام الادباء في العصر العباسي الثاني ، وله اساليب ومذاهب وآراء في الادب واللغة خاصة به ، واشتهر بطريقة في الانشاء تنسب اليه قلده فيها الناس وعرفت باسمه . فهو قدوة المنشئين وامامهم في هذا العصر ، كما كان ابن المقفع امامهم في العصر الاول ، وسنعود الى ذلك

وكان الجاحظ من فضلاء المعتزلة : جماعة المفكرين في ذلك العهد ، تلقى العلم على أبي اسحق ابراهيم بن سيار البلخي المعروف بالنظام المتكلم المشهور . وكان علم الكلام قد نشأ على اثر نقل الفلسفة والتبحر فيها . وطالع الجاحظ كثيرا من كتب الفلاسفة وانفرد عن سائر المعتزلة بمسائل تابعه بها جماعة عرفوا بالجاحظية . ومن مذهبه أن المعارف كلها ضرورية وليس فيها شيء من أفعال العباد ، وانما هي طبيعية وليس للعباد كسب سوى الارادة . وان العباد لا يخلدون في النار . وان الله لا يدخل أحدا النار ، وانما النار تجذب أهلها بنفسها وطبيعتها . وان الله لا يريد المعاصي . ولا يريد بمعنى أنه لا يفلط ولا يصح في حقه السهو وانه يستحيل العدم على الجواهر من الاجسام وانما الاعراض تتبدل والجواهر باقية ، ونحو ذلك (١)

مؤلفاته

وخلف الجاحظ مؤلفات عدة طبع ونشر كثير منها ، وهاك أهمها :

- ١ - كتاب البيان والتبيين : في الادب والانشاء وأبحاث في البيان والخطابة والخطباء والسجع والشعر والشعراء والنسب والزهاد وأمثلة من خطب النبي والخلفاء . وفي اللحن واللحنين وأحاديث ونوادير وغير ذلك ، وهو أصدق مثال للانشاء في أواسط القرن الثالث للهجرة . وقد طبع سنة ١٣٣١ وغيرها (**)
- ٢ - كتاب الحيوان : هو أقدم كتاب في علم الحيوان بالعربية . ويختلف عن كتب الحيوان المعروفة بأنه يشتمل على وصف طبائع الحيوانات من حيث علاقتها بالناس . ويتخلل ذلك فوائد أدبية واجتماعية وتاريخية . وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٦ في ٧ مجلدات (**)
- ٣ - كتاب المحاسن والاضداد والعجائب والغرائب : في اللغة ، طبعه المستشرق فان فلوثن في ليدن سنة ١٨٩٧ في ٤٠٠ صفحة ، ثم طبع بمصر سنة ١٩٠٦
- ٤ - كتاب البخلاء : في الادب طبع غير مرة في أوروبا ومصر

(١) الشهرستاني ٤٠ ج ١
 (**) وطبعة عبد السلام هرون طبعة محققة ، وهي التي نرجع اليها في التعليقات
 (**) نشرت مكتبة الحلبي هذا الكتاب بتحقيق عبد السلام هرون

- ٥ - كتاب سحر البيان : في كوبرلى
 ٦ - كتاب فضائل الأتراك : في أيا صوفيا ، وطبع بمصر مضبوطا بالشكل
 سنة ١٨٩٨
 ٧ - كتاب سلوة الحريف في المناظرة بين الربيع والخريف : طبع بالآستانة
 سنة ١٣٠٢ وفي مصر ، ٤٤ صفحة
 ٨ - كتاب العرافة والزجر والفراسة : على مذاهب الفرس ، خط في
 مكتبة ليدن
 ٩ - المختار من كلام الجاحظ وحكم على : بمكتبة برلين
 ١٠ - رسالة من بنى أمية : في المكتبة الخديوية
 ١١ - ثلاث رسائل : طبعت في ليدن ، و ١١ رسالة طبعت بمصر (*)
 ١٢ - كتاب طبقات المغنين : ذكرته مجلة المنتقد (مجلد ٢ ج ٨)
 ١٣ - كتاج التاج : في جملة كتب زكى (باشا) ، وقد قام على طبعه
 وترجمة الجاحظ في ابن خلكان ٣٨٨ ج ١ ، وطبقات الأدباء ٢٥٤ (***)

٢ - السكرى

توفى سنة ٢٧٥ هـ

هو أبو سعيد الحسن بن الحسين بن عبيد الله بن عبد الرحمن بن العلاء
 السكرى النحوى . وقد ذكرناه بين الرواة والأدباء لاشتغاله بجمع الأشعار ،
 وكان راوية البصريين وهو الذى جمع أهم ما بين أيدينا من أشعار الجاهليين
 وصدر الإسلام الى أيامه عن القبائل والأفراد . فمن الأفراد الذين عمل
 السكرى أشعارهم أى جمعها في ذواوين : امرؤ القيس ، وزهير ، والنايفة ،
 والحطيئة ، ولييد ، ودريد بن الصمة ، وعمرو بن معديكرب ، والأعشى ،
 والمهلل ، و متمم بن نويرة ، وأعشى باهلة ، وبشر بن أبى خازم ، والمتملس ،
 والمسيب ، وحميد بن ثور ، وحميد الأرقط ، وعدى بن زيد ، وعدى بن
 الرقاع ، وغيرهم مما يطول بنا بسطه . وقد ذكرهم ابن النديم في الفهرست

(*) نشرت للجاحظ بمصر ثلاث مجموعات كبيرة من رسائله ، وهى مجموعة السياسى
 والمكتبة التجارية ولجنة التأليف والترجمة والنشر ، وهى تتضمن بعض الرسائل التى ذكرها له
 المؤلف ، ونشرت له أيضا رسالة العثمانية بتحقيق عبد السلام هرون ، ونشر له المجمع العلمى
 العربى بدمشق بالتصريح بتحقيق حسن حسنى عبد الوهاب ، ونشر له المهدى الفرنسى
 بدمشق كتاب التريب والتدوير بتحقيق شارل بلات

(**) وراجع في ترجمة الجاحظ تاريخ بغداد ج ١٢ ص ٢١٤ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢١
 والفرق بين الفرق لبغدادي ص ١٦٠ والملل والنحل للشهرستانى ص ٥٢ ومسروج الذهب
 للمسعودى ج ٤ ص ١٣٦ ومجمع الأدباء ج ١٦ ص ٧٤ وضحى الإسلام . الجزء الاول ، وتاريخ
 الفلسفة فى الإسلام لدى بور ص ٦٢ وكتاب أرنولد Arnold فى المعتزلة ص ٣٨ وما بعدها
 وكارادى فى كتابه «مفكرى الإسلام» Les Penseurs de l'Islam ج ١ ص ٢٩٥ والفن ومذاهبه
 فى النشر العربى ، الفصل الثالث من الكتاب الاول ، ويحفا نشرته دار المعارف فى سلسلة
 نوايغ الفكر العربى وأمرأ البيان ل محمد كرد على وتطور الاساليب النظرية لانس المقدسى ودائرة
 المعارف الاسلامية وبروكلمن ١٥٢ ج ١

مطولا (صفحة ١٥٧) وذكر بجانب كل شاعر من عمل شعره غير السكري أيضا . ومن القبائل التي جمع السكري أشعارها : بنو ذهل ، وبنو شيبان ، وبنو ربيعة ، وبنو يربوع ، وغيرها كثير

فدواوين الشعراء الافراد لا يزال بين أيدينا منها جانب ذكرناه في مواضعه ، وان لم يذكر في صدور الدواوين من جمعها . ومما ينسب الى السكري شرح ديوان امرئ القيس . وقد جاء ذكر بعض دواوين الافراد التي جمعها السكري في كتب الادب عن رضا . أما أشعار القبائل فلم يبق منها الا ديوان الهذليين ، وقد وصل الينا مقتضبا مع شرح قليل . ومنه نسخة خطية في مكتبتى باريس وليدن . وقد طبع القسم الاول منه في لندن سنة ١٨٥٤ في نحو ٣٠٠ صفحة كبيرة ، تحتوي على اشعار نحو ثلاثين شاعرا من الهذليين وأخبارهم ، وعنوان هذا الجزء « شرح أشعار الهذليين صنعه أبو سعيد الحسن بن الحسين السكري رواية ابي الحسن علي بن عيسى بن علي النحوي عن أبي بكر أحمد بن محمد الحلواني عنه » وفي صدر هذه الطبعة مقدمة انجليزية عن تاريخ هذا الكتاب والمفضليات والحماسة . وهناك كتاب لما بقى من أشعار الهذليين غير ما جمعه السكري طبع في برلين سنة ١٨٨٤ (**)

وللسكري أيضا ، كتاب أخبار اللصوص : فيه أخبار بعض لصوص الاعراب نشرت قطعة منه في ليدين سنة ١٨٥٩ . وكتاب شرح ديوان جران العود النميري منه نسخة خطية بالكتابة الخديوية . وكتاب النبات ضاع وترجمة السكري في طبقات الادباء ٢٧٤ ، ومعجم الادباء ٦٢ ج ٣ ، والفهرست ٧٨ و ١٥٧ و ١٥٩ (**) (**) .

٣ - ابن قتيبة

توفى سنة ٢٧٦ هـ

هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري . ولد في الكوفة سنة ٢١٣ ، وثقف على أهلها ، وسكن بغداد وتولى قضاء الدينور فنسب اليها . وكان عالما في اللغة والنحو والشرع متفنتا في العلوم صادقا فيما يرويه ، مستقل الفكر جريئا في قول الحق . وهو أول من تجرأ على النقد الادبي ، فألف في أكثر فنون الادب المعروفة . والباقي من مؤلفاته الى اليوم حسن وشائع ، وبعضها من امهات كتب التاريخ والادب . وهالك ما وصل الينا خبره منها :

١ - عيون الاخبار : في عشرة كتب : كتاب السلطان ، كتاب الحرب ، كتاب السؤدد ، كتاب الطبائع والاخلاق ، كتاب العلم بأخبار العلم والعلماء ، كتاب الزهد ، كتاب الاخوان ، كتاب الحوائج ، كتاب الطعام ، كتاب النساء ، طبع في ويمار سنة ١٨٩٨ بعناية بروكلمن ، وفي مصر . ومنه نسخ خطية في

(**) نشرت دار الكتب المصرية ديوان الهذليين نشرة كاملة كما نشرت ديوان جران السود الاثني ذكره

(**) وانظر في السكري تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٩٦ وطبقات الزبيدي ص ١٢٩ ومعجم الادباء ج ٨ ص ٩٤ وأنباء الرواة ج ١ ص ٢٩١ وبغية الوعاة ص ٢١٨

مكاتب بطرسبرج والاستانة ، وهو أول كتاب من نوعه في أمهات كتب الادب

٢ - كتاب المعارف : هو من قبيل كتب التاريخ العام ومن أقدمها . فيه خلاصة تاريخ الخلق والانبياء وأنساب العرب وسيرة النبي ومغازيه وأخبار الصحابة والتابعين والقراء ورواة الشعر وصناعات الاشراف وأهل العاهات ونوادر الحوادث والاديان وأخبار ملوك العرب والعجم ، وقد طبع في غوتنجن بعناية وستنقيلد سنة ١٨٥٠ وفي مصر سنة ١٣٠٠

٣ - كتاب الشعر والشعراء : ويسميه بعضهم طبقات الشعراء أو كتاب الشعراء أو أخبار الشعراء، وكلها واحد. وهو يحتوى على تراجم «المشهورين من الشعراء الذين يعرفهم جل أهل الادب والذين يقع الاحتجاج بأشعارهم في الغريب وفي النحو وفي كتاب الله» ويدخل في ذلك أخبار أشهر شعراء الجاهلية وصدر الاسلام الى أيام المؤلف وأمثلة من أشعارهم ، وفيه نظر وانتقاد . وقد طبع في ليدن بعناية دىغويه سنة ١٩٠٤ ، وفي مصر سنة ١٩٠٥

٤ - أدب الكاتب : يبحث فيما يحتاج اليه الاديب في صناعة الكتابة من الآداب والعلوم واصلاح ما كان يقع فيه الكتاب بأيامه من الخطأ أو الوهم في معاني الالفاظ أو الاشتقاقات والتراكيب ، مما نحن في حاجة اليه حتى اليوم . وقد قسم ذلك الى أبواب في اقامة الهجاء وتقويم اللسان والابنية . وقد لخص هذا الكتاب وشرح غير مرة ، ومنه نسخ خطية في المتحف البريطاني ومكاتب فينا وبترسبرج . وقد طبع في ليبسك سنة ١٨٧٧ مع خلاصة انجليزية لسيرول ، وطبع أيضا في مصر مرارا . وله شروح عدة أشهرها شرح البطليوسى المتوفى سنة ٥٣٩ هـ ، طبع في بيروت سنة ١٩٠١ ويعرف بالاقضاب

٥ - الامامة والسياسة : هو تاريخ الخلافة وشروطها بالنظر الى طلابها من وفاة الرسول الى عهد الامين والمأمون . طبع بمصر سنة ١٩٠٠ ، وفي ليبسك ، ومنه نسخ خطية في مكاتب باريس ولندن ومصر

٦ - كتاب الشراب أو الاشربة : في اختلاف العلماء فيما يحل من الاشربة أو يحرم . منه نسخة خطية في لندن وفي المكتبة الخديوية ، وطبع بمصر سنة ١٩٠٧ وفي دمشق بعناية محمد كردعلى

٧ - كتاب التسوية بين العرب والعجم وتفضيل العرب : هو ضد الشعوبية ، نقل منه صاحب العقد الفريد فصلا في صفحة ٧١ ج ٢ ، ونشرت له مجلة المقتبس رسالة في الرد على الشعوبية (مجلد ٤)

٨ - تأويل مختلف الحديث : منه نسخ خطية في مكتبتى برلين وليدن

٩ - كتاب مشكل القرآن : منه نسخ خطية في مكتبة ليدن وكوبرلى (*)

١٠ - المشتبه من الحديث والقرآن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية

١١ - كتاب المسائل والجوابات : اكثره في الحديث ، منه نسخة في مكتبة غوطا

١٢ - كتاب اللبا واللبن ، طبعه اليسوعيون

وقد ذكر صاحب الفهرست كتابا اخرى لابن قتيبة أهمها كتاب « معاني الشعر الكبير » في ١٢ كتابا (*) . وفي مكتبة أيا صوفيا بالاستانة ، نسخة من كتاب اسمه « الشعر الكبير » لابن قتيبة لعله هو أو بعضه . وكتاب « عيون الشعر » في عشرة كتب ، وغير ذلك من كتب النحو والادب والحديث واللغة . ووقف الأب شيخو على كتاب ينسب الى ابن قتيبة لم يذكره صاحب الفهرست ولا غيره ، نعى كتاب « الرجل والمنزل » وجده في مكتبة الظاهر بدمشق ونشره في السنة ١١ من المشرق . وهو من قبيل مفردات اللغة التي ذكرناها للإصمعي وأبي عبيدة . وفي كتب الشنقيطي بالمكتبة الخديوية نسخة من كتاب خطي اسمه « كتاب العرب وعلومها » لابن قتيبة وترجمة ابن قتيبة في ابن خلكان ٢٥١ ج ١ ، وطبقات الادباء ٢٧٢ ، والفهرست ٧٧ (***)

٤ - ابن أبي الدنيا

توفى سنة ٢٨١ هـ

هو أبو بكر عبيد الله بن محمد بن عبيد مولى قريش ، كان يؤدب المكتفى بالله . وله علم بالاخبار ، وذكر له الفهرست مؤلفات كثيرة في الادب والاخبار لم يصلنا منها الا :

١ - الفرج بعد الشدة : مجموع اخبار انفقت لاناس اصابهم فيها بعد الشدة فرج . منه نسخ في برلين وليدن وطبع بمصر سنة ١٩٠٦ هـ ، نعا فيه منحى المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ اول من ألف في هذا الموضوع . ثم قلدهما سواهما حتى انتهى ذلك الى القاضى التنوخى المتوفى سنة ٣٨٤ هـ ، فالف كتابه الفرج بعد الشدة طبع بمصر سنة ١٩٠٤ في مجلدين وفي مقدمته تاريخ التأليف في هذا الموضوع

٢ - مكارم الاخلاق

٣ - ذم الملاحى : من هذا الكتاب وسابقه نسختان خطيتان في برلين

٤ - فضائل عشر ذى الحجة : في لندن

٥ - كتاب من عاش بعد الموت : في منشن

(*) طبع هذا الكتاب في الهند

(**) وراجع في ترجمة ابن قتيبة تاريخ بغداد ج ١٠ ص ١٧٠ وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ١٨٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٦٩ ولسان الميزان ج ٣ ص ٣٥٧ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٧٠ والانساب للسمعاني ٢٤٣ ١ وطبقات الزبيدي ومرآة الجنان ج ٢ ص ١٩١ واللباب لابن الاثير ج ٢ ص ٢٤٢ وانباء الرواة ج ٢ ص ١٤٣ وبغية الوعاة ص ٢٩١ وكتب التاريخ في سنة وفاته ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

- ٦ - اليقين : في كوبرلى بالاستانة
 ٧ - الشكر : في نور عثمانية
 ٨ - قرى الضيف : في مكتبة لاندبرج
 وترجمة ابن أبي الدنيا في فوات الوفيات ٢٣ ج ١ ، والفهرست
 ١٨٥ (*)

٥ - قدامة بن جعفر

توفى سنة ٣٣٧ هـ

هو قدامة بن جعفر بن قدامة الكاتب البغدادي ، كان أبوه نصرانيا وأسلم
 في أيام المكتفى (سنة ٢٨٩ - ٢٩٥) وتولى منسبا كبيرا في الدولة العباسية .
 وكان أدبيا شاعرا ، ألف كتبا كثيرة ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ١٣٠) .
 لم يصلنا منها الا :

- ١ - كتاب نقد الشعر : وهو أول كتاب مستقل في هذا الموضوع ،
 وسنعود اليه . طبع في الاستانة سنة ١٣٠١
 ٢ - كتاب نقد النثر : ويعرف بكتاب البيان ، منه نسخة خطية في
 الاسكوريال (***)
 ٣ - كتاب الخراج : سيأتي ذكره في الكلام على الجغرافية (***)

٦ - الوشاء

في القرن الثالث

هو أبو الطيب محمد بن أحمد بن اسحق الاعرابي الوشاء ، أحد الادباء
 الظرفاء في أواخر القرن الثالث للهجرة . غلب عليه تصنيف كتب الاشعار
 والاخبار ، ذكر له صاحب الفهرست نحو ٢٠ كتابا في النحو والادب لم
 يصلنا منها الا كتابان :

- ١ - كتاب الموشى : وهو فريد في بابيه يمثل آداب ذلك العصر ، ويتخلله
 كثير من المواعظ والحث على المصادقة والاخلاص والتعفف . وفيه وصف
 الازياء التي كانت شائعة يومئذ على اختلاف الطبقات . وما اختير من
 الالفاظ للمكاتبات . وفيه فصول ضافية فيما كانوا يكتبونه من الاشعار
 على الثياب والاعلام والعصائب والزناير والمناديل والستور والوسائد حتى
 النعال ، وعلى المجالس وأنية الشراب والعيسدان . فهو فريد في بابيه ،

(*) وانصر في ترجمة ابن أبي الدنيا ومؤلفاته دائرة المعارف الاسلامية
 (***) طبعت جامعة القاهرة هذا الكتاب وقد راجعه وقدم له طه حسين وعبد الحميد العبادي
 (***) راجع في ترجمع قدامة تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٠٥ ومعجم الادباء ج ١٧ ص ١٢
 وكشف الظنون « طبعة ليبسك » ج ٣ ص ٦١٩ وسنة وفاته في تاريخ ابن الجوزى وكتب
 التاريخ المختلفة

ومنه نسخة خطية في ليدن . وقد طبع فيها سنة ١٨٨٧ ، وفي مصر سنة ١٣٢٤ ، وسموه كتاب الظرف والظرفاء

٢ - كتاب تفريغ المهج وسبب الوصول الى الفرج : منه نسخة خطية مختصرة في مكتبة برلين . وتجد أخبار الوشاء في الفهرست ٨٥ ، وطبقات الادباء ٣٧٤ (*)

٧ - ابن عبد ربه

توفي سنة ٣٢٨ هـ

هو أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه القرطبي ، صاحب العقد الفريد . أصله من موالى بنى أمية في الاندلس توفي سنة ٣٢٨ وكان من العلماء الكثيرين من المحفوظات والاطلاع على أخبار الناس . وكان شاعرا مطبوعا . وإنما اشتهر بكتابه العقد الفريد . وفي شعره ميل الى الشعر القصصي أى سرد القصة شعرا ، وهو قليل في العربية . له فيه أرجوزة قص فيها تاريخ عبد الرحمن الناصر صاحب الاندلس حسب السنين . وكان معاصرا له ، وهى منشورة في الجزء الثانى من العقد الفريد

العقد الفريد

أما العقد الفريد فانه من أجل كتب الادب وأوسعها ، أو هو كالخزانة حوت خلاصة علوم ذلك العصر . . حتى الطب والموسيقى ، فضلا عن الاخبار والانساب واللغة والامثال والشعر والعروض وقواعده . وهو في ثلاثة مجلدات تزيد صفحاتها على ألف صفحة كبيرة وهو مقسم حسب الموضوعات وقد تأتق صاحبه في تقسيمه وتسمية أبوابه ، فسماها بأسماء الحجارة الكريمة تطبيقا لاسم الكتاب « العقد الفريد » . ويشتمل الجزء الأول على السلطان والحروب والاجواد والاصفاد والوفود والعلم والادب والامثال والمواعظ . والثانى في التعازى والمراثى والنسب وفضائل العرب وكلام الاعراب والاجوبة والخطب والتوقيعات وأخبار الكتبة . والثالث في أخبار زياد والحجاج والطلبين والبرامكة وأيام العرب ووقائعها وفضائل الشعر وعلم الالحان والنساء والمنتبئين والبخلاء وطبائع الانسان وفي الطعام والشراب وفي بعض هذه الأبواب فصول تاريخية لا تجد مثلها في كتب التاريخ ، فأخبار زياد والحجاج والطلبين فيها حقائق يعز العثور عليها في كتاب آخر . وناهيك بأيام العرب وأعراض الشعر وما هناك من أخبار الخوارج والازارقة فضلا عن كثير من الاقوال المأثورة عن عظماء الملوك ، نقلنا عن كتب ضاعت أصولها . فالعقد الفريد خزانة فوائد ، وهو من أمهات كتب الادب الموثوق بها . ويؤخذ من مطالعته انه حوى خلاصة ما في الكتب السالفة

(*) وانظر في الوشاء معجم الادباء ج ١٧ ص ١٢٢ والانساب ٨٤ م ١ وانباء الرواة ج ٢ ص ٦١ وتاريخ بغداد ج ١ ص ٢٥٣ وبغية الرواة ص ٧ والمنتظم « تاريخ ابن الجوزى » في وفيات سنة ٣٢٥ والوفائى بالوفيات « طبعة استانبول » ج ٢ ص ٣٢ وطبقات ابن قاضي شعبة ج ١ ص ٢٨

يومئذ للاصمعي وأبي عبيدة والجاحظ وابن قتيبة وابن الكلبي وغيرهم غير القرآن والحديث والتوراة والانجيل . ولم يقتصر فيما جمعه على ما عرفه العرب ، بل نقل عن الكتب التي ترجمت الى العربية في ذلك الزمن عن اليونانية والهندية والفارسية وهو يشير الى ذلك في كلامه . وقد طبع العقد الفريد مرارا ، وهو شائع . ومنه نسخ خطية في أكثر مكاتب أوربا . وليس له سواه

وترجمة ابن عبد ربه في ابن خلكان ٣٢ ج ١ ، ومعجم الادباء ٦٧ ج ٢ ، وبتيمة الدهر ٣٦٠ و ٤١٢ ج ١ (*)

٨ - أبو بكر الصولي

المتوفى سنة ٣٣٥ هـ

هو محمد بن يحيى الصولي ، ويعرف بالشطرنجى ، ويتصل نسبه بملوك جرجان . كان عالما بفنون الادب حسن المعرفة بأدب الملوك ، حاذقا في تصنيف الكتب ، وأمهر أهل زمانه في لعب الشطرنج ، وكان نديما لجماعة من الخلفاء ، وجمع اشعار كثيرين كما فعل السكرى بأشعار القدماء ، وقد أشرنا الى شيء من ذلك في أماكنه كديوان ابن المعتز وديوان أبي تمام وأبي نواس والبحتري . وألف في أخبار الخلفاء وأشعارهم كتابا سماه « الاوراق في أخبار آل العباس وأشعارهم » قال ابن النديم : « انه لم يتمه ، والذي خرج منه أخبار الخلفاء وأشعار أولاد الخلفاء من السفاح الى أيام المعتز » . ولكن في المكتبة الخديوية نسخة بهذا الاسم للصولي هي من قبيل أخبار الشعراء (***) رتب اسماءهم على حروف الهجاء ، وفيه أخبار كثيرة عن ابان اللاحقى شاعر البرامكة وابنائهم الشعراء : كمحمد بن ابان ، وابان بن حمدان بن ابان ، وغيرهما . وأخبار اشجع ابن عمرو السلمي وأشعاره مرتبة في ابواب ، واحمد بن يوسف وزير المأمون وكاتب دولة بنى العباس وتوقيعاته وكلامه فضلا عن اشعاره . وجاء في آخر الكتاب انه شرع في ترجمة اسحق بن ابراهيم الموصلى ، وتوفى قبل ان يتمها . وذلك يختلف عما ذكره ابن النديم

وله كتب أخرى هامة ذكرها كشف الظنون ولم تقف عليها . وأخباره في طبقات الادباء ٣٤٣ ، والفهرست ١٥٠ و ١٥٦ (***)

(*) وراجع في ابن عبد ربه مطمح الانفس لابن خاقان « طبعة استانبول » ص ٥١ وبغية الرعاة للسيوطى ص ١٦١ وابن عبد ربه وكتابه العقد لجبرائيل جيوز ، وبحثا آخر فيه لغزود أفرام البسناني وانظر دائرة المعارف الاسلامية وكتاب تاريخ الفكر الاندلسى لبالنشيا ترجمة حسين مؤنس ص ٦٢ ، وما بعدها

(**) نشرت قطع من هذا الكتاب بتحقيق دن Dunne كما نشر للصولي في القاهرة أيضا كتاب أخبار أبي تمام وكتاب الورقة وكتاب ادب الكتاب

(***) وانظر في ترجمة الصولي كتاب الانساب ١٣٥٧ وتاريخ بغداد ج ٣ ص ٤٢٧ وروضات الجنات ص ٦٠٩ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٣٩ والفلاحة والمفلوكين ص ١٠٣ واللباب في الانساب ج ٢ ص ٦٣ ولسان الميزان ج ٥ ص ٤٢٧ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٢١٩ ومعجم الادباء ج ١٩ ص ١٠٦ والنجوم الزاهرة « طبع دار الكتب » ج ٢ ص ٢٩٦ وانباه الرواة ج ٣ ص ٢٣٣ وكتب التاريخ المختلفة في سنة وفاته

ومن الأدباء والرواة في هذا العصر أيضا أبو العيناء المتوفى سنة ٢٨٢هـ، وجحظة اليرمكى (٣٢٦ هـ) وأبو بكر بن مروان الدينورى المالكى المتوفى سنة ٣١٠ . له كتاب المجالسة وفيه اخبار وآداب منه نسخة في باريس . وإبراهيم ابن ابى عون الكاتب توفى سنة ٣٢٢ ، وله كتاب لب اللباب في جوابات ذوى الالباب منه نسخة في برلين . وأبو الازهر بن مزيد النحوى (٣٢٥) له اخبار عقلاء المجانين فى الاسكوريال . (ولأبى القاسم النيسابورى المتوفى سنة ٤٠٦ كتاب بهذا الاسم فى مكتبة برلين) وأبو بكر الخرائطى السامرى المتوفى سنة ٣٢٧ ، له كتاب اعتلال القلوب فى المكتبة الخديوية ومكارم الاخلاق فى ليدن

الانشاء فى العصر العباسى الثانى

رأيت ما كان من أسلوب الانشاء فى صدر الاسلام وما كان فيه من البلاغة والايجاز حتى انتهى فى العصر الاموى الى عبد الحميد الكاتب ، فأطال الرسائل وادخل التحميدات فى فصول الكتب . فلما كان العصر العباسى الاول نبغ ابن المقفع . وهو امام المنشئين فى ذلك العصر كما يظهر فى ترجمة كليله ودمنة ، وهو انشاء مرسل بلا تسجيع ولا تقطيع

أسلوب ابن المقفع

لكنه كان اذا أراد التأنق فى الانشاء فى معرض الخطابة أو التهديد أو التنبيه ، عمد الى السجع ونوع عبارته تنويها خاصا كما فعل فى كتبه الأخرى ولا سيما الادب الكبير والادب الصغير . فمن ذلك قوله فى الادب الكبير :

« اذا كان سلطانك عند جدة دولة . . فزأيت أمرا استقام بغير رأى ، وأعوانا جزوا بغير نبل ، وعملا انجح بغير حزم ، فلا يفرنك ذلك ولا تستنم اليه فان الامر الجديد مما تكون له مهابة فى انفس أقوام وحلاوة فى انفس آخرين »

وقد يتفنن فى تقطيعه كقوله : «وجدنا الناس قبلنا كانوا أعظم أجسادا ، وأوفر مع أجسادهم أحلاما ، وأشد قسوة وأحسن بقوتهم للأمر اتقانا ، وأطول أعمارا وأفضل بأعمارهم للأشياء اختبارا »

وفى كل حال لابد من التمييز بين انشاء الكتب وانشاء الرسائل أو المقالات الادبية ونحوها ، فانشاء الكتب لا يزال مرسلا بلا سجع أو تقطيع مثل كتاب كليله ودمنة . وأما الرسائل أو المقالات الادبية أو الفصول التى يصدرن بها الكتب ، فهى من قبيل الخطب . . فالكاتب يتأنق فيها ويبدل جهده فى تنميقها ، كما فعل ابن المقفع فى كتابه الادب الكبير التى أتيينا بالمثالين المذكورين منها . . فالتنويح الذى يصيب الانشاء بتوالى العصور انما يقع على هذا الانشاء فى الغالب ، وما يصدق عليه يصدق على الخطب

أسلوب الجاحظ

فلما كان العصر العباسي الثاني، نبغت طبقة من الكتاب المنشئين لا يشق لهم غبار ، امامهم الجاحظ . . وضع اسلوباً في الانشاء قلده فيه . وذلك انه جعل الجملة قطعاً صغيرة كالشعر ، لكن بدون وزن ولا قافية ، أو هو سجع لا تشترط فيه القافية كقوله : « جنبك الله الشبهة ، وعصمك من الحيرة ، وجعل بينك وبين المعرفة سبياً وبين الصدق نسباً ، وحجب اليك التثبت ، وزين في عينك الانصاف ، وأذاقك حلاوة التقوى ، وأشعر قلبك عز الحق ، وأودع صدرك برد اليقين ، وطرده عنك ذل اليأس . . الخ » وقد ادخل الدعاء حشوا معترضا يوجه الى المخاطب بصيغة المفرد كقوله :

« وليس حفظك الله مضرة سلاطة اللسان عند المنازعة ، وسقطات الخطل يوم اطالة الخطبة ، بأعظم مما يحدث عن العي من اختلال الحجّة ، وعن الحصر من قوات درك الحاجة ، والناس لا يعمرون الخرس ، ولا يلومون من استولى على بيانه العجز ، وهم يذمون الحصر ويؤنّبون العي . . الخ »

وهذا الاسلوب في الانشاء ينسب الى الجاحظ ، وقد توخاه معاصروه فنسجوا على منواله كابن قتيبة والمبرد وابن ثوبان وغيرهم . ومن أمثلة ذلك قول حمزة الأصفهاني جامع ديوان أبي نواس - فانه من أهل العصر الثاني وأسلوبه كأسلوب الجاحظ - قال في مقدمة الديوان المذكور :

« سألتني ابقاك الله وأعلى قدرك وبلغك أقصى أملك ، وزادك من أفضل ما خولك ، وأحسن ما منحك ، ولا أعدمك جميل ما عودك ، ان اصرف لك عنائتي الى عمل مجموع من شعر أبي نواس . . يشتمل على كل اشعاره ، وجل أخباره . وقد أسعفتك ايدك الله بطلبتك واجبتك الى ملتصك . . الخ »

وهم يرون النزوع الى هذا التكرار أكثر ابلافا للمعنى وأشد تأثيراً في النفس ، حتى رأيانهم ينتقدون ما كان شائعاً من الإيجاز في صدر الاسلام كقول يزيد لما كتب الى مروان حين بلغه تلكؤه في بيعته : « أما بعد . . فاني أراك تقدم رجلاً وتؤخر أخرى ، فاعتمد على أيهما شئت » قال ابن قتيبة في أدب الكاتب : « ان هذا لو قيل الآن لم يأت بالتأثير المطلوب ، والصواب ان يطيل ويكرر ويعيد ويبدىء ويحذر ويتذر . . »

ولا يؤخذ من ذلك ان تكون أساليب الكتاب في ذلك العصر واحدة س كل وجه ، فان ذلك غير طبيعي . والطبيعي ان يكون لكل كاتب أسلوب يعرف به . ولكن أبناء العصر الواحد تتشابه أساليبهم ، ويفلب ان يكون أحدهم مقدماً يسيرون على خطواته فيقلدونه في أسلوبه كل منهم جهد طاقته . والجاحظ في هذا العصر امام أهل الادب وقدة المنشئين

كسادة البضاعة

وأصاب صناعة الادب في هذا العصر كسادة كما أصاب الشعر ، للأسباب

التي قدمناها من فساد الدولة واشتغال الملوك والامراء عن التنشيط ، وانصرف الناس الى الفلسفة والطبيعات والمنطق من العلوم الحادثة عندهم ، وشيوع الشعوبية والظعن على العرب وكفاءتهم وعلومهم . . فاصبح الادباء يشكون كساد بضاعة الادب وفساد عقيدة الناس بالفلسفة وتقاعد الادباء عن اتقان صناعة الانشاء

قال ابن قتيبة في ادب الكاتب : « رأيت كثيراً من كتاب زماننا كسائر اهله قد استطابوا الدعة ، واستوطأوا مركب العجز ، واعفوا أنفسهم من كد النظر وقلوبهم من تعب الفكر ، حين نالوا الدرك بغير سبب ، وبلغوا البقية بغير آلة . ولعمري لئن كان ذلك ، فأين همة النفس وأين الانفة من مجانسة البهائم . وإي موقف أخزى لصاحبه من موقف رجل من الكتاب اصطفاه بعض الخلفاء لنفسه ، وارتضاه لسره فقرأ عليه يوماً كتاباً . . وفي الكتاب (ومطرنا مطراً كثر عنه الكلاً) فقال له الخليفة ممتحناً : (وما الكلاً ؟) فتردد في الجواب وتعثر لسانه ثم قال : (لا أدري) فقال له : (سل عنه) وفي مقام آخر في مثل حاله قرأ على بعض الخلفاء كتاباً ذكر فيه (حاضر طي) فصحفه تصحيفاً اضحك منه الحاضرين »

ذلك ما بعث ابن قتيبة على وضع كتابه المشار اليه ، وذكر الشروط اللازمة لطالب هذه الصناعة . ولا سيما سعة الاطلاع في العلوم الاسلامية والادبية فضلاً عن اللغوية ، كاقامة الهجاء وتقويم اللسان وضبط الابنية ومن انتقاده فساد عقيدة الادباء في عصره قوله :

« رأيت أكثر أهل زماننا هذا عن سبيل الادب ناكبين ، ومن اسمه متطيرين ولاهله كارهين . أما الناشئ منهم فراغب عن التعليم ، والشادي تارك للزدياد ، والمتأدب في عنفوان الشباب ناس أو متناس ليدخل في جملة المحدودين ويخرج عن جملة المحدودين ، فالعلماء مغمورون وبكثرة الجهل مقموعون ، حين خوى نجم الخير وكسدت سوق البر ، وبارت بضائع أهله ، وصار العلم عاراً على صاحبه ، والفضل نقصاً ، وأموال الملوك وقفا على النفوس ، والجاه الذي هو زكاة الشرف يباع ببيع الخلق ، وآضت المروءات في زخارف النجد وتشديد البنيان ، ولذات النفوس في اصطفاق المزاهر ، ومعاطاة الندمان . ونبتت الصنائع وجهل قدر المعروف ، وماتت الخواطر ، وسقطت همم النفوس ، وزهد في لسان الصدق ، فأبعد غايات كاتبنا في كتابته أن يكون حسن الخط قويم الحروف ، وأعلى منازل أديبنا أن يقول من الشعر أبياتاً في مدح قينة أو وصف كأس ، وارفع درجات لطيفنا أن يطالع شيئاً من تقويم الكواكب ، وينظر في شيء من القضاء وحد المنطق ثم يعترض على كتاب الله بالظعن وهو لا يعرف معناه وعلى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكذيب وهو لا يدري من نقله . . الخ »

وتكاثر دعاة الانشاء في ذلك العصر عن غير معرفة ، وتوهموا أنه يحلو بالكثارة من اللفظ الغريب ، فأنحى عليهم ابن قتيبة باللائمة . واتى مثلاً

على ذلك بقول يحيى بن يعمر لرجل خاصمته امرأته فقال له : « ان سالتك
 ثمن شكرها وشبرك انشأت تطلها وتضلها » وكقول عيسى بن عمر ويوسف
 ابن عمر بن هبيرة يضربه بالسياط : « والله ان كانت الا اثياباً فى اسيفاط
 قبضها عشاروك » قال ابن قتيبة : « فهذا واشباهه كان يستثقل والادب
 غرض ، والزمان زمان ، وأهله يتحلون فيه بالفصاحة ، ويتنافسون فى
 العلم ، ويروونه تلو المقدار فى درك ما يطلبون وبلوغ ما يؤملون ، فكيف به
 اليوم مع انقلاب الحال ؟ »

والمشهور ان عمدة كتب الادب والانشاء أدب الكاتب لابن قتيبة والكمال
 للمبرد والبيان والتبيين للجاحظ والنوادر لابی على القالى . ونزید علیها
 العقد الفريد لابن عبد ربه والاغاني لابی الفرج الاصفهاني . وأذا أريد
 الانشاء خاصة فكليلة ودمنة وسائر كتب ابن المقفع . وكلها مطبوع
 ذلك كان شأن الانشاء فى العصر العباسى الثانى وأكثر أدبائه من المنشئين
 وسيخطو خطوة أخرى فى العصر الآتى

النحو النخامة

في العصر العباسي الثاني

قد تقدم ان ادباء هذا العصر يجوز عدّهم من النخامة لانهم اشتغلوا في النحو ، وانما جعلنا اكثرهم من الادباء واللغويين لانهم اكتفوا من النحو بكتاب سيبويه ، ولم يتصدوا لتأليف كتاب يقوم مقامه . . فانصرفت قرائحهم الى ما دعت اليه المدينة من الاشتغال بالادب واللغة ، واصبح تأليفهم في النحو من قبيل الكماليات وان كان قد ألف بعضهم فيه مختصرات أو في بعض أبوابه أو تعليقا على كتاب سيبويه . . فان أصحاب هذه المختصرات أو التعليقات وغيرهم من الادباء صرفوا عنايتهم الى الادب واللغة

على ان بعضهم غلب عليه الاشتغال بالنحو ، فنتكلم عنهم في هذا الباب ونذكر ما وصل الينا من مؤلفاتهم ، وهم :

اشهر النخامة في هذا العصر

١ - أبو عثمان المازني

توفي سنة ٢٤٩ هـ

هو أبو عثمان بكر بن محمد بن بقية المازني من اهل البصرة . . اخذ عن أبي عبيدة والاصمعي ، واليه انتهى النحو والعروض لم يصلنا منها شيء . وهو الذي امتنع عن تعليم اللدمي كتاب سيبويه مع ما بذله له من المال ، لئلا يمكنه مما حواه من الآيات . وقد عاصر الوراق بالله والمتوكل على الله وجالسهما ونال جوائزهما ، ومن جملتها جائزة على أعراب

أظلمم إن مصابكم رجلا أهدى السلام تحية ظلم

في حديث طويل . وكان المازني معاصرا لابن عمر الجرمي المتوفي سنة ٢٢٥ هـ ، وهما عمدة النحو في البصرة يومئذ . والمازني أول من دون علم التصريف ، وكان قبل ذلك مندرجا في علم النحو

وترجمته في ابن خلكان ٩٢ ج ١ ، ومعجم الادباء ٣٨٠ ج ٢ ، وطبقات
الادباء ٢٤٢ (*)

٢ - أبو العباس ثعلب

توفى سنة ٢٩١ هـ

هو أبو العباس أحمد بن يحيى بن زيد بن سيار النحوى مولى بنى
شيبان ، ويعرف بثعلب ، ولد سنة ٢٠٠ هـ ، وتلقى العلم على ابن
الاعرابى . وكان حجة مشهورا بالحفظ وصدق اللهجة والمعرفة بالعربية
ورواية الشعر القديم ، فضلا عن النحو واللغة . وكان امام الكوفيين
والبصريين في زمانه ، أقام في بغداد وتوفى فيها سنة ٢٩١ هـ ، وألف في
أكثر فنون الأدب نحو ٢٢ كتابا ذهب معظمها . واليك ما وصل إلينا
خبره منها :

١ - كتاب الفصيح : ويعرف بفصيح ثعلب ، اختار فيه الفصيح من
كلام العرب مما يجرى في كلام الناس ، طبع ليبسك سنة ١٨٧٦ في نحو
٧٠ صفحة . وقد ألف انتقادا عليه أبو القاسم على بن حمزة البصرى
سماه كتاب التنبيه على ما في الفصيح من الفلأط ، منه نسخة خطية في
الاسكوريال . وللشيخ أبى سهل الهروى شرح على الفصيح ، سماه التلويح
في شرح الفصيح طبع بمصر سنة ١٢٨٩ ، ومعه ذيل على الفصيح لموفق
الدين البغدادي المتوفى سنة ٦٢٩ . وشرحه أيضا أبو العباس الترمذى
شرحا سماه شرح غريب الفصيح ، منه نسخة خطية في مكتبة نور عثمانية
بالأستانة . وقد كتب الزجاج نقدا عليه منه نسخة في كتب الشنقيطى
بالمكتبة الخديوية

٢ - كتاب قواعد الشعر : جاء في أوله أن قواعد الشعر أربع : أمر
ونهى وخبر واستخبار ، وأتى بأمثلة عليها من أقوال الشعراء الفحول . .
منه نسخة خطية في الفاتيكان ، وقد طبع في ليدن سنة ١٨٩٠ في ٤٢ صفحة

٣ - شرح ديوان زهير : منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال (***)

٤ - شرح ديوان الاعشى : في تلك المكتبة أيضا (***)

٥ - كتاب الامالى : ذكره صاحب المزهرة وخزانة الادب ، منه نسخة
خطية في مكتبة برلين . وفي المكتبة الخديوية نسخة منه باسم مجالس
ثعلب في ١٣٢ ورقة (***)

(*) وراجع في ترجمة المازنى طبقات النحويين البصريين للسيرافى « طبعة كركوك ص ٧٤
والانساب ٥٠٠ ب وتاريخ بغداد ٧ ص ٩٣ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١١٣ وطبقات القراء لابن
الجزرى ج ١ ص ١٧٩ والفلاكة والملوكين ص ٧٠ وطبقات الزبيدى ص ٥٧ ولسان الميزان ج
٥٧ وانباء الرواة ج ١ ص ٢٤٦ وبغية الوعاة ص ٢٠٢ وطبقات ابن قاضى شعبة ج ١ ص ٢٨١

(**) طعت دار الكتب هذا الشرح لديوان زهير

(***) هذا الشرح أحد الشروح التى اعتمد عليها جابر فى نشر ديوان الاعشى

(****) نشر عبد السلام هرون هذه المجالس بمكتبة دار المعارف

أخباره في ابن خلكان ٣٠ ج ١ ، وطبقات الادباء ٢٩٣ ، ومعجم الادباء ١٣٣ ج ٢ ، والفهرست ٧٤ (*)

٣ - أبو اسحق الزجاج توفي سنة ٢١١ هـ

هو أبو اسحق ابراهيم بن السرى بن سهل الزجاج . . سمي بذلك لانه كان يخرط الزجاج ، تلقى العلم على المبرد وكان يدفع له الاجر بمشقة لقله ذات يده . ثم طلب بعضهم معلما من المبرد فدلهم عليه ، وصار مؤدبا للقاسم بن عبيد الله بن سليمان . . فكان ذلك سبب غناه . وله مؤلفات كثيرة ، هالك ما بقى منها :

١ - كتاب سر النحو : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بخط قديم جدا ، تشتمل على باب ما ينصرف وما لا ينصرف . وفي آخره ما نصه : « قرأه على أبو جعفر أحمد بن محمد مسمار في صفر سنة ٣٥١ الخ . . » ولم يرد ذكر هذا الكتاب بين مؤلفات الزجاج في الفهرست
٢ - كتاب الابانة والتفهيم عن معنى بسم الله الرحمن الرحيم : منه نسخة في غوطا

٣ - كتاب خلق الانسان في اللغة : وفيه أسماء أعضاء الانسان ، ومنه نسخ خطية في المتحف البريطاني وفي المكتبة الخديوية

٤ - كتاب معاني القرآن : منه نسخ في نور عثمانية بالاستانة وفي المكتبة الخديوية . وتجد أخبار الزجاج في ابن خلكان ١١ ج ١ ، ومعجم الادباء ٤٧ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٠٨ ، والفهرست ٦٠ (*)

٤ - ابن الانباري

هو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الانباري ، من أهل الانبار ، وهو غير كمال الدين الانباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ . كان أبوه أبو محمد الانباري من أهل الاخبار والنحو ، فتلقى ابنه العلم عنه وعن ثعلب .

(*) وانظر ترجمة ثعلب في تاريخ بغداد ج ٥ ص ٢٠٤ وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢١٤ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٠٧ وطبقات الزبيدي ص ٩٩ وطبقات القراء لابن الجزري ج ١ ص ١٤٨ ومراة الجنان ج ٢ ص ٢١٩ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ١ ص ٢٥٢ وتهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ٢٧٥ والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ١٣٣ وبغية الوعاة ص ١٧٢ وأنباء الرواة ج ١ ص ١٣٨ وكتب التاريخ المختلفة في سنة وفاته ودائرة المعارف الاسلامية
(*) وراجع في الزجاج أخبار النجوين البصريين للسيرافي ص ١٠٨ والانساب ١٧٢ أ وتاريخ بغداد ج ٦ ص ٨٩ وتهذيب الاسماء واللغات ج ٢ ص ١٧٠ وروضات الجنات ص ٤٤ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٥٩ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ١ ص ١٦٥ واللباب ج ١ ص ٢٩٧ والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ٢٠٨ وبغية الوعاة ص ١٧٩ وطبقات الزبيدي ص ٨١ وأنباء الرواة ج ١ ص ١٥٩ وكتب التاريخ المختلفة في سنة وفاته

وكان يضرب به المثل بسرعة الخاطر وحضور البديهة . وكان قوى الذاكرة يملئ علمه مما حفظه في ناحية ، وأبوه في ناحية أخرى من المسجد في بغداد . وكان ابن الانباري يحفظ ٣٠٠٠٠ بيت شعر وشاهد في القرآن ، وقيل كان يحفظ ١٢٠ تفسيراً للقرآن بأسانيدھا وذلك من غرائب الحفظ . والف في النحو واللغة والأدب والقرآن والحديث . وكان يطيل التأليف ، فمن كتبه كتاب غريب الحديث ١٠٠٠ قالوا انه ٤٥٠٠٠ ورقة وشرح الكافي ١٠٠٠ ورقة وقس عليهما . واليك ما وصلنا من كتبه :

١ - كتاب الاضداد في النحو : طبع في لندن سنة ١٨٨١ ، وفي مصر سنة ١٩٠٧

٢ - كتاب الزاهر : في معاني كلمات الناس ، منه نسخة خطية في مكتبة كوبرلي بالآستانة . وسيأتي ذكره في كلامنا عن الزاهر للزجاجي

٣ - شرح الفضليات : منه نسخ خطية في اياصوفيا وبنى جامع والمكتبة الخديوية (*)

٤ - كتاب الايضاح في الوقف والابتداء : منه نسخة في المتحف البريطاني وكوبرلي

٥ - كتاب الهاءات في كتاب الله : منه نسخة في باريس

وترجمته في ابن خلكان ٥٠٣ ج ١ ، والفهرست ٧٥ (***)

٥ - ابن ولاد

توفي سنة ٣٣٢ هـ

هو من تلاميذ الزجاج ، واسمه أبو العباس أحمد بن محمد بن ولاد ، من أهل مصر ، وقد توفي فيها . وخلف كتاباً في النحو اسمه المقصور والمدود ، منه نسخ خطية في برلين وباريس . وقد طبع بمصر سنة ١٩٠٨ ، وهو جزيل الفائدة مرتب على حروف الهجاء (***)

٦ - أبو جعفر النحاس

توفي سنة ٣٣٨ هـ

هو أحمد بن محمد بن اسماعيل النحاس من تلاميذ الزجاج ، وقد

(*) نشر ليال هذا الشرح مع مقدمة نفيسة

(**) وراجع في ترجمة ابن الانباري الانساب ٤٩ أ وتاريخ بغداد ج ٣ ص ١٨١ وشدرات الذهب ج ٢ ص ٣١٥ وطبقات القراء ج ٢ ص ٣٣٠ واللباب ج ١ ص ٦٩ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٢٩٤ ومعجم الادباء ج ١٨ ص ٣٠٦ وروضات الجنات ص ٦٠٨ وانباء الرواة ج ٣ ص ٢٠١ وبتغية الوعاة ص ٩١ وطبقات الزبيدي ص ١١١ وطبقات ابن قاضي شعبة ج ١ ص ١٢٠ والنجوم الزاهرة - ٣ ص ٢٦٩ ودائرة المعارف الاسلامية في مادة الانباري (***) وأنظر في ابن ولاد طبقات الزبيدي ص ١٤٨ ومعجم الادباء ٤ ص ٢٠١ ومرآة الجنان ٢ ص ٢٦١ وطبقات ابن قاضي شعبة ج ١ ص ٢٤٦ وانباء الرواة ج ١ ص ٩٩ وبتغية الوعاة ص ١٦٩ وحسن المحاضرة ج ١ ص ٢٢٨

يسمى الصفار . وهو غير ابن النحاس النحوي المتوفى سنة ٦٩٨ هـ . أصله من مصر ورحل الى بغداد . فأخذ عن المبرد والأخفش والزجاج وغيرهم ، ثم عاد الى مصر فأقام بها حتى مات . وكان صاحب فضل كثير وعلم واسع ، وخلف مؤلفات كثيرة في اللفظة والأدب والقرآن لم يصلنا منها إلا :

- ١ - شرح المعلقات السبع : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية
 - ٢ - كتاب اعراب القرآن : منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية بخط جميل في ٢٧٧ ورقة كبيرة الحجم
 - ٣ - كتاب معاني القرآن : منه الجزء الاول فيها أيضا
 - ٤ - ناسخ القرآن ومنسوخة : في المتحف البريطاني
- وتجد ترجمة النحاس في معجم الادباء ٧٢ ج ٢ ، وابن خلكان ٢٩ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٦٣ (*)

٧ - أبو القاسم الزجاجي

توفى سنة ٣٣٩ هـ

هو عبد الرحمن بن اسحق الزجاجي من أفاضل النحاة من أهل نهاوند ، أخذ عن الزجاج فنسب اليه وتولى التعليم في دمشق وطبرية ومات فيها . ولم يذكر له الفهرست الا كتابا في القوافي لم تقف عليه . وقد وصل الينا مما ينسب اليه :

- ١ - كتاب الجمل في النحو : هو أهم مؤلفاته ، منه نسخ خطية في أكثر مكاتب اوربا (***) . وله شروح منها شرح ابن العريف ، منه نسخة في المكتبة الخديوية ، وقد شرحه البطليوسي وانتقده هو وغيره . ومنها شرح لابن الضائع ، منه نسخة في المكتبة الخديوية قديمة الخط
- ٢ - الزاهر : جمع فيه ألفاظ الزاهر للابنباري المتقدم ذكره والفاخر للمفضل ابن سلمة الآتي ذكره مع تنقيح وتهذيب ، منه نسخة خطية بالمكتبة الخديوية في ١٧٩ ورقة

٣ - الامالي في اللفظة : طبع بمصر سنة ١٣٢٤

وترجمته في ابن خلكان ٢٧٨ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٧٩ ، والفهرست

٨٠ (***)

(*) وراجع في ترجمة أبي جعفر النحاس الانساب ١٥٥٥ وطبقات الريبدي ص ١٤٩ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ١ ص ٢٣٦ و امرأة الجنان ج ٢ ص ٣١١ وروضات الجنات ص ٦٠ وانباء الرواة ج ١ ص ١٠١ وبنية الوعاة ص ١٥٧ وحسن المحاضرة ج ١٠ ص ٢٢٨ والمرهر ٢ ص ٤٢٠ ، ٤٦٦ والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣٠٠ وتاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٢٢٢ والفلاكة والفلكوكين ص ٨٠ (***) طبع هذا الكتاب طبعا مختلفة

(***) وانظر في أبي القاسم الزجاجي الانساب ٢٧٢ أ وطبقات الزبيدي ص ٨٦ واللباب ج ١ ص ٤٩٧ وروضات الجنات ص ٤٢٥ وبنية الوعاة ص ٢٩٧ وانباء الرواة ج ٢ ص ١٦٠ وكتب التاريخ المختلفة في سنة وفاته

وهناك طائفة من النحاة نبغوا في هذا العصر أغضينا عن تراجمهم ، لانه لم يصلنا من كتبهم ما يستحق الذكر : كابن الحائل وابى عمرو الزاهد ، والحامض ، واليزيدى ، وابن السراج ، ونفطويه ، والمنذرى ، والاخفش الاصغر ، وابن المرزبان ، وعمر الجرمى ، وغيرهم

مذهب البصريين الكوفيين فى النحو

وفى هذا العصر وما بعده احتدم الجدل بين البصريين والكوفيين (**) فى قواعد النحو ، واختلفوا فى كثير من أحكامه وشروطه . وقد ألف فى ذلك الاختلاف كثيرون أشهرهم : كمال الدين الانبارى المتوفى سنة ٥٧٧ هـ ، وألف كتابا فى « الانصاف فى مسائل الخلاف » ، وأبو البقاء العكبرى ألف كتاب « التبيين فى مسائل الخلاف بين البصريين والكوفيين » ، وقد لخص جلال الدين السيوطى ذلك عن هذين الكتابين فى الجزء الثانى من كتابه الاشباه والنظائر . وهو مطبوع فى حيدر آباد الهند سنة ١٣١٧ هـ فى أربعة مجلدات . وبلغ ما جمعه من مسائل الخلاف فيه مائة مسألة ومسالتين . . هذه أمثلة منها :

عند الكوفيين	عند البصريين
الاسم مشتق من الوسم	الاسم مشتق من السمو
معربة فى مكانين	الاسماء الستة معربة فى مكان واحد
المصدر مشتق من الفعل	الفعل مشتق من المصدر
يجمع	الاسم المنتهى بقاء التانيث كطلحة لا يجمع بالواو والنون
معرب	فعل الامر مبنى
الابتداء يرفعه الخبر	الابتداء مرتفع بالابتداء
يتضمن	الخبر ان كان اسما مختصا لا يتضمن ضميرا
يقام	لا يقام مقام الفاعل الظرف والمجرور مع وجود المفعول
اسمان	نعم وبئس فعلان مبنيان
يبنى من السواد والبياض	لا يبنى فعل التعجب من الالوان
لا يجوز	يجوز تقديم خبر ليس عليها
يجوز	لا يجوز تقديم الاستثناء فى اول الكلام
يجوز	يقال قبضت الخمسة عشر درهما ولا يقسأل الخمسة عشرة درهما

(**) لم يحتدم هذا الجدل فى العصر العباسى الثانى وما بعده فقط ، بل لعله احتدم فى العصر العباسى الاول باقوى مما احتدم فيما بعد ، بل لقد أخذ هذا الاحتدام يضعف منذ أواخر القرن الثالث للهجرة ، فكان ثعلب خاتمة نحاة الكوفة المهيمين ، كما كان المبرد خاتمة نحاة البصرة

اللغة والفويون

في العصر العباسي الثاني

وقد يعد لغويو هذا العصر أيضا من النحاة أو الأدباء ، لكننا أفردناهم لاشتغالهم على الأكثر باللغة . . . تعنى الالفاظ من قبيل المعاجم ، أو ما هو في سبيلها . ويقال بالأجمال ان المعاجم اللغوية لم تنضج الا في العصر الآتي ، على أن علماء هذا العصر مهدوا السبيل لذلك أكثر ممن تقدمهم من أهل العصور السابقة . فالف بعضهم كتباً تشبه المعاجم كما سترى في تراجمهم وآثارهم ، وهم :

١ - أبو عمرو الهروي

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو أبو عمرو شمر بن حمدويه الهروي ، كان ثقة عالماً حافظاً للفريب راوية للأشعار والأخبار . ولم يصلنا من كتبه شيء ، وإنما ذكرناه لأنه ألف معجماً في اللغة بدأ فيه بحرف الجيم على ترتيب الخليل لم يسبقه أحد الى مثله . ولكنه ضاع ولم يبق الا خبره ، وقد ذكره صاحب طبقات الأدباء (صفحة ٢٦٠) في ترجمة المؤلف (※)

٢ - أبو حاتم السجستاني

توفي سنة ٢٥٥ هـ

هو أبو حاتم سهل بن محمد السجستاني ، كان عالماً باللغة والشعر . أخذ عن أبي زيد وأبي عبيدة والأصمعي ، ولم يكن حاذقاً في النحو . . . لكنه كثير التأليف للكتب . ذكر له صاحب الفهرست ٣٢ مؤلفاً ، أكثرها في اللغة من باب المعاني المجتمعة في أصل مشترك تدخل في باب واحد : ككتاب الحشرات ، وكتاب خلق الإنسان ، وكتب الوحوش ، والسيوف ، والأبل ، والجراد ، والكرم ، ونحوها . وليست هي من قبيل وصف هذه الموجودات الطبيعي أو الطبي أو الزراعي ، وإنما يراد بها الوجهة اللغوية لتمييز المسميات بأسمائها واليك ما وصل إلينا من كتبه :

(※) وأنظر في ترجمة أبي عمرو الهروي معجم الأدباء ج ١١ ص ٢٧٤ وتهذيب اللغة للأزهري ج ١ ص ١٢ ، وانبئة الرواة ج ٢ ص ٧٧ وبغية الوعاة ص ٢٢٦

١ - كتاب المعمرين : هو من كتب التاريخ ، فيه تراجم الذين عمروا من الرجال في الجاهلية مع طرف مما قالوه في منتهى أعمارهم . وبلغ عددهم مائة وعشرة رجال في جملتهم طائفة من الشعراء : كعبيد بن الأبرص ، وليد ، وعمرو بن قميئة . وجماعة من السادة والفرسان : كاكثم بن صيفى ، وعامر بن الظرب ، ودريد بن الصمة ، وزهير بن جناب ، وغيرهم . والكتاب رواية أبى روق الهمداني ، لم يذكره صاحب الفهرست بين مؤلفات السجستاني . . طبع ليدن سنة ١٨٩٩ بعناية المستشرق غولتزرير في ٢٨١ صفحة منها ١٠٣ صفحات للأصل والباقي للمقدمة والتعليق . وطبع أيضا بمصر سنة ١٩٠٥

٢ - كتاب النخلة : طبع في بالرمو بإيطاليا سنة ١٨٣٧ ، وفي رومية سنة ١٨٩١ ، ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية
وتجد ترجمة أبى حاتم السجستاني في طبقات الأدباء ٢٥١ ، والفهرست ٥٨ ، وابن خلكان ٢١٨ ج ١ (*)

٣ - أبو العباس المبرد

توفي سنة ٢٨٥ هـ

هو أبو العباس محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي ، نسبة الى ثمالة قبيلة من الأزد . ويعرف بالمبرد ، ولد سنة ٢١٠ هـ في البصرة ، وانتقل الى بغداد . وكان شيخ أهل النحو والعربية . واليه انتهى علمهما بعد طبقة عمر الجرمي وأبى عثمان المازني . وأخذ النحو عنهما وعن غيرهما

وكان قوى الذاكرة كثير الحفظ معاصرا لثعلب المتقدم ذكره ، وجرت بينهما منازعات ومعارضات . وبهما ختم تاريخ الأدباء (١) . وكان المبرد يحب الاجتماع بثعلب ، وهذا يكره ذلك لان المبرد كان حسن العبارة فصيح اللسان . وثعلب مذهبه مذهب المعلمين ، فاذا اجتمعا في محفل حكم للمبرد . وكان المبرد كثير الأمل يملئ علمه على الطلبة أو على من يدونه . وقد ذكر له صاحب الفهرست ٤٤ مؤلفا في الادب واللغة والنحو والعروض والبلاغة والقرآن وغير ذلك ، وهاك ما وصلنا منها :

١ - الكامل : هو كتاب في الادب وصفه المبرد بقوله : « هذا كتاب الفناء يجمع ضروبا من الآداب بين منثور ومنظوم وشعر ومثل سائر وموعظة باللغة واختيار خطبة شريفة ورسالة بليغة . والنية أن يفسر كل ما يقطع فيه من كلام غريب أو معنى مغلق » فهو يعد من كتب اللغة المهددة للمعاجم . وفيه

(*) وراجع في ترجمة أبى حاتم أخبار التحويين البصريين ص ٩٣ والانساب ٢٩١ ب وتهذيب التهذيب ٤ ص ٢٥٧ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٢١ وطبقات ابن قاضي شعبة ج ١ ص ٣٦١ وطبقات القراء ج ١ ص ٣٢٠ ومرآة الجنان ج ٢ ص ١٥٦ ومعجم الأدباء ج ١١ ص ٢٦٣ وطبقات الزبيدي ص ٦٤ وبغية الوعاة ص ٢٦٥ وانباء الرواة ج ٢ ص ٥٨ والفلاحة والملوك ص ٨٦ والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٢٣٢
(١) ابن خلكان ٥٩٥ ج ١

كثير من الفوائد التاريخية ، أهمها فصل في الخوارج يحوى حقائق هامة من تاريخ بنى أمية . وقد طبع الكامل في ليبسك سنة ١٨٦٤ م ، وفي الاستانة سنة ١٢٨٦ هـ ، وفي مصر سنة ١٣٠٨ هـ

٢ - كتاب المقتضب : عليه شرح لسعد الله الفارقي المتوفى سنة ٣٩١ هـ ، منه نسخة خطية في مكتبة الاسكوريال

٣ - كتاب التعازى والمراثى : منه نسخة خطية فى الاسكوريال

٤ - رسالة فى الجواب على سؤال وجهه اليه الوراق بشأن الشعر والنثر ، منه نسخة خطية فى مكتبة ميونيخ وأخرى فى برلين

وترجمته فى ابن خلكان ٤٩٥ ج ١ ، وطبقات الادباء ٢٧٩ ، والفهرست ٥٩ (*)

٤ - المفضل بن سلمة

فى اواخر القرن الثالث

هو أبو طالب المفضل بن سلمة بن عاضم اللغوى . وكثيرا ما يقع الالتباس بينه وبين المفضل بن محمد الضبى الاديب المتقدم ذكره . ولعل السبب فى ذلك ما يجدونه فى ترجمة ابنه محمد فى ابن خلكان اذ زاد فى نسبه هناك لفظ « الضبى » ونظن ذلك سهوا من ابن خلكان أو من النساخ . لأن نسبه فى الفهرست وفى طبقات الادباء ليس فيه لفظ « الضبى » ويؤيد ذلك أن ابن خلكان لم يترجم المفضل الضبى الاديب . ووقع فيما نقله ابن خلكان من ترجمة المفضل بن سلمة تشويش فى أسماء مؤلفاته ، فجاء اسم كتاب الفاخر « الفاخر » وكتاب البارع « التاريخ » وهو خطأ فى النسخ أو الطبع . والمفضل بن سلمة من لغوى العصر العباسى الثانى على مذهب أهل الكوفة . وقد استدرك على الخليل وخطاه فى كتابه . وذكر له صاحب الفهرست نحو عشرين مؤلفا لم يصلنا منها الا :

١ - كتاب الفاخر : فى اللغة وموضوعه معانى ما يجرى على السنة العامة فى أمثالهم ومحاوراتهم من كلام العرب ، وهم لا يدرون معناه . . فىأنى بالمثل ويشرحه على نحو ما فى كتاب مجمع الأمثال للميدانى ، منه نسخة فى كتب الشنقيطى بالمكتبة الخديوية فى ١٤٦ صفحة كبيرة ، ونسخة أخرى من جملة كتب زكى (باشا) فى ١٣٥ ورقة

٢ - كتاب العود والملاهى : فى آلات الطرب ، وهل تعاطيها يخالف

(*) وراجع فى ترجمة المبرد طبقات النحويين البصريين ص ٩٦ والانساب للسمعاني فى « الشمالى » الورقة ١١٦ أ وتاريخ بغداد ص ٣٨٠ ونسخت اللالى ٣٤٠ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٩٠ وطبقات القراء لابن الجوزى ج ٢ ص ٢٨٠ وطبقات ابن قاضي شسبية ج ١ ص ١٤٦ واللباب فى الانساب ج ١ ص ١٩٧ ولسان الميزان ج ٥ ص ٤٣٠ ومراة الجنان ج ١ ص ٢١٠ والمزهر ج ٢ فى مواضع متفرقة ومعجم الادباء ج ١٩ ص ١١١ ومعجم الشعراء ص ٤٤٩ وروضات الجنات ص ٦٠٠ وطبقات الزبيدي ص ٧٠ وانباء الرواة ج ٢ ص ٢٤١ وبغية الوعاة ص ١١٦ وكتب التاريخ المختلفة فى سنة وفاته

التقوى . وهو يرى انه جائز وأتى بأدلة على ذلك .. منه نسخة في جملة كتب زكى (باشا)
وترجمة المفضل في الفهرست ٧٣ ، وطبقات الادباء ٣٦٥ ، وابن خلكان ٤٦٠ ج ١ (*)

٥ - ابن دريد

توفى سنة ٣٢١ هـ

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الازدى . ولد في البصرة سنة ٢٢٣ ، ونشأ وتعلم فيها . وأخذ النحو عن السجستاني والرياشي وابن أخي الاصمعي . وانتقل عند ظهور الزنج الى عمان ، وأقام فيها ١٢ سنة وعاد الى البصرة . ثم رحل الى نواحي فارس ، وصحب ابنى ميكال وهما يومئذ على عمالة فارس . وألف لهما كتاب الجمهرة الاثنى ذكره ، فقلدها الديوان . وكانت تصدر كتب فارس عن رأيه ولا ينفذ أمر الا بعد توقيعه . ثم انتقل الى بغداد سنة ٣٠٨ هـ بعد عزل ابنى ميكال عن فارس . فأجرى عليه الخليفة المقتدر خمسين ديناراً في الشهر الى وفاته سنة ٣٢١

وقد نبغ ابن دريد في اللغة ، وكان من اكبرها مقديماً فيها وفي الانساب والاشعار . وكان شاعراً كثير الشعر وله المقصورة المشهورة التي مدح بها الشاه بن ميكال وولديه ، مطلعها :

أما ترى رأسى حاكى لوته طريرةً صبح تحت أذيال الدجى
واشتعل المبيض في مسودّه مثل اشتعال النار في جزل العضى

عدد أبياتها ٢٢٩ بيتاً ، وفيها كثير من آداب العرب وأخبارهم وحكمهم وأمثالهم

وعارضه فيها جماعة من الشعراء ، وشرحها كثيرون . وله قصائد أخرى ، وإنما اخترنا وضعه بين علماء اللغة لان أكثر كتبه فيها حتى قالوا انه قام بها مقام الخليل بن أحمد ، وأورد أشياء منها لم توجد في كتب المتقدمين . وقد ذكر له صاحب الفهرست ١٩ مؤلفاً ، هالك ما بلغنا خبره منها :

١ - المقصورة : أو كتاب المقصور والمدود ، قد تقدم ذكرها . طبعت مع ترجمة وشرح باللاتينية في فرانكيري سنة ١٧٧٣ ، وفي هردوفيكى سنة ١٧٨٦ ، وفي غيرها . ومنها نسخ خطية وشروح في معظم مكاتب أوروبا ، أهمها شرح ابن خالويه المتوفى سنة ٣٧٠ هـ وابن هشام اللخمي السبتي . وفي المكتبة الخديوية شرح المقصورة خطأ للسيد عبد القادر بن مكرم المتوفى

(*) وانصر في المفضل بن سلمة تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٢٤ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ١ ص ٢٥٤ ومعجم الادباء ج ١٩ ص ١٦٣ ومراتب النحويين ص ١٥٧ وانباه الرواة ج ٣ ص ٣٠٥ وبقية الوعاة ص ٣٩٦ والمنزهر ج ٢ ص ٤١٣

سنة ١٠٣٣ هـ ، واسمها الآيات المقصورات . وفي مكاتب أوروبا وغيرها نسخ خطية من أشعاره الأخرى

٢ - الجمهرة في اللغة : وهي أهم مؤلفاته بالنظر الى اللغة لأنها معجم مرتب على أحرف الهجاء ، اتبع في ترتيبه كتاب العين للخليل . فبدأ بالثنائي ثم الثلاثي فالرباعي فملحق الرباعي فالحماسي والسداسي وملحقتهما . وجمع الالفاظ النادرة في باب مفرد . ورتب كل طائفة من تلك الالفاظ على أبجدية الخليل . وطريقة التفتيش فيه غير مالوفة عندنا ، فانه يأتي في باب الثلاثي مثلاً في فصل العين بالأحرف الثلاثة التي أولها عين مثل « ع ل ن » ويأتي بمعانيها على اختلاف وضع حروفها . فيقول : « ع ل ن » يعلنه علنا . . واللعن أصله الأبعاد . . والنعل معروف . . ونعل الفرس ما أصاب الأرض من حافرة النخ . . وقد سماه الجمهرة لأنه اختار فيه الجمهور من كلام العرب . ومنها نسخ خطية (*) في مكاتب لندن وباريس وكوبرلي ويني جامع ونور عثمانية وآيا صوفيا بالاستانة ، ونسخة ناقصة في المكتبة الخديوية

٣ - كتاب الاشتقاق : في أسماء القبائل والعمائر وأفخاذها وبطونها وساداتها وشعرائها وفرسانها على شكل المعاجم ، وفيه فوائد لغوية . طبع في غوتنجن سنة ١٨٥٤

٤ - صفة السرج واللجام : طبع في ليدن سنة ١٨٥٩

٥ - كتاب الملاحن : طبع في هيدلبرج سنة ٢٨٨٢ ، وفي مصر

٦ - كتاب المجتبى : فيه أقوال الرسول موجودة في المتحف البريطاني واكسفورد

٧ - كتاب السحاب والغيث وأخبار الرواد : طبع في ليدن مع كتاب السرج واللجام

وأخباره في ابن خلكان ٤٩٧ ج ١ ، وطبقات الأدباء ٣٢٢ ، والفهرست ٦١ (***)

٦ - عبد الرحمن الهمداني

توفي سنة ٣٢٧ هـ

هو عبد الرحمن بن عيسى بن حماد الهمداني ، كان اماماً في اللغة والنحو وكاتباً لبكر بن عبد العزيز بن أبي دلف العجلي ، له مؤلفات جزيلة الفائدة

(*) طبعت الجمهرة في الهند (***) وراجع في ترجمة ابن دريد الانساب ٢٢٦ أ وتاريخ بغداد ج ٢ ص ١٩٥ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٢٨٩ وطبقات الشافعية ج ٢ ص ١٤٥ وطبقات ابن قاضي شسبهة ج ٢ ص ٣٣ والذباب ج ١ ص ٤٢٨ ولسان الميزان ج ٥ ص ١٣٢ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٢٨٢ ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ١٢٧ ومعجم الشعراء للمرزباني ص ٤٦١ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٦٢ والوالي بالوفيات «طبعة استانبول» ج ٢ ص ٢٣٩ وروايات الجنات ص ٦٠٥ والنباه الرواة ج ٣ ص ٩٢ وبقية الوعاة ص ٣٠ والفلاحة والفلكيين ص ٧٣ وكتب التاريخ المختلفة في سنة وفاته ودائرة المعارف الإسلامية

لم يصلنا منها الا كتاب الالفاظ الكتابية . . وهو مما يستعان به في تنميق العبارة وضبط معناها لاحتوائه على مترادفات من الجمل الفصيحة ، كل منها مجموع في باب خاص من قبل فقه اللغة ولكنه سابق له . وقد طبع الكتاب في بيروت سنة ١٨٨٥ وفي غيرها (*)

ومن كتب اللغة في هذا العصر كتاب المنجد لأبى الحسن الهنائي المعروف بكراع في أوائل القرن الرابع للهجرة ، رتبته على ستة ابواب في أعضاء البدن وأصناف الحيوان والطيور والسلاح والأرض ، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وكتاب المنضد له أيضا مرتب على الهجاء في المتحف البريطاني

التاريخ والمؤرخون

في العصر العباسي الثاني

قد رأيت في كلامنا عن التاريخ في العصر الماضي أن الحاجة دعت يومئذ الى وضع السيرة النبوية والانساب وأخبار الفتوح والطبقات ، وذكرنا أشهر من ألف في ذلك . ويمتاز هذا العصر بكتابة التاريخ العام الشامل لأخبار القدماء والمحدثين مما لم يتعرض له أهل العصر الماضي . وإنما عمد أهل هذا العصر الى التأليف فيه بعد أن اطلعوا على ما نقل من نوعه الى العربية من كتب الفرس (١) وبعد اتساع معارف القوم على أثر ترجمة كتب العلم القديمة عن أهم الامم . وقد تقررت أحكام الشرع ، فلم تبق حاجة الى الخوض في الفتوح وأسبابها . . فاقترضوا على تلخيص أخبارها وتبويبها وتحقيقها وضبطها . وضعفت العصبية العربية لتسلط الأثر الكوفي وغيرهم واستقرت الانساب . فلم تبق حاجة الى الخوض في النسب وعلومه . وشاعبت عصبية الوطن بعد ذهاب عصبية النسب على أثر المنافسات بين البصرة والكوفة وبغداد والشام ، فاتجهت الأفكار الى تأليف الكتب الخاصة في أحوال المدن وأحوال الامم

وهناك ضرب من التاريخ تخلف عن علم الادب أو تفرغ عنه ، نعى أخبار العرب وأيامهم وأشعارهم وشعراءهم وسائر أحوالهم . فهذه كانت داخلة في علم الادب لعلاقتها باللغة والشعر ، فلما اتسعت معارف الناس وتولدت العلوم اللسانية بالتفرغ عن الادب كما تقدم . . كان من جملة فروعه ما تخلف عن الأخبار التي كانوا يأتون بها لاثبات معنى كلمة أو تعبير أو شعر أو نحو ذلك . وتوسعوا فيه ، فصار تاريخاً ، لكنه مقصور على أخبار العرب وبلادهم . وكتاب هذا التاريخ يجوز ادخالهم في جملة علماء الادب كالأصمعي وأبي عبيدة ، وإنما جعلناهم في جملة المؤرخين لبيان عمل ناموس الارتقاء في التفرغ والتنوع

فالمؤرخون في هذا العصر ينقسمون الى أربعة أقسام : (١) مؤرخو الفتوح (٢) مؤرخو أخبار العرب وأحوالهم وشعرائهم والانساب والطبقات وغيرها (٣) مؤرخو البلدان والامم أي تاريخ كل بلد أو أمة على حدة . . أو التاريخ الخاص (٤) مؤرخو التاريخ العام . واليك أشهر من ألف في كل قسم من هذه الأقسام على هذا الترتيب حسب سنة الوفاة

أولا - مؤرخو الفتوح

في هذا العصر ختم تاريخ الفتح الإسلامي للذهاب الحاجة اليه بالفراغ من

الفتوح الا ما كتبوه في فتح بعض المدن او الممالك بعد فتح بيت المقدس او نحوه او نقل ما مضى . وهالك أشهر مؤرخى الفتوح :

١ - ابن عيد الحكم

توفى سنة ٢٥٧ هـ

هو آخر من دون الفتوح الاسلامية الخاصة في صدر الاسلام ، واسمه عيد الرحمن بن عبدالله بن عبد الحكم من اهل مصر . كان ابوه المتوفى سنة ٢١٤ فقيها من اصحاب مالك وأفضت اليه رياسة المالكية ، وكان غنيا وجيها . وفي أيامه أتى الامام الشافعى الى مصر ، فدفع اليه الف دينار ، وأخذ له من ابن عسامة التاجر الف دينار ، ومن رجلين آخرين الف دينار . وكان لعبدالله هذا ولدان : محمد صحب الامام الشافعى ، والآخر عبد الرحمن الذى نحن في صدده . وله مؤلف واحد كبير اسمه « فتوح مصر والمغرب والاندلس » منه نسخة خطية في مكتبة باريس . وقد نشرت منه قطعة عن فتح افريقية طبعت في لندن سنة ١٨٥٨ مع ترجمة انكليزية . وهو تحت الطبع كله الآن بإدارة لجنة تذكاري جيب الانكليزية في لندن ، (*) واخباره في ابن خلكان ٢٤٨ ج ١ (***)

٢ - البلاذرى

توفى سنة ٢٧٩ هـ

اسمه أبو جعفر أحمد بن يحيى بن جابر البلاذرى . وهو خاتمة مؤرخى الفتح ، ولد في أواخر القرن الثانى للهجرة ، ونشأ في بغداد وتقرّب من التوكل والمستعين والمعتز . وعهد اليه هذا بثقيف ابنه عبدالله الشاعر المشهور . وكان شاعرا وكاتبا ومترجما ينقل من الفارسية الى العربية . ومن شعره بيتان مدح بهما المستعين هما :

ولو أن برّدَ المصطفى إذ حويته يَظنُّ لظنَّ البرد أنك صاحبه
وقال وقد أعطيته فلبسته نَعَمَ هذه أعطافه ومناكبه

وذكر صاحب الفهرست انه وسوس في آخر أيامه ، فأخذ الى اليمارستان لانه شرب تمر البلاذرى على غير معرفة ، ومنه اسمه . ومات على الاغلب سنة ٢٧٩ أول أيام المعتضد وله مؤلفات أهمها :

١ - فتوح البلدان : هو أشهر كتبه ويظهر أنه مختصر من كتاب أطول منه ، كان قد أخذ في تأليفه وسماه « كتاب البلدان الكبير » لم يتمه فاكتفى

(*) طبع هنرى ماسيه الجزء الخاص بمصر من هذا الكتاب سنة ١٩١٤ ثم طبعه تورى Torrey بجميع اجزائه في لندن سنة ١٩٢٢

(**) وراجع في ابن عبد الحكم حسين المحاضرة للسيوطى ج ١ فصل من كان بمصر من الفقهاء المالكية ، والولادة والقضاء لكندى طبعة جيست Guest المقدمة ص ٢٢ ودائرة المعارف الاسلامية

بهذا المختصر . ذكر فيه أخبار الفتوح الإسلامية من أيام الرسول الى آخرها بلدا بلدا ، لم يفرط في شيء منها مع التحقيق اللازم واعتدال الخطة . وضمنه فصلا عن الفتوح أبحاثا عمرانية أو سياسية يندر العثور عليها في كتب التاريخ كاحكام الخراج أو العطاء وأمر الخاتم والنقود والخط ونحو ذلك . وقد طبع الكتاب في ليدن سنة ١٨٧٠ بعناية المستشرق دى غويه . ونشرته في مصر شركة طبع الكتب العربية سنة ١٩٠١ ، وهو أجمع كتب الفتوح وأصحها

٢ - أنساب الاشراف : ويسمى أيضا الاخبار والانساب ، وهو مطول في ٢ مجلدا لم يتم . وكان ضائعا فعشر المستشرق الالماني اهلوارت في مكتبة شيفر المستشرق على الجزء الحادى عشر من كتاب في التاريخ ليس عليه اسم ، فرجح انه من أجزاء كتاب البلاذرى الذى نحن في صدده . فطبعه في غريزوالد سنة ١٨٨٣ على الحجر بخطه في ٤٥ صفحة . وفيه كثير من أخبار بنى أمية في زمن عبد الملك والوليد . ويدخل في ذلك تفاصيل وقائع مصعب بن الزبير وأخيه عبدالله وأخبار الخوارج (*)
وترجمة البلاذرى في الفهرست ١١٣ ، وفي صدر طبعة فتوح البلدان (***)

ثانيا - مؤرخو جزيرة العرب

يدخل في هذا الباب من انصرف من الرواة والادباء الى التاريخ فكتب فيه ، والغالب في هؤلاء أن يكون ما يكتبونه مقصورا على أخبار العرب وأيامهم وقبائلهم وسائر أحوالهم ، ويدخل في ذلك أيضا أنساب العرب ١٠٠ لان الانساب بعد ذهاب دولة العرب وتغير وجه العطاء على القبائل ، لم يبق لها شأن سياسى حيوى . وبعد أن كان ثبوت نسب الرجل في قبيلة يدر عليه المال ، أصبح مقصورا على التفاخر بالأجداد . فصارت الكتابة فيه من قبيل العلم ولم ينقطع له كاتب كما حدث في أوائل الدولة ، فأصبح من جملة أخبار العرب . ويدخل في هذا الباب أيضا أخبار القبائل وحروبها وأيامها وتراجم المشاهير من الشعراء والنحاة أو ما يتألف من ذلك كالتبقيات ونحوها ، وهناك أشهرهم :

١ - محمد بن حبيب

توفى سنة ٢٤٥ هـ

هو أبو جعفر محمد بن حبيب بن أمية مولى بنى العباس . كان من علماء بغداد بالانساب والاخبار واللغة والشعر والقبائل . روى عن ابن الأعرابى وقطرب وأبى عبيدة وكان مؤدبا . وقد ألف كتبا كثيرة ذكر منها ابن النديم

(*) وقد طبع أيضا الجزء الخامس من أنساب الاشراف في القدس وتقوم الان الجامعة العربية بنشره كاملا

(**) وانظر في البلاذرى معجم الادباء ج ٥ ص ٨٩ ودائرة المعارف الإسلامية وبروكلمن

٣٣ كتابا في الامثال والقبائل والانساب والتاريخ واللغة ، وهاك ما بلغنا خبره منها :

١ - كتاب القبائل والايام الكبير : هو أهم كتبه ، ألفه للفتح بن خاقان ، وقد رآه ابن النديم صاحب الفهرست ، وقال في وصفه : « رأيت النسخة بعينها عند أبي القاسم بن أبي الخطاب بن الفرات في نحو أربعين جزءا ، في كل جزء ٢٠٠ ورقة وأكثر . ولهذه النسخة فهرست لما تحتوى عليه من القبائل والايام بخط التستري بن علي الوراق في نحو ١٥ ورقة » لكن هذا الكتاب فقد ، وانما ذكرناه لأهميته لعل أحدا يعرف وجود شيء منه في بعض المكاتب

٢ - مختلف القبائل ومؤتلفها : أو المؤتلف والمختلف في النسب . الغرض منه بيان أسماء القبائل المتشابهة لفظا ، المختلفة نسبا ، وضبط لفظها جيدا . وهو جزيل الفائدة مع صفه ، طبعه وستنفيلد في غوتنجن سنة ١٨٥٠

٣ - كتاب من نسب الى أمه من الشعراء : لم يذكره صاحب الفهرست بهذا الاسم ، منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية رواية عثمان بن جنى (**)

٤ - كتاب المحبر : وهو يشتمل على خلاصات تاريخية عن الرسول والصحابة والخلفاء ، منه نسخة خطية في المتحف البريطاني (***)

٥ - كتاب المقتالين : منه نسخة خطية في جملة كتب زكى باشا ، ويسمى أيضا كتاب من قتل غيلة

وترجمة محمد بن حبيب في الفهرست ١٠٦ (***)

٢ - الزبير بن بكار

توفي سنة ٢٥٦ هـ

هو أبو عبدالله الزبير بن بكار ، ويتصل نسبه بعبدالله بن الزبير بن العوام . كان من أعيان العلماء في المدينة ، ولد سنة ١٧٢ هـ وتولى القضاء في مكة ودخل بغداد مرارا آخرها سنة ٢٥٣ هـ ، وتوفي في مكة وهو قاض عليها سنة ٢٥٦ هـ . وكان شاعرا أديبا جليل القدر ، بعث المتوكل في طلبه لتأديب ولده . وأمر له بعشرة آلاف درهم وعشرة تخوت وعشرة بغال يحمل عليها رحله الى سر من رأى

(**) نشر عبد السلام هرون هذه الرسالة في سلسلة نوادر المخطوطات « المجموعة الأولى » كما نشر لابن حبيب في المجموعة السادسة والسابعة ثلاث رسائل أخرى هي كتاب اسنماء المقتالين الذي سنأتي ذكره وكفى الشعراء ، والقاب الشعراء .

(**) نشر هذا الكتاب في حيدرآباد بالهند

(***) وراجع في ترجمة محمد بن حبيب تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٧٧ وتحفة الابيه فيمنن نسب الى غير أبيه ص ١٠٨ وطبقات الزبيدي ٩٨ ، ٩٩ ، ١٣٨ وطبقات ابن قاضي شهبه ج ١ ص ٢٢ وبنية الوعاة ص ٢٩ ومعجم الادباء ج ١٨ ص ١١٢ والوفائي بالوفيات « طبعة استانبول » جزء ٢ ص ٣٢٥ وانباه الرواة ج ٣ ص ١١٩ والنجوم الزاهرة ج ٢ ص ٣٢١

ذكر له صاحب الفهرست ٣٣ مؤلفا في النسب والوفود والنوادر وأخبار الشعراء ونحو ذلك . واليك ما وصل إلينا منها :

١ - كتاب نسب قريش وأخبارهم : منه نسخة خطية في مكتبة أكسفورد (بودليان) وفي وبرلي بالاستانة (**) .

٢ - الموفقيات : هي قطع تاريخية ألفها لتلميذه الموفق بن المتوكل في ١٩ جزءا ، لم يصلنا منها الا أربعة أجزاء من ١٦ - ١٩ طبعها وستنفيلد في غوتنجن سنة ١٨٧٨

وترجمة ابن بكار في ابن خلكان ١٨٩ ج ١ والفهرست ١١٠ (***)

٣ - عمر بن شبة

توفي سنة ٢٦٢ هـ

هو أبو زيد عمر بن شبة ، ويقال له ابن ربيعة النميري لانه كان مولى لبني نمير ، ولد سنة ١٧٣ هـ ونشأ في البصرة شاعرا اخباريا راوية صادق اللهجة . وتوفي في سر من رأى سنة ٢٦٢ هـ ، وقد ألف كتبا كثيرة ذكر منها صاحب الفهرست ٢٢ كتابا في وصف البصرة والكوفة ومكة وأمرائها وغير ذلك . ضاعت كلها الا كتابا عثرنا عليه في المكتبة الخديوية مخطوطا اسمه « الجمهرة » ينسب اليه ، ولم يذكر في مؤلفاته بهذا الاسم . وهو يشتمل على أخبار العرب العرباء وشيء من أيامهم وأشعارهم وحروبهم قبل الإسلام مع الفرس والروم ، وأكثر روايته عن ابن نافع وابن أسحق . وهو من قبيل القصص التاريخية . وسنفرد فصلا خاصا بهذا الموضوع فيما يلي من هذا الكتاب

وترجمة ابن شيبية في ابن خلكان ٢٧٨ ج ١ ، والفهرست ١١٢ (***) . ويدخل في هذا النوع من التاريخ كتاب الشعر والشعراء لابن قتيبة ، وسائر تراجم الشعراء لابن السكري ، وكتاب المعمرين للسجستاني ، وقد ذكرت في أماكنها

ثالثا - التواريخ الخاصة في العصر العباسي الثاني

ونريد بها تواريخ البلدان والامم والقبائل والطوائف كل منها على حدة : كتاريخ دمشق ، وتاريخ بغداد ، أو قريش ، أو القبط ، أو الروم ، أو نحو ذلك . والتأليف فيها قديم عند العرب حتى قبل الاسلام ، فقد ذكر المسعودي أن عدى بن زيد العبادي ألف في تاريخ الروم واقتبس المسعودي منه . وقد ألف بعضهم في أيام بني أمية ، وألفت طائفة في هذا العصر . .

(**) طبع هذا الكتاب بدار المعارف

(***) وانظر في الزبير معجم الأدباء ج ٨ ص ١٦١ ومقدمة نسب قريش

(***) وراجع في عمر بن شبة بغية الوماء للسيوطي ص ٣٦١ ومعجم الأدباء ج ١٦ ص ٦٠ وكتب التاريخ في سنة وفاته

لكن اكثر ما الفوه ضاع كتاريخ مرو لابن سيار ، وتاريخ البصرة والكوفة لابن شبة ، وتاريخ واسط لاسلم بن سهل ، وتاريخ اصفهان ليحيى بن منده وهالك اشهر من وصل الينا شئ من تواريخهم الخاصة الى آخر هذا العصر :

١ - الازرقى

اسمه ابو الوليد محمد بن عبدالله بن احمد الازرقى ، له كتاب اخبار ايام مكة . عنى بطبعه وستنفيلد في ليبسك سنة ١٨٥٨ في مجلة مجموعة مؤلفة من اربعة اجزاء سماها اخبار مكة استغرق طبعها ثلاث سنوات (١٨٥٨ - ١٨٦١) اهم ما فيها كتاب الازرقى المذكور ، ومقتبسات من تاريخ مكة لمحمد الفاكهي ، ومن شفاء الغرام لتقى الدين الفاسي ، ومن كتاب الاعلام باعلام بيت الله الحرام للنهروانى وغيرهم . وهى احسن مجموعة في اخبار مكة وترجمة الازرقى في الفهرست ١١٢ (*)

٢ - ابن طيفور

توفى سنة ٢٨٠ هـ

هو ابو الفضل احمد بن ابي طاهر واسم ابي طاهر طيفور ، اصله من ابناء خراسان من اولاد الدولة . ولد في بغداد وكان مؤدب اطفال عاميا ، ثم اشتغل بالتأليف واشتهر به ونسخ نبوغا عظيما . ذكر له صاحب الفهرست خمسين كتابا ، لم يبق منها الا النزر اليسير ، أهمها :

١ - تاريخ بغداد : هو اقدم ما وقفنا عليه من تاريخها ، ولكن لم يصلنا منه الا الجزء السادس . استخرجه الدكتور كيلر الالماني من مخطوطات لندن وطبعه على الحجر في ليبسك سنة ١٩٠٨ ، وعلق عليه مع ترجمة المانية . ويحتوى على تاريخ المأمون من شخوصه الى بغداد سنة ٢٠٤ هـ الى وفاته

٢ - كتاب المنثور والمنظوم : هو اختيارات من احسن ما نظم أو نثر في العربية الى عصره في بضعة عشر جزءا ، رأينا منها ثلاثة اجزاء في المكتبة الخديوية (١١ و ١٢ و ١٣) كل منها نحو الف صفحة كبيرة ، ومنها بضعة اجزاء في لندن

٣ - بلاغات النساء : طبع في مصر ١٩٠٧

وتجد ترجمة ابن طيفور في معجم الادباء ١٥٢ ج ١ ، والفهرست ١٤٦ (***)

(*) وانظر في الازرقى مقدمة وستنفلد ودائرة المعارف الاسلامية وما بهيسا من مراجع وبروكلمن ١٢٧ ج ١
(***) وانظر في ابن طيفور تاريخ بغداد ج ٤ ص ٢١١ ودائرة المعارف الاسلامية في ابن ابي طاهر طيفور ، وبروكلمن ١٢٨ ج ١

أما الكتب الخاصة بتاريخ الأمم ، فإن أبا الحسن المدائني المتوفى سنة ٢٢٥ ألف كتابا جملة ذكر ابن النديم عشرات منها ، وقد ضاعت كما ضاع سواها من أمثالها

وكذلك سير الأفراد مثل سيرة ابن طولون وابنه خمارويه لابن الداية المتوفى سنة ٣٣٤ هـ ، منه شذرات اقتبسها من أرخ مصر بعده كابن سعيد وغيره

رابعاً - التاريخ العام في العصر العباسي الثاني

يمتاز هذا العصر عما تقدمه من العصور بظهور التاريخ العام ناضجا فيه . وكانت التواريخ قبله في موضوعات متفرقة لأفراض مختلفة . . فلما أطلع المسلمون على تواريخ الأمم الأخرى أحبوا أن ينسجوا على منوالها . وزادت في أثناء ذلك علاقات المسلمين بسواهم ، فأصبح همهم النظر في التاريخ على الأجمال . . فأخذوا يؤلفون التواريخ العامة التي تبدأ بالخليقة وتفرق الأمم ثم تواريخ تلك الأمم . وأهم ما وصلنا منها في هذا العصر خمسة كتب لخمسة من المؤرخين ، إليك تراجمهم حسب سنى وفاتهم مع وصف كتبهم :

١ - اليعقوبى

توفى سنة ٢٧٨ هـ

هو أحمد بن أبى يعقوب بن واضح المعروف باليعقوبى ، وجده من موالى المنصور . وكان رحالة يحب الأسفار . . ساح في بلاد الإسلام شرقا وغربا ، فكان سنة ٢٦٠ هـ فى أرمينية ورجل الى الهند وعاد الى مصر وبلاد المغرب . وألف في سياحته هذه كتابا سماه كتاب البلدان ، وهو أقدم كتاب عربى وصل إلينا في الموضوع . ولم تذكر السنة التى توفى فيها اليعقوبى ، ولكن يؤخذ من سياق كتبه انه توفى بعد سنة ٢٧٨

وله في التاريخ كتاب يعرف بتاريخ اليعقوبى ، نشره المستشرق هوتسما في ليدن سنة ١٨٨٣ في مجلدين : الأول في التاريخ القديم على العموم من آدم فما بعده الى ظهور الإسلام . وتدخل فيه أخبار الإسرائيليين والسريان والهنود واليونان والرومان والفرس والنوبة والبجة والزنج والحميريين والفساسنة والمتاذرة . والثانى في تاريخ الإسلام ، وينتهى في زمن المعتمد على الله سنة ٢٥٩ هـ وقد رتبته حسب الخلفاء . ومن مزاياه فضلا عن قدمه أن مؤلفه شيعى ، فيأتى بأشياء عن العباسيين يتحاشى سواها ذكرها . وللمستشرقين أبحاث انتقادية في هذا الكتاب

وسنأتى على ذكر كتاب البلدان في باب الجغرافية (*)

(*) وراجع فى اليعقوبى معجم الادباء ج ٥ ص ١٥٣ وكتاب الاعلام ج ١ ص ٨٦ ومادة جغرافيا فى دائرة المعارف الاسلامية ومقدمة كتابه البلدان

٢ - أبو حنيفة الدينورى

توفى سنة ٢٨٢ هـ

هو أحمد بن داود من أهل الدينور، أخذ علمه عن البصريين والكوفيين، وأكثر أخذه عن ابن السكيت . وكان متفننا في علوم كثيرة منها النحو واللغة والهندسة والحساب وعلوم الهند ، فهو يعد من النحاة أو اللغويين أيضا . . ولكننا جعلناه من المؤرخين لان أهم ما وصلنا من كتبه كتاب « الاخبار الطوال » في التاريخ العام ، يشتمل على نحو ما اشتمل عليه كتاب اليعقوبى . . لكنه اختصر في التاريخ القديم . ويمتاز بتوسعه في تاريخ بنى أمية وخصوصا أخبار على ومعاوية والخوارج والازارفة . وينتهى التاريخ المذكور بوفاة المعتصم سنة ٢٢٧ هـ ، وقد طبع في لندن سنة ١٨٨٨ في ٤٠٠ صفحة بعناية المستشرق جرجيس

وله مؤلفات عدة ضاعت ، وفي جملتها كتاب في النبات من حيث اللغة لم تقف عليه . ولكن منه قطعا في كتاب التنبهات على أغلاط النحاة ونقل عنه المخصص

وترجمة أبى حنيفة الدينورى في معجم الادباء ١٢٣ ج ١ ، والفهرست ٧٨ (*)

٣ - ابن جرير الطبرى

توفى سنة ٣١٠ هـ

هو أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى علامة وقته وامام عصره . ولد في آمل بطبرستان سنة ٢٢٤ هـ ، ورحل في طلب العلم فجاء بفداد ثم شخص الى مصر والشام والعراق حتى استوعب العلوم . ثم استقر في بغداد يقرئ الحديث والفقہ حتى مات سنة ٣١٠ هـ ودفن هناك . كان على مذهب الامام الشافعى ، ثم اختار لنفسه مذهباً في الفقه تبعه فيه جماعة من العلماء وضعوا فيه الكتب . . منهم على بن عبد العزيز الدولابى ، ومحمد بن أحمد بن أبى الثلج ، وابن العراد ، وأبو الحسن أحمد بن يحيى المنجم ، وأبو بكر بن كامل وغيرهم . وكل منهم ألف كتاباً في بسط مذهب ابن جرير الطبرى ودافع عنه ورد على مخالفه

واشتهر الطبرى بقوة عارضته وفصاحة لهجته وبصبره على العمل ، حتى قالوا انه قضى أربعين سنة يكتب كل يوم ٤٠ صفحة . ولا يخلو ذلك من مبالغة لكنه يشير الى كثرة عمله ، فان كتابيه اللذين اشتهر بهما نعى التاريخ والتفسير ذكروا ان كلا منهما كان في أول الامر ٣٠٠٠ ورقة أى

(*) وانظر في الدينورى بقية الرواة ص ١٣٢ وخزانة الادب ج ١ ص ٢٥ وسلم الوصول ص ٨٢ ونزهة الالباء في طبقات الادباء ص ٣٠٥ وانباه الرواة ج ١ ص ٤١ ومعجم الادباء ج ٣ ص ٢٦ وكذلك Leclerc, Histoire de la Médecine Arabe . « باريس » ج ١ ص ٢٩٨ ودائرة المعارف الإسلامية وبروكلمن ١٢٣ ج ١

٦٠٠٠ صفحة . . ثم أشار عليه تلامذته باختصارهما فصارا الى ماهما عليه وقد ألف التفسير قبل التاريخ . وكل منهما مرجع الباحثين في موضوعه لانه استوفى الكلام فيهما . وكان ثقة يحكم بقوله ويرجع الى رأيه لسعة علمه في القرآن وعلومه وبأخبار الناس وأيامهم . وكان حر الفكر صريح القول اذا اعتقد أمرا جاهر به لا يخشى في الحق لومة لائم ، ولا سيما خصومه من العامة ومن يتزلفون اليهم أو يرتزقون بمرضاتهم ، ولا سيما الحنابلة، لانه ألف كتابا ذكر فيه اختلاف الفقهاء ولم يذكر فيه ابن حنبل . فقليل له في ذلك فقال : « لم يكن فقيها وانما كان محدثا » فعظم ذلك على الحنابلة وكانوا لا يحصون عدا في بغداد ، فنقموا عليه واتهموه بالالحاد وشاركهم أكثر العامة . . ولو سئلوا عن معنى الالحاد ما عرفوه . وهو لا يهمه ذلك لزهده وقناعته بما كان يرد عليه من قرية خلفها أبوه في طبرستان . فلما توفي في شوال سنة ٣١٠ هـ دفن في داره لان العامة اجتمعت ومنعت دفنه نهارا . وألف كتبا ذكر منها صاحب الفهرست بضعة عشر مؤلفا ، هذا ما بقى منها :

١ - كتاب اخبار الرسل والملوك : ويعرف بتاريخ الطبرى ، وهو تاريخ عام يبدأ بالخليقة وينتهي الى سنة ٣٠٢ هـ يدخل في عدة مجلدات صفحاتها نحو ٧٥٠٠ صفحة . وقد طبع في ليدن بعناية المستشرق دى غويه . واستغرق طبعه بضع عشرة سنة من ١٨٧٩ - ١٨٩٢ في ٢٣ جزءا . وطبع بمصر سنة ١٩٠٦ في ١٣ مجلدا . وقد اتبع في أخباره الاسناد الى روايتها بالتسلسل لزيادة التحقيق على عادتهم في ذلك العهد . وهو عمدة المؤرخين ومرجعهم في التحقيق حتى الآن . وتعالى القوم في اقتناء هذا الكتاب حتى كان منه في خزانة العزيز الفاطمي صاحب مصر ٢٠ نسخة ، منها واحدة بخط المؤلف . وكان في دار العلم بمصر ١٢٠ نسخة منه . ولم يكن يتيسر اقتناؤه الا للملوك وأهل الثروة . ولما أظلم الشرق في الاجيال الوسطى وخيم الجهل أحرقت المكاتب فضامت نسخه . فلما أرادوا طبعه في ليدن لم يجدوا منه نسخة كاملة في مكان واحد ، فاضطروا الى جمعها من عدة أماكن . وقد ترجم هذا الكتاب الى الفارسية البلعمى . وترجمه عن ترجمة البلعمى زوتنبرج الى الفرنسية . وطبعت الترجمة في سنة ١٨٧٤ في أربعة مجلدات . وترجم أيضا بعضه الى اللغة اللاتينية وطبع في غريزوالد سنة ١٨٦٣ ، وترجم الى التركية وطبع في الأستانة سنة ١٢٦٠ هـ

وقد عنى غير واحد بكتابة ذيل للتاريخ المذكور ، منهم عريب بن سعد الكاتب القرطبي ألف ذيلا على الطبرى ينتهى الى سنة ٣٦٥ هـ طبع مع تاريخ الطبرى في ليدن . ومحمد بن عبد الملك الهمداني المتوفى سنة ٥٢١ هـ تم حوادث التاريخ الى سنة ٤٨٧ ، سماه تكملة تاريخ الطبرى . ومنه نسخة خطية في مكتبة باريس

٢ - التفسير الكبير : سيانى ذكره في باب التفسير

٣ - تهذيب الآثار في الحديث : لم يتمه ويوجد بعضه في مكتبة كوبرلى

٤ - اختلاف الفقهاء : يبحث فيما اختلف فيه الفقهاء الاربعة في بعض الاحكام كالبيع والاعتاق والايجار والزرع والكفالة وما يتفرع عن ذلك ، طبع بمصر سنة ١٣٢٠
وترجمة الطبرى في ابن خلكان ٤٥٦ ج ١ ، وابن الاثير ٤٩ ج ٨ ، والفهرست ٢٣٤ (*)

٤ - أبو زيد البلخي

توفى سنة ٣٢٢ هـ

هو أحمد بن سهل ، ولد في بلخ ونشأ في العراق ، وأدرك الكندي الفيلسوف وأخذ عنه ، ثم عاد الى بلاده فخدم أمراءها . وكان مطلعاً على العلوم القديمة ، ولذلك اتخذ في مؤلفاته طريقة الفلاسفة من النقد والنظر . وكان ذلك سبباً في غضب الوجهاء عليه ، وبعد ان كانوا يسخون عليه في العطاء قطوه عنه واتهموه بالاحاد . ولابى زيد عشرات من المؤلفات في موضوعات مختلفة ذكرها صاحب الفهرست (صفحة ٣١٨) ضاعت كلها وله كتاب صور الاقاليم ، وهو من قبيل الجغرافية . وسنذكره بين جغرافى العصر العباسى الثالث لانه قدوتهم في رسم الخرائط وترجمة أبى زيد البلخي في معجم الادباء ١٤١ ج ١ ، والفهرست ١٣٨ (***)

٥ - ابن البطريق

توفى سنة ٣٢٨ هـ

هو افتيخوس سعيد بن البطريق ، ولد سنة ٢٦٣ في الفسطاط ، واشتهر بالطب كما اشتهر بالتاريخ . وخلف من الآثار عدة مؤلفات وصلنا منها كتاب « نظم الجوهر » في التاريخ ، ألفه لاختيه عيسى في معرفة التواريخ من عهد آدم الى سنة الهجرة وينتهي الى سنة ٣٢١ هـ من الدولة العباسية . وهي السنة التي صار فيها المؤلف بطريقاً على مدينة الاسكندرية على مذهب الملكية . وقد طبع كتابه هذا في اكسفورد سنة ١٦٥٩ مع ترجمة لاتينية لادوار بوكوك المستشرق ، في مجلدين صفحاتهما نحو ١١٠٠ صفحة . وطبع قطع منه في بطرسبرج سنة ١٨٨٣ وطبعه

(*) وزاجع في ترجمة الطبرى الانساب ٣٦٧ ١ وتاريخ بغداد ج ٢ ص ١٦٢ وتذكرة الحفاظ ج ٢ ص ٢٥٦ وتهذيب الاسماء واللغات ج ١ ص ٧٨ وروضات الجنات ص ٦٠٢ وشهدات الذهب ج ٢ ص ٢٦٠ وطبقات الشافعية ج ٢ ص ١٣٥ وطبقات القراء لابن الجوزى ج ٢ ص ١٠٦ ، طبقات المفسرين للسيوطى ص ٣٠ واللباب لابن الاثير ج ٢ ص ٨١ ولسان الميزان ج ٥ ص ١٠٣ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٢٦١ والوفى بالوفيات « طبعة استانبول » ج ٢ ص ٢٨٤ ومعجم الادباء ج ١٨ ص ٤٠ وانباه الرواة ج ٣ ص ٨٩ وكتب التاريخ المختلفة في سنة وفاته ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

(**) وانظر في البلخي سلم الوصول و Huart في المجلة الاسيوية «المجموعة التاسعة» سنة ١٩٠١ المجلد ١٨ ص ١٦ ودائرة المعارف الاسلامية وكذلك أنظر فيها مادة جغرافية

اليسوعيون كاملاً سنة ١٩٠٦ . وفيه كثير من أخبار النصارى وأعيادهم وذكر البطارقة وأحوالهم ومدة حياتهم وما جرى لهم . وقد ذيل هذا الكتاب يحيى بن سعيد بن يحيى الانطاكي بكتاب سماه « تاريخ الذيل » طبعه روزن المستشرق الروسى فى بطرسبرج سنة ١٨٨٣ مع ترجمة وتعليق فى اللغة الروسية أضعاف الاصل العربى . . فجاء الكتاب المطبوع فى نيف وخمسمائة صفحة منها ٧٠ فقط للاصل العربى

وترجمة سعيد بن البطريق فى طبقات الاطباء ٨ ج ٢ (*)



وليست هذه كل كتب التاريخ الهامة التى ألفت فى هذا العصر ، فان مئات منها ضاعت وأكثرها فى أخبار الخلفاء والوزراء والنسب وأخبار المدن والدول والملوك وغير ذلك . ففى مقدمة مروج الذهب أسماء نحو مائة منها ، استعان بها المسعودى فى تأليف ذلك الكتاب . وهو لم يذكر الا الكتب التى اشتهر مؤلفوها . وقد ضاع معظمها ، وفيما ضاع منها كتب هامة تحتوى على أخبار الامويين ومناقبهم وذكر فضائلهم وغيره من تواريخ الامويين . . فان أخبار هذه الدولة ضاعت فى أيام بنى العباس نزولاً من الكتاب لاهل الدولة . وبعض الكتب التى ذكرها المسعودى فانت صاحب الفهرست ، وقليل منها لا يزال باقياً الى الآن كتاريخ يعقوبى والطبرى

الجغرافية والجغرافيون

في العصر العباسي الثاني

اسباب وضع الجغرافية عند العرب

نشأ علم الجغرافية في هذا العصر بعد نقل علوم القدماء الى العربية ، وفي جملتها كتاب بطليموس ، وعليه معولهم في تقويم البلدان . . على ان المسلمين بدأوا في وضع الجغرافية قبل اطلاعهم على ذلك الكتاب لاسباب غير التي دعت اليونان الي وضعها وهي :

أولا : كان المسلمون على اختلاف بلادهم يحجون الى مكة ، والحج فريضة على كل مسلم . والقدوم الى مكة يفتقر الى معرفة الطرق والمنازل ثانيا : كان المسلمون يرحلون في طلب العلم الى سائر الامصار الاسلامية ، والرحلة تستلزم معرفة الاماكن والمناطق

ثالثا : ابحاثهم في تحقيق اسباب الفتح لضرب الخراج والجزية واجتناء المقاطعات ، وهذه ايضا تفتقر الى تعرف البلاد وطرقها . . فاضطر العرب الى التأليف في البلدان قبل هذا العصر . وأول من فعل ذلك رواة الادب وأصحاب الاخبار

فلما ترجمت الجغرافية الى العربية واطلع العرب عليها ، أخذوا في تأليف الكتب على مثالها وتوسعوا في ذلك وزادوا عليه ما عرفوه من قبل . ولم يكتفوا بالنقل والسماع ، ولكنهم ركبوا البحار وجابوا الاقطار شرقا وغربا وشمالا وجنوبا ، وكتبوا ما شاهدوه أو تحققوا منه وصححوا كثيرا من أخطاء بطليموس (**) . على أن علم الجغرافية عند العرب لم ينضج الا في القرن الرابع للهجرة ، فتهافت الناس على التأليف فيه

ولكن علماء القرن الثالث (أو العصر العباسي الثاني) الذي نحن في صدده ، مهدوا السبيل للتأليف فيه من عند أنفسهم لكثرة اسفارهم في سبيل الرحلة أو لاشتغالهم في احصاء خراج المملكة وفي تعيين طرق البريد ، مما يقتضى معرفة الاماكن وأبعادها وجهاتها ، وبعد ذلك من قبيل الجغرافية

وبين ما ألفوه في هذا الموضوع ما هو عام شامل للمملكة الاسلامية

(**) انظر في المؤلفات الجغرافية عند العرب مادة جغرافيا في دائرة المعارف الاسلامية وفصل الجغرافيا في كتاب الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري (ترجمة أبي زيدة - طبع لجنة التأليف) ج ٢

وغيرها ، ونسميه « الجغرافية العامة » . ومنه ما يختص ببقعة من الأرض وندعوه « الجغرافية الخاصة » واليك أقدم من ألف في كليهما :

مؤلفو الجغرافية العامة ومؤلفاتهم

١ - ابن خرداذبة

في اواسط القرن الثالث للهجرة

هو أبو القاسم عبيد الله بن أحمد بن خرداذبة . كان خرداذبة مجوسيا وأسلم على يد البرامكة . وتولى حفيده أبو القاسم البريد والخبر بنواحي الجبل بفارس ونام المعتمد وخص به . والف كتباً في أدب السماع واللهم والملاهي والشراب وجمهرة انساب الفرس والطبيخ وغيرها ولم يصلنا الا :

- كتاب المسالك والممالك : ضمنه احصاء جباية المملكة العباسية في اواسط القرن الثالث، وقد نشرنا ذلك الاحصاء في تاريخ التمدن الاسلامي (ص ٦٢ ج ٢) وهو احصاء رسمى عن الجباية والطرق والمسافات . وطبع الكتاب في ليدن سنة ١٣٠٦ هـ بعناية المستشرق دى غويه مع ترجمة فرنسية . وفيه فوائد كثيرة تاريخية فضلا عن تقاسيم المملكة وطول المسافات بين البلاد

وترجمته في الفهرست ١٤٩ (*)

٢ - قدامة بن جعفر

وقد تقدم ذكره بين الادباء ، له كتاب الخراج وصنعة الكتابة ، لم يصلنا منه الا نحو مائة صفحة في ديوان البريد والسكك والطرق الى نواحي المشرق والمغرب والمسافات بين البلاد فضلا عن مقادير الجباية لسنة ٢٢٥ هـ ، طبعت في ليدن مع ترجمة فرنسية . وقد نشرناها ايضا في تاريخ التمدن الاسلامي (ص ٥٧ ج ٢)

٣ - كتاب البلدان لليقوبى

قد تقدم ذكر اليقوبى بين المؤرخين . اما كتاب البلدان فقد جمع فيه ما عرفه بنفسه من احوال البلدان في عصره لانه عانى الاسفار من صفره ، وكان كلما رأى رجلا من تلك البلدان بالشرق والمغرب سأله عن وطنه ومصره واهوال أهله وأجناسهم وأكلهم وشربهم ولباسهم والابعاد بين البلاد ومبالغ الخراج وأخبار الفتح . . ويدون ما وصل اليه حتى ألف

(*) وراجع في ابن خرداذبة المكتبة الجغرافية نشر دى غويه الجزء الاول (المقدمة) والمراجع المذكورة بها والحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجرى ج ٢ ص ١ وكذلك دائرة المعارف الاسلامية

كتاب البلدان . فهو من أمهات الكتب لانه غير منقول عن كتاب آخر . وقد أفاض المؤلف على الخصوص في وصف بغداد كما كانت في أيامه ، ووصف سامرا وتاريخها . تم ذكر بلاد المشرق وهي في اصطلاحهم بلاد فارس شرقى العراق الى تركستان . وانتقل الى بلاد العرب فالشام فالمغرب الى الاندلس . والكتاب طبع في ليدن سنة ١٨٦١ هـ بعناية المستشرق جونيول . وطبع أيضا في جملة « المكتبة الجغرافية » . والمكتبة المذكورة تشتمل على ما صدر من كتب الجغرافية العربية الى أواخر القرن الرابع في ثمانية مجلدات وهي :

- ١ - المسالك والممالك لابن خرداذبة وكتاب الخراج لقدماء
 - ٢ - كتاب البلدان لابن الفقيه
 - ٣ - كتاب الاعلاق النفيسة لابن رسته وكتاب البلدان لليعقوبي
 - ٤ - مسالك الممالك للاصطخرى
 - ٥ - المسالك والممالك لابن حوقل
 - ٦ - أحسن التقاسيم للمقدسى
 - ٧ - كتاب التنبيه والإشراف للمسعودى
 - ٨ - فهرس أبجدى عمومى
- طبعت كلها في ليدن بعناية المستشرق دى غويه . وقد ذكرنا بعضها ويأتى ذكر الباقي في أماكنه

٤ - ابن الفقيه

هو أبو عبد الله أحمد بن محمد بن اسحق بن إبراهيم الهمداني ، ويعرف بابن الفقيه . أحد أهل الادب في أواخر القرن الثالث للهجرة ، ولا يعرف من أمره أكثر من ذلك . ذكروا له عدة كتب وصلنا منها « كتاب البلدان » الفه بعد موت المعتضد (سنة ٢٧٩ هـ) ووصف به الارض والبحار في الصين والهند وبلاد العرب ومصر وبلاد المغرب والبربر والشام وفلسطين وما بين النهرين وبلاد الروم وافاض في وصف البصرة والكوفة أما بغداد فلم يرد ذكرها فيه الا عرضا . يقول ابن النديم : « انه أخذه من كتب الناس وسلخ كتاب الجيهانى » والجيهانى هذا وزير صاحب خراسان ، كان له كتاب المسالك والممالك ، ضاع وقام كتاب البلدان لابن الفقيه مقامه . وقد طبع هذا الكتاب سنة ١٨٨٥ في جملة المكتبة الجغرافية

وتجد ترجمة ابن الفقيه في الفهرست ١٥٤ ، ومعجم الالباء ٦٣ ج ٢ (*)

(*) وانظر في ابن الفقيه دائرة المعارف الاسلامية، وكتابه البلدان الذى نشر باسمه بطلب ان يكون مختصرا لكتابه الحقيقى ، صنعه على بن حسن الشيزرى المتوفى حوالى عام ٤١٣ هـ وهو الذى نشر فى المكتبة الجغرافية باسمه ، وانظر الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ج ٢ ص ٢

٥ - ابن رسته

هو أبو علي أحمد بن عمران بن رسته ، له كتاب اسمه الإغلاق ، لنفسية كتبه سنة ٢٩٠ هـ في أصبهان . . وهو كالموسوعة ، منه سبعة مجلدات في تقويم البلدان ، عثروا على نسخة خطية منه في المتحف البريطاني . وقد طبع مجلد منه في جملة « المكتبة الجغرافية » وهو يبحث في عجائب السموات ومركز الأرض منها وحجم الأرض . ثم يصفها فيبدأ بمكة والمدينة ، ويصف البحار والأنهار والأقاليم السبعة وخصوصا إيران وما يليها . وفيه فصل في الأوائل الذين أحدثوا الأشياء واقتدى بهم سواهم ، وآخر في المتشابهين في أحوال شتى والمشاركين في كنية واحدة والمشهورين من ذوى العاهات . ولهذا الكتاب ترجمة المانية طبعت سنة ١٩٠٥ (*)

مؤلفو الجغرافية الخاصة ومؤلفاتهم

١ - ابن الحائك

توفي سنة ٣٣٤ هـ

هو أبو محمد الحسن بن أحمد بن يعقوب بن يوسف بن داود الهمداني من قبيلة همدان باليمن ، المعروف بابن الحائك المتوفى سنة ٣٣٤ بسجن صنعاء . وخلف عدة مؤلفات في الفلك والطبيعات والجغرافية وغيرها وصلنا منها :

١ - كتاب صفة جزيرة العرب : فيه فوائد هامة عن وصف جزيرة العرب وجبالها ومساكنها ومدنها ولغاتها وزراعتها ومعادنها وآثارها مما يعز العثور عليه في سواه . وقد نشر هذا الكتاب المستشرق هنرى مولر في ليدن سنة ١٨٨٤ مع ملحق للشروح والتعليق

٢ - كتاب الاكليل : ولابن الحائك هذا كتاب جليل الفائدة في وصف اليمن وآثارها اسمه « الاكليل » في انساب حمير وملوكها يدخل في عدة أجزاء ، يشتمل على عشرة فنون في جملتها أبحاث في القرانات وعلم الطبيعة وأحكام النجوم وآراء الأوائل وغير ذلك . . لم يقف الباحثون إلا على جزء نشره المستشرق مولر المذكور مع ترجمة المانية وتعليق . وقد اقتبسنا كثيرا منه في كتابنا « العرب قبل الاسلام » لانه يصف قصور اليمن ومحافدها في صنعاء ومارب مما شاهده بنفسه في مكان السد وكيفية توزيع المياه

(*) وراجع في ابن رسته مقدمة دى غويه لكتابه في المكتبة الجغرافية وكذلك بروكلمن ج ٢٢٧ ودائرة المعارف الاسلامية

وترجمة ابن الحائك في اخبار الحكماء لابن القفطى ١١٣ ، ومعجم
الادباء ٩ ج ٣ (*)

٢ - ابن فضلان

هو أحمد بن فضلان مولى محمد بن سليمان ، أنفذه المقتدر العباسى
سنة ٣٠٩ هـ الى ملك الصقالبة بمهمة ، فكتب رحلة عرفت باسمه ذكر
فيها ما شاهده منذ انفصل من بغداد الى أن عاد اليها ، وفيها وصف
البلغار وعاداتهم وغير ذلك . وهى مطبوعة فى بطرسبرج سنة ١٨٢٣ مع
ترجمة روسية ، ونشرها ياقوت فى معجم البلدان فى مادة بلغار (***)

٣ - سلسلة تواريخ (***)

كتاب جليل الفائدة . . هو ليس تاريخا كما يؤخذ من اسمه ، وإنما
هو رحلة أو رحلات فى الهند والصين وأقصى الشرق لغير واحد من تجار
العرب فى القرن الثالث للهجرة . أحدهم يدعى سليمان سافر بنفسه
الى الهند والصين ، ووصف ما شاهده وعلمه من أحوال التجارة وبعض
اصنافها . والآخر أبو زيد حسن من أهل سمرقند ، أكثر ما ذكره منقول
عن تجار آخرين من العرب ارتادوا الشرق الأقصى حتى بلغوا الصين .
وقد التقى أبو زيد هذا بالمسعودى المؤرخ ، وتبادلا الاخبار كما يظهر مما
ذكره فى مروج الذهب من بحر الهند وعجائبه بالمقابلة على ما فى هذه
الرحلة

وبالجملة ان هذا الكتاب يبين ما بلغ اليه العرب فى تجارتهم وأسفارهم
فى القرن الثالث للهجرة . وهو مطبوع فى باريس سنة ١٨٤٥ مع ترجمة
فرنسية ومقدمة انتقادية لرينو المستشرق الفرنسى

٤ - عجائب الهند (***)

هذا أيضا كتاب مهم لانه يشتمل على ما كان يعرفه العرب فى القرن
الثالث للهجرة وأوائل الرابع من بلاد الشرق الأقصى بين شواطئ بلاد
العرب والهند والزرنج الى الصين . ومؤلفه بزرك بن شهريار فارسى ، لكنه
كتب تلك العجائب بالعربية . . لغة الادب والسياسة والدين عندهم فى
أوائل القرن الرابع للهجرة ، نقلها عما سمعه من ملاحى البحار وأكثرهم

(*) وانظر فى ابن الحائك طبقات الامم لصنعة ص ٥٨ وطبقات ابن قاضى شهبة ج ١
ص ٣١٩ وروضات الجنات ص ٢٣٨ وانباء الرواة ج ١ ص ٢٧٩ وبقية الرواة ص ٢١٧
(**) وراجع فى ابن فضلان بروكلمن ٢٢٧ ج ١ ودائرة المعارف الاسلامية ، وقد نقل عنه
ياقوت أيضا فى مواد : باشقرد ، وخز ، وخورازم ، وروس
(***) راجع فى هذه السلسلة كتابنا الرحلات المنشور فى سلسلة فنون الادب العربى « طبع

دار المعارف » وكذلك أنظر كتاب حديث السنديباد القديم لحسين فوزى
(***) أنظر فى هذا الكتاب أيضا : كتابنا « الرحلات » وحديث السنديباد القديم

من السيرافيين الذين كانوا ينقلون التجارة بين شواطئ المحيط الهندي .
وقد نسب كل قول الى قائله وسماه باسمه وعين السنة التي حدثه بها
أو روى وقوع الخبر فيها . ويتخلل رواياته مبالغات بعيدة الحدوث في
نظر أهل هذا الزمان ، لكنه يروى ما سمعه على علاته ، وفي جملة ذلك
أسماك وطيور هائلة الحجم تخالف ما عرفناه من أحكام التاريخ الطبيعي .
ولا يطعن ذلك فيما يحويه الكتاب من الحقائق ، لان أهل ذلك العصر
معدورون في تصديق ما يسمعونه من المبالغات . ولم يكن ذلك خاصا
بالعرب أو الشرقيين ، بل هو يتناول سائر الأمم . وعند الافرنج من أخبار
أجيالهم الوسطى مالا يقل غرابة عن خرافات ألف ليلة وليلة . وسنعود
الى ذلك في مكان آخر



أما كتاب عجائب الهند الذي نحن بصدده ، فمنه نسخة خطية في
مكتبة ايا صوفيا قديمة جدا ، وعنهما نقلت نسخة طبعت في ليدين سنة
١٨٨٦ بعناية المستشرق فان درلينت مع ترجمة فرنسية لما رسل دفيك .
وفي هذه الطبعة أربع صور ملونة منقولة عن مسودات مقامات الحريري
في مكتبة المستشرق شيفر ، تمثل أسفار العرب في البحار لذلك العهد

العلوم الإسلامية

في العصر العباسي الثاني

قد رأيت ان الفقه توطدت قواعده في العصر الماضي ، والعلوم الدخيلة لا تزال في أول نقلها ولم تتمكن من نفوس الناس . أما في هذا العصر فكانت قد انتشرت الفلسفة والطبيعات والمنطق ، ففجرت كثيرا من الآراء وتولدت مذاهب في الفقه لم تكن من قبل ، وتفزع مذهب الاعتزال ونشأ علم الكلام أو التوحيد (*) واليك تاريخ ذلك

علم الكلام أو التوحيد

هو حادث بعد الفقه ، وسبب وضعه انه ورد في القرآن وصف الاله بالتنزيه المطلق الظاهر للدلالة من غير تأويل . وقد فسرها صاحب الشريعة الإسلامية والصحابة والتابعون على ظاهرها . وورد في القرآن أيضا آيات أخرى توهم التشبيه مرة في الذات ومرة في الصفات ، ورأى الاولون ذلك الخلاف ، فقلب في معتقدهم تفضيل التنزيه لكثرة أدلته ووضوح دلالتها وتابعهم الاكثرون . غير أن جماعة اتبعوا ما تشابه من الآيات وتوغلوا في التشبيه في الذات ، فاعتقدوا في الله صفات الأدميين كاليد والقدم والوجه عملا بظواهر وردت في بعض الآيات ، فوقعوا في التجسيم الصريح وخالفوا التنزيه المطلق . وأخذوا يكتبون ويقولون أقوالا كثيرة مخالفة لرأى الجمهور . فنهض أهل السنة وهم التابعون لأقوال الصحابة وجاءوا بالدلالة العقلية على هذه العقائد دفعا لتلك البدع ، وهو علم الكلام أو التوحيد . وفي أثناء ذلك نقلت كتب اليونان الى العربية ، فأحبها المسلمون وعكفوا على مطالعتها . فانتشرت فلسفة اليونان في الاسلام وأقبلت المعتزلة والقدرية والجهمية وغيرهم عليها ، وأكثروا من النظر فيها فتوسعوا فيما أرادوه منها من تقوية الحجة والجدل فيما كانوا فيه . فازداد كل منهم تمسكا بمذهبه وعظمت الفتنة بسبب ذلك ، وانتشرت تلك المذاهب بين المسلمين انتشارا عظيما وهي في ذلك العهد : مذاهب القدرية ، والجهمية ، والمعتزلة ، والكرامية ، والخوارج ، والرافضة ، والباطنية

(*) الحق ان علم الكلام وما يطوى فيه من الاعتزال نشأ في العصر الاموي، ففيه توفى واصل ابن عطاء امام المعتزلة سنة ١٣١ للهجرة . وازدهر هذا العلم في العصر العباسي الاول . وانظر في بيان ذلك الفصل الثالث من كتاب تاريخ الفلسفة في الاسلام لدى بور وفجر الاسلام وضحي الاسلام الجزء الثالث لاحمد أمين وكذلك الفصل الثالث من كتاب العقيدة والفريضة في الاسلام لجولدتسيهر ودائرة المعارف الإسلامية

وما زالت الحال كذلك الى أن ظهر أبو الحسن على بن اسماعيل الأشعري ، فسلك طريقا وسطا بين مذهب الاعتزال ومذهب أهل السنة ، فمال اليه جماعة وعولوا على رأيه لما فيه من التسوية بين سائر الآراء ، ووافق جماعه كبيرة من نخبة علماء تلك العصور وهم الأشعرية مما يطول بنا الكلام فيه

علماء الكلام

- ١ - الامام أبو حنيفة : أقدم من الف في علم الكلام ، فان كتابه الفقه الاكبر يعد من هذا القبيل . وقد تقدم ذكره في كلامنا عن مؤلفاته في الفقه
- ٢ - أبو حنيفة واصل بن عطاء الغزال المتوفى سنة ١٣١ هـ : كان من الائمة البلقاء المتكلمين وكان يثبغ في الرأه ، لكنه كان لبراعته واقتداره يخلص كلامه من الرأه فلا يفتن لذلك أحد . ترجمته في ابن خلكان ١٢٧ ج ٢ (*)
- ٣ - أبو الهذيل محمد بن الهذيل العلاف المتوفى سنة ٢٣٢ هـ : كان شيخ البصريين في الاعتزال ، وكان حسن الجدل قوى الحججة كثيرا استعمالا للدلة . ومما يروى عنه من هذا القبيل انه لقي صالح بن عبد القدوس ، وقد مات له ولد وهو شديد الجزع عليه ، فقال له أبو الهذيل : « لأعرف لجزعك عليه وجهاء ، اذا كان الانسان عندك كالزروع » قال صالح : « يا أبا الهذيل انما اجزع عليه لانه لم يقرأ كتاب الشكوك » فقال له : « كتاب الشكوك ماهو يا صالح ؟ » قال : « هو كتاب قد وضعته من قرأه يشك فيما كان حتى يتوهم انه لم يكن ويشك فيما لم يكن حتى يتوهم انه قد كان » فقال أبو الهذيل : « فشك أنت في موت ابنك وأعمل على انه لم يموت وأن كان قد مات ، وشك أيضا في قراءته كتاب الشكوك وان كان لم يقرأه » . ترجمته في ابن خلكان ٤٨٠ ج ١ (***)
- ٤ - أبو علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي المتوفى سنة ٣٠٣ هـ : كان امام المتكلمين في عصره ، أخذ علم الكلام عن أبي يوسف يعقوب بن عبد الله الشحام البصرى رئيس المعتزلة بالبصرة ، وله مقالات في مذاهب العلماء . ترجمته في ابن خلكان ٤٨٠ ج ١ (***)
- ٥ - أبو الحسن الأشعري المتوفى ببغداد سنة ٣٣٣ هـ : سمع زكريا الساجى وأبا خليفة الجمحى وسهل بن نوح ومحمد بن يعقوب المقرئ وعبد الرحمن بن خلف الضبى المصرى . وروى عنهم فى تفسيره كثيرا ، وتلمذ

(*) وراجع لى واصل أمالى المرتضى « طبع الحلبي » ج ١ ص ١٦٣ وما بعدها ولسان الميزان ج ٦ ص ٢١٤ والبيان والتبيين « طبع عبد السلام هرون » - أنظر الفهرس - وضحي الاسلام لاحمد أمين الجزء الثالث ودائرة المعارف الاسلامية وكتاب المعتزلة مؤلفه ت . و . و أرنولد ص ١٨ والعقيدة والشريعة فى الاسلام لجولد تسبير ص ٩٠

(**) وانظر فى أبو الهذيل كتاب الملل والنحل للشهرستانى ص ٣٤ و أمالى المرتضى ج ١ ص ١٧٨ وشهر الاسلام الجزء الثالث وتاريخ الفلسفة فى الاسلام ص ٥٧ وأرنولد Arnold فى كتابه المعتزلة Al-Mutazilah « طبع ليبسك ١٩٠٢ » ودائرة المعارف الاسلامية (***) وانظر فى الجبائى الفرق بين الفرق للبغدادى ص ١٦٧ والمعتزلة لارنولد ص ٤٥ ودائرة المعارف الاسلامية والملل والنحل ص ٣٦ - ٤١ وضحي الاسلام الجزء الثالث ، ودائرة المعارف الاسلامية

لزوج أمه أبي علي محمد بن عبد الوهاب الجبائي واقتدى برأيه في الاعتزال عدة سنين حتى صار من أئمة المعتزلة . ثم رجع عن القول بخلق القرآن وغيره من آراء المعتزلة ، وصعد كرسيًا يوم الجمعة بجامع البصرة ونادى بأعلى صوته : « من عرفني فقد عرفني ومن لم يعرفني أعرفه بنفسى ، أنا فلان بن فلان كنت أقول بخلق القرآن وان الله لا يرى بالابصار وان أفعال البشر هم يفعلونها ، وأنا نائب مقلع ، معتقد الرد على المعتزلة مبين لفضائحهم ومعائبهم » . وأخذ منذ ذلك الحين في الرد عليهم ، وسلك بعض طريق أبي محمد عبد الله بن محمد بن سعيد بن كلاب القطان ، وبنى على قواعده وصنف خمسة وخمسين تصنيفًا . منها كتاب اللمع ، وكتاب الموجز ، وكتاب إيضاح البرهان ، وكتاب التبيين على أصول الدين ، وكتاب الشرح والتفصيل ، وكتاب الإبانة ، وكتاب تفسير القرآن . . يقال أنه في سبعين مجلدًا ، وغيرها ، وأكثرها ضاع . وكانت غلته من ضيعة وقفها بلال بن أبي بردة على عقبه ، وكانت نفقته في السنة سبعة عشر درهما . وكانت فيه دعابة ومزح كثير . قال مسعود ابن شيبه في كتاب التعليم : كان حنفي المذهب معتزلي الكلام لأنه كان ربيب أبي علي الجبائي ، وهو الذي رباه وعلمه الكلام . وذكر الخطيب أنه كان يجلس أيام الجمعة في حلقة أبي اسحق المروزي الفقيه في جامع المنصور ، وقال أبو بكر بن الصيرفي : « كان المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله تعالى الأشعري فحجزهم في أقماع السماسم »

العقيدة الأشعرية

وجملة عقيدته « ان الله تعالى عالم بعلم ، قادر بقدره ، حي بحياة ، مرید بارادة ، متكلم بكلام ، سميع بسمع ، بصير ببصر ، وان صفاته ازلية قائمة بذاته تعالى ، لا يقال هي هو ، ولا هي غيره ، ولا لا هي هو ولا غيره . وعلمه واحد يتعلق بجميع المعلومات ، وقدرته واحدة تتعلق بجميع ما يصح وجوده ، وارادته واحدة تتعلق بجميع ما يقبل الاختصاص ، وكلامه واحد هو أمر ونهى وخبر واستخبار ووعد ووعيد . وهذه الوجوه راجعة الى اعتبارات في كلامه لا الى نفس الكلام . والالفاظ المنزلة على لسان الملائكة الى الانبياء دلالات على الكلام الازلي ، فالمدلول وهو القرآن المقروء اقديم ازل ، والدلالة وهي العبارات وهي القراءة مخلوقة محدثة »

وترجمة الأشعري في ابن خلكان ٣٢٦ ج ١ ، والمقريزي ٣٥٩ ج ٢ (*)

وهناك طائفة من المتكلمين اغضينا عن ذكرهم ، على ان بعضهم سيأتي ذكره في الابواب الاخرى

(*) ودأب في الأشعري كتاب الملل ص ٦٨ وتاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٦٥ والعقيدة والتريفة في الاسلام ص ٩٩ وشريتر في تاريخ الاشاعرة « أعمال المؤتمر الدولي الثامن للمستشرقين والقسم الاول ص ٧٩ وسبيتا Spitta في بحثه عن الأشعري Zur Geschichte Abu'l Hassan Al-Asch'ari ودائرة المعارف الاسلامية

الحديث

في العصر العباسي الثاني

اصحاب الكتب الستة

في هذا العصر نضج علم الحديث ووضعت فيه الكتب الستة المشهورة ، وهي عمدة المحدثين . وأصحابها ثقة وهاك تراجمهم حسب سنى الوفاة :

١ - البخارى

توفى سنة ٢٥٥ هـ

هو أبو عبد الله محمد بن أبى الحسن اسماعيل البخارى ، ولد في بخارا سنة ١٩٤ هـ وتوفى في بغداد سنة ٢٥٦ هـ ، كان مفرما بطلب الحديث فرحل لسماعه الى كثير من الامصار والمدن ، وشهد له معاصروه بعلم الرواية والدراية . وهو صاحب كتاب «جامع الصحيح» المشهور بصحيح البخارى ، اول الكتب الستة في الحديث وفضلها على المذهب المختار ، وفي شهرته غنى عن وصفه . طبع على الحجر بمصر سنة ١٢٧٩ هـ ، وطبع بالحروف بمصر مرارا . وله شروح كثيرة بعضها مطبوع ، منها شرح العيني طبع بمصر في ١١ مجلدا ، وفي المكتبة الخديوية نسخ كثيرة منه مكتوبة بخطوط مختلفة في أزمنة مختلفة . وللبخارى كتاب خلق افعال العباد مطبوع في دلهي بالهند سنة ١٣٠٦ مع كتاب العلم الذهبى ، وله كتاب الادب خط في كتب الشنقيطى .

وترجمة البخارى في ابن خلكان ٤٥٥ ج ١ ، والفهرست ٢٣٠ (**)

٢ - مسلم القشيري

توفى سنة ٢٦١ هـ

هو الامام أبو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري النيسابوري . توفى سنة ٢٦١ هـ في نيسابور ، وكان من الائمة الحفاظ وأعلام المحدثين . رحل الى الحجاز والشام ومصر لاستماع الحديث ، وألف فيه كتابا سماه «جامع الصحيح» ، منه نسخ عدة خطية في المكتبة الخديوية . وقد طبع في الهند سنة ١٢٦٥ ، وفي مصر في تسعة أجزاء .

وترجمة مسلم في ابن خلكان ٩١ ج ٢ ، والفهرست ٢٣١ (**)

(*) وراجع في البخارى طبقات الشافعية للسيكي ج ٢ ص ٢ وطبقات الحفاظ للنهبي ومقدمة فتح الباري على البخارى لابن حجر وكذلك مقدمة شرح القسطلاني ودائرة المشيخات الاسلامية (***) وانظر في مسلم طبقات الحفاظ للنهبي ومقدمة النورى لشرحه على صحيحه وتهذيب الاسماء ص ٥٤٨ وتهذيب التهذيب ج ١٠ ص ١٢٦ ودائرة المعارف الاسلامية

٣ - ابن ماجه

توفى سنة ٢٧٣ هـ

هو محمد بن يزيد بن ماجه القزوينى المتوفى سنة ٢٧٣ هـ ، كان اماما في الحديث عارفا بعلومه . ارتحل في طلبه الى البصرة والكوفة وبغداد ومكة والشام ومصر ، وألف فيه كتاب «السنن» منه في المكتبة الخديوية عدة نسخ خطية كتبت في أزمنة مختلفة ، وطبع في دلهى على الحجر سنة ١٢٨٢ وبمصر سنة ١٣١٣ ، ويعرف بسنن ابن ماجه وترجمته في ابن خلكان ٤٨٤ ج ١ (*)

٤ - أبو داود

توفى سنة ٢٧٥ هـ

هو أبو داود سليمان بن الاشعث الازدى السجستاني المتوفى في البصرة سنة ٢٧٥ هـ ، وكان أحد حفاظ الحديث . ألف كتابا في الحديث سماه «السنن» وتعرف بسنن الامام أبى داود . طبع في مصر سنة ١٢٨٠ هـ ، وفي لكنا والهند سنة ١٨٨٨ مع فهرس ابجدى ، وفي غيرها . وترجمته في ابن خلكان ٢١٣ ج ١ (**)

٥ - الترمذى

توفى سنة ٢٧٩ هـ

هو الحافظ أبو عيسى محمد بن عيسى الضحاك الترمذى الضرير ، له كتاب «الجامع الصحيح» منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية . وقد طبع بمصر سنة ١٢٩٢ هـ ، وله شروح كثيرة . وترجمة الترمذى في ابن خلكان ٤٨٤ ج ١ (***)

٦ - النسائى

توفى سنة ٣٠٣ هـ

هو أبو عبد الرحمن احمد بن على النسائى . توفى بمكة سنة ٣٠٣ هـ ، وهو صاحب كتاب السنن المعروف باسمه ، طبع بمصر في مجلدين سنة ١٣١٢ وغيرها

(*) وراجع في ابن ماجه دائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ١٦٨ ج ١
 (***) وانظر في أبى داود تهذيب الاسماء ص ٧٠٨ وطبقات الحفاظ « طبعة وستنفلد » ج ٩ رقم ١١٦ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ١٦١ ج ١
 (***) وراجع في الترمذى الانساب ١٠٥ وطبقات الحفاظ للنسبى « طبعة وستنفلد » ج ٢ ص ٥٧ وميزان الاعتدال ج ٣ ص ١١٧ وتهذيب التهذيب لابن حجر ج ٩ ص ٣٨٧ وشيخونات الذهب ج ٢ ص ١٧٤ وتكت الهميان ص ٣٦٤ ومفتاح السعادة لطاشكبرى زاده ج ٢ ص ١١ والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ٨١

وترجمته في ابن خلكان ٢١ ج ١ (*)

وهناك كتب حديث ظهرت نحو ذلك الزمن ، منها سنن الدارمي.
عبد الله بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ، طبع في كنيور الهند
سنة ١٢٩٣

التفسير

التفسير الكبير للطبري

ونضح في هذا العصر أيضا علم التفسير ، فظهر فيه التفسير الكبير
لابي جعفر بن جرير الطبري ، ويسمى جامع البيان في تفسير القرآن جمع
فيه أقوال الصحابة والتابعين . ويمتاز بأن صاحبه يبين فيه ترجيح بعض
الأقوال ، طبع بمصر سنة ١٩٠٤ في ٣١ جزءا ، وهو من أجل التفاسير
وله مكانة خاصة لسبقه سواه . وفيه كثير من الفوائد التاريخية
والادبية واللفوية فضلا عن التفسير . وقد ترجمنا للطبري في باب
التاريخ

(*) وانظر في النسائي طبقات الحفاظ للنسبي ج ٢ ص ٢٦٦ وتهذيب التهذيب لابن حجر
ج ١ ص ٣٦ والانساب للسمعاني ٥٥٩ ودائرة المعارف الاسلامية

العلوم الذخيلة

في العصر العباسي الثاني

أولا : الفلسفة والرياضيات

«قد رأيت ان المشتغلين في نقل العلم بالعصر العباسي الاول ، كان اكثرهم من غير المسلمين . فلما صارت تلك العلوم في العربية ، اشتغل بها المسلمون ونبغ منهم الفلاسفة والاطباء والرياضيون وغيرهم . وأقدم من اشتهر من الفلاسفة المسلمين في هذا العصر واكبرهم واسبقهم يعقوب بن اسحق الكندي يليه الفارابي :

١ - يعقوب الكندي

في اواسط القرن الثالث

هو أبو يوسف يعقوب بن اسحق الكندي ، ويتصل نسبه بملوك كندة . . فهو عربي بحت ، ولذلك سموه فيلسوف العرب . وكان معاصرا للمأمون والمعتصم والواثق والمتوكل ، وله عندهم منزلة سامية . وقد برع في الطب والفلسفة والحساب والمنطق والالجان والهندسة وطبائع الاعداد وعلم النجوم . . نبغ وليس في المسلمين فيلسوف غيره . وحذا في مؤلفاته حذو أرسطو ، وله ترجمات عدة نقلها لنفسه . وكان يعد من حذاق الترجمة ، ولم يذكر بينهم لانه لم يرتزق بالترجمة . وقد ألف الكندي في معظم العلوم الذخيلة كتبا كثيرة ذكرها صاحب الفهرست ، واليك عددها باعتبار العلوم :

عدد الكتب	اسم العلم	عدد الكتب	اسم العلم
٢٢	الطب	٢٢	الفلسفة
٩٧	الجدل	١١	الحساب
١٢	السياسة	١٩	النجوم
١٤	الاحداث	٢٣	الهندسة
١٠	الاحكام	٣٣	الطبيعيات
٥	النفس	٨	الكريات
٨	الابعاد	٩	المنطق
٥	تقدمة المعرفة	٧	الموسيقى
٢٣١	المجموع الكلي	١٦	الفلكيات

ويؤخذ من مراجعة أسماء هذه الكتب ، ان الرجل كان كثير التضلع في العلوم حتى انتقد أصحابها . واكثر هذه الكتب ضاع ولم يبق منها الا : (١) كتاب في الاهيات ارسطو (٢) رسالة في الموسيقى . . وكلاهما موجودان في مكتبة برلين (٣) رسالة في معرفة قوى الادوية المركبة ، في مكتبة منشن ، ولها ترجمة لاتينية مطبوعة (٤) في المد والجزر (٥) علة اللون اللازوردى الذى يرى في الجو في جهة السماء . . وكلاهما في اكسفورد (٦) ذات الشعبتين ، آلة فلكية في ليدن (٧) اختيارات الايام ، في ليدن (٨) مقالة تحاوليل السنين في الاسكوريال (٩) رسالة ملك العرب وكميته ، طبعت في ينبرج سنة ١٨٧٥ وعليها شروح ، وغيرها
وترجمة الكندى في الفهرست ٢٥٥ ، وأخبار الحكماء لابن القفطى ٢٤٠ ، وطبقات الاطباء ٢٠٦ ج ١ (*)

٢ - الفسارابى

توفى سنة ٣٣٩ هـ

ويلى الكندى الفارابى ، واسمه محمد بن طرخان . اصله من فاراب ، لكنه فارسى المنتسب ، نشأ في الشام واشتغل فيها . وكان فيلسوفا متعمقا درس كل مادرسه الكندى من العلوم وفاقه في كثير منها . . وخصوصا في المنطق . وتعمق في الفلسفة والتحليل وأنحاء التعليم وأفاد في وجوه الانتفاع بها . والى كتبها في موضوعات لم يسبقه أحد إليها ، ككتابه في احصاء العلوم الآتى ذكره ، وكتاب « السياسة المدنية » وهو من قبيل الاقتصاد السياسى الذى يزعم أهل التمدن الحديث انه من مخترعاتهم ، وقد كتب فيه الفارابى منذ ألف سنة . ثم كتب فيه غيره كما ستراه مفصلا فيما يلى . وبرع الفارابى خصوصا في فن الموسيقى حتى أصبح لا يضاويه فيه أحد ، واخترع القانون كما سيأتى في باب الموسيقى . وأصلح ما بقى من الترجمات غير مصلح ولخصها . . أو عز إليه بذلك منصور بن نوح السامانى فأجاب ، وسمى كتابه « التعليم الثانى » ولذلك سموه « المعلم الثانى » (١)
ومن مؤلفاته الباقية الى الآن نحو ١٢ كتابا في المنطق متفرقة في مكاتب أوروبا ، بعضها منقول الى اللاتينية أو العبرانية ، أكثرها في الاسكوريال . وبعض الترجمات اللاتينية مطبوع في البندقية وغيرها . وثمانية مؤلفات في السياسة والادب منها :

١ - كتاب مبادئ آراء أهل المدينة الفاضلة ، طبعها ديتريصى في ليدن سنة ١٨٩٥

(*) راجع في الكندى طبقات الامم لصاعد ص ٥٩ والمسعودى ج ٢ ص ٢٤٣ وبحثنا فيه لمصطفى عبد الرازق بمجلة كلية الاداب بجامعة القاهرة سنة ١٩٣٣ وتاريخ الفلسفة في الاسلام لدى بوز ص ١١٤ ومقدمة أحمد فؤاد الهماني . ومحمد عبد الهادى أبى ريدة لمجموعتى الرسائل التى نشرها له وتراث العرب العلى في الرياضيات والفلك لقدرى حافظ طوقان «نشر الجامعة العربية بالقاهرة» ص ١٣٧ ودائرة المعارف الاسلامية (١) كشف الظنون ٤٤٨ ج ١

٢ - كتاب احصاء العلوم والتعريف بأغراضها المتقدم ذكره ، وهو من قبيل موسوعات العلم لانه يشتمل على عدة علوم . منه نسخة خطية في الاسكوريال ، وله ترجمة عبرانية وأخرى لاتينية . وبهذا الكتاب عد الفارابي من مؤسسي الموسوعات العربية ، وسنعود الى ذلك . وكتاب السياسة المدنية نشره الاب شيخو في بيروت سنة ١٩٠٢

وله تسعة كتب في الرياضيات والنجوم والكيمياء والموسيقى ، متفرقة في مكاتب أوروبا والأستانة مع ترجماتها العبرانية أو اللاتينية . وتسعة كتب أخرى في موضوعات مختلفة . ومثلها على ارسطو في أبحاث مفيدة . وقد وصف هذه البقايا وذكر أماكن وجودها بروكلمن في كتابه (١) فليراجعها من شاء وترجمته في ابن خلكان ٧٦ ج ٢ ، وطبقات الأطباء ١٣٤ ج ٢ ، وأخبار الحكماء ١٨٢ (*)

٣ - ابن أبي الربيع وسلوك المالك

وأطلعنا على كتاب في السياسة اسمه سلوك المالك في تدبير الممالك تأليف « شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي الربيع » . وقد جاء في أوله انه ألف للخليفة المعتصم بالله العباسي (المتوفى سنة ٢٢٧) ، فاذا صح ذلك كان مؤلف هذا الكتاب أقدم من الكندي والفارابي . ولكن موضوع الكتاب وأسلوبه يدلان على انه وضع بعد ذلك التاريخ ، لانه مرتب على شكل المشجر في أسلوب يدل على وضوح الافكار في ذهن مؤلفه . . مما لا يتأتى الا بعد نضج العلم نضجاً تاماً . وزد على ذلك ان اسم شهاب الدين من الاسماء التي لم تكن معروفة في زمن المعتصم ، وانما هو مما طرأ على الاسلام بعد رسوخ الأتراك في الدولة . وفي كتاب الفهرست مئات من أسماء المؤلفين ، ليس فيهم واحد اسمه شهاب الدين . والفهرست كتب سنة ٣٧٧ ، أي بعد وفاة المعتصم بقرن ونصف قرن . وهذا تاريخ ابن الأثير لم يرد فيه اسم شهاب الدين قبل انقضاء القرن الخامس للهجرة . فلا يعقل أن ينفرد رجل بهذا الاسم في أول القرن الثالث ، ولكل عصر أسماء والقاب تابعة لأحوال اجتماعية خاصة به . ولعل الخطأ وقع في تحريف اسم الخليفة الذي وضع الكتاب له فكان « المستعصم » توفي سنة ٦٥٦ هـ ، فقريء « المعتصم » وكثيراً ما يتفق ذلك في قراءة الخطوط . ثم ان الفهرست لم يذكر هذا الكتاب ولا مؤلفه ، وانما ذكره كشف الظنون بدون اسم المؤلف

أما الكتاب فانه جزيل الفائدة يبحث في السياسة والاجتماع والفلسفة

(١) Gesch des Ar. Lit 1, 211

(*) وراجع في الفارابي طبقات الامم لصاعد ص ٦١ ومقدمة ديتريسي Dieterici لرسائل الفارابي « طبع لينن سنة ١٨٩٠ م » وبحثاً لمصطفى عبد الرازق في الجزء السابع من مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق المجلد الثاني عشر ، وتاريخ الفلسفة في الاسلام ص ١٢٧ والفارابي لعباس محمود . ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبحثاً لإبراهيم مذكور بعنوان :

La Place d'Al Farabi dans l'école Philosophique Musulmane

طبع باريس سنة ١٩٣٤

والطبيعيات والرياضيات والموسيقى . وهو مقسم الى أربعة فصول : (١) مقدمة الكتاب (٢) أحكام الاخلاق وأقسامها (٣) اصناف السيرة العقلية وانتظامها (٤) أقسام السياسات وأحكامها . وكل من هذه الفصول مقسم الى أبواب ، ترتبت فيها الافكار أو الاحكام بشكل جداول أو مشجرات بفاية الدقة . وقد طبع هذا الكتاب في القاهرة سنة ١٢٨٦ على الحجر في ١٥٢ صفحة كبيرة ليتمكن تصوير تلك المشجرات

ثانيا : الطب والاطباء

ونبغ في هذا العصر أيضا طائفة من الاطباء المسلمين وغيرهم ، هلك أشهرهم حسب سنن الوفاة :

١ - ابن ماسويه

توفي سنة ٢٤٣ هـ

هو أبو زكريا يوحنا بن ماسويه ، كان أبوه صيدليا في مارستان جنديسابور ، وتثقف في بغداد على جبرائيل بن بختيشوع ، وترقى في زمن المأمون والواثق . وله مترجمات حسنة ومؤلفات لم يبق منها الا : (١) كتاب نوادر الطب في ليدن والاسكوريال وغوطا ، وله ترجمة لاتينية وشروح (٢) جواهر الطب (٣) كتاب ماء الشعير في مكتبة جزائر الغرب (٤) الادوية السهلة في اكسفورد وغيرها وترجمة ابن ماسويه في أخبار الحكماء ٢٤٨ ، والفهرست ٢٩٥ ، وطبقات الاطباء ١٧٥ ج ١ (*)

٢ - ابن سهل

هو سابور بن سهل صاحب مارستان جنديسابور توفي سنة ٢٥٥ هـ ، وله كتاب الاقرباذين الكبير ، كان معول الصيادلة في أثناء التمدن الإسلامي ، منه نسخة خطية في منشئ وترجمته في طبقات الاطباء ١٦١ ج ١ ، وتراجم الحكماء ١٤١

٣ - الرازي

توفي سنة ٣٢٠ هـ

هو أشهر من نبغ من الاطباء في هذا العصر على الاطلاق ، واسمه أبو بكر محمد بن زكريا الرازي ويسميه الافرنج Razès ، وكان في صفه يضرب على العود . وتلقى العلم على كبر ، وأقبح واشتهر حتى تولى رئاسة أطباء

(*) وانظر في ابن ماسويه دائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبروكلمن ٢٣٢ ج ١

مارستان بغداد . وظهرت مواهبه بما كان يعقده من مجالس العلم أو يؤلفه من الكتب ، وجمع في مؤلفاته كل ما كان معروفا من العلوم الطبية في عصره . ومن أمثالهم « ان الطب كان معدوما فأحياه جالينوس ، وكان متفرقا فجمعه الرازي ، وكان ناقصا فكملة ابن سينا »

وكان الرازي يجلس في مجلسه ، ودونه التلاميذ ، دونهم تلاميذهم ، ودونهم تلاميذ آخرون . فكان يجيء الرجل فيصف ما يجد لأول من يلقاه ، فان كان عندهم علم ، والا تعدهم الى غيرهم فان أصابوا ، والا تكلم الرازي . وكان كبير الرأس جليل الطلعة يتهبب الناس مجلسه ، لولا رطوبة كانت في عينيه . وكان كريما متفضلا رؤوفا بالمرضى دقيق الملاحظة صحيح النظر ، ويروون عن ذكائه واصابته نوادر كثيرة لا محل لها هنا ،

وكان أكثر مقام الرازي في الري وغيرها من بلاد العجم ، وخدم بصناعته الاكابر من ملوكها وأمرائها ، وصنف بعض كتبه لهم ككتاب المنصوري . . ألفه للأمير منصور من آل سامان ، وكتاب الملوكي لعلى ابن صاحب طبرستان ، وسنعود اليها

وكان الرازي مولعا بالعلوم الحكمية وله فيها مصنفات نفيسة ، وخصوصا في علم الكيمياء وما يتعلق بها ، وله اكتشافات كيمائية أهمها زيت الزاج (حامض الكبريتيك) والكحول ، استحضر الاول باستقطار كبريتات الحديد - واسمها في العربية الزاج الاخضر - فلما استقطرها خرج منها سائل سماه زيت الزاج . ولا تزال طريقة الرازي من طرق استحضار هذا الحامض الى اليوم . أما الكحول فاستحضره باستقطار مواد نشوية وسكرية مختمرة . ولف الرازي في الكيمياء كتبا كثيرة . ولم يكن يعتقد ما يعتقد اهل زمانه من امكان تحويل المعادن الى ذهب ، وانما كان يؤلف في هذا الفن على اعتقاد أهله التماسا للمال . . لكن ذلك الحق به الاذى ، لان منصور الساماني المذكور طالبه باستخراج الذهب على الصفة التي ذكرها في كتابه فلم يستطع ، ففضب عليه وأمر أن يضرب بالكتاب على رأسه حتى يتقطع ، ثم جهزه وسيره الى بغداد . فكان ذلك الضرب سببا في نزول الماء على عينيه . وجاءه قدام يقدهما وهي عملية الكتركتا الآن، فسأله الرازي : «كم طبقة للعين؟» فقال : « لا أعلم » فقال : « لا يقده عيني من لا يعلم ذلك » ثم قال : « قد نظرت الدنيا حتى مللت منها فلا حاجة بي الى عينين »

توفي سنة ٣٢٠ وقيل ٣١٠ وقيل ٣٦٤ هـ

وخلف الرازي أكثر من مائتي مؤلف لايزال باقيا منها الى الآن بضعة وعشرون مؤلفا يطول بنا وصفها ، وانما نذكر أهمها وهي :

١ - كتاب الحاوي : وهو أجل كتبه وأعظمها في صناعة الطب جمع فيه ما وجده متفرقا من ذكر الامراض ومداواتها في كتب الطب للمتقدمين ومن أتى بعدهم الى زمانه ونسب كل قول الى قائله . ومن هذا الكتاب نسخة خطية في المتحف البريطاني ، وأخرى في مكتبة مونيخ وفي مكاتب

- اكسفورد والاسكوريال . وقد نقله الى اللاتينية فراغوت ، وطبع مرتين ، وقد اختصره غير واحد
- ٢ - كتاب الطب المنصوري : وقد ذكرنا سبب تأليفه ، ومنه نسخة في المكتبة الاهلية بباريس وفي مكاتب اكسفورد ودرسدن واسكوريال . وغيرها . وقد نقله الى اللغة اللاتينية الكريمنى وطبع فيها
- ٣ - كتاب الجدرى والحصبة : وهو أول من وصف هذين الداءين حق الوصف ، وقد ترجم هذا الكتاب الى اللاتينية وغيرها ونشر فيها
- ٤ - كتاب الفصول في الطب : ويقال له المرشد ، نقل الى العبرانية ، ويوجد في ليدن . ونقل الى اللاتينية وطبع فيها وقد وصفه المشرق صفحة ٥٤٢ سنة ٤
- ٥ - كتاب الكافي : ترجم الى العبرانية ، وهو موجود في مكتبة اكسفورد .
- ٦ - كتاب برء الساعة : يوجد في برلين وغيرها ، ونشره الدكتور كيك في مجلة المشرق صفحة ٣٩٥ سنة ٦
- ٧ - كتاب الطب الملوكى (*) : يوجد خطأ في مكتبة ليدن
- وقد ترجمنا للرازي ووصفنا كتبه الباقية في الهلال ٣٩٧ سنة ١٨ ، وتجد ترجمته أيضا في ابن خلكان ٧٨ ج ٢ ، وطبقات الاطباء ٣٠٩ ج ١ ، والفهرست ٢٩٩ ، وأخبار الحكماء لابن الفطى ١٧٨ (**)

ثالثا: الزراعة

ومن العلوم التي نضجت في هذا العصر وبقيت كتبها الى اليوم واستفاد منها أهل الاجيال المتأخرة ، علم الزراعة أو الفلاحة . وهو في الاصل منقول عن الكلدانية ، نقله احمد بن علي بن قيس الكلداني المعروف بابن وحشية سنة ٢٩١ هـ في كتاب سماه « الفلاحة النبطية » أملاه سنة ٣١٨ هـ على علي بن محمد بن الزيات ، وجعله في خمسة أجزاء منها نسخ خطية في برلين وليدن واكسفورد والمتحف البريطاني وباريس والجزائر ودار الكتب المصرية ، ومنه مختصر الفلاحة للزيتوني ، طبع في بطرسبورج سنة ١٨٥٩ ، وله كتب في النجامة منها نسخ في مكاتب أوروبا لا فائدة من ذكرها

ولقسطا بن لوقا الطبيب النصراني البعلبكي المتوفى سنة ٣١١ هـ كتاب الفلاحة اليونانية نقله عن السريانية وقد طبع في مصر سنة ١٢٩٣

(*) نشر كراوس هذا الكتاب مع مجموعة رسائل للرازي « طبع جامعة القاهرة ١٩٣٩ »

(**) وراجع في الرازي طبقات الامم لصاعد وزاد المسافرين لناصر خسرو « طبع برلين » في مواضع متفرقة وخاصة ص ٢٣١ ورسالة للبيروني نشرها كراوس في باريس، وفيها فهرسته كنيه ، ومقالة رانكنج Ranking عن حياته ومؤلفاته ، القاهما في المؤتمر الدولي الطبى السابع عشر المنعقد في لندن سنة ١٩١٣ ونشرت أبحاث هذا المؤتمر في سنة ١٩١٤ وتاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٨٩ وتراث العرب العلمى في الرياضيات والفلك لقدرى طوقان ص ١٨٧ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

العصر العباسي الثالث

أو المائة الثالثة من الدولة العباسية

من سنة ٣٣٤ هـ إلى سنة ٤٤٧ هـ

يبدأ هذا العصر باستقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤ هـ وينتهي بدخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧ هـ ، وقد قلنا في كلامنا عن العصر العباسي الأول انه عصر الاسلام الذهبي . . ونعني انه عصرها الذهبي من حيث منعة الدولة واتساع السلطان ، وفيه نقلت العلوم القديمة الى العربية . وأما عصر الاسلام الذهبي للعلم خاصة ، فهو العصر الذي نحن بصده أو المائة الثالثة للدولة العباسية ، لانه فيه نضجت العلوم على اختلاف موضوعاتها ، وتم نموها وظهرت الكتب الوافية في أكثرها . ولا سيما في اللغة وعلومها ، وفي التاريخ والجغرافية والادب والفلسفة . ولذلك أسباب اجتماعية طبيعية سيأتي بيانها . ونقدم الكلام في مدائن العلم الاسلامية

تنقل العلم في المدائن الاسلامية

رايت فيما تقدم ان العلوم الاسلامية نشأ معظمها في البصرة والكوفة ، ثم تحولت الى بغداد بعد أستبحار عمرانها في العصر العباسي الثاني . . فأصبحت بغداد في ذلك العصر كعبة العلم يحج اليها العلماء ، كما كانت رومية في ابان التمدن الروماني . حتى اذا تولى المعتصم واستكثر من الاتراك وظهرت منهم الاساءة لاهل بغداد ، نفر الناس وتباعدت القلوب . ولكن المعتصم كان على مذهب أخيه المأمون في الاعتزال واکرام الشيعة ، فظلت بغداد على نحو ما كانت عليه في أيام المأمون . وكان الواثق يتشبه بالمأمون في حركاته وسكناته . وكان يعقد المجالس مثله للمباحثة بين الفقهاء والمتكلمين في أنواع العلوم العقلية والسمعية في جميع الفروع فلما توفي الواثق سنة ٢٣٣ هـ ، خلفه أخوه جعفر المتوكل ، وكان شديد الانحراف عن الشيعة والمعتزلة حتى أمر بهدم قبر الحسين بن علي وما حوله من المنازل ومنع الناس من اتيانه . وكان كثير الاستهزاء بعلي ، يجالس من اشتهر ببغضه . وخالف ماكان عليه المأمون والمعتصم والواثق من الاعتقاد . فأبطل القول بخلق القرآن ونهى عن الجدل والمنظرة في الآراء وعاقب عليه . وأمر بالرجوع الى التقليد ونصر السنة والجماعة ، وأمر الشيوخ والمحدثين بالتحديث . فانحط علم الكلام بعد أن بلغ أوجه في أيام الرشيد وخلفائه ، فأخذ في التقهقر في أيام المتوكل لانه كان شديد

الوطأة على أصحاب الزاى وأصحاب الفلسفة وسائر العلوم الدخيلة. وأخذ منذ تولى الخلافة في مناواتهم ، فأهلك جماعة من العلماء وحط مراتبهم وعادى العلم وأهله (*) . ولأقلى أهل الذمة منه الشدايد بتفسير زبهم وتدليلهم وأهانتهم . ومن أشهر حوادث تقمته على خدمة العلم ، أنه غضب على بختيشوع الطبيب وقبض ماله ونفاه الى البحرين ، وقتل ابن السكيت النحوى كما تقدم . وسخط على عمر بن مصرح الراجحى ، وكان من عليه الكتاب ، وأخذ منه مالا وجواهر وأمر أن يصفع في كل يوم

ومات المتوكل مقتولا سنة ٢٤٧ هـ ، قتله رجاله فاضطربت احوال الخلافة واستفحل شأن الإتراك . فنفرت قلوب طلبة العلم وأكثرهم من الفرس والعرب ، ففرقوا من بغداد رويدا رويدا الى أنحاء المملكة الاسلامية شرقا وغربا . ولذلك كان أكثر من ظهر من العلماء - بعد نضج العلم في القرن الرابع للهجرة فما بعد - نبغوا خارج بغداد وفيهم الاطباء والفلاسفة والمنجمون والمهندسون والمتكلمون وأصحاب المنطق والفقهاء واللغويون والمحدثون والمؤرخون وغيرهم

فكان مركز الطب والطبيعيات والفلسفة عند ظهور الاسلام في الاسكندرية ، ثم انتقل في أيام عمر بن عبد العزيز في آخر القرن الاول للهجرة الى انطاكية ، والعلوم الاسلامية انتقلت من البصرة والكوفة الى بغداد . وانضمت اليها العلوم الدخيلة ، فأصبحت بغداد أم المدائن في العلم والادب والفلسفة والطب وسائر العلوم العقلية والنقلية . فلما اضطربت احوال الخلافة في أيام المتوكل ، ثم نشأت الدول الجديدة في أنحاء المملكة الاسلامية بالتفرع والتشعب على مقتضى ناموس الارتقاء ، تفرق العلماء وأصبح للعلم مراكز كثيرة يفضل بعضها بعضا . وتدرج الانتقال من بغداد شرقا الى العراق العجمى فخراسان فما وراء النهر ، وغربا الى الشام ومصر فالغرب فالاندلس

فاقبل العصر العباسى الثالث ، وقد نبغ المفكرون والمشتغلون في العلم والادب من الشعراء والادباء والمنشئين والمؤرخين والجغرافيين واللغويين والفلاسفة في مدائن كثيرة من المملكة الاسلامية ، من أقصى تركستان في الشرق الى أقصى الاندلس في الغرب . ويدخل في ذلك ما وراء النهر وافغانستان وطبرستان وخوارزم وفارس وما بين النهرين والمغرب والاندلس ومصر والشام وغيرها

وزاد انتساب العلماء الى مواطنهم ، فكثرت أسماء البخارى والنيسابورى والرازى والبغدادى والاندلسى . . بعد أن كان أكثر انتسابهم الى أصولهم كالحميرى والمازنى والقرشى والفراسى ونحوها ، أو الى صنائعهم كالنجاس والزجاج

(*) يبالح المؤلف في الحملة على المتوكل ، وهو لم يكن يعادى العلم وأهله ، ولكنه تولى ، بعد محنة خلق القرآن المشهورة التى امتحن بها المأمون العتماء وأكزبه فيها المعتزلة ، قرأى أن يقصف هذه الفتنة

اسباب النهضة في هذا العصر

حدثت في العصر العباسي الاول نهضة علمية ، أعقبها في العصر العباسي الثاني فتور على اثر الجحان السياسي الذي أخذ من نفوس رجال الدولة حتى اشتغلوا بأنفسهم عن تنشيط العلم . . فكانت المائة الثانية من الدولة العباسية فترة تم فيها تكون غرس العلم ، فأقبلت المائة الثالثة وقد ظهرت ثماره ناضجة وهي النهضة الثانية في الدولة العباسية . والعامل الرئيسي في هذه النهضة ، ناموس النشوء الطبيعي ونصرة رجال الدولة

ناموس النشوء والارتقاء

يقضى ناموس النشوء والارتقاء على الاحياء وما يتعلق بهم بالنمو والتفرع في آجال معينة . . فالعلوم الاسلامية ولد أكثرها في البصرة والكوفة ونمت في بغداد . فلما تم نموها وأدركت رشدها ، كانت الدولة قد بلغت دور التفرع فظهرت ثمار ذلك النمو في فروع تلك الدولة أو من تغلب عليها من الدول الخارجية . وتعددت الدول التي اقتسمت السلطة على المملكة العباسية مع بقاء الخلفاء العباسيين في العراق . وقد فصلنا ذلك في الجزء الرابع من تاريخ التمدن الاسلامي . فنكتفي هنا بالدول التي تعاونت على النهضة العلمية في ذلك العصر وهي :

اسم الدولة	مقرها	مدة حكمها	جنس مؤسسها
الروانية	الاندلس	من سنة ١٢٨ - ٤٢٢	عربي
السامانية	وزاء النهر	من سنة ٢٦١ - ٣٨٩	فارسي
الزيارية	جرجان	من سنة ٣١٦ - ٤٣٤	فارسي
الحمديانية	بين النهرين وحلب	من سنة ٣١٧ - ٣٩٤	عربي
البرهية	العراق وفارس وغيرهما	من سنة ٣٢٠ - ٤٤٧	فارسي
الغزنوية	افغانستان والهند	من سنة ٣٥١ - ٥٨٢	تركي
الفاطمية	مصر	من سنة ٣٥٧ - ٥٦٧	عربي

رغبة الامراء في العلم

فهذه الدول تعاصرت في العصر العباسي الثالث ، وكان لها تأثير عظيم في احياء العلوم بمن نبغ بين ملوكها أو أمرائها أو وزراءها من محبي العلم الآخذين بناصر العلماء - والناس على دين ملوكهم - وإذا أراد الله بالناس خيرا ، جعل العلم في ملوكهم وأمرائهم والملك في علمائهم ، لان العلم لا يورق ولا يثمر الا في ظل ملك أو أمير يتعهده ويأخذ بأيدي أصحابه

لذلك زها الادب في زمن عبد الملك بالعصر الاموي ، وفي زمن الرشيد والمامون في العصر العباسي الاول . ولمثل هذا السبب ظهرت ثماره ناضجة في العصر الذي نحن بصددده . وهو في هذا العصر أكثر ثمرا وأصح انتاجا

لان العاملين على تعهده تكاثروا . وبعد ان كان نصيره الخليفة او وزيره او بعض عماله في بلد واحد ، أصبح نصرأؤه في هذا العصر عدة ملوك وأمراء ووزراء في أشهر مدن العالم الاسلامى . وقد تعاونت على استثماره قرائح العرب والفرس والترك والروم وغيرهم ممن تعرب أو انخرط في الاسلام من أمم الشرق والغرب . وأخذ الناس يتسابقون في خدمة العلم ، كما يتسابق ملوكهم في نصره العلماء . وهاك أشهر أنصار العلم في ذلك العصر من الملوك أو الامراء أو الوزراء في الدول التى تقدم ذكرها :

١ - الدولة البويهية في العراق وفارس

رجال هذه الدولة وانصارها الديلم من الجيلان وراء خراسان . ولكن ملوكها آل بويه من الفرس ، ويرتفع نسبهم الى ملوك الفرس القدماء . . وانما نسبوا الى الديلم لانهم سكنوا بلاد الديلم وهم من الشيعة العلوية . وكان العلويون يسعون في نشر دعوتهم هناك منذ أيام الرشيد ، وآخر من نجح في ذلك الحسن بن على الاطروش من نسل الحسين . فدعا الديلم الى مذهبه في أواخر القرن الثالث فأجابوه

وجد آل بويه الاقرب الذى أسس هذه الدولة اسمه بويه ولقبه أبو شجاع ، كان له ثلاثة أولاد ، هم : على ويلقب بعماد الدولة ، وحسن ويلقب بركن الدولة ، وأحمد ويلقب بمعز الدولة . وكان بويه رقيق الحال ، فانتظم أولاده في الجندية لانها كانت يومئذ بابا من ابواب الرزق الواسعة . وكان عماد الدولة في خدمة مرداويج مؤسس الدولة الزيارية فارتقى عنده حتى ولاه الكرج ثم اتسعت أحواله ، فكتب الى الخليفة العباسى - وهو يومئذ الرضى بالله المتوفى سنة ٣٢٩ هـ - ان يوليه على أعمال فارس بمال يحمله الى دار الخلافة على جارى عادتهم مع الدولة العباسية في ذلك العهد . فأجابه الرضى وبعث اليه بالخلة . وأخوه حسن ركن الدولة تملك خوارزم . وجاء الاخوان واتحدا مع أخيهما الثالث معز الدولة في شيراز ، وساروا غربا حتى اتوا بغداد في أيام المستكفى سنة ٣٣٤ هـ فرحب بهم وخلع عليهم ولقبهم باللقاب المذكورة . وجعل معز الدولة أمير الامراء ، فاستبدوا في المملكة ، واستولوا على الخلافة ، وعزلوا الخلفاء ولوهم . . فرفعوا منار الشيعة وأحيوا معالم التشيع وأضعفوا نفوذ الاتراك والخلافة العباسية لا تزال في بغداد . ولما أفضت امارة الامراء الى عضد الدولة لقب بالملك ، وهو أول من خوطب بهذا اللقب فى الاسلام وامتدت سلطة البويهيين على العراق وفارس وخراسان الى سنة ٤٤٧ هـ ، وكانوا يحبون العلم والادب ولا يستوزرون أو يستكتبون الا العلماء والشعراء والكتاب . . فكان أشهر أدباء ذلك العصر من وزراءهم أو عمالهم أو قضاتهم أو كتابهم ، كابن العميد ، والصاحب بن عباد ، وسابور بن اردشير والمهلبى . . فضلا عن الادباء من العمال والقضاة وكتاب الدولة

على ان ملوك آل بويه أنفسهم اشتهر منهم غير واحد في الادب والشعر ، أشهرهم في ذلك عضد الدولة المتوفى سنة ٣٧٢ هـ . كان أوسعهم سلطانا ،

وأقواهم سطوة ، وكان مشاركا في عدة فنون من الادب . . فقرب اليه العلماء والكتاب وأحسن وفادتهم واستحثهم على الاشتغال بالعلم وتأليف الكتب ، فألف له أبو اسحق الصابي كتابا في أخبار آل بويه سماه التاجي ، وألف له أبو علي الفارسي كتاب الايضاح والتكملة في النحو . وقصده فحول الشعراء في عصره كالمثنبي والسلامي وغيرهما ، وكان مجلسه لا يخلو من الادباء والعلماء يباسطهم ويباحثهم . ومن شففه بالشعر تمنى أن يكون المصلوب بدل ابن بقية الوزير ، لتقال فيه قصيدة منحمد بن عمران الانباري التي مطلعها :

عثو في الحياة وفي الممات لعمرك تلك إحدى المعجزات (١)

وكان هو نفسه ينظم الشعر الحسن ، وقد ذكر صاحب يتيمة الدهر ج ٢ أمثلة من نظمه . ومن نكاته الادبية أن أفتسكين التركي صاحب دمشق كتب اليه : « ان الشام قد صفا وصار في يدي وزال عنه حكم صاحب مصر ، وان قويتني بالاموال والعدد حاربت القوم في مستقرهم ، فكتب عضد الدولة جوابه كلمات متشابهة في الخط لا تقرا الا بعد الشكل والنقط والضبط ، وهي : « غرك عزك فصار قصار ذلك ذلك ، فاخش فاحش فملك ، فملك بهذا تهذا » والبيمارستان في بغداد ينسب اليه

وكان عز الدولة أبو منصور بختيار بن معز الدولة شاعرا (٣٥٦ - ٣٦٧ هـ) . وكذلك تاج الدولة ، وهو آدب آل بويه وأشعرهم وأكرمهم . وكان يلي الاهواز ، فأدركتسه حرفة الادب فأدت الي تكتبته . وكذلك أبو العباس خسرو بن فيروز بن ركن الدولة . وتجد أمثلة من اشعارهم في الجزء الثاني من يتيمة الدهر للثعالبي مؤرخ ادباء ذلك العصر .

على ان تأثيرهم في هذه النهضة يتوقف في الاكثر على اخذهم بناصر الادباء والعلماء ، وكانوا شديدي الرغبة في ذلك . . فركن الدولة بن بويه في الري وهمدان وأصبهان (سنة ٣٢٠ - ٣٦٦) استوزر ابن العميد الكاتب العالم المشهور . وكان ابن العميد مقصدا للشعراء والادباء وأهل العلم كما ستري ، وبهاء الدولة بن عضد الدولة في العراق والاهواز (سنة ٣٧٩ - ٤٠٣) استوزر سابور بن اردشير ، فأنشأ هذا الوزير في كرخ بغداد خزانة كتب وقفها على افادة الناس . قال ياقوت : « لم يكن في الدنيا أحسن كتب منها ، كانت كلها بخطوط الائمة المعتبرة وأصولهم المحررة » وكان سابور أيضا شاعرا

ومعز الدولة بن بويه (سنة ٣٢٠ - ٣٥٦) استوزر الحسن المهلب المتوفى سنة ٣٥٢ ، وكان المهلب شاعرا أدبيا وهو صاحب الابيات المشهورة التي أولها :

ألا موت يباع فأشتره فهذا العيش ما لا خير فيه

قاله وهو في أشد الضيق قبل الوزارة . .

ابن وشمكير (سنة ٣٦٦ - ٤٠٣) وكان شاعرا اديبا كاتباً من ابلغ كتاب العربية ، وله معرفة بالفلسفة والنجوم والنجامة . وقد ألف في العربية رسالة في الاسطرلاب أطنب أبو اسحق الصابى في مدحها . ومن شعره الابيات المشهورة التى مطلعها :

قل للذى بصروف الدهر عيّرنا هل حاربَ الدهرَ إلامن له خَطَرَ
أما ترى البحر تملو فوقه جيّفٌ وتستقر بأقصى قعره الدشّرُ
وفى السماء نجومٌ ما لها عَدَدٌ وليس يكتسفُ إلا الشمس والقمر
وذكر له صاحب يتيمة الدهر أمثلة من الانشاء البليغ ، وكان يرأسل
الصاحب بن عباد . ووزيره أبو العباس الفانمى يرأسل أبا نصر العتبى
مؤرخ السلطان محمود الغزنوى

٤ - الدولة الغزنوية بأفغانستان والهند

مقرها غزنة وملوكها من الاتراك أولهم البتجين تولى سنة ٣٥١ هـ ، لكن أشهرهم وأعظمهم السلطان محمود (سنة ٣٨٨ - ٤٢١) صاحب الفتوح العظيمة فى الهند وناشر الاسلام فيها ، وكان يلقب بيمين الدولة . فتح بخارا وخلف الدولة السامانية فيها سنة ٣٩٨ هـ وغلب على الزياريين وغيرهم . وامتد سلطانه على أفغانستان وتركستان وخراسان وطبرستان وسجستان وكشمير وشمالى الهند . وورث ما كان هنالك من أسباب الادب والعلم . وأصبح مجلسه أهلا بالشعراء كما كانت العادة عند ملوك ذلك العصر . فاقترح عليهم اتمام الشاهنامه التى بدأ بنظمها الدقيقى كما تقدم ، فاتمها الفردوسى وقد نظم معظمها . . ولذلك فهى تنسب اليه

وكان محمود لا يسمع بعالم أو شاعر الا استفدته اليه ، فعلم ان فى مجلس مأمون بن مأمون أمير خوارزم جماعة من رجال العلم والفلاسة . . فى جملتهم ابن سينا الطبيب ، والبيرونى الرياضى المؤرخ ، وأبو سهل المسيحى الفيلسوف ، وأبو الحسن الخمار الطبيب ، وأبو نصر العراقى الرياضى وغيرهم . فتاقت نفسه الى احرازهم فى مجلسه ، فكتب الى مأمون كتابا أرسله مع بعض خاصته : « علمت ان فى مجلسك جماعة من العلماء المبرزين مثل فلان وفلان ، فأرسلهم الى ليتشرفوا بمجلسى ونستفيد من علمهم » . فلم يكن للأمير أن يرد الطلب ، لكنه كان حريصا على أولئك الاعلام . . فجمعهم وتلا عليهم الكتاب واعتذر بأنه لا يقوى على رد طلبه . فقبل البيرونى والخمار والعراقى الذهاب طمعا فى سخاء السلطان ، وفر ابن سينا والمسيحى فى حديث طويل لا محل له هنا (١) وانما أردنا بيان رغبة السلطان محمود فى تقريب العلماء . . وان لم تكن رغبته لمجرد حب العلم ، فان التقريب لاهل العلم والادب واکرامهم كان فى نظر أهل ذلك العصر من أسباب الابهة وأدلة الحضارة

٥ - الدولة الحمدانية في حلب والموصل

هى دولة عربية من قبيلة تغلب بجوار الموصل ، جدها حمدان . . كان له شأن كبير في أخبار تلك الديار . واستولى ابنه محمد بن حمدان على ماردين ، فأخرجه منها الخليفة المعتضد . وتولى أخوه أبو الهيجاء بن حمدان أميرا على الموصل وما يليها سنة ٢٩٢ هـ واشتد ساعده . وزادت قوة الحمدانيين في ذلك الحين ، وصاروا دولة ، حكم منها أربعة أمراء في الموصل وخمسة في حلب ، حتى خرجت الموصل منهم الى البويهيين سنة ٣٨٠ ، واستولى الفاطميون على حلب سنة ٣٩٤

أشهرهم في نصرة العلم والادب سيف الدولة أبو الحسن على صاحب حلب (من سنة ٣٣٣ - ٣٥٦) ممدوح المتنبي . وكان سيف الدولة أديبا شاعرا نقادا للشعر يحب جيده ويطرب لسماعه . وفي شعره صبغة التشبيهات المترفة كقوله (*) :

وساقٍ صبيحٍ للصَّبوحِ دعوته فقام وفي أجفانه سِنَّةُ الغمضِ
يطوف بكاساتِ العتقار كأنجمٍ فمن بين منقضٍ علينا ومنقضٍ
وقد نشرتْ أيدى الجنوبِ مطارفا على الجودِ كتنا والحواشي على الأرضِ
يطرِّزها قوسُ السحابِ بأصفرٍ على أحمرٍ في أخضرٍ إثرَ مَبْيُضٍ
كأذيالِ خَوْدٍ أقلتْ في غلائلٍ مصبغةٍ والبعضُ أقصرُ من بَعْضِ

وفي بيتمة الدهر طائفة حسنة من شعره وأخباره (٨ ج ١) . وكان يقرب الشعراء وأهل الادب حتى قيل انه لم يجتمع بباب أحد من الملوك بعد الخلفاء ما اجتمع ببابه من شيوخ الشعر . وكان يجالسن الشعراء وينتقد أشعارهم نقدا يدل على شاعرية وعلم ، ويبدل لهم الجوائز السنوية . وأخباره مع المتنبي مشهورة ، وكذلك مع السرى الرفاء والنامى والبفاء والوأاء وتلك الطبقة واشتهر من آل حمدان غير واحد من الشعراء ، أشهرهم أبو فراس الحمدانى المشهور ، وسيأتى ذكره . . ومنهم أبو زهير وأبو وائل وغيرهما ، كما اشتهر منصور وأحمد ابنا كيفلغ من أمراء الشام

٦ - الدولة الروانية بالاندلس

وكانت الاندلس في هذا العصر في ابان مجدها في ظل عبد الرحمن الناصر (سنة ٣٠٠ - ٣٥٠) وابنه الحكم (٣٥٠ - ٣٦٦) وهما أشهر من أن نبيين جبهما العلم والعلماء . وفي كتاب نفع الطيب للمقرئ عشرات من الشعراء كانوا يحضرون مجالسهما فضلا عن علماء الفقه والادب وكان الحكم بن الناصر مولعا باقتناء الكتب ، فجمع منها ما لم يجمعه

(*) الصحيح ان هذه الابيات من شعر ابن الرومى ، وهى فى ديوانه

أحد من الملوك قبله . وأنشأ في قرطبة مكتبة جمع إليها الكتب من أنحاء العالم . . كان يبعث في شرائها رجالا من التجار ومعهم الاموال ، ويحرصهم على البذل في سبيلها لينافس بنى العباس في اقتناء الكتب وتقريب الكتاب . وكان أبو الفرج الاصفهاني صاحب الاغانى معاصرا له وهو أموى مثله ، فبذل له الف دينار ذهباً على أن يرسل اليه كتاب الاغانى قبل اخراجه الى بنى العباس . وفعل نحو ذلك مع القاضى أبى بكر الابهرى المالكى في شرحه لمختصر ابن عبد الحكم وغيره . فاجتمع له من الكتب ما لم يسبق له مثيل في الاسلام ، فجعلوها في قاعات خاصة من قصر قرطبة وأقاموا عليها خازنا ومشرفا ووضعوا لها الفهارس لكل موضوع على حدة . وذكروا ان فهارس الدواوين وحدها كانت ٤٤ فهرسا ، في كل فهرس عشرون ورقة (١) ولا نظننا نبالغ اذا سلمنا مع ابن خلدون والمقرئ بأن مجموع ما حوته تلك المكتبة ٤٠٠٠٠٠ مجلد ، ونبغ غير واحد من الروائية في الشعر

ونبغ من ملوك الطوائف بعدهم جماعة أحبوا الادب ونصروا أهله ، منهم اسماعيل بن ذى النون المتوفى سنة ٤٣٥ هـ ، وكان عالما بالادب

٧ - الدولة الفاطمية بمصر

استولى الفاطميون على مصر سنة ٣٥٧ هـ في اواسط العصر الذى نحن بصدده ، ونبغ منهم خليفتان نشطا العلم وأهله ، هما : العزيز بالله (سنة ٣٦٥ - ٣٨٦) ، والحاكم بأمر الله (سنة ٣٨٦ - ٤١١) . فأنشأ خزانة الكتب فيها مئات الالوف من المجلدات في العلوم على اختلاف موضوعاتها ، وأنفق في ذلك الاموال الطائلة . وقد وصفنا خزانة العزيز بالله وما فيها من انواع الكتب وعنايته بتعهدتها والانفاق عليها في تاريخ التمدن الاسلامى الجزء الثالث ، ووصفنا أيضا مكتبة الحاكم التى سماها دار الحكمة أو دار العلم وما أباحه من المناظرة بين المترددين اليها ومقدار ما فيها من كتب والتسهيل على الناس للمطالعة والنسخ . ولم يكن اشتغالهم قاصرا على خدمة علوم الادب والفقه ، ولكنهم خدموا علم النجوم بالمراسد التى أنشأوها كالمرصد الحاكمى (المرصد) الذى بناه الحاكم على جبل المقطم ، وما زال عمدة الراصدين حتى بنى نصير الدين الطوسى مرصده في مراغة بتركستان سنة ٦٥٧ هـ ، ونبغ من الاسرة الفاطمية غير واحد من الشعراء

الوجهاء والعلم

ورغبة السلاطين والملوك في العلم حببه الى سائر الوجهاء وأهل الدولة ، فاشتهرت غير أسرة من بيوتات الشرف بالانتماء الى العلم منهم : آل ميكال في خراسان وأصلهم من فارس لكنهم تعربوا وأغرموا بأداب العرب فنبغ منهم الشعراء والادباء كأبى الفضل الميكالى وأبى محمد الميكالى وغيرهما ، وآل

المأمونى من نسل الخليفة المأمون ، وآل الواثقى من نسل الواثق وكلاهما في بخارا . وبالجملة فقد كانت العلوم رائجة وأصحابها في عز وثروة ، يؤلفون الكتب للملوك أو الامراء أو الوزراء وينالون عليها الجوائز السنوية . وربما ألف الواحد منهم كتابا للملك البويهى وكتابا للسامانى وآخر للفزنوى ، كما فعل أبو منصور الثعالبى . . فانه ألف كتابه لطائف المعارف للصاحب بن عباد ، والمبهج والتمثيل والمحاضرة لشمس المعالى قابوس بن وشمكير ، وسحر البلاغة وفقه اللغة لآبى الفضل الميكالى ، والنهاية في الكناية ونثر النظم واللطائف والظرائف للمأمون صاحب خوارزم وقس على ذلك . فلا عجب اذا كثرت المؤلفون وتعددت المؤلفات وحدث تغيير في أكثر أبواب العلم كما استراه في مكانه

وقد رأيت مما تقدم أن أكثر الدول المعاصرة من غير العرب كالسامانية والزيارية والفزنوية والبويهية وأكثرها فارسية الاصل ، وكان الفرس قد أخذوا في إعادة مجدهم قبل الاسلام بعد أن دانوا للعرب نحو ثلاثة قرون . . فأنشأوا الدول وهم فرس في بلاد فارسية وأخذوا في احياء آداب أسلافهم فنبغ فيهم الشعراء ونظموا الشاهنامة وغيرها ، ومع ذلك لم يروا بدا من التعويل على اللغة العربية وجعلها لغة العلم والسياسة والادب والدين

مزايا هذا العصر

١ - نضج العلوم وكثرة الكتاب

يمتاز هذا العصر بنضج العلم على الاجمال ، وفيه تكونت المعاجم اللغوية واستقر الانشاء على أسلوب أصبح قاعدة يقلدها أهل العصور التالية بما يعبر عنه الافرنج بقولهم « كلاسيك » ونضجت الفلسفة وتآلفت جمعية أخوان الصفا ، واستقرت قواعد الطبيعيات والطب كما ظهرت في رسائل أخوان الصفا ، وفي جملتها آراؤهم في أصل الموجودات وتدرجها في الخلق من البسائط الى المركبات ، نحو ما يقول اليوم أصحاب النشوء والارتقاء . واتسع خيال الشعراء وظهر الشعر الفلسفى المبني على النظر والاختبار والتفكير في الحكمة بالوجود ، ثم تكون الانتقاد الشعري أو الادبى واستقرت أبواب الشعر وظهرت الروايات والقصص الحماسية الخيالية . ونما فن التاريخ والجغرافيا وتفرع منهما علم معرفة الاوائل . وظهر كتاب الفهرست لابن النديم ، وهو أهم مصادر تاريخ آداب اللغة الى ذلك العهد

وامتاز هذا العصر بكثرة المكاتب الكبرى في مصر والعراق والاندلس وغيرها . تشتمل المكتبة منها على مئات الالوف من المجلدات ، وفتحت أبوابها لطلاب العلم والمطالعين كمكتبة العزيز الفاطمى التى تقدم ذكرها . . كانت تحتوى على نحو مليون من كتب الفقه والنحو واللغة والحديث والتاريخ والنجامة والروحانيات وسائر العلوم القديمة . ودار الحكمة أو دار العلم للحاكم بأمر الله ، وكانت أبوابها مفتوحة للطلاب كالمدرسة الكبرى للمطالعة والنسخ . . نحو ما يراد بدار الكتب المصرية الآن ، ومكتبة الحكم

بن الناصر في قرطبة . وقس على ذلك مكتبة سابور بن اردشير في بغداد ومكاتب فارس وما وراء النهر وغيرها

٢ - ظهور الموسوعات

وفي هذا العصر أخذت الموسوعات (دوائر المعارف) في الظهور بعد أن وضع أساسها الفارابي كما تقدم . على أن من كتب الادب ما يعد من قبيل الموسوعات لتعدد موضوعاته ، ككتاب العقد الفريد الذي ذكرناه . وأقرب منه الى هذا النوع من المؤلفات كتاب « مفاتيح العلوم » لأبي عبدالله محمد ابن أحمد بن يوسف الخوارزمي المتوفى سنة ٣٨٧ هـ ألفه لأبي الحسن عبيدالله بن أحمد العتبي ، وقسمه الى مقالاتين :

الاولى : تشتمل على ٥٢ فصلا تجتمع في ستة أبواب ، وهي : الفقه ، الكلام ، النحو ، الكتابة ، الشعر والعروض ، الاخبار ، والثانية : تشتمل على ٤١ فصلا في تسعة أبواب : الفلسفة ، المنطق ، الطب ، علم العدد ، الهندسة ، النجوم ، الموسيقى ، الخيال ، الكيمياء

وقد طبع هذا الكتاب في لندن سنة ١٨٩٥ بعناية المستشرق فان فلوتن في نيف وثلثمائة صفحة . وهو عبارة عن مدخل للعلوم والفنون جامع لاوائلها ، فيحتوى على الموضوعات والمصطلحات العلمية . . فهو أشبه بكتاب حدود العلوم وتعريفها ، ولذلك سماه مفاتيحها ، وهو جليل الفائدة . وقد ألف العرب كثيرا من الموسوعات بعد هذا العصر ، سيأتي الكلام عليها في مكانه

٣ - تمدد العلوم

وتعددت فروع العلم حتى زادت على ثلثمائة علم قسمها صاحب مفتاح السعادة الى ستة أبواب : العلوم الخطية - تسعة علوم . العلوم المتعلقة بالالفاظ أو العلوم اللسانية ، والتاريخ وغيرها - ٤٤ علما . العلوم الباعثة عما في الازهان من المنقولات - خمسة . العلوم المتعلقة بالاعيان ويدخل فيها الطبيعيات والرياضيات والطب والتاريخ الطبيعي والفراسة - ١٢٢ علما . العلوم الحكيمة العلمية - ثمانية علوم . العلوم الشرعية كعلوم القراءة والتفسير والحديث وأصول الدين - يزيد عددها جنينا على نيف ومائة علم . ولولا ضيق المقام لا تينا بأسمائها ، وفي كل علم من هذه العلوم مؤلفون ، ومؤلفات تعدد بالمئات والالوف شاع أكثرها ، وعلينا أن نذكر ما بقى منها

٤ - التدبير المنزلي

وبين هذه العلوم فروع لم يصل الى مثلها أهل التمدن الحديث الا بعد أن نضح تمدنهم في القرن الماضي . وقد عرفها العرب وألفوا فيها منذ ألف سنة أو نحوها ، كعلم « تدبير المنزل » وهو عندهم فرع من الحكمة العملية وحده « معرفة اعتدال الاحوال المشتركة بين الانسان وزوجته وأولاده وخدامه ،

وطريق علاج الامور الخارجة عن الاعتدال « وموضوعه « أحوال الاشخاص المذكورة من حيث الانتظام » وحاصله « انتظام أحوال الانسان في منزله ليتمكن من رعاية الحقوق الواجبة بينه وبينهم » . ومن الكتب المنزلية التي تدخل في راحة العائلة - وقد ظهر كثير منها في العصر العباسي الاول والثاني فضلا عن الثالث - كتب الطبخ . منها « كتاب الطبخ » لابراهيم بن المهدي وغيره لابن ماسويه ولابراهيم بن العباس الصولى ولعلى بن يحيى المنجم ولأحمد بن الطبيب ولجحظة والرازي وغيرهم . ويظهر من أسماء مؤلفيها انها كانت مبنية على العلم . ومنها كتب العطريات وأشباهاها ، وهي كثيرة وتدخل في باب تدبير المنزل

٥ - كتاب السياسة

والفوا أيضا في السياسة وهي من فروع الحكمة العملية ، قلدوا بها ما نقلوه عن أرسطو . والسياسة عندهم ضروب ، منها السياسة الشرعية والمدنية . وقد ألف في السياسة على أجمالها أبو زيد البلخي المؤرخ الجغرافي - المتقدم ذكره - كتابين : الكبير ، والصغير . وألف في السياسة المدنية أبو نصر الفارابي الفيلسوف كما تقدم . ومن هذا القبيل كتاب سياسة الملك للماوردي المتوفى سنة ٤٥٠ هـ ، ومن الكتب الهامة في هذا الموضوع كتاب « سياسة الملك في تدبير الممالك » لابن أبي الربيع جاء في مقدمته انه ألفه للمعتصم العباسي (المتوفى سنة ٢٢٧ هـ) وقد ذكرنا في مكان آخر من هذا الكتاب انه متأخر عن ذلك التاريخ لاسباب بينها هناك ووصفنا الكتاب . وهو جليل جدا لم يترك بحثا من أبحاث العمران والسياسة والاخلاق الا طرقة ورتبه وأوضح مسائله بشكل المشجرات حتى الطب والفلسفة . ومن هذا القبيل كتاب « سراج الملوك » للطرطوشي و « نهج السلوك في سياسة الملوك » للشيخ عبد الرحمن بن عبد الله قدمه لصالح الدين الايوبى ، وقد طبع بمصر سنة ١٣٢٦

٦ - الاقتصاد السياسي

واشتغلوا أيضا بعلم الاقتصاد السياسي ، وهو من العلوم التي يعدها أهل زماننا من محدثات هذا التمدن . . لكنه قديم في آداب لغتنا يتجاوز تاريخه العصر الذي نحن بصدده ، فان جماعة الفوا في الموضوعات التجارية الاقتصادية في العصر العباسي الثاني ، لكن موضوعاتهم كانت خاصة في صنف أو بضعة أصناف ، ككتاب « الجواهر وأصنافها » لمحمد بن شاذان الجوهري ألفه للمعتضد المتوفى سنة ٢٧٩ هـ ، وكتاب « أجناس الرقيق » لرجل من أهل مصر . وكتاب « مزاجات الجواهر وعمل الفولاذ » ونحوها مما يتوسم فيه فن الاقتصاد السياسي ، وان لم نقف على شيء من تلك الكتب لانها ضاعت . لكننا عثرنا على كتاب شامل في هذا الموضوع ، نعى به كتاب « الاشارة الى محاسن التجارة » للشيخ أبي الفضل جعفر بن علي الدمشقي لا يعرف

زمن وفاته . . لكن يعرف من بعض القرائن أن تأليفه لا يتجاوز العصر العباسي الثالث ، والكتاب نفيس يبحث في معرفة جيد الاعراض ودرئها وغشوش المدلسين ، وفصول في حقيقة المال وأنواعه واستثماره والكشف عن رديئه وفاسده من الاحجار الكريمة والافاويه والانسجة والابسطة والمحصولات الموسمية والاقوات كالزيت والدقيق وفي الدواب كالخيل والبغال والماشية . وفي الكتاب فصول في تحصيل الاموال واكتسابها بالمغالبة أو الاحتيال ، ووصايا نافعة للتجار على اختلاف طبقاتهم . والكتاب مطبوع بمصر سنة ١٣١٨

١٠ - علم العمران وغيره

ومن أبحاثهم أيضا علم العمران ، والمشهور أنه من ثمار التمدن الحديث . . ولكنه ولد في زمن العباسيين ونضج بعدهم ، وأن لم تظهر فيه مؤلفات مستقلة قبل مقدمة ابن خلدون . . فان في كتاب سياسة المالك المتقدم ذكره فصولا كثيرة من قبيل العمران غير ما في كتب الادب والسياسة من هذا القبيل . وعلى كل حال فان الفضل فيه للعرب بما كتبه ابن خلدون وهو أستاذ العالم في هذا العلم . وسيأتي الكلام على ذلك في مكانه وناهيك بعلوم الحرب وضرورها فانهم ألفوا فيها منذ أوائل دولتهم . وذكر صاحب الفهرست كتابا للهرثمي الشعراني ألفه للمأمون ، سماه كتاب « الحيل » جعله مقاليتين : الاولى ٣ اجزاء والثانية ٣٦ فصلا ، كلها في الحروب والآتها . وذكر كتابا قبله لعبد الجبار بن عدى ألفه للمنصور في آداب الحروب وصورة العسكر ، وغيرها كثير ، لكن أكثرها ضاع . وسنأتي على تفاصيل أخرى عند الكلام على كل علم في بابه

الشعر والشعراء

في العصر العباسي الثالث

ان ما قدمناه عن احوال الدول والامم في هذا العصر ظهر تأثيره في الشعر أكثر مما في سائر الآداب . . لان الشعر مرآة احوال الأمة كما تبين لك مما بسطناه عن احواله في العصور التي تقدم ذكرها . كان الشعر في الجاهلية ديوان العرب ومعرض آدابهم وأخلاقهم ، يمثلون فيه الشجاعة والفروسية والضيافة والانفة والوفاء لا يتكفون ولا يبألفون . فصاروا في أيام بنى أمية وأكثر نظمهم في السياسة ، وظهر التشبيب بكثرة الجوارى والسراى ، وكثر الهجو لاختلاف الاحزاب مع المحافظة على الصفة البدوية . فلما استبحر عمران العباسيين وأوى الناس الى القصور وتنزهوا في الحدائق وشربوا الخمر واقتنوا الفلمان ظهر اثر ذلك في أشعارهم . ثم زادوا على ذلك شكوى الزمان في العصر العباسي الثاني لاشتغال الخلفاء والوزراء عن الشعر والشعراء . ونحن الآن في عصر تسابق فيه ولاة الامر الى تقديم أهل الادب . فلا غرو اذا تعدد الشعراء وكثرت مدائحهم وطالت قصائدهم وتفرعت أساليب

مزايا الشعر في هذا العصر

١ - حل القيود القديمة

ان اطلاع أهل الادب على الكتب الفلسفية والطبيعية والمنطقية بعد ترجمتها عود عقولهم على النظر الصحيح والتقرب من الحقيقة . . فخطوا خطوة أخرى في تبديل مذهب الشعر وطريقته ، وأماما هذه الطريقة المتنبي والمعري . وقد رأيت أن شعراء العصر العباسي الاول انتقدوا طرق الجاهليين، لكنهم ظلوا يحاكونهم في كثير منها وهم يرسفون في القيود التي وضعوها للنظم من حيث اللفظ والمعنى . . فتخلص المتنبي والمعري من تلك القيود وقالوا الشعر كما توحيه القريحة ، فنظما في فلسفة الوجود والحكمة في الخلق من عند أنفسهم ولا سيما المعري . والشعر الحقيقي هو التعبير عن الشعور بتلك الحكمة أو تصوير الجمال الطبيعي بأعم معانيه وهو ما يعنيه الأفرنج بالشعر ، ولكن لادباء العرب نظرا آخر فيه من حيث الديباجة واللفظ والكناية والمجاز . وسنعود الى ذلك

٢ - اقتباسات للفلسفة والتاريخ والطب واللغة

على ان العرب في هذا العصر زاد اقتباسهم للأفكار الفلسفية واطلعوا على تاريخ اليونان ، فصاروا يتمثلون بأبطالهم كقول المتنبي :

مَنْ مَبْلَغُ الأَعْرَابِ أَنَّى بَعْدَهُمْ شَاهَدْتُ رَسْطَالِيْسَ وَالإِسْكَندِرَا
وَسَمِعْتُ بِطَلِيْمُوْسَ دَارِسَ كَتَبَهُ مَتَمَلِكَا مَتَبَدِيَا مَتَحَضِرَا
وَلَقِيْتُ كُلَّ الفَاضِلِيْنَ كَأَنَّمَا رَدَّ الإِلَهُ نَفُوْسَهُمُ وَالأَعْرَا

وقول الفتح البستي من المعاني الطيبة :

وقد يلبس المرءُ خزءَ الثيابِ ومن دونها حالة مضنيه
كمن يكتسى خدشه حمرةً وعيسته ورمٌ في الرية
وقوله :

إن الجهول تضرني أخلاقه ضرر السحال بمن به استسقاء
وقوله وفيه شيء من علم النجوم :

قد غصص من أملى أنى أرى عملى أقوى من المشتري في أول الحمل
وأنى راحل عما أحاوله كأننى أستدره الحظ من زحل

ودخل الشعر العربي كثير من حكم القدماء وامثالهم في اليونانية ، اما
اقتباسا كما في أشعار المتنبي أو نقلا وتعريبا . وأكثر ذلك منقول عن
الفرس ، وهذه أمثلة مما نقله أبو الفضل السكري :

مَنْ مَتَكَلَّ القُرْسِ ذُو الأَبْصَارِ الثوب رهن في يد القصار
إن البعير يبغض الخشاشا لكنه في أنفه ما عاشا
قال الحمار بالسقوط في الوحل ما كان يهوى ونجا من العمل
نحن على الشرط القديم المشترط لا الزق منشق ولا العير سقط

وتكاثرت فيه المعاني الفقهية والصوفية لظهور التصوف وشيوعه
واشتغال كثيرين من أصحابه بالشعر ، كقول بعضهم :

من سره أن يرى الفردوس عاجلةً فليُنظر اليوم في بيان إيوان
أو سره أن يرى رضواناً عن كتبٍ بملء عينيه فليُنظر إلى الباني

٣ - أبواب كثيرة

وتولدت فيه أبواب جديدة اقتضاها التبسط في الحضارة والتوسع في
أسباب الرخاء ، فبعد أن كان الشعر الجاهلي أكثره في الحماسة والفخر
والرثاء والمدح ، زاد عليه الامويون التشبيب والهجاء . وزاد العباسيون في
العصر الاول الخمریات والتغزل بالفلمان . وزادوا في هذا العصر (الثالث)

أبواباً ثلاثاً أحوال الاجتماع والمدنية ، أهمها الاخوانيات والعتاب وشكوى الدهر والزهد والمدامبات والسلطانيات والمجاوبات والمقارضات ، وصار النظم في الزهر باباً قائماً بنفسه . وبعض هذه الابواب كان منه أمثلة في العصور الماضية ، لكنها أصبحت في هذا العصر أبواباً مستقلة . وهي تدل على تल्प أخلاق الامة وتوسع علاقاتها وارتقاء أذواقها

فيراد بالاخوانيات مثلاً ما ينظم في الاخوان أو الاصدقاء من اسباب التقارب كقول بعضهم :

وأخ إذا ما شطط عنى رَحْلُهُ أدتني اليه على النوى معروفه
كالكرم لم يمنعه بُعد عريشه من أن يقرب للجناة قطوفه
والمدامبات مثل :

أبا جعفر هل فضضت الصدف وهل إذ رميت أصبت الهدف
وهل جئت ليلا بلا حشمة لهول الشرى سدف في سدف
وشكوى الدهر مثل :

يا دهر ما أقساك يا دهر لم يحظ فيك بطائل حرة
أما اللئام فأنت صاحبهم ولهم لديك العطف والنصر
يبقى اللئيم مدى الحياة فلا يرتاع منه لحادث صدر
وقس على ذلك . . وترى أمثلة كثيرة من هذه الابواب في بيتمة الدهر
للشعالي

٤ - المبالغة

غالى أهل هذا العصر في المبالغة الشعرية الى ما لم يسبقهم اليه أهل العصور الماضية حتى خرجوا عن الممكنات الى المستحيلات كقول المتنبي :

وضاقت الأرض حتى صار هارتهم إذا رأى غير شيء ظنَّه رجلا
فبعده وإلى ذا اليوم لو ركضت بالخيل في كهوات الطفل ما سعلا
ومثله قوله في وصف الضعف :

كفى بجسمي تحولا أثنى رجل لولا مضطبتى إياك لم ترني
وناهيك بالمبالغة في المدح ، فانهم تجاوزوا فيه المعقول والمشروع . وامانا المداحين في هذا العصر المتنبیان : أبو الطيب ، وابن هانيء . ومن مبالغات

أبى الطيب في المدح قصيدته السينية التي مطلعها (*) :

هذرى برزت لنا فهجرت راسيسا ثم اثنتيت وما شفيت نسيسا
الى ان يقول :

لو كان ذو القرنين أعمل رأيه لما أتى الظلمات صرنا شموسا
أو كان صادف رأس عازر سيفه في يوم معركة لأعيا عيسى
أو كان لثج البحر مثل يمينه ما انشق حتى جاز فيه موسى
أو كان للنيران ضوء جبينه عثدت فصار العالمون مجوسا
لما سمعت به سمعت بواحد ورأيته فرأيت منه خميسا
ولحظت أنمله فسلن مواهبا ولست منصلته فسال نفوسا
يا من نلوذ من الزمان بظله حقا ونطرد باسمه إبليسا
ونحو ذلك قوله :

وأعجب منك كيف قدرت تنشا وقد أعطيت في المهدي الكمالا
وأقسم لو صلحت يمين شيء لما صلح العباد له شمالا
وقوله :

بمن أضرب الأمثال أم من أقيسه اليك وأهل الدهر دونك والدهر
أما ابن هانيء متنبى الغرب فيكفي مثلا لمبافته القصيدة التي مدح بها
المعز لدين الله الفاطمي ، ومنها قوله :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار فاحكم فانت الواحد القهار
وكأنما أنت النبي محمد وكأنما أنصارك الأنصار
أنت الذي كانت تبشّرنا به في كتبها الأحبار والأخبار

• - طول القصائد

وطالت القصائد في هذا العصر عما كانت عليه قبلا حتى كثرت فيها ذوات

(*) الفريب في الأبيات : الرسيس هنا : حمى الحب ، والتسيس : بقية النفس والروح - ويقول في البيت الثاني ان له رأيا سديدا لو استخدمه الاسكندر لاضاعت له الظلمات ، وهي مبالغة واضحة ومثلها الأبيات التالية • عازر : هو الشخص الذي أحياه عيسى بعد موته ، يقول ان ممدوحه لو قتله في الحرب لمجز عيسى عن احيائه • ولج البحر مثل يمينه أى فى العطاء والبدل • والخميس : الجيش ، والمنصل : السيف

المئات من الأبيات ، كقصيدة ابن عبد ربه وقصائد الواساني (*) . ومع ذلك فإن العرب لم يدركوا شأواً إلا في الأخرى في الإطالة ، كما فعل اليونان بالإلياذة والوديسة ، والفرس في الشاهنامه ، وهو الشعر المعروف بالابيسوبة . . . وتعد أبيات الواحدة بعشرات الألوف . على أنهم ذكروا لأبي الرجاء محمد بن أحمد ابن الربيع الأسواني المتوفى سنة ٣٣٥ هـ قصيدة أبياتها تعد بالألوف ، ضمنها أخبار العالم وقصص الأنبياء . ويعد من هذا القبيل نظم كليلة ودمنة ونحوها مما ضاع . ولكن ذلك منقول ليس فيه تفكير ، أي لم ينظمه الشاعر من بنات أفكاره . ولا يكون ذلك إلا في نظم القصص الخيالية أو نحوها

٦ - الوصف الشعري

وأجاد أهل هذا العصر في الوصف الشعري وتوسعوا فيه . والوصف قديم في الشعر العربي ، لكنه اتسع وطال بزيادة العمارة وصار له في هذا العصر باب خاص . وأول من أجاده شعراء الأندلس لمخالطتهم الأفرنج . والشعر الوصفي عند هؤلاء باب من أبواب الشعر الكبرى . فصار شعراء العرب يصفون المناظر الطبيعية والأبنية الجميلة وسائر ظواهر المدينة حتى الأدوات كالأسطرلاب ونحوه

على أن تاريخ الوصف الشعري يتصل بالجاهلية ، فكان العرب في الجاهلية وصدر الإسلام يصفون الخيل والمعارك ونحوها . وأحسن قصائد الوصف عندهم قصيدة بشر بن عوانة التي وصف بها مقتل الأسد ومطلعها :

أفأظم لو شهدت بيطن خبت وقد لاقى الهزبر أخاك بشراً

إلى آخرها ، هي وبديعة ، ومنشورة في جملة مقامات بديع الزمان الهمدان

وتقدم الشعر الوصفي بعد الإسلام رويداً رويداً مع تقدم المدنية واتساع الخيال وتكاثر المعاني بتكاثر فروع العلم والاختلاط بالأمم الأخرى في العصر العباسي الأول فالثاني حتى بلغ أحسنه في العصر الثالث هذا . وأبرز وصافي العصر الثاني البحتري ، وأحسن قصائده في الوصف قصيدة يصف بها بركة بناها المتوكل على الله مطلعها (***)

يامن رأى البركة الحسناء رؤيتها والآنسات إذا لاحت مغانيها
حتى يقول :

تنصب فيها وفود الماء معجلة كالخيل خارجة من حبل مجريها
كأنما الفضة البيضاء سائلة من السبائك تجري في مجاريها

(*) الحق أن التطويل في القصائد ظهر قبل هذا العصر ، وخاصة عند ابن الرومي ، وقصائده تطول قصائد الشعر الغنائي عند العرب ، إذ تمتد إلى مئات الأبيات
(**) الغريب في الأبيات : المغاني : المنازل ، الحك : تجمد الماء ، الجواشن : النروع ، ريق
الغيت : أوائل

إذا علكتها الصبأ أبدت لها حبكنا مثل الجواشن مصقولا حواشيها
فحاجب الشمس أحيانا يضحكها وريق الغيث أحيانا يياكيها
إذا النجوم تراءت في جوانبها ليلا حسبت سماء ركببت فيها
وقصيدة وصف بها القصر الكامل للمعتر بالله قال فيها (*):

وكان حيطان الزجاج بجوئه لجاج يمجن على جنوب سواحل
وكان تفويف الرخام إذ التقى تأليفه بالمنظر المتقابل
حبك الغمام رصفن بين منمر ومسير ومقارب ومشاكل

لكن شعراء العصر الثالث زادوا توسعا في الوصف ودقة في التعبير .
ومن أجاد فيه المتنبي وابن هاني والمأموني . ولهذا الأخير قصيدة في وصف
قصر بناءه الصاحب بن عباد قال فيها :

فهنيئا منها بدار حوت منك جبالا من الحلوم رجاحا
ذات صدر كرحب صدرك قد زاد على ظن أمليك انفساحا
ثم أتى على وصف الدار وصفا يطابق ما يتخيل للداخل إليها ، فيتدرج
من الفناء فالبهو فالصحن الخ

دع عنك وصف المتنبي لمواقع الحروب وما يحتاج الى فخامة اللفظ
والمعنى كقصيدته التي يصف بها وقعة حرب لسيف الدولة مع البطريق .
ومن أحسن شعره الوصفى قوله يصف مشية الاسد (*):

يطأ الثرى مترققا من تيهه فكأنه آس يجس عاليا
ويرد غفرتة الى يافوخه حتى تصير لرأسه إكليلا
وتظنه ما ترمجر نفسه عنها بشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكأنما ركب الكمي جواده مشكولا

لكن شعراء العرب قلما اشتغلوا بوصف الحوادث الطويلة أو التواريخ ،
كما فعل اليونان والفرس قديما أو كما يفعل أدباء الافرنج الآن في تأليف
الروايات الوصفية للأخلاق والعادات . وستفرد فضلا خاصا بهذا الموضوع

(*): الغريب في الابيات : تفويف الرخام : ما به من خطوط بيضاء ، المنمر : ما فيه
نكت من أي لون ، المسير : المخطط

(*): الغريب في الابيات :
آس : هليبيب ، الغفرة : لينة الاسد وشعره الذي على كتفيه ، وهو يرده الى رأسه إذا غضب
حتى يجمع قوته الى أعلى بدنه . الكمي : الشجاع المستتر في سلاحه ، مشكولا : مقيد
وواضح ان البيت الأخير يصور خوف الفارس الشجاع من لقاء هذا الاسد الذي قتله مسدوجة
ابن عمارة

تولدت في الشعر أبحر جديدة لم تكن فيه من قبل ، أهمها الموشحات (**) ينظمونها أسماطا أسماطا وأغصانا أغصانا .. يكثر من منها ومن أعاريضها المختلفة ، ويسمون المتعدد منها بيتا واحدا . ويلتزمون تلك الأغصان وأوزانها متتالية فيما بعد إلى آخر القطعة ، وأكثر ما تنتهي عندهم إلى سبعة أبيات . ويشتمل كل بيت على أغصان ، عددها بحسب الأغراض والمذاهب . وينسبون فيها ويمدحون كما يفعل الشعراء في القصائد

وهي من مخترعات الأندلسيين ، وأول من نظمها منهم مقدم بن معافى القبري من شعراء الأمير عبد الله بن محمد المرواني في أواخر القرن الثالث للهجرة . وأخذ عنه ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد . ولم تقع هذه البدعة موقعا حسنا عند المحافظين على القديم ، فكسدت حينئذ حتى نغ عبادة القزاز شاعر المعتصم بن صمادح صاحب المرية (توفي سنة ٤٤٣هـ) (١) فأجاد وجاء بعده ابن أرفع رأسه شاعر المأمون بن ذي النون صاحب طليطلة (توفي سنة ٤٦٧هـ) . وذكر صاحب فوات الوفيات « أن أول من نظم عقود الموشحات وأقام عمادها عبادة بن عبد الله بن ماء السماء الشاعر الأندلسي المتوفى سنة ٤٢٢هـ رأس الشعراء في الدولة العامرية ، وكانت صناعة التوشيح قد ظهرت وأخذ الشعراء ينتهجونها فقام عبادة وقوم ميلها وسنادها ، فكانها لم تسمع بالأندلس إلا منه ولا أخذت إلا عنه . واشتهر بها اشتهارا غلب على ذاته وذهب بكثير من حسناته . وأول من صنع أوزان هذه الموشحات محمد بن محمود القبري الضرير . وقيل أن ابن عبد ربه صاحب العقد الفريد أول من سبق إلى هذا النوع من الموشحات ، ثم نشأ يوسف بن هارون الرمادي ، ثم نشأ عبادة هذا فأحدث التفسير . وذلك أنه اعتمد على مواضع الوقف في المراكز »

وعلى كل حال فإن الموشحات نضجت في العصر الثالث الذي نحن بصدده .

وناهيك بما أدخله الجوهري صاحب الصحاح على عروض الشعر في هذا العصر ، وفيه أيضا نضح نقد الشعر بظهور كتاب العمدة لابن رشيق . ولنقد الشعر تاريخ يستحسن إيرادها هنا :

تاريخ نقد الشعر العربي (***)

يقسم النقد الأدبي أو انتقاد المؤلفات إلى أقسام أهمها ثلاثة : نقد الشعر ، نقد الأثشاء ، نقد التاريخ . والمشهور أن العرب من أقل الأمم

(**) راجع في الموشحات وأوزانها وتاريخها مقدمة ابن خلدون ودار الطراز لابن سناء الملك وتاريخ الفكر الأندلسي ص ١٤٢ والعربية ليوهان فك ص ١٨٥

(١) ابن خلدون ٥١٩ ج ١
(***) راجع في هذا الموضوع كتابنا عن النقد طبع دار المعارف وكتاب النقد المنهجي عند العرب في القرن الرابع الهجري لمحمد مندور ومقدمة طه حسين لكتاب نقد الشعر لقدماء

نقدا وتمحيصا . ويصح ذلك من حيث التاريخ والتراجم أو أعمال الناس وأحوال الاجتماع لاسباب سببها فيما يلي من هذا الكتاب . وأما ما خلا ذلك ، فهم من أكثر الامم ميلا الى النقد أو التمحيص . . وانما يظهر منهم ذلك عند الحاجة اليه أو اذا تيسر لهم الخوض فيه . أما من حيث فنون الادب ، فبدأوا بنقد الشعر ثم الانشاء وأخيرا التاريخ . وسنفرد لكل منها فصلا خاصا في المكان الملائم . وهذا مكان الكلام عن نقد الشعر . وينقسم النظر في الشعر الى أقسام من حيث عروضه ووزنه وقوافيه وألفته ومعانيه وأسلوبه والمقصود النظر فيه من حيث معناه (الخيال الشعري) وطريقته أو مذهب صاحبه في النظم

ونقد الشعر من حيث معناه قديم في تاريخ الادب يتصل بصدر الاسلام ، فقد رأيت ما كان يجزى من المشاحنات والمناظرات في العصر الاموي بشأن من هو أشعر الشعراء ، وكثيرا ما كان الجدل يفضى الى الخصام . وقد فصلنا ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب ، وهم طبعا كانوا ينظرون في قول كل شاعر نظر الناقد ليسيئوا فضله على سواه ولم يقتصر التصدي للنقد على الادباء أو الشعراء ، بل كان يتناول كل ذي المام بالشعر . وحيثما اجتمع الادباء تذكروا الشعر وانتقدوه ، وكانت مجالس سكيئة بنت الحسين في المدينة أشبه شيء بمجالس الانتقاد الادبي في أرقى الامم المتعدنة اليوم . ثم ظهرت طبقة أخرى من نقاد الشعر لما أخذ الرواة في جمعه في العصر العباسي الاول ، فكانت مجالسهم وأنديتهم للمفاكحة أو المذاكرة لا تخلو من النقد

أما الطريقة أو المذهب ، ونعنى الخطة التي كانوا يتوخونها في النظم مثل تقليدهم شعراء الجاهلية من حيث ذكر الاطلاق والبكاء عليها والتغزل بحيوانات البادية وأحوالها كما كان يفعل الجاهليون ، فأول من انتقدها شعراء العصر العباسي الاول . وقد اشرنا الى ذلك في الصفحات الاولى من هذا الكتاب . وانما هي أبيات قالوها عرضا

أما التأليف في نقد الشعر من هذا الوجه وغيره ، فأول من أقدم عليه مما وصلنا خبره محمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٣٢ في كتابه طبقات الشعراء . . فانه قدم لذلك الكتاب بمقدمة ، فيها نقد جميل ، قال في جملته « ان محمد بن اسحق أفسد الشعر بما نسبته من الأشعار الى بعض الصحابة في السيرة النبوية » . ويبحث في شيء من هذا القبيل ابن أبي الخطاب القرشي في مقدمة جمهرة أشعار العرب . ونجد شيئا من ذلك أيضا في كتاب قواعد الشعر لثعلب المتقدم ذكره . أما ادباء العصر العباسي الثاني كابن قتيبة والجاحظ وابن عبد ربه وأمثالهم ، فقد توسعوا فيه ، لان ما ألفوه من كتب الادب لا يخلو من النقد الشعري

على ان أكثرهم نقدا وتمحيصا ابن قتيبة (المتوفى سنة ٢٧٦ هـ) في كتابه الشعر والشعراء ، وقد صرح بذلك في مقدمة الكتاب المذكور بقوله :

« ولم أسلك فيما ذكرته من شعر كل شاعر مختارا له سبيل من قلد

أو استحسنته باستحسان غيره ، ولا نظرت الى المتقدم منهم بعين الجلالة لتقدمه والى المتأخر منهم بعين الاحتقار لتأخره . . بل نظرت بعين العدل الى الفريقين واعطيت كلا حظه ووفرت عليه حقه . فاني رأيت من علمائنا من يستجيد الشعر السخيف لتقدم قائله ويضعه في متخيره ، ويرذل الشعر الرصين ولا عيب له الا انه قيل في زمانه أو انه رأى قائله . ولم يقصر الله العلم والشعر والسلاغة على زمن دون زمن ولا خص به قوما دون قوم ، بل جعل ذلك مشتركا مقسوما بين عباده في كل دهر . وجعل كل قديم حديثا في عصره وكل شرف خارجية في أوله . فقد كان جرير والفرزدق والاختل وأمثالهم يعدون محدثين ، وكان أبو عمر بن العلاء يقول : « لقد كثرت هذا المحدث وحسن حتى لقد هممت بروايته » ثم صار هؤلاء قديما عندنا بعد العهد منهم ، كذلك يكون من بعدهم لمن بعدنا كالخريمي والعتابي والحسن بن هانيء واشباههم . فكل من أتى بحسن : قول أو فعل ذكرناه له وأتينا به عليه ولم يضعه عندنا تأخر قائله أو فاعله ولا حدائة سنة ، كما ان الرديء اذا ورد علينا للمتقدم أو الشريف لم يرفعه عندنا شرف صاحبه ولا تقدمه »

وقد انتقد ابن قتيبة الانشاء في صدر كتابه أدب الكاتب كما تقدم

ثم جاء قدامة بن جعفر المتوفى سنة ٣٣٧ هـ ، فأفرد لذلك كتابا خاصا سماه « نقد الشعر » تقدم ذكره وهو أول من فعل ذلك . . فبين حد الشعر وشروط نظمه من حيث اللفظ والمعنى وأتلافيهما في أبواب النظم المعروفة في عصره وشروط المجاز والتشبيه وغيره . لكنه اختصر في ذلك ولم يوف الموضوع حقه شأن كل من يبدأ بعمل جديد ، فترك اتبامه لادباء العصر العباسي الثالث الذي نحن بصدد

فجاء بعده الأمدى المتوفى سنة ٣٧١ هـ (ترجمته في معجم الادباء ٥٤ ج ٣) فوضع كتابه في الموازنة بين أبي تمام والبحترى - وقد ذكرناه في ترجمة البحترى - وهو من قبيل النقد الخاص لانه محصور بين شعاعين معينين لكنه يشتمل على قواعد عامة

وكذلك فعل على بن عبد العزيز الجرجاني الشاعر الكاتب المتوفى سنة ٣٩٢ هـ في كتابه الوساطة بين المتنبي وخصومه ، ردا على كتاب الفه ابن عباد في مساوىء المتنبي . فكتاب الوساطة مع كونه بين المتنبي وخصومه ، لكنه يتضمن أبحاثا في الشعر على العموم والشعراء على اختلاف العصور الى أيامه (١) . وفي كتاب مفاتيح العلوم لابي عبد الله الخوارزمي - المتقدم ذكره - باب في الشعر والعروض لا يخلو من النقد . ومثله كتاب ذم الخطأ في الشعر لابن فارس اللغوي الآتي ذكره

ويعد من قبيل النقد الشعري أيضا كتاب يتيمة الدهر للثعالبي ، فانه ذكر فيه محاسن الشعراء وأمثلة من أقوالهم مع الملاحظة والانتقاد في أربعة مجلدات كبيرة ، وسندكره في ترجمة الثعالبي

ونشأ في أثناء ذلك علم خاص يبحث في أحوال الكلمات الشعرية سموه علم قرص الشعر لا من حيث الوزن والقافية بل من حيث حسن الالفاظ وقبحها للشعر والجواز والامتناع ومعايب التركيب كما عاب الصاحب انا تمام بقوله :

كريم متى أمدحه أمدحنه والورى معى وإذا ما لمته لمته وحدى

حيث قابل المدح باللوم والتكرار فى لفظ أمدحه ولتته . ويعد من قبيل النقد الشعرى أيضا رسالة الفران لآبى العلاء المعرى ، لان المتكلم فيها زعم انه جال فى الجنة وقابل الشعراء وانتقدهم ، وسيأتى ذكرها فى ترجمة آبى العلاء

كتاب العمدة

على ان ذلك كله من قبيل المقدمات التمهيدية فى سبيل نقد الشعر . ولم يختم العصر العباسى الثالث حتى ظهر كتاب العمدة لابن وشيخى . جمع فيه أحسن ما قاله الذين سبقوه فى النقد وغيره ، ليكون العمدة فى محاسن الشعر وآدابه . وقد استخرج النتائج الانتقادية على ما رآه ، قال : « وعولت فى أكثره على قريحة نفسى ونتيجة خاطرى خوف التكرار الا ما تعلق بالخبر وضبط الرواية » وستذكره فى ترجمة ابن رشيق

ونظرا لعظم وقع هذا الكتاب فى النفوس تصدى معاصروه لنقده ومعارضته ، وقد وصلنا من ذلك « رسائل الانتقاد » لآبى عبد الله محمد ابن أبى سعيد بن شرف الجذامى القيروانى الشاعر الأديب المتوفى سنة ٤٦٠ هـ عارض بها كتاب العمدة . وهو معاصر لابن رشيق وزميله . وقد تأتى فى رسائله فسجعا وزينها بالتشايبه والكنيات ، يقلد بها المقامات فى الخطاب والجواب . وضمنها انتقادا على الشعراء الجاهليين فما بعدهم ، وشتان بينه وبين ابن رشيق . وقد نشرت رسائله المشار إليها فى مجلة المقتبس (سنة ٦)

وذكر صاحب كشف الظنون كتبا فى نقد الشعر لآبى عبد الله محمد بن يوسف الكفرطابى المتوفى سنة ٥٠٣ هـ ولغيره لم نقف عليها

الشعراء فى العصر العباسى الثالث

كان الفرزدق وجريير والاخلط وغيرهم من شعراء بنى أمية يعدون فى ذلك العصر محدثين ، فأصبحوا يعدون فى العصر العباسى الأول قديما وصار أبو نواس والعتابى واشباههم محدثين ، ثم صار هؤلاء قديما أو مولدين فى العصر الذى نحن بصددده وصار أهل هذا العصر محدثين . ونحن اليوم نعد هؤلاء جميعا قديما

مميزات هذا العصر

ويمتاز الشعراء في هذا العصر عن سبقهم بأمور أهمها :

- ١ - انهم ظهوروا وتكاثروا في أطراف المملكة الإسلامية أيضا بعد أن تفرق الأدباء من بغداد كما تقدم ، فبعد أن كان أكثرهم في الشام والعراق انبغت طائفة منهم في خراسان وتركستان وطبرستان والاهواز ومصر والمغرب والاندلس وسائر الانحاء ، وان ظلت الافضلية لشعراء الشام والعراق لاسباب ذكرناها في غير هذا المكان
- ٢ - ظهرت فيهم طبقة من الوزراء والقضاة والامراء وسائر وجوه الدولة وأصحاب الثروة والوجاهة
- ٣ - تعاطى الشعر كثيرون من الفقهاء والعلماء والمنشئين والفلاسفة والاطباء
- ٤ - زاد عدد الشعراء فيه على عددهم في كل عصر قبله لشيوع العلم واتساع دائرة المملكة الإسلامية. ولا يتسع المقام لتراجمهم فنأتي بأشهرهم حسب سنى الوفاة

أشعر الشعراء

١ - أبو الطيب المتنبي

توفى سنة ٣٥٤ هـ

هو أبو الطيب أحمد بن الحسين بن عبد الصمد الجعفي الكندي .
و بنو جعفي بطن من سعد العشيرة ، من القحطانية ، فهو عريق في
العروبة . ولد في الكوفة سنة ٣٠٣ في محلة تسمى كندة فنسب إليها ،
وليس هو من كندة القبيلة المعروفة . وكان أبوه من العامة يسقى الناس
ويسمونه « عبدان السقاء » لكن أبا الطيب نشأ على طلب العلم والأدب ،
وكان قوى الحافظة مطبوعاً على الشعر . فلما ترعرع حملته أبوه إلى
الشام ينتقل به من باديتها إلى حاضرتها . وأخذ العلم من أصحابه ، فمر
أولاً باللغة فحفظ غريبها وحواشيها وأشعار الجساهلية وغيرهم واشتهر
بالفصاحة والبلاغة . وكان مفظوراً على كبر النفس وبعد الهمة ، فلم يقنع
بما يتمناه سواه من الشهرة بالشعر أو الأدب . فطلب السيادة بالفتح
فدعا إلى بيعته قوماً من مريديه من أبناء سنه فبايعوه ، وحين كاد يتم أمر
دعوته وصل خبره إلى والي البلدة فقبض عليه وحبسه . وفي هذا الحبس
نظم قصيدة استعطف بها الوالي ، حتى يطلقه ، مطلعها :

أيا خَدِّدَ اللهُ وَرَدَّ الخُدودِ وقدَّ قُدودَ الحِسانِ القُدودِ (*)

إلى أن قال :

دعوتك لما يراني البلى وأوهن رجلى ثقيل الحديدِ
وقد كان مَشِيئهما في النعال فقد صار مَشِيئهما في القيودِ
وكنتُ من الناس في محفلٍ فما أنا في محفلٍ من قُرودِ
تعجِّلُ في وجوبِ الحدودِ وحَدِّي قبل وجوب السجودِ

أي إنما تجب الحدود على البالغ وأنا صبي لم تجب على الصلوات بعد ،
فاطلقه . ولما فرغت يده من الفتح طلب ما هو أبعد منه ، فزعم أنه نبى
اعتماداً على بلاغة أسلوبه . فخرج إلى بني كلب وأقام فيهم وادعى أنه
علوي ثم ادعى النبوة . وقال أنه أظهر دعوته هذه أولاً في بادية السماوة

(*) خدد : شق ، وقد : قطع ، وهو دعاء للاعجاب والاستحسان أو لعله دعاء حقيقي كأنه
يريد أن يتخلص من وجهه وحيه

ونواحيها ، واخذ يتلو عليهم كلاما زعم انه قرآن انزل عليه . . فكانوا يحدون له سوراً كثيرة أورد أبو علي بن حامد جزءا من سورة قال انه ضاعت وبقي أولها في حفظه ، وهو « والنجم السيار ، والفلك الدوار ، والليل والنهار ، ان الكافر لفي أخطار ، امض على سنتك وأقف أثر من قبلك من المرسلين ، فان الله قانع بك زيغ من الحد في دينه وضل عن سبيله » . فلما شاع أمره بين الناس خرج عليه لؤلؤ أمير حمص من قبل الاخشيديّة فقاتله وأسر من كان معه من بني كلب وكلاب وغيرهم من قبائل العرب ، وحبس في السجن دهرًا طويلا حتى كاد يتلف . فسئل في أمره فاستتابه وكتب عليه وثيقة واشهد عليه فيها ببطلان ما ادعاه ورجوعه الى الاسلام وأطلقه . فكان المتنبي كلما ذكر له قرآنه يعسد ذلك أكثره وحاول التنصل من تبعته

وقنع بعد فشله هذا بالشهرة الادبية ، فنال منها ما لم ينله سواه . . وراجت سوق شعره بما أصابه من رغبة الملوك والامراء فيه ، فنظم القصائد في افراض مختلفة وفاق معاصريه على الاطلاق فتسابق الملوك الى تقريبه اليهم بالجوائز ففعل . وبدأ بسيف الدولة بن حمدان فقدم عليه سنة ٣٣٧ هـ ومجلسه حافل بفحول الشعراء ، فأحرز المتنبي قصب السبق بقصائد سار بذكرها الركبان . وكان في جملة من يحضر مجلس سيف الدولة ابن خالويه النحوي ، فوقع بينه وبين المتنبي كلام أذى الى نفور . . فوثب ابن خالويه على المتنبي فضربه بمفتاح كان معه ففسجه . ولم ير المتنبي من سيف الدولة دفاعا عنه فغضب وخرج الى مصر . وأراد الانتقام لنفسه فتقرب من كافور الاخشيدي سنة ٣٤٦ هـ لما يعلم من عداوته لبني حمدان وامتدحه وامتدح أنوجور بن الاخشيدي ، فأكرماه حتى صار يقف بين يدي كافور . . وفي رجليه خفان وفي وسطه سيف ومنطقة ويركب بحاجبين من مماليكه وهما بالسيف والمناطق . فلما رأى كافور سموه بنفسه وتعالى به شعره خافه ، وقال : « يا قوم من ادعى النبوة بعد محمد (صلعم) الا يدعى الملك مع كافور فحسبكم » فأغضبه . فخرج أبو الطيب من مصر فأتى بغداد ثم ذهب قاصدا بلاد فارس ، وامتدح عضد الدولة بن بويه الديلمي فأجزل عطاه

ثم رجع من فارس قاصدا بغداد ومعه ابنه محسد وغلماه مفلح ، حتى اذا كان بالقرب من النعمانية في موضع يقال له الصاقية في الجانب الغربي من سواد بغداد عند دير العاقول بينهما مسافة ميلين ، عرض له فائق ابن أبي الجهل الاسدي في عدة من أصحابه فاقتتلا . فأحس المتنبي بالضعف فعمد الى الفرار ، فقال له غلامه مفلح : « لا يتحدث الناس عنك بالفرار وانت القائل » :

الخيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فكر راجعا حتى قتل سنة ٣٥٤ هـ

أما شعره ففي الدرجة الاولى من المتانة والبلاغة ، وهو مشهور بسخامة

المعاني ومثانة الباني . ولم يدع بابا من أبواب الشعر الا طرقه وأجاد فيه . وخصوصا الحكم والحماسة والمديح والفخر والعتاب . وحوى شعره من الفلسفة والحكمة ما جرى على السنة الناس مجرى الامثال . واقتبس كثيرون من المنشئين معانيه وحلوا شعرها الى نثر ادخلوه في نثرهم كما فعل الصحاح بن عباد(١) ، أو نظموه لانفسهم كما فعل أبو بكر الخوارزمي وغيره . ولم تأت بأمثلة من نظمه لكثرت ولاشتهار ديوانه وشيوعه

مضى على شعره نحو الف سنة ، ولا يزال موضوع مناقشات أهل الادب . وكثيرا ما اشتغلوا بتفسير اشعاره وحل مشكلها وعويصها . وألفت الكتب في ذكره جيدة ورديته ، وتكلم الافاضل في الوساطة بينه وبين خصومه والافصاح عن ابيكار كلامه وتفرقوا فرقا في مدحه والقدح فيه والتعصب له أو عليه . وذلك دليل على وفور فضله وتقدمه على اقرانه . . والكامل من عدت سبقاته ، والسعيد من حسبت هفواته

وممن درس شعر المتنبي وبين حسنه وقبيحه ونقده أبو منصور الثعالبي في الجزء الاول من يتيمة الدهر ، فانه بين بالتفصيل حسناته وسيئاته مع سائر أخباره في نحو مائة صفحة . ولم يبق شاعر أو أدب جاء بعد المتنبي الا انتقده . ويرى ابن رشيق ان أبا الطيب كان يأتي بالمستغرب ليعين معرفته ، وانه كان في طبعه غلظ وفي عتابه شدة وانه كثير التحامل ظاهر الكبرياء والانفة

وقال أبو العلاء المعري : « أبو تمام والمنتبي حكيمان وانما الشاعر البحترى » وكان شيوخ الشعر في أيام ابن خلدون لا يرون المتنبي والمعري من الشعراء لانهما لم يجريا على أساليب العرب . وأبو سعيد محمد ابن أحمد العميدى ألف كتابا سماه « الابانة عن سرقات المتنبي لفظا ومعنى » ذكر فيه نحو ٢٥٠ بيتا من اشعار المتنبي ، وأورد ما يقابلها من نظم المتقدمين كالبحترى وأبي تمام وابن الرومي وديك الجني وغيرهم من فحول الشعراء ، وزعم ان المتنبي سرقها وغير فيها وأعادها لنفسه ، والكتاب مطبوع بمصر في ٨٨ صفحة . وأبو علي محمد بن حسن الحاتمي أوضح ما توارد من المعاني بين أبي الطيب وارسطو ولم يتهم المتنبي بالسرقة ، بل قال : « لما رأيت أبا الطيب قد أتى في شعره على أعراض فلسفية ومعان منطقية أردت الموافقة بين ما توارد به في شعره مع ارسطو في حكمه لانه ان كان ذلك من فحص ونظر فقد اغرق في درس العلوم ، وان يكن ذلك منه على سبيل الاتفاق فقد زاد على الفلاسفة في ذلك ، وهو في الحالين على غاية الفضل » ثم أورد بعض أقوال ارسطو وما يقابلها من اشعار المتنبي في نحو عشرين صفحة . وانتقد المتنبي جماعة من المستشرقين أيضا أشهرهم رابسكي ودي ساسي وبولين وبروكلمن وهمر ونيكلسن وغيرهم . وفي المقتطف صفحة ٣٦١ سنة ١٧ مقالة في المتنبي للسيد توفيق البكري وقد جمع ديوان المتنبي ورتب حسب الحروف الابجدية . وشرحه

كثيرون وطبع في الهند ومصر والشام وغيرها . ومن شروحه التي بقيت شرح ابن جنى المتوفى سنة ٣٩٣ في ثلاثة مجلدات ذكره كشف الظنون ، ومنه نسخة خطية في مكتبة بطرسبورج وأخرى في الاسكوريال . وعلق عليه ابن فورجه سنة ٤٣٧ كتابا سماه التجنى على ابن جنى في الاسكوريال وشرحه ابراهيم الافليلي المتوفى سنة ٤٤١ هـ ، ومنه نسخة في مكتبة برلين . وشرحه أبو العلاء المعري المتوفى سنة ٤٤٩ ، ومن شرحه نسخة في مكتبة منشون وأخرى في المتحف البريطاني وفي بطرسبورج . وشرحه الواحدى المتوفى سنة ٤٦٨ ، وقد طبع في بمباى سنة ١٢٨١ وفي أوربنا سنة ١٨٦١ . وشرحه التبريزي سنة (٥٠٢) ومنه نسخة في مكتبة باريس وشرحه العكبرى (٦١٦) طبع في بولاق سنة ١٨٦٠ وفي مصر سنة ١٢٨٧ وبعدها . وفي مكاتب أوربا نسخ خطية من هذا الديوان ، ليس عليها اسماء شراحها . وأحدث شروحه العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب للشيوخ اليازجى طبع في بيروت غير مرة . وهناك مختارات من ديوان المتنبي يطول بنا ذكرها ، منها كتاب الامثال السائرة في شعر المتنبي موجود في مكتبة دار الكتب المصرية والمنصف لابن وكيع ، وهو بحث في حقيقة المتنبي بالنظر الى ذلك ، منه نسخة خطية في برلين . والصبح المنبى عن حيثية المتنبي ليوسف البديعى المتوفى سنة ١٠٧٣ ، منه نسخ في أكثر مكاتب أوربا وفي المكتبة الخديوية وغيرها كثير ، وهو مطبوع . وقد عنى غرانجرية بنقل بعض اشعار المتنبي الى الفرنسية وطبعت في المجلة الاسيوية (سنة ١٨٢٤) . وكتب عنه أكثر المستشرقين مقالات انتقادية ولا سيما ديتريشى وهامر وجونبول ، وقد عنى هذا بترجمة بعض اشعاره الى اللاتينية وطبعت سنة ١٨٤٠ .

وترجمة المتنبي في ابن خلكان ٣٦ ج ١ ، وبتيمة الدهر ٧٨ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٦٦ (*)

٢ - أبو فراس الحمداني

توفى سنة ٣٥٧ هـ

هو أبو فراس الحارث بن أبي العلاء سعيد بن حمدون الحمداني ابن عم سيف الدولة . . فهو شاعر أمير ، وكان فارسا مفوارا وشاعرا بليغا وشعره مسائل بين الحسن والجودة والسهولة والجزالة والعدوية والفخامة والجلالة مع رواء الطبع وسمة الظرف وعزة الملك . ولم تجتمع هذه الخلال قبله الا في شعر عبد الله بن المعتز . وأبو فراس يعد أشعر منه عند أهل الصنعة ونقاد الكلام . وكان الصاحب بن عباد يقول : « بديء الشعر بملك وختم

(*) راجع في المتنبي الانساب للسمعاني الورقة ٥٠٦ ا والصبح المنبى عن حقيقة المتنبي للبديعى والوساطة بين المتنبي وخصومه لملى بن عبد العزيز الجرجاني وخزانة الادب ج ١ ص ٢٨٢ وكتاب أبي الطيب المتنبي لبلاشير ومع المتنبي لطف حسين وبحثا لحنود شاكر نشره في مجلة المقتطف وكتابنا الفن ومناجبه في الشعر العربي الفصل الثاني من القسم الثاني ودائرة المعارف الاسلامية

بملك « يعنى امراً القيس و ابا فراس ، وكان المتنبي يشهد له بالتقدم والتبريز ويتحامى جانبه فلا ينبرى لمباراته ولا يجترىء على مجاراته . . لكنه لم يمدحه ومدح نفرا دونه من آل حمدان تهيبا له واجلالا ، لا اغفالا واخلالا . وكان سيف الدولة يعجب جدا بمحاسن ابي فراس ، ويميزه بالاكرام على سائر قومه ، ويستصحبه في غزواته ويستخلفه في أعماله

واشتهر ابو فراس في عدة معارك مع سيف الدولة حارب فيها الروم ، فاسر في احداها وهو جريح في فخذه . . فحمل الى القسطنطينية وسجن فيها اربع سنين . ونظم وهو في السجن قصائد امتازت بالرفقة والحنين الى الوطن وعرفت بالقصائد الروميات . ثم اطلق سراحه وعاد الى وطنه . ولما مات سيف الدولة طمع هو في حمص ، فاعترضه ابو المعالى بن سيف الدولة وجرت بينهما حرب انتهت بقتل ابي فراس سنة ٣٥٧ وهو في مقتبل العمر لم يتجاوز السابعة والثلاثين

وقد جمع شعره في ديوان طبع في بيروت سنة ١٨٧٣ وسنة ١٩٠٠ (**) ، وأفرد صاحب يتيمة الدهر فصلا كبيرا لترجمة ابي فراس وأشعاره . (ج ١) وقد عنى دوفورك بترجمة بعض أشعاره الى الالمانية ، طبعت في ليدن سنة ١٨٩٥

ومن أمثلة شعره قوله في الفخر :

ألم ترنا أعزَّ الناس جارا وأمنَّهم وأمرَّهم جنابا
لنا الجبل المطلُّ على نزار حلَّكتنا النجْدُ منه والهضابا
تفضَّلنا الأنامُ ولا تحاشي ونوصفُ بالجميل ولا تحابى
وقد علمت ربيعة بل نزار بأنا الرأسُ والناسُ الذئبابى
ولما أن طغت سفهاء كعب فتحنا بيننا للحرب بابا
منحناها الحرائب غير أنا إذا جارت منخاها الحرابا
ولما ثار سيف الدين ثرنا كما هيَّجت آسادا غضابا
أسنته إذا لاقى طعانا صوارمه ، إذا لاقى ضرابا
دعانا والأسنة مثرعات فكنا ، عند دعوته ، الجوابا
صنائع فاق صانعها ففاقت وغرس طاب غارسه فطابا
وكنا كالسهام إذا أصابت مراميها فراميهما أصابا
وقوله في العتاب :

قد كنت عدتتى التى أسطو بها ويدي إذا اشتدَّ الزمان وساعدى

فرميت منك بغير ما أمكثته والمرء يشرق بالزلال البارد
فصبرت كالولد التقى ليربه أغضى على ألمه لضرب الوالد
ومن اخوانياته قوله :

لم أؤأخذك بالجفاء لأنى
فجميل العدو غير جميل
و من باب الشكوى والعتاب قوله :

أيا قومنا لا تنشبوا الحرب بيننا
فيا ليت داني الرحيم منا ومنكم
عداوة ذي القربى أشد مضاضة
وقوله :

إذا كان فضلى لا أسوِّغ نفعه
ومن أضيع الأشياء مهجة عاقل
ومن النسب قوله :

تبسم ، اذ تبسم ، عن أقبح
واتحفنى براح من رصاب
فمن لألاء غرته صبايح
ومن التشبيهات قوله :

لبسنا رداء الليل والليل راضع
بحال ترد الحاسدين يعيظهم
الى أن بدا ضوء الصباح كأنه
ومن زومياته وقد شقت فخذ من نصل السهم قوله :

فلا تصفن الحرب عندى فانها
وقد عرفت وقع المسامير مهجتي
و ترجمته في ابن خلكان ١٢٧ ج ١ وبتيمة الدهر ٢٢ ج ١ (*)

(*) وراجع في أبي فراس مقدمة ابن خالويه لديوان الشاعر « نشر سمانى الدهان » وتقديم
الدهان لديوان وتعليقاته عليه ونشوار الحاضرة ص ١١٠ وتاريخ الكامل لابن الأثير « انظر
الفهرس » وتاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ٤٧٦ ، ٤٨٦ ، ٤٩٦ وزبدة الحلب في تاريخ حلب لابن
الهديم ج ١ ص ١٥٦ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلن ٨٩ ج ١

٣ - كشاجم

توفى نحو سنة ٣٥٠ هـ

هو أبو الفتح محمود بن الحسين بن شاهق ، هندی الاصل ويعرفه بالسندی ، اقام في الرملة فلقب بالرملي . وله ديوان رتب على حروف المعجم وطبع في بيروت سنة ١٣١٣ ، ومن مؤلفاته « كتاب أدب النديم » وهو صفيير يبحث في واجبات النديم وفضائله وأخلاقه وما عليه عند التداعي للمنادمة والسماع والمحادثة ، ويتخلل ذلك أخبار وأشعار ، طبع في مصر سنة ١٢٩٨ ، ويتسبب اليه كتاب البيزرة في علم الصيد منه نسخة خطية في مكتبة غوطا . وأخباره في الفهرست ١٣٩ (*)

٤ - السرى الرفاء

توفى سنة ٣٦٢ هـ

هو أبو الحسن السرى بن أحمد بن السرى الكندى الرفاء ، ولد في الموصل ونشأ فيها وكان يرفو ويطرز في دكان وهو ينظم الشعر حتى جاد شعره . . فقصده سيف الدولة ومدحه وأقام عنده مدة . وانتقل بعد وفاته الى بغداد ، ومدح الوزير المهلبى وجماعة من رؤسائها . وكان بينه وبين الخالدين الشاعرين الموصليين معاداة ، فادعى عليهما سرقة شعره وشعر غيره . . فكان ينسخ ديوان كشاجم المتقدم ذكره ، ويدخل فيه أحسن أبيات الخالدين ليقول الناس انهما سرقاه منه وسيأتى ذكرهما

وكان السرى شاعرا مطبوعا يمتاز شعره بعذوبة ألفاظه وكثرة الافتنان في التشبيهات والأوصاف . ولم يكن يحسن من العلوم غير الشعر . وفي تيممة الدهر طائفة حسنة من أشعاره وما أدخله في شعره من معاني الشعراء كالتنبيى وابن أبى حفصة وابن تمام وغيرهم ، وهو فصل طويل ومن تشبيهاته في وصف الثلج قوله :

يا من أناملته كالعارض السارى وفعله أبدا عارٍ من العيار
أما ترى الثلج قد خاطت أنامله ثوباً يزرى على الدنيا بأزار
ناراً ولكنها ليست بمبيدية نورا وماء ولكن ليس بالجارى
والراح قد أعوزتنا في صبيحتنا بيننا ولو وزن دينار بدينار
فامن بما شئت من راح يكون لنا نارا فانا بلا راح ولا نيار

ومن قوله يذكر صناعته :

(*) وانظر في كشاجم التيممة للشعالبي ج ١ ص ١٥٦ وكذلك ج ١ ص ٤٥٠ ، ٢ ص ٢٤ والشذرات ج ٣ ص ٣٧ وزهر الآداب للحصرى ج ٢ ص ٢١٩ ونثر النظم للشعالبي « طبعة دمشق » ص ١٣٧ ، ١٤٥ والحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجرى لميتز « ترجمة أبى زيدة » ج ١ ص ٣٦٨ وما بعدها

وكانت الإبرة فيما مضى صائنةً وجهي وأشعاري
فأصبح الرزقُ بها ضيقاً كأنه ، من ثقبها ، جاري
ومن محاسن شعره في المديح من جملة قصيدة :

يَلْتَقِي النَّدَى بِرقيقِ وجهٍ مُسْفِرٍ فإذا التقى الجمعان عاد صَفِيحاً
رَحْبَ المنازل ما أقام فإن سَرَى في جَحْنَفَلٍ ترك الفضاء مضيحاً
ومن عدوبة لفظه قوله :

ويا ديرها الشرقى لا زال رائحاً يَحْتَلُّ عقود المزن فيك ومثقتدى
عليلاً، أنفاس الرياح كأنمنا يَحْتَلُّ بماء الورد نرجسها الندى
يَشْتَقُّ جيوبَ الورد في شجراتها نسيماً متى ينظرُ الى الماء يَبْرُدُ

وللسرى الرفاء ديوان منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية في نحو . . ٤٠
صفحة نقلت من المدينة المنورة ، وأكثرها في مدح سيف الدولة والوزير
المهلبى وبعض بنى حمدان . وفيه أهاج في الخالدين وغيرهما وقصائد وصفية
يصف بها صيد السمك وشبكته والنار وكلاب الصيد وبعض الإنبية وغيرها .
وفي وصفه رقة وسهولة . ومنه نسخ أيضا في مكاتب باريس وبرلين (*) .
وله كتاب المحب والمحبوب والمشموم والمشروب ، وهو أربعة أقسام في
المحبين وأشعارهم والأطياب والأزهار وأسماء الخمر ، منه نسخة خطية
في فينا وأخرى في ليدن

وترجمته في يتيمة الدهر . ٤٥٠ ج ١ ، وابن خلكان ٢٠١ ج ١ ،
والفهرست ١٦٩ (***)

٥ - ابن هانئ الأندلسي

توفى سنة ٣٦٣ هـ

هو أبو القاسم محمد بن هانئ الأزدي الأندلسي ، ويرجعون بنسبه الى
آل المهلب بن أبي صفرة . كان أبوه هانئ شاعرا في بعض قرى المهديّة بإفريقيا
فانتقل الى الأندلس ، فولد له محمد سنة ٣٢٦ هـ في اشبيلية ونشأ بها وكان
شاعرا مطبوعا . تقرب من صاحب اشبيلية وحظى عنده ، وكان معاصرا
لعبد الرحمن الناصر وابنه الحكم ، والأندلس في أبان زهوها وحضارتها .
لكنهم كانوا يطاردون طلاب الفلسفة ويتهمونهم بالكفر ، وكان ابن هانئ من
طلابها فلما أشتهر أمره فيها تقم عليه الناس وساءت المقالة في صاحب
اشبيلية بسببه واتهم بمذهبه ، فأشار عليه بالقبية عن البلدة ريثما ينسى

(*) نشرت مكتبة القدسي في القاهرة هذا الديوان

(**) وانظر في السرى الرفاء شذرات الذهب ج ٣ ص ٧٣ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٦٧

أمره . . فخرج منها وعمره ٢٧ سنة الى بلاد المغرب ، والدولة الفاطمية في اثناء
 رغبتها في فتح مصر، فلقى القائد جوهرًا ومدحه . وانتهى خبره الى المعز
 لدين الله الفاطمي فاستقدمه اليه . ثم انتقل المعز الى مصر بعد فتحها فأخذ
 ابن هانئ يستعد للحاق به ، فتجهز ولحق به فوصل برقة فأضافه شخص
 من أهلها أقام عنده أياما في مجلس أنس . ويقال انه خرج من تلك الدار وهو
 سكران ، فنام في الطريق فوجد ميتا وهو في السادسة والثلاثين من عمره ،
 فأسف المعز لوفاته وقال : « هذا الرجل كنا نرجو أن نفاخر به شعراء المشرق »

ويمتاز شعر ابن هانئ بالمبالغة الكثيرة في المديح والافراط الى حد الكفر .
 وفي الفاظه قعقة ورنين . ونظرا لما تقدم من أشتهاره بالكفر لم ينصفه
 المؤرخون ولا الشعراء . وكان أبو العلاء المعري اذا سمع شعره قال :
 « لا أشبهه الا برحى تطحن قرونا » لاجل القعقة التي في الفاظه . ويزعم
 انه لا طائل تحت تلك الالفاظ ، وانما فعل المعري ذلك تعصبا للمتنبي

وعلى كل حال فانه أشعر أهل الاندلس على الاطلاق . وهو عندهم
 كالمتنبي في المشرق ، وكان معاصرا له . وأكثر شعره في مدح المعز لدين
 الله الفاطمي قد تقدم مثال منه عند كلامنا عن المبالغة الشعرية . ومن
 قوله في وصف الخيل من قصيدة مدح بها المعز :

وصواهلٍ لا الهُضْبُ يوم متغارها هُضْبٌ ولا البيدُ الحزُونُ حزونُ
 عَرَفْتُ بساعة سَبَقَها لا أنها عَكَلْتُ بها يوم الرِّهَانِ عيونُ
 وأجلُّ علم البرق فيها أنها مرَّت بجائحتيه وهي ظنونُ
 في العيث شينُهُ من نداءك كأنما مَسَّحتْ على الأنواء منك يمينُ

ولابن هانئ ديوان مرتب على الابجدية ، منه نسخ خطية في أكثر
 مكاتب أوروبا وطبع في يولاق سنة ١٢٧٤ وفي بيروت سنة ١٨٨٤ ،
 وترجمته في ابن خلكان ٤ ج ٢ (*)

٦ - الوأواء الدمشقي

توفي سنة ٣٩٠ هـ

هو أبو الفرج محمد بن أحمد الغساني الدمشقي الملقب بالوأواء .
 كان في بدء أمره مناديا في دار البطيخ بدمشق ينادي على الفواكه ، وما
 يزال يشعر حتى أجاد واشتهر . وكان شعره حسن التشبيه منسجم
 اللفظ عذب العبارة حسن الإشارة ، ولذلك شاع كثير من اشعاره على
 السنة الناس ، من ذلك قوله :

(*) وراجع في ابن هانئ بغية المتوسل للضبي ص ١٣٠ والتكملة لابن الأبار رقم ٢٥٠
 والاحاطة « الطبعة الاولى » ج ٢ ص ٢١٢ ومطبخ الانفس لابن خاقان ص ٧٤ ورايات المبرزين
 لابن سعيد « طبعة جومس » ص ٥٥ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٤٣ والنجوم الزاهية ج ٥
 ص ٣٥٦ والمغرب ج ٢ ص ٩٧ ومعجم الادباء ج ١٩ ص ٩٢ والمغرب لابن دحية ص ١٩٢ ونفع
 الطيب « انظر الفهرس » ودائرة المعارف الاسلامية

بالله ربكما عوجا على سَكَنِي وعاتباه لعل العتب يعطفه
وعرَّضا بي وقولا في حديثكما ما بال عبدك بالهجران تتلفه
فإن تبسم قولا عن ملاطفة ما ضرَّ لو بوصول منك تسعفه
وإن بدا لكما من سيِّدى غضب فغالطاه وقولا ليس نعرفه
وذكر له الثعالبي بعض القصيدة التي اشتهرت لابن زريق الآتي ذكره
ومطلعها :

لا تعذليه فإن العذل يولعه قد قلت حقا ولكن ليس يسمعه
وله من التشبيهات الايات المشهورة :

قالت وقد فتكت فينا لواظها لِمَ ذا؟ أما لقتيل الحب من قودِ
وأسبلت لؤلؤا من نرجسٍ وسقت ورَّداً وعضت على العنَّاب بالبردِ
إنسانة لو بدت للشمس ما طلعت من بعد رؤيتها يوماً على أحدِ
وله ديوان منه نسخة خطية في المكتبة الخديوية في نحو ٦٥ صفحة
نقل من المدينة المنورة ، أكثره مقاطيع في الخمر والغزل
وترجمته في فوات الوفيات ١٤٦ ج ٢ ، وبتيمة الدهر ٢٠٥ ج ١ (*)

٧ - السلامي

توفي سنة ٣٩٣ هـ

هو أبو الحسن محمد بن عبد الله من ولد الوليد بن الوليد بن المغيرة
المخزومي أخى خالد بن الوليد ، وسمى السلامي نسبة الى دار السلام .
ولد في كرخ بغداد سنة ٣٣٦ هـ ، ورحل منها الى الموصل وهو صبي
ينظم الشعر .. فلقى جماعة من مشايخ الشعراء ، منهم أبو عثمان
الخالدي أحد الخالديين وأبو الفرج البيهقي وغيرهما ، فأعجبوا ببراعته مع
حدائته فاتهموه بأن الشعر ليس له . ثم خبروه بتجربة .. وذلك أن
الخالدي كان في يده نارنجة ألقاها على برد تساقط في تلك الساعة ،
وطلبوا اليه أن يصف ذلك المنظر فقال مرتجلا :

لله درُّ الخالديِّ الأوحـد النَّدبُ الخطيرِ
أهدى لماء المترن عند جموده نارَ السعيرِ
حتى إذا صدر العنا بـ اليه عن حنقِ الصدورِ

(*) حقق ديوانه ونشره في دمشق سامي الدمان ، وانظر في حياته مقدمة هذا الديوان
والمراجع المذكورة هناك

بعثت إليه بمسذره
لا تمدلوه فإنه
عن خائرى أيدى السرور
أهدى الخدود الى الثغور .
فأقتنموا بافتداده وهو من أشعر أهل العراق ومدح آل حمدان .
ونزل على الصاحب بن عباد بأصمعيان ردحا من الزمن ، ثم قصده عضد
الدولة في شيراز . . فحمله الصاحب معززا مكرما . فأكرمه عضد الدولة
وكان يقول : « اذا رأيت السلامي في مجلس فلننت ان عطارد قد نزل
من الفلك الى . ووقف بين يدي »
ومن جملة مدحه آياه قوله :

إليك ملوى عرّضت البيضة جاعلا قصارى المطايا أن يلوح لها التصر
فكنت وعزّمت في الظلام وصارمي ثلاثة أشباه كما اجتمع الشر
وبشرت آمالي بسلكك هو الوري ودأري هي الدنيا ويوم هو الدهر
ومن بديع شعره في مدح الصاحب :

تبسّطنا على الآثام لما رأينا العفو من ثمر الذنوب
وفي بيتمة الدهر الجزء الثاني طائفة من احسن اشعاره . وتجد
اخباره أيضا في ابن خلكان ٥٢٤ ج ١

٨ - البيهقي

توفي سنة ٣٩٨ هـ

هو أبو الفرج عبد الواحد بن نصر المخرومي أصله من نصيبين بالعراق .
وهو ممن جمع بين الشعر والانشاء . ولكن الشعر غلب عليه . وقد
ذكر الشعالي رسائل دارت بينه وبين أبي اسحق الصابي وأشياء يطول
شرحها . ولقب بالبيهقي للثقة في لسانه . واتصل في ريعان شبابه
بسيف الدولة في حلب ، ثم تنقل بعد وفاته الى الموصل وبغداد . ومن
شعره ما يتغنى به ، أكثره في الغزل والخمر وفي الزهر فضلا عن قصائد
المدح . وفي البيتمة امثلة من شعره يضيق عنها هذا المقام ، ومن تشبيهه
قوله :

وكانما نقّشت حوافر خيله للناظرين أهلة في الجلمد
وكان طرف الشمس مطروف وقد جعل القبار له مكان الإئتمد
وأكثر شعره جيد ومقاصده فيه جميلة . واخباره في ابن خلكان
٢٩٨ ج ١ . وبيتمة الدهر ١٧٣ ج ١ (١)

(١) وانظر في البيهقي تاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ٦١٨ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٦٩ ودائرة
المعارف الإسلامية وما بها من مراجع

٩ - النامى

توفى سنة ٣٩٩ هـ

هو أبو العباس أحمد بن محمد الدارمى المصيصى المعروف بالنامى من خواص مداح سيف الدولة يأتى فى الرتبة عنده بعد المتنبى

وكان أديبا عارفا باللغة وقد اشتغل فيها بحلب ، وله وقائع مع المتنبى ومعارضات فى الأناشيد . وقد عاش بعده ذهرا حتى أبى على التسعين سنة من العمر ، ومن لطيف شعره قوله :

أتانى فى قميص اللاذ يسعى عدو لى يلتبِّ بالجيبِ
وقد عبث الشراب بمقلتيه فصيرَّ خداه كسنا اللهبِ
فقلت له بما استحسنْتَ هذا لقد أقبلتَ فى زى عجيبِ
أحمره وجنتيك كستك هذا أم أنت صبغتَه بدم القلوبِ
فقال الراح أهدت لى قميصا كلون الشمس فى شفق المغيبِ
فتوبى والمُدَام ولو خدنى قريب من قريب من قريب

وأخبره فى ابن خلكان ٣٨ ج ١ (*)

١٠ - ابن نبائة السعدى

توفى سنة ٤٠٥ هـ

هو أبو نصر عبد العزيز بن عمر من سعد من تميم . نشأ فى بغداد وطاف البلاد ومدح الملوك والرؤساء ، من جملتهم سيف الدولة وابن العميد . وجرت بينه وبين هذا مقاوضة سيأتى ذكرها فى ترجمة ابن العميد . ومدح عضد الدولة والوزير المهلبى وغيرهما . ويمتاز شعره بحسن السبك وجودة المعنى ، ومن قوله فى سيف الدولة وقد أعطاه فرسا أحمر محجلا قصيدة قال منها فى وصف الفرس :

فكأنما لطم الصباح جبينه فاقنص منه فخاض فى أحشائه
متمهئلا والبرق من أسمائه متبرقا والحسن من أكفائه
ما كانت النيران يكمن حرها لو كان للنيران بعض ذكائه
لا تعلق الألحاظ فى أعطائه إلا إذا كففت من غلوائه
لا يكمل الطرف المحاسن كلها حتى يكون الطرف من أسرائه

(*) وانظر فى النامى شذرات الذهب ج ٣ ص ١٥٢

وهو غير ابن نباتة المصري المتوفى سنة ٧٦٨ هـ صاحب الديوان المشهور ، وسيأتي ذكره . وغير ابن نباتة الفارقي الخطيب المتوفى سنة ٣٧٤ هـ صاحب ديوان الخطب ، وقد طبعت خطبته بمصر مرارا وفي بيروت سنة ١٣١١ ولها شروح عدة منها نسخ خطية في مكاتب أوروبا . وترجمته في ابن خلكان ٢٨٢ ج ١ (*)

وأما ابن نباتة السعدي فترجمته في ابن خلكان ٢٩٥ ج ١ ، ويتيمة الدهر ١٤٣ ج ١ (**)

١١ - الشريف الرضى

توفى سنة ٤٠٦ هـ

هو أبو الحسن محمد بن الطاهر وينتهي نسبه الى موسى الكاظم ومنه الى الحسين بن على ، ولذلك لقب بالشريف الرضى الموسوى . ولد في بغداد سنة ٣٥٩ ، وبدأ يقول الشعر وعمره بضع عشرة سنة . وكان أبوه تقيب الاشراف الطالبيين ، فصارت النقابة اليه سنة ٣٨٨ وأبوه حى . وكان عالما بعلوم القرآن واللغة والنحو وله فيها المؤلفات النافعة ، وكان يقيم في سر من رأى (سامرا) . وقد أجمع الاكثرون على ان الشريف الرضى أشعر قريش لان شعراء قريش كان فيهم من يجيد القول الا ان شعره قليل . فأما مجيد أكثر فليس الا الشريف الرضى . وتوفى في بغداد سنة ٤٠٦ هـ ، ودفن في الكرخ ورثاه الشعراء . وكان رفيع المنزلة لشرف نسبه ومنصبه وعلو كعبه في الشعر والادب . ومن أجمل نظمه الدال على عظم نفسه وشاعريته قصيدة قالها في الخليفة القادر بالله العباسي سنة ٣٨٢ مطلعها :

لمن الحدوج تهزهن الأثيق والركب يطفو في السراب ويغرق (١)
وتخلص الى مدح الخليفة والافتخار بنسبه فقال :

وبرزت في برد النبي وللهدى نور على أسرار وجهك مشرق
وكان دارك جنة حصباؤها الج ادى أو أنماطها الإستبرق
في موقف تغضى العيون جلاله فيه ويعثر بالكلام المنطق
والناس إما شاخص متعجب مما يرى أو ناظر متشوق
مالوا إليك محبة فتجمعوا ورأوا عليك مهابة فتفرقوا
عظما أمير المؤمنين فإننا في دوحة العلياء لا تنفرك

(*) وأنظر في ابن نباتة الفارقي شذرات الذهب ج ٣ ص ٨٣ وابن خلكان ج ١ ص ٣٥٦
والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٤٦
(**) وأنظر في ابن نباتة السعدي تاريخ بغداد ج ١٠ ص ٤٦٦ والشذرات ج ٣ ص ١٧٥
والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٣٨
(١) الحدوج : هودج النساء ، الأثيق : جمع ناقة

ما بيننا يوم الفخار تفاوت" أبدا ، كلانا في المعالي متهرق
 إلا الخلافة مَيَزَتْكَ فَإِنِّي أنا عاطل منها وأنت مطوق
 ويمتاز الشريف الرضى ببراعته في الرثاء ، وله عدة مرات أشهرها رثاؤه
 لابي اسحق الصابي بقصيدة مطلعها :
 رأيت من حملوا على الأعواد رأيت كيف خبا ضياء النادى
 وقد أكبر الناس قوله في هذه القصيدة لان المرثى كان صابيا
 ومن قوله فى الحكم :

كن فى الأنام بلا عينٍ ولا أذنٍ أو لا فعشٍ أهد الأيام مصدورا
 والناس أسدٌ تحامى عن فرائسها إما عقرت وإما كنت معقورا
 وللشريف المذكور ديوان كبير رواية أبى حكيم الخيرى ، مرتب على
 أبواب : (١) المديح (٢) الافتخار وشكوى الزمان (٣) المراثى (٤) النسيب
 والمشييب ووصف طيف الحبيب (٥) الفنون المختلفة . وكل باب مرتب على
 الابجدية ويليه زيادات . منه نسخ خطية فى دار الكتب المصرية ومكاتب
 برلين ولندن والاسكوريال . وقد طبع فى الهند فى مجلد واحد كبير مرتب
 على المعجم سنة ١٣٠٦ هـ ، وطبع فى بيروت أيضا . وله مؤلفات فى معانى
 القرآن لم تصلنا (**) . وله كتاب أنشراح الصدر فى مختارات من الشعر ،
 منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية . وفى مكتبة الاسكوريال مما ينسب
 الى الشريف الرضى مجموعة أشعار عنوانها طيف الخيال
 وتجد ترجمته فى ابن خلكان ٢ ج ٢ ، وبتيمة الدهر ٨١ ، و٢٩٨ ج ٢ (***)

١٢ - صريع الدلاء

توفى سنة ٤١٢ هـ

هو أبو الحسن على بن عبد الواحد ويعرف بصريع الدلاء وقتيل الفوائى ،
 اشتهر بقصيدة مجنونة مقصورة عارض بها مقصورة ابن دريد منها قوله :
 من لم يرد أن تنتقب نعاله يحملها فى كفه إذا مشى

(**) نشر محمد عبد الفتى حسن فى مكتبة الحلبي للشريف الرضى كتاب « تلخيص البيان
 فى مجازات القرآن »
 (***) راجع فى الشريف الرضى تاريخ بغداد ج ٢ ص ٢٤٦ ودمية القصر ص ٧٣ وروضات
 الجنات ص ٥٧٣ وشذرات الذهب ج ٢ ص ١٨٢ وشرح نهج البلاغة لابن أبى الحديد ج ١
 ص ١٠ ونسب الميزان ج ٥ ص ١٤١ ومرآة الجنان ج ٣ ص ١٨ والمنتظم « وفيات سنة ٤٠٦ »
 والوافى الوفيات « طبع استانبول » ج ٢ ص ٣٧٤ وفى مقدمة كتابه « المجازات النبوية » ترجمة
 منقولة عن كتاب تأسيس الشيعة الكرام لفنون الاسلام ، وانظر انباء الرواة ج ٣ ص ١١٤
 ومقدمة محمد عبد الفتى حسن لكتاب « تلخيص البيان فى مجازة القرآن » ، وكتب التساربخ
 المختلفة فى سنة وفاته

ومن أراد أن يصون رجله
من دخلت في عينه مسألة
من أكل الفحج يسود فمته
من صفع الناس ولم يدعهم
من ناطح الكبش تفجر رأسه
من طبخ الديك ولا يذبحه

فلبسه خير له من الحفّا
فأسأله من ساعته عن العمى
وراح صحن خده مثل الدجا
أن يصفعوه فعليهم اعتدى
وسال من مفرقه شبه الدما
طار من القدر الى حيث يشا

وترجمته في فوات الوفيات ٢٣٧ ج ٢ (*)

١٣ - مهيار الديلمي

توفي سنة ٤٢٨ هـ

هو أبو الحسن مهيار بن مرزويه الكاتب الفارسي الديلمي ، كان
مجوسيا وأسلم على يد الشريف الرضى . وتخرج في الشعر على يده ،
وقد عارض كثيرا من قصائده . ويمتاز في شعره بجزالة القول ورقة
الخاصية وطول النفس ، وقد طرق أكثر أبواب الشعر فمن قوله في القناعة :

يُلحَى على البخل الشحيح بماله أفلا تكون بماء وجهك أبخلا
أكرم يديك عن السؤال فإنما قدّر الحياة أقل من أن تسألا
ولقد أضم إلي فضل قناعتي وأبيت مشتملا بها متملا
وأرى العدو على الخصاصة شارة تصف الغنى فيخالني متمولا
وإذا امرؤ أفنى الليالي حسرة وأمانيا أفنيتهن توكللا

ومن بديع مدائحه قوله من جملة قصيدة :

وإذا رأوك تفرقت أرواحهم فكأنما عرفتك قبل العين
وإذا أردت بأن تفل كتيبة لاقيتها فقسم فيها واكتن

وله من جملة قصيدة أبيات تتضمن العتب وهي :

إذا صور الإشفاق لي كيف أتم وكيف إذا ما عن ذكرى صبرهم
تنفست عن عتب فؤادي مفتح به ولساني للحفاظ مجبهم
وفي في ماء من بقايا وداكم كثيرا به من ماء وجهي أرقتهم
أضم فما صمتا عليه وبينه وبين انسكاب ريثما أتكلم

وقد جمع شعره في ديوان يدخل في أربعة مجلدات كان مشهورا في أيام ابن خلكان وذكر أمثلة منه ولم نقف عليه (*). وترجمته في ابن خلكان ١٤٩ ج ٢

١٤ - أبو العلاء المعري

توفي سنة ٤٤٩ هـ

هو خاتمة شعراء العصر العباسي الثالث ، كما كان شبيهه أبو الطيب المتنبي فاتحته .. ونعم الفاتحة والخاتمة . وهو الشاعر الحكيم الفيلسوف أحمد بن عبد الله بن سليمان بن محمد التنوخي . ولد في المعرة سنة ٣٦٣ هـ ، وكان أبوه من أهل الادب وتولى جده القضاء فيها . وكانت أمه أيضا من أسرة وجيبة يعرفون بأل سنيكة اشتهر منهم غير واحد بالوجهة والادب . وكانت المعرة تحت سيطرة الدولة الحمدانية بحلب ، وأميرها يومئذ سعد الدولة أبو المعالي

ولم يتم أبو العلاء الثالثة من عمره حتى أصابه الجدري ، فذهب يسرى عينيه وفشئ يمانها بياض . فكف بصره وهو طفل ، وكان يقول : « لا أعرف من الألوان الا الاحمر لانني البست في الجدري ثوبا مصبوغا بالعصفر » . لقنه أبوه النحو واللغة في حدائته ، ثم قرأ على جماعة من أهل بلده . ولما أدرك العشرين من عمره عمد الى سائر علوم اللغة وآدابها ، فاكتملها بالمطالعة والاجتهاد . وكان يقيم اناسا يقرأون له كتبها وأشعار العرب وأخبارهم . وهو قوى الحافظة الى ما يفوق التصديق

وكان مطبوعا على الشعر ، نظمه قبل أن يتم الحادية عشرة من عمره . ولم يمنعه العمى من مباراة أرباب القرائح فيما اشتغلوا به حتى في العاهم ، فقد كان يلعب الشطرنج والرد ويحيد لعبهما لا يرى في العمى نقصا . بل كان يقول : «أحمد الله على العمى كما يحمده غيري على البصر» وكان يرتزق من وقف يحصل له منه ثلاثون دينارا في العام ، ينفق نصفها على من يخدمه

ورحل في طلب العلم على عاداتهم في ذلك العهد ، فأتى طرابلس واللاذقية وسواهما من بلاد الشام وأخذ فلسفة اليونان عن الرهبان . ثم رحل الى بغداد سنة ٣٩٨ وشهرته قد سبقته اليها ، فاستقبله علماءها بالحفاوة . واطلع في أثناء اقامته هناك على فلسفة الهنود والفرس فضلا عن سائر العلوم . حتى اذا نضج عقله وأمن النظر في الوجود رأى الدنيا كما هي ، فزهد فيها وعزم على الاعتزال ، ليتسنى له التأمل والتفكير . فغادر بغداد سنة ٤٠٠ هـ ، وأتى المعرة ولزم بيته وسمى نفسه « رهين المحبسين » . وأخذ في التأليف والنظم وتدوين أفكاره وآرائه ومحفوظه في الكتب . وانقطع عن أكل اللحم من ذلك الحين واقتصر على النبات كما يفعل النباتيون اليوم . . اقتبس ذلك من آراء البراهمة الهنود ، فذهب مذهبه

(* نشرت دار الكتب المصرية هذا الديوان ، وانظر ترجمة مهياد في مقدمته وبحسب في شعره بكتابتنا « الفن ومذاهبه في الشعر العربي »

فيه ، رفقا بالحيوان وتجاфия عن ايلامه ، ولزم الصوم الدائم
 قضى أبو العلاء في هذه العزلة بضعا وأربعين سنة ، واكله العسدى
 وحلاوته التين . وهو يؤلف وينظم ، والناس يتوافدون اليه ليسمعوا
 أقواله وأخباره ، أو يكاتبوه في استفهام واستفتاء ويأخذوا عنه العلم مجانا
 حتى توفاه الله سنة ٤٤٩
 وكان معدودا من أقطاب العلم والادب والشعر ويمتاز بأنه أم يتكسب
 بشعره

مؤلفاته

خلف مؤلفات في الشعر وفي الادب . أما أشعاره فأشهرها :

- ١ - اللزوميات : وهو ديوان كبير طبع في بمباى سنة ١٣٠٣ هـ ، ثم
 في مصر سنة ١٨٩٥ في نحو ٩٠٠ صفحة . في صدرها مقدمة في الشعر
 وشروطه وقوافيه على اسلوب انتقادى يدل على رسوخ قدمه في اللغة
 والشعر . وذكر ما التزمه في نظم هذا الديوان من الشروط ، أهمها التزام
 حرفين في القافية وقد نظمه في أثناء عزلته ، وضمنه كثيرا من آرائه في
 الوجود والخليقة والنفس والدين . . فكان له وقع عند أصحاب الفلسفة ،
 فقالوا : « ان ابا العلاء أتى قبل عصره بأجيال » وتمتاز أشعاره في عزلته
 بصيغة سوداوية تشف عن سوء ظنه في الحياة ويأسه من أسباب السعادة .
 لعل سببها اختلال الهضم عنده بتوالى الصوم والاقتصار على نوع أو نوعين
 من الاطعمة . على ان أكثر أشعاره في الفلسفة والزهد والحكم والوصف ،
 ويندر فيها المدح أو التشبيب . وقد نقل أمين الريحانى بعض رباعياته الى
 الانجليزية ، وقد نشرت في أميركا منذ بضع سنين . وترجم بعض شعره
 أيضا جورج سلمون الى اللغة الفرنسية ونشرها في باريس سنة ١٩٠٤
- ٢ - سقط الزند : وهو ديوان آخر نظمه قبل العزلة ، طبع مرارا
- ٣ - ضوء السقط : وهو شرح على سقط الزند وملحق به ما نظمه
 في الدروع ، طبع في بيروت سنة ١٨٩٤ . أما الادب فله فيه مؤلفات
 عدة ربما زادت على خمسين كتابا ، أكثرها في اللغة والقوافي والنقد
 والفلسفة والمراسلات ، ضاع معظمها ، واليك ما بلغ الينا خبره منها :
- ٤ - رسائل أبي العلاء : هي كثيرة ، لو جمعت كلها لبلغت ثمانمائة
 كراس . وقد توخى فيها التسجيع والعبارة العالية والكلام الغريب على
 نحو ما يفعلون في انشاء المقامات ، فلا تفهم بلا تفسير . وهى من قبيل
 الشعر المنثور في وصف الخلائق كالنمل والجراد والنسر والفيل والنحل
 والضفدع والفرس والضع والحية ونحوها من الحيوانات ، غير وصف
 الاماكن والمواقف والثياب والماكل وغيرها مما يحسن تقليده لولا ما فيه من
 اللفظ الغريب . ولكن معظمها ضاع ، وقد جمع أكثر ما بقى منها في كتاب
 طبع في بيروت سنة ١٨٩٤ مضبوطا بالحركات . وطبع أيضا في اكسفورد
 سنة ١٨٩٨ بعناية الاستاذ مرجيلوث المستشرق الانجليزى مع ترجمة

انجليزية وتعاليق وشروح تاريخية وأدبية مفيدة . وقد صدرها بمقدمة في ترجمة المؤلف بالانجليزية ، وذيلها بما ذكره الذهبي من ترجمته وختمها بفهرس للاعلام

٥ - رسالة الغفران : هي من جملة رسائله ، ولكننا افردناها بالكلام لانها طبعت على حدة ولها شان خاص من حيث موضوعها . وهي فلسفية خيالية كتبها في عزلة ، وضمنها انتقاد شعراء الجاهلية والاسلام وأدبائهم والرواة والنحاة على أسلوب روائى خيالى لم يسبقه اليه أحد . فتخيل رجلا صعد السماء ووصف ما شاهده هناك ، كما فعل دانتى شاعر ايطاليا فى « الكوميديا الالهية » وما فعل ملتن الانجليزى فى « الفردوس المفقود » لكن أبا العلاء سبقهما ببضعة قرون ، لان دانتى توفى نحو سنة ٧٢٠ هـ وملتن نحو سنة ١٠٨٤ هـ وتوفى أبو العلاء سنة ٤٤٩ هـ ، فلا بدع اذا قلنا باقتباس هذا الفكر عنه . واقدمهما « دانتى » لم يظهر إلا بعد احتكاك الافرنج بالمسلمين . والاطاليون أسبق الافرنج الى ذلك . وتقسم موضوعات رسالة الغفران الى قسمين : أدبى لغوى ، ونوادير خيالية عن بعض الزنادقة ومستقلى الافكار والمتنبئين ونحوهم ممن توالى ظهورهم فى أثناء التمدن الاسلامى . ويتخلل ذلك محاورات مع الشعراء الجاهليين يسألون فيها عما غفر لهم به فيذكر كل منهم شعرا قاله أو عملا عمله فغفر له به . ومنها تسميه هذه الرسالة برسالة الغفران . كأنه يعرض بما يرجوه من المغفرة لنفسه عما فرط منه أحيانا من الابيات التى يعدها الناس الحادا . وقد طبعت هذه الرسالة بمصر سنة ١٩٠٦ ، ولخصناها فى السنة ١٥ من الهلال من صفحة ٢٧٩

٦ - ملقى السبيل : هي رسالة فلسفية نشرتها مجلة المقتبس سنة ٧ ج ١ ، عن أصل خطى قديم وجد فى الاسكوريال بعناية ح.ح. عبد الوهاب التونسى . وهي على نسق رسائله الاخرى ، لكن أكثرها منظوم . وقد قابل الناشر بين آراء المعرى فيها وآراء شوبنهاور الفيلسوف الالمانى من حيث الحياة ومصيرها ، وطبعها على حدة سنة ١٩١٢

٧ - كتاب الايك والفصون ويعرف باسم الهمزة والردف : يبحث فى الادب وأخبار العرب ، يقارب مائة جزء ضاع منذ بضعة قرون . وانما ذكرناه لعل أحدا يعثر على شيء منه ، اذ يظهر انه عظيم الاهمية . . فقد قال فيه الذهبي : « حكى من وقف على المجلد الاول بعد المائة من كتاب الهمزة والردف ، فقال لا أعلم ما كان يعوزه بعد هذا المجلد »

وعنى أبو العلاء بشرح كتب هامة أو اختصارها مر ذكر بعضها . . منها شرح الحماسة ، منه نسخة خطية فى مكتبة دار الكتب المصرية فى ٤٤٢ صفحة وهو شرح لغوى

وكان مشاركا فى كثير من علوم الاقدمين كالفلسفة والكيمياء والنجوم والمنطق ، ويظهر اثر ذلك فى أشعاره وأقواله . ولو أردنا الاتيان بأمثلة منها لضاق بنا المقام ، ودواوينه شائعة فميزناه بخلو ترجمته من الامثلة الشعرية كما ميزنا المتنبي قبله . وقد تقدم ذكر شيء من شعره فى كلامنا عن مزايا الشعر فى هذا العصر وغيره . وسنأتى بأمثلة أخرى فى أمكنة أخرى

ويقال بالاجمال ان الشعر العربي دخل بعد المعرى في طور جديد من حيث النظر في الطبيعة والتفكير في الخلق والحكمة الاجتماعية ، فانتقل الشعر على يده من الخيال الى الحقيقة . واختلف الناس في مناقب ابي العلاء وأخلاقه واعتقاده . وله فلسفة خاصة في الدين والطبيعة والخلقية . وهو أقرب في هذا الاتجاه الى مذهب اللادريين ، فهو يؤمن بالتقمص وخلود المادة ويعتقد أن القضاء لا نهاية له ، وكان يقبح الزواج وبعد النسل جنابة . وكان يرى ان المرأة لا ينبغي لها أن تتعلم غير الغزل والنسج وخدمة المنزل . وكان من القائلين بالرفق بالحيوان ، فقضى النصف الاخير من عمره لا يذوق لحما . وله أقوال في هذا الموضوع سبق بها الداعين الى الرفق بالحيوان اليوم بعدة قرون . وعثر له الاستاذ مرجيلوث على رسالة في هذا الموضوع جريدة الفائدة نشرها في المجلة الاسيوية الانجليزية ولخصناها في الهلال سنة ١٥ ج ٤

وقد اتهمه بعضهم بالكفر ، وكانوا يتهمون به كل حر الضمير مستقل الفكر في تلك الأيام . . مع ان اعترافه بالخالق ووجدانيته ظاهر في كثير من أشعاره ، لكنه لم يكن يرى الاعتقاد بالتسليم بل بالتفكير . وكانت حقيقة الدين عنده أن يعمل الانسان خيرا لا أن يكثر من الصلاة والصوم . ولذلك كان شديد الوطأة على الفقهاء الذين يتظاهرون بالدين للارتزاق . وقد فصلنا ذلك وأيدناه بالامثلة من أشعاره وأقواله في السنة الخامسة عشرة من الهلال من صفحة ١٩٥

وتجد ترجمته في السنة المذكورة من الهلال ، وفي ابن خلكان ٣٣ ج ١ ، وطبقات الادباء ٤٢٥ ، ومعجم الادباء ١٦٢ ج ١ ، وفي ذيل رسائله المطبوعة باكسفورد (*)

سائر الشعراء في العصر العباسي الثاني

وهناك طائفة كبيرة من الشعراء يضيق المقام عن ذكرهم لكثرتهم ، فمن أحب الاطلاع على تراجمهم وأخبارهم فعليه بكتاب يتيمة الدهر للثعالبي ، ودمية القصر للباخرزي ، ومعجم الادباء لياقوت الحموي ، وتاريخ ابن خلكان ، وسائر كتب التراجم ، ونشير هنا الى بضعة شعراء امتاز كل منهم بضرب من الشعر :

(*) كلفت وزارة التربية والتعليم لجنة بجمع كل ما كتب عن ابي العلاء في المصادر القديمة ، وجمع اللجنة من ذلك مجلد ضخيم نشرته باسم « تعريف القدماء بابي العلاء » وراجع فيه وفي شعره ونثره « تجديد ذكرى ابي العلاء » و « مع ابي العلاء في مسجده » و « صوت ابي العلاء » لطف حسين (طبع دار المعارف) والفن ومذاهبه في الشعر العربي والفن ومذاهبه في النثر العربي ومقدمة مرجيلوث للرسائل التي نشرها له وفون كريمر في كتابه تاريخ الحضارة في الشرق Culturesgeschichte des Orients الجزء الثاني ٢٨٦ وكتاب جولدزيهر المسمى دراسات اسلامية مجلد ٢ ص ٤٠٣ ونيكلسون ص ٣١٣ ومقالات مختلفة في مجلة المستشرقين الالمان في السنوات ١٨٧٥ ، ١٨٧٦ ، ٨٤ ، وتاريخ الادب في ايران من الفردوس الى السعدى لبراون ترجمة ابراهيم امين الشوازي ٣٦٤ وادارة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٢٥٥ ج ١

- ١٥ - أبو الرعمق كان مداحا : ترجمته في يتيمة الدهر ٢٢٨ ج ١ ،
وابن خلكان ٤٠ ج ١
- ١٦ الواساني : كان هجاء ، ترجمته في اليتيمة ٢٦١ ج ١
- ١٧ - أبو عبد الله الحسين بن الحجاج : كان ماجنا ، ترجمته في
اليتيمة ٢١١ ج ٢ (*)
- ١٨ - ابن سكرة الهاشمي من ولد علي بن المهدي بن المنصور الخليفة
العباسي : جال في ميدان المجون والسخف ما أراد ، وكانوا يشبهونه مع
ابن الحجاج بجرير والفرزدق . ويربو ديوان ابن سكرة على ٥٠٠٠ بيت
منها ١٠٠٠ بيت في جارية سوداء اسمها خمرة وكانت عرضة نواده
وملحه كطيلسان ابن حرب ، ولم تقف على ديوانه . ترجمته في اليتيمة
١٨٨ ج ٢ ، وابن خلكان ٥٢٦ ج ١

ابن ذريق

ولا يصح الاغضاء عن أبي الحسن علي بن ذريق الكاتب البغدادي صاحب
القصيد التي قالها في حال غمه وبأسه بعد أن قصد صاحب الأندلس ومدحه
فلم يعطه إلا عطاء قليلا فاعتل غما ومات . وذكروا أن صاحب الأندلس إنما
أراد أن يختبره ، فلما كان بعد أيام سأل عنه فتفقده في الخان الذي كان
فيه فوجدوه ميتا ، وعند رأسه رقعة فيها القصيدة المشار إليها ومطلعها :

لا تعذليه فإن العذلَ يولعه* قد قلت حقا ولكن ليس يسمع*

وهي منشورة في الكشكول وغيره من كتب الأدب. ولها شروح وتخاميس
وقد تقدم أن الثعالبي ذكر بعضها للواواء دمشقي. وقد شرحها على بن عبد الله
العلوي وخمسها على بن ناصر الباعوني ، ومن الشرح والتخمين نسخة بيرلين

(*) انظر في ابن الحجاج وفيات الأعيان لابن خلكان والشذرات ج ٣ من ١٣٦ والنجوم
الزاهرة ج ٤ ص ٢٠٤ والحضارة الإسلامية لبيتر ج ١ ص ٣٧٦ وما بعدها والعربية ليوهان فك
ترجمة عبد الحلیم النجار ص ١٨٢ وما بعدها ودائرة المعارف الإسلامية

الإنشاء والترسل

في العصر العباسي الثالث

تمكنت الحضارة من أسلوب الترسل في هذا العصر ، ونعنى بالترسل انشاء المراسلات على الخصوص . « ويريدون به معرفة أحوال الكاتب والمكتوب اليه من حيث الادب والمصطلحات الخاصة الملازمة لكل طائفة » وهو الذي يتغير مع العصور كما بينا ذلك في كلامنا عن الانشاء في العصر الماضي . ويشتمل على المراسلات والخطب ومقدمات الكتب لان أساليبها متشابهة . أما انشاء الكتب أي عبارة المؤلفات التاريخية والعلمية التي يراد بها تقرير الحقائق بغير ارباب أو تهديد أو تنبيه أو تحريض ، فهذه قلما يتورها تغيير لان تقرير الحقائق العلمية أو التاريخية قلما تؤثر فيه الانفعالات النفسية فهو اقل مجارة لأحوال الاجتماعية . ولذلك رأيت عبارة البلغاء من المؤلفين متشابهة يندر الاختلاف فيها ، الا فيما يختص بنفس الكاتب وأسلوب تفكيره وموضوع كتابه . . اذ ان لكل كاتب طريقة يعبرون عنها بالذوق ، ولكل فن مصطلحات خاصة تجعل للكتابة فيه نسقا خاصا ، فعبارة الفقيه تختلف عن عبارة المؤرخ ، وهذه تختلف عن عبارة الحكيم أو الرياضي . وقد يختلف أسلوب المؤلف الواحد باختلاف الموضوع الذي يكتب فيه . ولكنها ترجع كلها الى أسلوب خاص يختلف عن أسلوب الترسل

والكاتب في الموضوعات العلمية لا يزال على أسلوب المؤلفين المتناسق المرسل حتى يقتضى الموضوع مخاطبة القارئ ، فينتقل الى أسلوب الترسل بالتسجيع أو نحوه حسب العصور . فاذا فرغ من الخطاب عاد الى الانشاء المرسل البسيط ، الا طائفة من المؤلفين أرادوا زيادة التأنق في مؤلفاتهم فجعلوا عباراتها كلها مسجعة . وذلك نادر وسنعود الى الكلام فيه

أسلوب الترسل

لما كان المراد بالمراسلات والخطب التعبير عن العواطف والميول وسائر الاحوال ، وهذه تختلف في الناس باختلاف آدابهم الاجتماعية وأحوالهم الادبية ، وهي تتغير بتغير الاحوال . . كان الترسل أكثر تعرضا للتغيير في أسلوبه وعبارته وهو ما نريد بيانه هنا

يغلب أن يكون لكل عصر امام في انشاء المراسلات يقلده معاصروه . . كذلك كان عبد الحميد وابن المقفع في العصر العباسي الاول والجاحظ في

العصر الثاني . وأما امام الانشاء في هذا العصر فهو ابن العميد لاسباب سببها في ترجمته . وقد رأيت ما أصاب هذا الانشاء في العصر الماضي على يد الجاحظ وأصحابه من تقطيع العبارة وادخال الدعاء فيها بصيغة المخاطب بغير اشتراط السجع أو التقفية . وعلمت ما يمتاز به هذا العصر من التوسع بأسباب الحضارة والترف ، نفي ما صار اليه الادباء والمنشئون من التبسط في العيش عن سعة ورخاء . . لا يخافون مزاحمة أو فقرا لتعدد مصادر الارتزاق في دور الامراء والوزراء والخلفاء . فاذا خافوا سيقا في بلاط نزحوا الى سواه ، والرخاء يدعو الى التألق . . فتطرق ذلك الى انبثاقهم فصاروا يتأنقون فيه كما يتأنقون في لباسهم وطعامهم واثاثهم ، فأطالوا العبارة وتوسعوا في التثنيق . ونبع جماعة من أصحاب القرائح تعاونوا على ذلك حتى صار للانشاء في هذا العصر طريقة اتخذها أهل العصور التالية نموذجا نسجوا على منواله . وهي الطريقة المدرسية في اصطلاح الافرنج (كلاسيك) وعبارة أخرى ان الطريقة المدرسية للترسل العربي نضجت في هذا العصر كما نضج الانشاء الروماني في عصر شيشيرون ثم أخذ في التقهقر . وللطريقة المدرسية في الانشاء العربي شروط هالك أهمها :

شروط الطريقة المدرسية في الانشاء العربي

١ - السجع : أصبح التسجيع شرطا من شروط الترسل ، وهو من ثمار التألق لما يقتضيه من العناية في اتقانه . فالرسالة المسجعة يظهر التألق فيها أكثر من غير المسجعة . وتدل من جهة أخرى على تفرغ صاحبها للتثنيق ، ولا يكون ذلك الا في الرخاء . والسجع اذا اتقنت صياغته اكسب المعنى قوة . وقد اتقنه بلغاء العصر الثالث ، فرغب الناس فيه وتسابقوا اليه . . لكن بعض معاصريهم من ادعياء هذا الفن كلفوا به عن غير مقدرة عليه فجاء باردا . ومما يروى من هذا القبيل وفيه فكاهاة ، ان الخاقاني الوزير كان يحب السجع حتى استخدمه في التوقيع على كتب العمال ، فوقع مرة « الزم وفقك الله المنهاج ، واحذر عواقب الاعوجاج ، واحمل ما أمكن من الدجاج ان شاء الله » فحمل العامل دجاجا كثيرا على سبيل الهدية . فقال : « هذا دجاج وفرته بركة السجع » وأمر ان يباع ويورد ثمنه في الحساب ، فأورد منسوباً الى ثمن دجاج السجع .

٢ - الجناس والبديع : وأكثروا من الجناس ، وهو من قبيل الترضيع للآنية أو الوشى للثوب . لا يزيد الوشى الثوب نفعا للاسنة من حيث الفرض المراد منه كالدفع والستر ، ولكنه يزيده جمالا . والجناس أو البديع لا يزيد العبارة معنى ، لكنه يكسبها رونقا ، ولاسيما مع السجع . فقول أبي بكر الخوارزمي في كتابه الى نائب الوزير ابن عباد : « كتبت الى الاستاذ معاتباً مرة ، ومستعتبا كرة ، فما وجدت للعتاب اعتابا . ولا قرأت من الكتاب جوابا ، وليت شعري ما الذي منعه من صلة لاضررة وتنفعني ، وعن تواضع لا يضعه ويرفعني » لو جعله مرسلا بسيطا لم يكن له ذلك الوقع في النفس

٣ - كثر فيه الخيال الشعري حتى أصبح سجعهم كالشعر المنثور..
لكنه مقفى فلا يعوزه غير الوزن ليصير شعرا

٤ - كثر تضمين مراسلاتهم الامثال أو النكت الادبية أو العبارات التاريخية أو العلمية التي تحتاج الى شرح ، كقول ابن العميد في رسالة الى أبي العلاء السروي :

« وأحمد الله على كل حال وأسأله أن يعرفني فضل بركته ، ويلقيني الخير في باقي أيامه وخاتمته ، وأرغب اليه في أن يقرب علي القمر دوره ويقصر سيره ، ويخفف حركته ، ويعجل نهضته وينقص مسافة فلكه ودائرتة ، ويزيل بركة الطول من ساعاته ، ويرد علي غرة شوال فهي أسر الفرور عندي وأقرها لعيني ، ويسمعي النعرة في قفا شهر رمضان ، ويعرض علي هلاله أخفى من السر وأظلم من الكفر وانحف من مجنون بنى عامر وأضنى من قيس بن ذريح وأبلى من أسير الهجر ، ويسلط عليه الحور بعد الكور (*) ويرسل علي رفاقته التي يفشي العيون ضوءها ويخط من الاجسام نوعها كلها يفمرها وكسوفها يسترها » الخ

٥ - اكثروا فيه من الاستشهاد بالاشعار في أثناء مراسلاتهم ، وهو ترصيع جميل يزيد المعنى طلاوة ووضوحا ويكسبه قوة على ابداء ما في خاطر الكاتب . وقد بالغ بعضهم في ذلك الترصيع حتى أصبح الشعر فيه أكثر من النثر ، كقول الصحاح بن عباد يصف فصلا من كتب ابن العميد قال : « فصل رأيتة فصيح الاشارة لطيف العبارة

إذا اختصر المعنى فشرية حائمه وإن رام إسهاباً أتى الفيض بالمدد
فصل قد نظرته فرايته جسما معتدلا وفهما مشتعلا

ونفساً تفيض كفيض الغمام وظرفاً يناسب صفو المدام
فصل قد عمهم بنعمه وغمرهم بشيمه

وغزاهم بسوابغ من فضله جعلت جماجمهم بطائن نعله . الخ
وتفنن آخرون بجعل الترصيع شطرا شطرا ، كقول الهمداني من رسالة الى الخوارزمي :

أنا لقرب دار الأستاذ (كما طرب التشنوان مالت به الخمر)
ومن الارتياح للقائه (كما اتفص العصفور بكه القطر)
ومن الامتزاج بولائه (كما التقت الصهباء والبارد العذب)
ومن الابتهاج بمزاره (كما اهتزت تحت البارح العنصن الرطب)

- ٦ - صار للرسائل نمط خاص تراه ممثلاً في رسائل أبي بكر الخوارزمي وأبي منصور الثعالبي وأمثالهما من كتاب ذلك العصر. فالرسالة تبدأ غالباً بمخاطبة المرسل إليه بلقبه أو نعتة بعد الإشارة إلى كتابه. ويتلو ذلك مخاطبته بصيغة الفائب كقولهم: «ورد كتاب الأمير يأمرني فيه بكذا وكذا الخ» وقولهم: «قد حملت إلى حضرة الشيخ أبياتا عاتبته بها» وهو يريد الشيخ المخاطب. وقد يأتي اللقب مشفوعاً بالدعاء بصيغة الفائب أيضاً كقول أبي بكر الخوارزمي في كتاب إلى محمد بن إبراهيم صاحب الجيش، وكان محبوساً وخرج من الحبس. «كتبت أيد الله صاحب الجيش وقد خرجت من تلك الأهوال، خروج المشرفي من الصقال الخ» وقد يجعلون الخطاب بصيغة المخاطب في بعض الأحوال.
- ٧ - تفرغ الترسل إلى أبواب عملاً بسنة النشوء كما تفرغ الشعر. فصارت الرسائل تقسم إلى رسائل التهنة والتعزية والمديح والثناء وإلى الاخوانيات والسلطانيات ونحو ذلك.
- ٨ - تمتاز مقدمات الكتب أو خطبها بتقديم الحمدلة والصلاة على النبي، وتختتم بآية يحسن الختام بها كقولهم: «وما توفيقى إلا بالله عليه توكلت» أو بالحسيلة ونحوها.
- ٩ - اختصاص كل طبقة من الوجهاء ورجال الدولة بنعوت خاصة بها، فان تفاوت رجال الدولة في المنزلة والنفوذ اقتضى أن تتفاوت أساليب مخاطباتهم. واستقر ذلك على وجه معين في العصر العباسي الثالث، فأصبح عندهم لكل طبقة من رجال الدولة نعوت تفتتح بها مخاطباتهم وعبارات تعنون بها كتبهم وأدمية يدعون بها لهم، كقولهم في مخاطبة أولاد الخليفة في زمن المقتدر بالله «أطال الله بقاء الأمير» ولؤنس المظفر «أطال الله بقاءك وأعزك وأكرمك وأتم نعمته وأحسنه إليك» والعنوان «لابي الحسن أطال الله بقاءه» ولصاحب اليمن ونحوه «أكرمك الله ومد في عمرك وأتم نعمته عليك وأدامها لك» وقس عليه.
- ١٠ - صار الإنشاء فنا له الفاظ خاصة سموها الالفاظ الكتابية لا يتجاوزونها إلى سواها. وتولدت فيه مصطلحات خاصة لاساليبه وعباراته، كالتسجيع والترصيع والتبديل والكفاة والاستعارة والتتميم والتقسيم والإرداف والتمثيل والتكرير وغيرها. ولكل منها غرض في الإنشاء هذه أهم شروط الإنشاء في العصر العباسي الثالث، وقد سميناهم الطريقة المدرسية لأنها صارت مثلاً توخاه الكتاب في سائر العصور الإسلامية. وقد طرأ عليها تغيير اقتضاه حال الاجتماع سندكره في مكانه ومما لا بد من التنبيه إليه أن ما يجري عليه الكتاب من تقليد القدماء في مذاهبهم وتقليد أساليبهم، لا اعتقادهم أن ملكة الإنشاء إنما ترسخ بمطالعة كتب القدماء وأشعارهم، بعث على تعدد الأساليب في العصر الواحد. فينبغ في العصر الثالث مثلاً كتاب يقلدون أسلوب الجاحظ وآخرون يقلدون أسلوب ابن المقفع أو عبد الحميد أو أسلوب صدر الإسلام. ويصدق ذلك على سائر العصور. ولكن يفلب في أهل العصر الواحد أن يخضعوا لما تقتضيه الأحوال الاجتماعية فيكون لانشائهم صيغة خاصة به.

المنشؤون أو المترسلون

في العصر العباسي الثالث

تكاثر المنشؤون في هذا العصر مثل تكاثر الشعراء ، واشتهر بعضهم بالصناعتين جميعا حتى لقد تتولاك الحيرة في جعل أحدهم من الكتاب أو من الشعراء . واشتهر من المترسلين في العصر طائفة من الوزراء والكبراء ورجال الدولة ، شرفت بهم الصناعة وارتفعت قيمتها لانهم كانوا عمدتها ووجوه كتابها بل هم اقوى اركان تلك النهضة في النظم والنثر وسائر اسباب العلم والادب . واليك أشهرهم حسب سنى الوفاة :

١ - ابن العميد

توفى سنة ٣٦٠ هـ

هو أبو الفضل محمد بن العميد ، والعميد لقب والده على عادة أهل خراسان في اجرائه مجرى التعظيم . وكان ابن العميد وزير ركن الدولة الحسن بن بويه والد عضد الدولة. تولى الوزارة سنة ٣٢٨ هـ ، وكان متوسعا في الفلسفة والنجوم فضلا عن الادب والترسل حتى سموه «الاستاذ» وكان يلقب لبراعته في الترسل بالجاحظ الثاني. وقيل بدئت الكتابة بعبد الحميد وختمت بابن العميد. وكان الصاحب بن عباد من بعض اتباعه كما سيحىء . وعاد الصاحب مرة من بغداد فسأله ابن العميد عنها ، فقال : «بغداد في البلاد كالاستاذ في العباد» يشير الى تفرده في العلم . وهو أسبق المنشئين الى أسلوب ذلك العصر، وقد أجاد فيه فقلدوه ونسجوا على منواله . وساعد على شيوع طريقته رفعة منزلته وعلوكعبه في العلم . وكثيرا ما رأينا الوجاهة من جلة أسباب الشهرة العلمية ، فهي لا تجعل الجاهل مشهورا بالعلم لكنها تجعل قليل العلم يشتهر بكثرة - وأخذ الصاحب بن عباد من ابن العميد ، وكان الصاحب مركزا يدور حوله ادباء ذلك العصر فساعد ذلك على نشر تلك الطريقة ويندل على مناقب ابن العميد ويمثل منزلة الادباء في ذلك العصر حادثة جرت له مع ابن نباتة السعدي ، وقد مدحه بقصيدة فتأخرت صلته فشفعها بأخرى وأتبعها برقعة ، فلم يزد ابن العميد الا اهمالا مع رقة حاله التي ورد عليها الى بابه . فتوصل الى أن دخل عليه يوما - وهو في مجلس حفل بأعيان الدولة ومقدمى ارباب الديوان - فوقف بين يديه وأشار اليه بيده ، وقال : «أبها الرئيس اني لزمك لزوم الظل وذللت لك ذل النعل وأكلت النوى المحرق انتظارا لصلتك . والله ما بي من الحرمان ، ولكن شماعة الاعضاء وهم قوم نصحوني فأغششتهم وصدقوني فاتهمتهم فباى وجه القاهم وباى حجة أقاومهم . ولم أحصل من مديح بعد مديح ومن نثر بعد نظم الا على ندم مؤلم ويأس مسقم . فان كان للنجاح علامة فأين هي ؟ وما هي الا ان الذين نحسندهم على مامدحوا به كانوا من طينتك وان الذين هجوا كانوا مثلك . فزاحم بمنكيك اعظمهم شأنا وانورهم شعاعا وامدهم باعا واشرفهم بقاعا»

فحار رشد ابن العميد ولم يدر ما يقول ، فأطرق ساعة ثم رفع رأسه وقال : « هذا وقت يضيق عن الاطالة منك في الاستزادة وعن الاطالة مني في المعذرة . واذا تواهبتنا ما دفعنا اليه استأنفنا ما نتحامد عليه » فقال ابن نباتة : « أيها الرئيس هذه نفثة مصدور منذ زمان وفضلة لسان قد خرس منذ دهر .. والغنى اذا مطل لثيم »

فاستشاط ابن العميد غضبا وقال : « والله ما استوجب هذا العتب مني أحد من خلق الله تعالى ، ولست ولي نعمتي فأحتملك ولا صنيعتي فأغضي عليك ، وان بعض ما قررته في مسامعي ينقص مرة الحلم ويبدد شمل الصبر . هذا وما استقدمتك بكتاب ولا استدعيتك برسول ولا سألتك مدح ولا كلفتك تقريظي » فقال ابن نباتة : « صدقت أيها الرئيس ما استقدمتني بكتاب ولا استدعيتني برسول ولا سألتني مدحك ولا كلفتني قرضك ، ولكن جلست في صدر ديوانك بأبهتك وقلت لا يخاطبني أحد الا بالرياسة ولا ينازعني خلق في احكام السياسة ، فاني كاتب ركن الدولة وزعيم الاولياء والحضرة والقيم بمصالح المملكة .. فكأنك دعوتني بلسان الحال ولم تدعني بلسان المقال »

فثار ابن العميد مفضبا وأسرع في صحن داره الى أن دخل حجرته وتقوض المجلس وماج الناس وسمع ابن نباتة وهو في صحن الدار مارا يقول : « والله ان سف التراب والمشى على الجمر أهون من هذا ، فلعن الله الادب اذا كان بائعه مهينا ومشتريه مماكسا فيه »

فلما سكن غيظ ابن العميد وثاب اليه حلمه التمسه من الغد ليعتذر اليه ويرزق آثار ما كان منه ، فكانما غاض في سمع الارض وبصرها ولم يقف على مكانه . فكانت حسرة في قلب ابن العميد الى أن مات . ونسب بعضهم هذه الحادثة الى شاعر آخر غير ابن نباتة

وكان ابن العميد يقرب أهل الادب والشعر ، فجام حوله طائفة منهم امتدحوه .. كالمثنبي ، وابن نباتة ، والصاحب بن عباد ، وغيرهم يجتمعون في مجلسه فيقترح عليهم النظم والمقارضة .. وهي أن يقول أحدهم شعرا أو بيتا في وصف شيء أو حادثة فيتمه الآخر فالآخر

وكان ابن العميد شاعرا رقيقا ، من أحسن شعره قصيدة منها :

قد ذبت غير حشاشة وذماء ما بين حرّ هوى وحرّ هواء
الى ان قال وفيه مبالغة :

لا تغتنم إغضائي فلعلها كالعين تفضيها على الأقتداء
واستبتق بعض حشاشتي فلعلني يوماً أقيك بها من الأسواء
فلو ان ما أبقيت من جسمي قدّمي في العين لم يمنع من الإغفاء
ومن قوله في الغزل :

ظَلَّكَتْ تَظَلَّلْنِي مِنَ الشَّمْسِ نَفْسٌ أَعَزُّ عَلَىَّ مِنْ نَفْسِي
فَأَقُولُ وَاعْجَبَا وَمِنْ عَجَبِ شَمْسٍ تَظَلَّلْنِي مِنَ الشَّمْسِ

وترى أمثلة من ترسله ونظمه في يتيمة الدهر الجزء الثالث . ولم يصلنا
منه رسائل مجموعة ولا شعر على حدة

واشتهر ابنه أبو الفتح ذو الكفائيتين بعده بمثل شهرته

وتجد أخبار ابن العميد في ابن خلكان ٥٧ ج ٢ ، و يتيمة الدهر ٢ ج ٣ (*)

٢ - أبو بكر الخوارزمي

توفي سنة ٣٨٣ هـ

هو أبو بكر محمد بن العباس الخوارزمي الكاتب الشاعر . ويقال له أيضا
الطبرخزي لان أباه من خوارزم وأمه من طبرستان . وهو ابن أخت محمد
ابن جرير الطبري صاحب التاريخ . وكان الخوارزمي اماما في اللغة والنسب ،
أقام بالشام مدة وسكن نواحي حلب . وكان يشار اليه في عصره وقصد
الصاحب بن عباد وهو في أرجان وجالسه وبأسطه . واشتهر بكثرة حفظه
الاشعار . ويحكى انه لما جاء الى الصاحب استأذن عليه بدون أن يذكر اسمه
فدخل عليه الحاجب وأعلمه ، فقال الصاحب : « قل له قد ألزمت نفسي
أن لا يدخل علي من الأدباء الا من يحفظ عشرين ألف بيت من شعر العرب »
فخرج اليه الحاجب وأعلمه بذلك فقال له أبو بكر ارجع وقل له هذا القدر
من شعر الرجال أم من شعر النساء ؟ « فدخل الحاجب فأعاد عليه .
فقال : « هذا يكون أبا بكر الخوارزمي » فأذن له في الدخول

لم يصل إلينا من آثار أبي بكر الخوارزمي الا مجموعة رسائل تعرف باسمه ،
وهي مطبوعة في مصر ، وفي الأستانة سنة ١٢٩٧ ، وفي بومباي سنة ١٣٠١ ،
وغيرها . ومنها نسخ خطية في برلين وفيينا وليدن وكوبرلي . وفي الجزء الرابع
من يتيمة الدهر أمثلة كثيرة من نثره ونظمه . وفيه طائفة حسنة من المدائح
والمراثي والاهاجي وطرق مختلفة . وهو غير محمد بن موسى الخوارزمي الفلكي
الرياضي المعاصر للمأمون (ترجمته في ابن القفطي ١٨٧ والفهرست ٢٧٤) وغير
ابن عبد الله محمد بن أحمد الخوارزمي صاحب مفاتيح العلوم المتقدم ذكره
اما أبو بكر هذا فترجمته في ابن خلكان ٥٢٣ ج ١ ، و يتيمة الدهر ١١٤ ج ٤ (*)

(*) اراجع في ابن العميد تجارب الأمم لسكويه ج ٦ ص ٣٤٥ - ٣٤٧ ، ٣٥١ - ٣٥٨ وتاريخ
ابن الأثير « الطبعة الأوربية » ج ٨ ص ١٩٩ وما بعدها وأمرأ البيان لمحمد كرد عني وتطور
الاساليب النظرية لانيس المقدسي والفن ومذاهبه في النثر العربي ودائرة المعارف الاسلامية
(*) وانظر في الخوارزمي رسائل بديع الزمان « طبع بيروت سنة ١٩٢١ » ص ٢٨ وما بعدها
والفن ومذاهبه في النثر العربي

٣ - أبو اسحاق الصابى

توفى سنة ٣٨٤ هـ

هو أبو اسحاق ابراهيم بن هلال بن زهرون بن حيون الحرانى الصابى ،
جد أبى الحسن هلال الصابى صاحب التاريخ . كان أبو اسحق كاتب
الانشاء فى بغداد عن الخليفة وعن عز الدولة بختيار بن معز الدولة بن بويه .
وتقلد ديوان الرسائل سنة ٣٤٩ ، وكانت تصدر عنه مكاتبات الى عضد
الدولة بن بويه بما يؤله . . فحقد عليه ، فلما قتل عز الدولة وملك عضد
الدولة بغداد اعتقله سنة ٣٦٧ هـ وعزم على القائه تحت أيدي الفيلة ،
فشفعوا فيه ثم أطلقه سنة ٣٧١ . وكان قد أمره أن يصنف كتابا فى أخبار
الدولة الدبلوماسية فعمل كتاب « التاجى » ، فقبل لعضد الدولة أن صديقا
للصابى دخل عليه فرآه فى شغل شاغل من التعليق والتسويد والتبييض ،
فسأله عما يعمل فقال : « أباطيل أنمقها وأكاذيب الفقهة » فهاج حقد
عليه ، ولم يزل الصابى مبعدا فى أيامه

وكان أبو اسحق على مذهب الصابئة ويدل على ذلك اسمه . وكان عز
الدولة يحرضه على الاسلام فلا يفعل ، لكنه كان يصوم رمضان مع المسلمين
ويحفظ القرآن ويقتبس منه . وكانت له صداقة مع الشريف الرضى
المتقدم ذكره . فلما توفى أبو اسحق رثاه بالقصيدة التى ذكرنا مطلعها
وخبرها فى ترجمة الشريف . وكان الصابى عالما بالهندسة ، لكن غلبت
عليه صناعة الانشاء . ومما بلغنا من انشائه :

١ - منشآت الصابى : فى المكتبة الخديوية نسخة خطية بهذا الاسم
تدخل فى ٥٤ صفحة ، تشتمل على مراسلات كتبها الصابى على لسان
ولاية الامر فى عصره من ملوك آل بويه والخلفاء وغيرهم . وهى كالمخابرات
الرسمية فى وصف الوقائع الحربية أو غيرها ، منها رسالة كتبها الى ركن
الدولة سنة ٣٦٤ هـ شرح فيها فتح بغداد وانهازم الأتراك منها ووصف
الخلاف . ورسالة على لسان عز الدولة الى عضد الدولة جواب كتاب بفتح
جبال القفص (بين فارس وكرمان) وقهر البلوص (جيل من الأكراد)
ورسائل أخرى عن حروب بين البويهيين والحمدانيين وغيرهم . وكلها
تشتمل على حقائق تاريخية رسمية تفسر بعض ما التبس من تاريخ ذلك
العصر . وفيها صور عهد أو تقليدات رسمية للولاية أو العمال أو القضاة
صادرة من الخليفة ، كالعهد الذى قلده الطائع لله العباسى أبا الحسن على
ابن ركن الدولة على الصلاة وأعمال الحرب يدخل فى بضع عشرة صفحة .
وفيه أمور هامة عن أحوال السياسة والإدارة والاجتماع مما لا يتيسر
الوقوف عليه فى كتب التاريخ . ونسخة عهد الى قاضى القضاة . وغيرها
الى القواد أو الفقهاء أو أمراء الحج . ومنشورات بعثت الى الأهلين أو
العمال أو القرامطة . فضلا عن رسائل خاصة كتبها الصابى الى أصدقائه .
وبالجملة ان هذه المنشآت خزانة أدب وتاريخ وسياسة وعبارتها بليغة
متينة ، بل هى من أبلغ ما كتب فى ذلك العصر

٢ - رسائل الصابي : تقسم الى أبواب في المراسلات والشفاعات والمعاتبات وما انفذ الى العمال والمتصرفين والنواحي . وهي غير منشأته المتقدم ذكرها (**) وان كانت تشبهها في أكثر موادها ، فان فيها كثيرا من الرسائل الودية فضلا عن المخابرات السياسية والتقليد الرسمية والمنشورات ونحوها ، وفيها فوائد تاريخية واجتماعية هامة ، منها نسخة خطية في ليدن وفي المكتبة الخديوية وجزء في باريس ، وطبع بعضها في بيروت اما التاجي فلم يصلنا منه شيء وتجد ترجمته في ابن خلكان ١٢ ج ١ ، وبيتمة الدهر ٢٣ ج ٢ ، ومعجم الادباء ٣٢٤ ج ١ ، والفهرست ١٣٤ (***)

٤ - الصاحب بن عباد

توفي سنة ٣٨٥ هـ

هو أبو القاسم اسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني . وقد تقدمت الاشارة الى منزلته من الواجهة وتأثيره في تلك الحركة الادبية ، وكان ادبيا منشئا وعالما في اللغة وغيرها . اخذ عن أحمد بن فارس اللغوي الآتى ذكره وعن ابن العميد . وهو أول من لقب بالصاحب من الوزراء لانه كان يصحب ابن العميد فقبل له صاحب ابن العميد . ثم أطلق عليه هذا اللقب لما تولى الوزارة وبقي علما عليه . وسمى به كل من ولي الوزارة بعده . وقد وزر أولا لمؤيد الدولة ابن ركن الدولة بن بويه بعد ابن العميد . فلما توفي مؤيد الدولة تولى مكانه أخوه فخر الدولة فأقر الصاحب على وزارته ، وكان مبجلا عنده نافذ الامر . وكان مجلسه بؤرة الادباء والشعراء يمدحونه أو يتناقشون أو يتعارضون بين يديه ، وذاعت شهرته في ذلك العصر حتى أصبح موضوع أعجاب القوم يتسابقون الى اطرائه ، ونظمت القصائد في مدحه . وكتب اليه نوح بن منصور الساماني يستقدمه اليه فاعتذر كما سبق أن ذكرنا . وقد بلغ من رفعة القدر انه لما توفي سنة ٣٨٥ هـ أغلقت له مدينة الري أبوابها واجتمع الناس على باب قصره ينتظرون جنازته . وحضر مخدومه فخر الدولة المذكور أولا وسائر القواد وقد غيروا لباسهم . فلما خرج نعشه من الباب صاح الناس بأجمعهم صيحة واحدة وقبلوا الارض ومشي فخر الدولة امام الجنازة مع الناس وقعد للعزاء أياما . ورثاه الرستمى بقوله :

ابعد ابن عباد يَهَشُّ إلى الشَّرِي أخو أملٍ أو يَسْتَمَاحُ جوادُ
أبي الله إلا أن يموتا بموته فما لهما حتى المعاد معادُ
وكان شاعرا مترسلا مع ولع شديد بالسجع حتى في الكلام فضلا عن

(**) فصل المؤلف بين رسائل الصابي ومنشأته ، وهي جميعها من نعت واحد هو الرسائل وكل ما في الامر انهما نسختان مختلفتان . وفي دار الكتب المصرية الآن نسخ مختلفة من رسائل الصابي
(**) وراجع في الصابي تاريخ ابن الاثير « أنظر الفهرس » والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٦٧ وكتب التاريخ المختلفة في سنة وفاته ودائرة المعارف الاسلامية

الكتابة . وقيل فيه « انه لو رأى سبعة تنحل بموقعها عروة الملك ويضطرب بها حبل الدولة لما هان عليه التخلي عنها » وكان يتشنى ويتلوى ويتهادى . وفي يتيمة الدهر أمثلة من نظمه ونثره فضلا عن معرفته اللغوية ، فانه ألف معجما سماه المحيط سيائى ذكره مع المعاجم . وألف له ابن فارس كتاب الصحبى الآتى ذكره . وساعده منصبه السياسى على الشهرة العلمية . وله فى الرسائل كتاب الكافى ، منه منتخبات خطية فى مكتبة باريس (**) . وقصيدتان من شعره فى برلين . وله ديوان فى مكتبة صوفيا بالآستانة وترجمته فى ابن خلكان ٧٥ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٩٧ ، ويتيمة الدهر ٣١ ج ٣ و ١٥٧ ج ٤ ومعجم الادباء ٢٧٣ ج ٢ ، والفهرست ١٣٥

٥ - بديع الزمان الهمداني

توفى سنة ٣٩٨ هـ

هو أبو الفضل احمد بن الحسين بن يحيى بن سعيد الهمداني الحافظ المعروف ببديع الزمان، كان يقيم فى هراة بأفغانستان. وكان شاعرا ولغويا ، واشتهر على الخصوص بقوة الحافظة . كان يسمع القصيدة التى لم يسمعها قط ، وهى أكثر من خمسين بيتا ، فيحفظها كلها ويؤديها من أولها إلى آخرها لا يغير حرفا ولا يخل بمعنى وينظر فى الأربعة والخمسة أوراق من كتاب لم يعرفه نظرة واحدة خفيفة ، ثم يتلوها من ظهر قلب

وكان سريع الخاطر قوى البديهة يقترح عليه نظم القصيدة أو انشاء الرسالة ، فيفرغ منها فى الوقت والساعة . وربما يكتب الكتاب المقترح عليه ، فيبتدىء بآخر سطر منه وهلم جرا إلى الاول . وله من المؤلفات :

١ - رسائل مجموعة فى كتاب يعرف برسائل بديع الزمان ، طبعت فى الآستانة سنة ١٢٩٨ . وفى بيروت سنة ١٨٩٠

٢ - ديوان شعر : منه نسخة خطية فى مكتبة باريس ، وقد طبع بعصر سنة ١٣٢١ هـ

٣ - مقامات تعرف باسمه وهى أقدم كتاب وصل إلينا فى هذا الفن من فنون اللغة . وهو أول من وفاه حقه وجعله علما ، وقد اقتبس نسقه من أستاذه ابن فارس اللغوى الآتى ذكره . وعنه أخذ الحريرى نسق مقاماته . والمقامات حكايات قصيرة موضوعة على لسان رجل خيالى تنتهى بعجزة أو موعظة أو نكتة . والمراد بها فى الأكثر التفتن بالانشاء وتضمينه الأمثال والحكم . ولم يكن هذا كل المراد منها فى زمن الهمداني . وقد شبهها بعضهم بالدرام فى اللغات الأفرنجية . ومقامات الهمداني تروى على لسان

(**) نشر عبد الوهاب عزام وشوقى ضيف هذه المنتخبات فى دار الفكر العربى بالقاهرة باسم رسائل الصحبى بن عباد . وانظر فى معجم الادباء ج ٦ ص ١٦٨ . وتاريخ ابن الأثير « الفهرس » والصدائقة والصديق لآبى حيان والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٦٩ وكتب التاريخ فى سنة وفاته والفن ومذاهبه فى النثر العربى ومقدمة رسائله ودائرة المعارف الإسلامية

رجل اسمه عيسى بن هشام ، طبعت هذه المقامات في الأستانة سنة ١٢٩٨ ، ثم في بيروت مشروحة شرحا مختصرا للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٦ وهو غير عبد الرحمن الهمداني صاحب الالفاظ الكتابية المتقدم ذكره صفحة ١٨٦ وترجمة بديع الزمان في ابن خلكان ٣٩ ج ١ ، ومعجم الادباء ٩٤ ج ١ ، وبيتمة الدهر ١٦٧ ج ٤ (*)

٦ - الثعالبي

توفي سنة ٤٢٩ هـ

هو أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل النيسابوري الثعالبي ، قيل له ذلك لانه كان فراء بجلد الثعالب . وهو خاتمة مترسلى هذا العصر وأهم أدبائه . ونعم الخاتمة ، لانه أكثرهم آثارا وأوسعهم مادة وهو الذى ترجم لهم وذكر أخبارهم وأقوالهم . وكان فى العصر المشار اليه راعى تلمعات العلم ، وجامع اشتات النثر والنظم ، ورأس المؤلفين ، وأمام المصنفين وهو مع ذلك شاعر مطبوع ، ومن نظمه فى وصف الفرس قوله :

يا واهب الطَّرفِ الجواد كأنما قد أنعلوه بالرياح الأربع
لا شيء أسرع منه إلا خاطرى فى وصف نائلك اللطيف الموقع
ولو أننى أنصفت فى إكرامه لجلال مهديه الكريم الأملعى
أقضمته حبب الفؤاد لحببه وجعلت مربطه سواد المدمع
وخلعت ثم قطعت غير مضيع برّد الشباب لجلته والبرقع

وله مؤلفات كثيرة أكثرها من قبيل الادب ، فنؤجل ذكرها الى ذلك الباب (***) ونكتفى هنا بذكر كتابه فى الانشاء . نعى كتاب رسائل الثعالبي طبع فى الأستانة سنة ١٣٠١ ، وهو أربع رسائل منتخبة من كتب التمثل والمحاضرة والمبهج وسحر البلاغة والنهاية الآتى ذكرها بين كتبه الأخرى

منشون آخرون

وهناك جماعة من المنشئين وبلغاء المترسلين لم يخلفوا آثارا غير ما ذكره الثعالبي فى اليتيمة أو غيره ممن ترجموهم . وهذه أسماؤهم وبجانبها مكان وجود الأمثلة من انشاء كل منهم وترجمة حاله :

(**) وراجع فى بديع الزمان كتابا خاصا فيه ، نشر فى سلسلة نوايح الفكر العربى التى تصدرها دار المعارف وتاريخ الأدب فى إيران ص ١٢٨ وما بعدها وبحثا فى مقاماته بكتابتنا « المقامة » نشر دار المعارف وأمراء البيان وتطور الأساليب النثرية والفن ومداهبه فى النثر العربى ودائرة المعارف الإسلامية
(***) سيجزم له المؤلف فيما بعد ويذكرهم مراجعهم

٤ ج ٢٠٤	في يتيمة الدهر	٧ - أبو الفتح البستي
٤ ج ٢٤٧	في يتيمة الدهر	٨ - أبو الفضل الميكالي
٢ ج ٢٧٣	في يتيمة الدهر	٩ - الحاتمي
١ ج ٣٣٨	ابن خلكان	١٠ - الشابشتي
١ ج ٣٥٧	ابن خلكان	١١ - التهامي الشاعر
١ ج ٤٣٨	في اليتيمة	١٢ - القسطلي

الادب والانشاء

عند الافرنج

ومما يحسن الاستطراد اليه في هذا المقام ان علم الادب الذي يعنيه الافرنج بقولهم Literature يفضى الى الاجادة في فنى المنشور والمنظوم مثل علم الادب عند العرب ، لكنه يشتمل أيضا على روح انتقادية هي المراد الاصلى من علم الادب عندهم لا العبارة أو الاسلوب . وانما يريدون تلك الروح التى ينتقد بها الكاتب أو الشاعر ما يقع عليه نظره من الحوادث الطبيعية أو ينتبه له من أماكن النقص فى الامة أو رجالها أو ملوكها ، فينتقده أو يصفه بأسلوب انتقادى شعري يحرك العواطف ويقع من النفس موقعا مؤثرا . وكتابهم انما يتفاضلون فى أسلوب ذلك الانتقاد . وهو يشبه ما ورثوه من الروايات التمثيلية عن أسلافهم ، لان المراد الاصلى منها تمثيل الفضائل للترغيب فيها وتمثيل الرذائل للتنفير منها . فالكاتب أو الشاعر عندهم يكتب أو ينظم أو يمثل أو يخطب ، والغرض الرئيسى عند الانتقاد بما توحى اليه قريحته النظر فى الوجود أو المجتمع الانسانى أو أحوال الناس من حيث الادب أو السياسة أو الاخلاق . يقطع النظر عما يرجوه من الكسب أو الاسترضاء . وهذا نادر فى أدباء العرب لانصراف قرائحهم فى صدر دولتهم الى ارضاء الخلفاء أو الامراء من مدح أو هجاء على ما كانت تقتضيه الاحزاب السياسية، أو يتحدثون بما يطرب الخليفة أو الامير لانه على رضاه يتوقف رزقهم كان الغرض الاول من الادب العربى فى الدولة الاموية وصدر الدولة العباسية خدمة مصلحة ولاية الامر فى تأييد سيادتهم ونفوذهم أو تسليتهم وتفريحهم . وكان اكثر الشعراء والادباء من الموالى طلاب الرزق، فلم تتوجه قرائحهم الى النقد الاجتماعى أو السياسى أو الفلسفى مما يقتضيه النظر فى الخليفة أو نظام الاجتماع أو الدولة ، لان ذلك لا يلائم أغراض أصحاب السيادة ولا سيما بعد أن صار هؤلاء يطاردون الاحرار باسم الزندقة أو الاعتزال أو الفلسفة بعد عصر المأمون . . فقامت تلك المطاردة سدا فى سبيل حرية القول واستقلال الفكر . فأصبح الادباء لا يفكرون الا كما يشاء امرؤهم . وإذا فكروا فى غيره لا يجسرون على قوله . وإذا قالوه بادروا الى اخفائه فرارا من الاذى أو سوء الاحدثة أو الاتهام بالروق من الدين . ولذلك لم يصلنا من أقوال ادباء ذلك العصر الحرة الانتقادية الا النزر اليسير

ولعل أول من كسر قيود التقليد في هذا الشأن أبو العلاء المعري الشاعر الفيلسوف ، فنشر آراءه في انتقاد الهيئة الاجتماعية والتقاليد الدينية والاعتقادات الشائعة نظما ونثرا . . فوجه سهامه نحو رجال الدين لاحترافهم التقوى في سبيل الاستجداء أو الاستئثار . ونظم في فلسفة الوجود وفلسفة الاجتماع ، فنقم عليه كثيرون واتهموه بالكفر ولم يعدوا قوله شعرا فسموه الحكيم وأنكروا عليه الشاعرية . والحقيقة ان تلك هي الشاعرية بعينها . . فسرت روحه في جسم المجتمع ، وأخذ الأدباء من العرب وغيرهم يقلدونه كما فعل عمر الخيام في رباعياته

على ان أكثر أدباء العرب اقتصرُوا في انتقاداتهم الاجتماعية أو الاخلاقية على نظم القصائد الحكيمة ، يضمونها بالحكم والمواظ ومحاسن الاخلاق . وأكثر الكتب المؤلفة في السياسة ونحوها تتضمن النصائح للملوك ، وما ينبغي أن يكونوا عليه من الكمالات . وقد يؤلفون الكتاب باسم ملك ينصحونه به كما فعل الشيخ عبد الرحمن في كتاب السياسة الذي قدمه لصلاح الدين الأيوبي المتقدم ذكره

ولكن ذلك غير ما يريده أدباء الأفرنج في عصرنا من النقد الأدبي أو الادب الانتقادي ، فهم يريدون ما فعله شكسبير ودانتى وهوجو وروسو وفولتير وغيرهم ممن ألف القصص للمطالعة أو التمثيل أو القوائد أو المقالات في تصوير الحقائق وانتقادها واستخراج العبرة منها بأسلوب شعري يؤثر في النفس . وقد يؤلف أحدهم الرواية الكبيرة ينتقد بها عادة شائعة أو تكتة توسمها في نظام الاجتماع أو قوانين الحكومة . والعرب قلما فعلوا ذلك في النظم أو النثر ، الا نحو ما يؤخذ من كتاب كيلة ودمنة وأمثاله

وهو تلميحى وليس عربى الاصل . وقد ألفوا قصة عنترة مثلا ، صوروا بها حال الاجتماع في الجاهلية . وصوروا في ألف ليلة وليلة حال الاجتماع في عصر الرخاء والحضارة ، لكنهم لم يضعوا ذلك في شكل انتقادي ولا نبهوا الى مكان العبرة فيه . وان كان القارئ يتأثر في المطالعة ، فيساق من نفسه الى استحسان بعض ماصور هناك من المناقب فيقلدها، الا أنه غير مقصود في التأليف

وهذا النقص ليس خاصا بالعرب بل هو يشمل أكثر الشرقيين . ولعل السبب فيه شدة احترامهم لرؤسائهم مع تأصل الحكم الاستبدادى في نفوسهم بتوالى الاجيال واضطرابهم للارتزاق من الرؤساء . وهم أصحاب قرائح انتقادية ، فحصرها في المناظرات اللغوية والنحوية كما فعل البصريون والكوفيون . . أو في المجادلات الدينية ويراد بها غالبا خدمة مصلحة ولاة الامر فيما يرجع الى تأييد سيادة بعض الرؤساء دون سواه ، أو تحقير أعدائهم من دعاة الخلافة أو القائمين على الدولة ، أو في المهاجة لنصرة الاحزاب بين السنة والشيعة أو نحوها . أما انتقاد المبادئ الاجتماعية أو السياسية فانه قليل في ثمار قرائحهم

ولكن ليس من الأنصاف ان نقيس حال أدبائنا في تلك العصور بحال أدباء الأفرنج في هذا العصر ، فان هؤلاء لم تظهر فيهم القرائح الحرة الا

بعد زوال التقليد وقلب النظام الاجتماعي وتبديل الحال السياسي حتى صار للعامة شأن . وقد سفكت الدماء في سبيل الحرية الشخصية والحقوق الفردية ، فنشأت القرائح على حرية الفكر والقول

على ان تقاعد العرب عن ذلك النقد ليس من عجز في فطرتهم ، فانهم من أصفى الناس ذهنا وأدقهم نظرا وآباهم للضميم . فلما حدث مثل ذلك الانقلاب فيهم عند ظهور الاسلام أظهروا شجاعة أدبية لا مثيل لها ، حتى كان الراعي يخاطب الخليفة بلا كلفة وينتقده بلا خوف . ولا يرى الخليفة غرابة في انتقاده

حتى في ابان التمدن الاسلامي اذا أتيح للشاعر أن يجهر بفكره عن جراءة في الرأي مع استغنائاه عن أموال ولاة الامور ، لم يقصر عن مجازاة أكتب الافرنج اليوم في روح النقد والعبرة والفلسفة . . فقول أبي العلاء المعري في انتقاد الحكومة ورجالها (*) :

يكفيك حزناً ذهاب الصالحين معاً ونحن بعدهم في الأرض قطنان
إن العراق وإن الشام مذ زمن صفران ما بهما للملك سلطان
ساس الأنام شياطين مسلطة في كل مصر من الوالين شيطان
من ليس يحفل خص الناس كلهم أن بات يشرب خمراً وهو مبطان
تشابه النجر فالرومي منطقته كمنطق العرب والطائي مرطان
أما كلاب فأعنى من ثعالبهم كأن ارماحهم في الحرب أشطان
متى يقوم إمام يستفيد لنا فتعرف العدل أجيال وغيطان

لا يقل قوة مما قاله فيكتور هوغو من قصيدة « الملوك » وهي من أشد قصائده وطاة ، قال فيها يخاطب الملوك : « أتظنون أننا نجكم ! .. نحن الذين نشغل في هذه الأرض ونستخرج ثروتها وتكد ونجد في حر الشمس وبرد الشتاء ولا ننال من أتعابنا غير الجوع والعطش . . وأنتم على سرر مرفوعة من العز والنعيم ، وعلى جانب من التبذير والإسراف والفحش . نحن الخدم وأنتم الملوك . . نحن الغنم وأنتم الذئاب . . نحن الفريسة وأنتم المفترسون . . تبنون القصور من أموالنا وأتعابنا وترتعون فيها وتلعبون ، ونحن نقاسي غصص الموت على لقمة . . لا شغل لكم الا الأكل والنوم والسكر والفحش والقتل والظلم » (١)

(*) الغريب في الإبيات التالية: خصص الناس : جوعهم ، المبطان : كبير البطن من كثرة الأكل ، النجر : الاصل ، مرطان : من الرطانة ، وهي الكلام الذي لا يفهم ، كلاب : بنو كلاب (قبيلة) . أشطان : حبال

وقد تصور أبو العلاء الحكم الدستوري أو الجمهوري منذ تسعمائة
سنة ، فوصف الأمة الدليلة بقوله :

مثل المقام فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعيّة واستجازوا كيدها فعدّوا مصالحها وهم أجراؤها
دعد ظهر بعد المعرى غير واحد من النقاد ، سيأتى ذكرهم فى أماكنهم

الأدب و الأدباء

في العصر العباسي الثالث

ونضج الادب في هذا العصر وزاد استقلالاً عن سائر العلوم ، ومال في الاكثر الي النظر في الشعر والشعراء من شرح أو تلخيص أو انتقاد . ويمتاز على الخصوص بنقد الشعر بعد أن نضج وتعددت أبوابه وموضوعاته ، فتعود الادباء بعد شيوع المنطق والفلسفة وعلم الكلام النظر في الادب نظر الناقد المحصن بالمقابلة والموازنة . . وان انكروا الفلسفة على أصحابها واتهموهم بالكفر أحياناً . فان روح النقد والنظر الفلسفي دبت في عروقهم وهم لا يعلمون ، فنبغ منهم نقاد الشعر كقدامة بن جعفر وابن رشيق . وفيهم من انتقد الرواية والأخبار كابى الفرّج الاصبهاني صاحب الاغانى وعمر بن حمزة . ونظروا الي فحول الشعراء ، فشرحوا أقوالهم في الجاهلية والاسلام كشروح الحماسة والمعلقات . وجمعوا أقوال الشعراء ومحصوها وجمعوا بينها ، كما فعل الثعالبي امام المؤلفين في ذلك العصر . وانتقدوا آداب المجالسة ، ووضعوا للنساء شروطاً وغير ذلك ، كما سيظهر في تراجم الادباء . وهناك أشهرهم حسب سنى الوفاة :

١ - أبو الفرّج الاصبهاني

توفي سنة ٣٥٦ هـ

قد يفهم من لقبه انه فارسى الاصل ، وهو عربى اموى يتصل نسبه بمروان بن الحكم من بنى أمية . وهو مع ذلك شيعى ، ويندر التشيع في بنى أمية . واسمه على بن الحسين وكنيته أبو الفرّج ، وانما لقب الاصبهاني لانه ولد في اصبهان . لكنه نشأ في بغداد ، وكان من أعيان أدبائها وأفراد مصنفها . وقد روى عن كثيرين ، وطالع كثيراً من الكتب ، وكان قوى الحافظة ، فوعى في ذاكرته ألوفاً من الأشعار والأغانى والأخبار والآثار والاحاديث والانساب بأسانيدھا وأسماء قائلها ورواتها . . فضلاً عن توسعه في اللغة والنحو والسير والمغازى وعلوم الجوارح والبيطرة والطب والنجوم والأشربة وغير ذلك . وكان انقطاعه في الاكثر الى الوزير المهلبى المتقدم ذكره . وكان يلقي سواه من ملوك ذلك العصر وأمرائه ، فيعرفون فضله ويجيزونه ولم يقتصر من العلم على الحفظ والاختزان كما يفعل كثيرون ، لكنه تدبر تلك المعارف وأخرج فيها كتباً نافعة أشهرها كتاب الاغانى وبه اشتهر . وألف أيضاً كتاب القيان ، وكتاب الاماء الشواعر ، وكتاب الديارات ،

وكتاب دعوة الأطباء ، وكتاب مجرد الاغانى ، وكتاب اخبار جحظة البرمكى ومقاتل الطالبين ، وكتاب الحانات وآداب الغرباء ، وحصل له ببلاد الاندلس كتب صنفها لبنى أمية ملوك الاندلس يوم ذاك وسيرها اليهم سرا . وجاءه الانعام منهم سرا ، فمن ذلك كتاب نسب بنى عبد شمس ، وكتاب أيام العرب ألف وسبعمائة يوم ، وكتاب التعديل والانتضاف فى مآثر العرب ومثالبها ، وكتاب جمهرة النسب ، وكتاب جمهرة بنى شيبان ، وكتاب نسب المهالبة ، وكتاب نسب بنى تغلب ونسب بنى كلاب ، وكتاب القلمان المغنين وغيرها . وهى كثيرة ، لكن أكثرها ضاع بتوالى الاحن . . فنأتى على ذكر ما وصلنا خبره منها :

١ - كتاب الاغانى : هو أشهر من أن نعرف به ، وقد اتفق على أنه لم يؤلف مثله فى بابيه . ويقال أنه اشتغل فى جمعه وتأليفه نحو خمسين سنة . وبلغ خبره الى الحكم ابن الناصر صاحب قرطبة وهو أموى مثله ، فسأله أن يرسل الكتاب اليه قبل أخراجه لبنى العباس وبدل له على ذلك ألف دينار . ولما تم تأليفه حمله الى سيف الدولة بن حمدان ، فأعطاه ألف دينار واعتذر اليه . ولم يبق أحد من أمراء ذلك العصر الا اقتناه ليستغنى به عن سواه . وقد علمت أن الصاحب بن عباد كان اذا سافر حمل كتبه على عشرات من الجمال ، فلما اقتنى كتاب الاغانى استغنى به عنها

وهو أجزاء كثيرة وصل اليها منها ٢١ جزءا فى نحو ٤٠٠٠ صفحة ، واسم الكتاب يدل على المراد بوضعه فى الأصل نعى « الاغانى » فصدره بمائة صوت ، كان الرشيد أمر ابراهيم الموصلى مغنيه وغيره أن يختاروها له . ثم وقعت للوائق بعده ، فأمر اسحق بن ابراهيم فاختر له منها ما رأى أنه أفضل وأضاف اليها أشياء أخرى . فسار أبو الفرج على هذه الخطة معتمدا على ما اختاره غير هؤلاء أيضا من أهل العلم بصناعة الغناء . وقد يعترض على وضع هذا الكتاب بين كتب الادب ، إذ يحدر به أن يكون بين كتب الموسيقى . . لكن أهميته قائمة بما فيه من الاخبار والأشعار ، لان المؤلف اذا ذكر أبياتا على لحن وعين نغمها ومن غناها أستطرد الى ذكر ناظمها وترجمته والاحوال التى قيلت فيها من حرب أو حب فى الجاهلية أو الاسلام ، ومن غناها ، ومن شهد ذلك وأسبابه وأحواله فيورد تفاصيل ذلك بالدقة والاسناد . فاحتوى الكتاب على أخبار مئات من الشعراء والادباء والمغنين والعشاق والخلفاء والقواد . وأكثر أيام العرب وأخبار قبائلهم وأنسابهم ووقائعهم وغزواتهم وميائهم . وفيه خيرة أشعار الجاهلية والاسلام لا سيما ما كانوا يفتنون به . وآداب القوم فى طعامهم وشرابهم واجتماعهم وحروبهم وزواجهم وطلاقهم وسائر أحوالهم

فأهمية هذا الكتاب واسعة لما حواه من تلك التراجم والاشعار ، ويكاد يكون منفردا بها . ولولاه لضاع كثير من أخبار الجاهلية وصدر الاسلام وأيام بنى أمية . وهو ثقة لتدقيقه وتمحيصه . لأنه لا يكتفى بالاسناد الى الرواة ، بل هو ينتقدهم ويبين أوجه الخطأ أو المناهضة بين رواياتهم ثم يرجع

الى رأيه . وكان شديد الوطأة في النقد على ابن خرداذبة وابن الكلبي .
وفي مروياته كثير من الأخبار والحوادث تلقنها عن أناس عاصروه فحدثوه
بما علموه فدونه وهو منفرد بتدوينه ، وأخذ عن كتب ضاعت

وقد طبع الاغانى بمصر في ٢٠ جزءا سنة ١٢٨٥ هـ ، ثم عثروا على جنزء
في بعض خزائن الكتب بأوربا . وقد طبعه برونو سنة ١٨٨٨ فصارت ٢١
جزءا ، ووضع لها الأستاذ جويدى المستشرق الايطالى فهرسا أبجديا مطولا
سنة ١٨٩٥ ، وأعيد طبع الاغانى كاملا بمصر في ٢١ جزءا سنة ١٣٢٢ مع
فهرس أبجدي مبنى على فهرس جويدى (*) . وقد لخص الاغانى جمال الدين
الحموى المتوفى سنة ٦٩٧ هـ في كتاب منه نسخة خطية فى المتحف البريطانى .
وجرده الاب انطون صالحانى اليسوعى من الاسانيد والاغانى ، وأبقى الروايات
على حدة في كتاب سماه « روايات الاغانى » وهو جزآن الاول فى الروايات
الادبية والثانى فى الروايات التاريخية طبع بيروت سنة ١٨٨٨ و ١٩٠٨

٢ - كتاب الديارات : وصف فيه الأديار فى العراق ومصر وغيرهما ،
وفيه كثير من أخبار الشعراء وأشعارهم فى مجالس العباسيين وخصوصا
الرشيد الى المعتضد . منه نسخة فى مكتبة برلين . وبعضهم يشك فى نسبة
هذا الكتاب اليه ويرى انه للشابشتى

٣ - مقاتل الطالبين طبع فى الهند سنة ١٣٠٧ ، وطبع فى مصر أيضا
وترجمة الاصبهاني فى ابن خلكان ٣٣٤ ج ١ ، واليتمية ٢٧٨ ج ٢ (***)

٢ - أبو على التنوخى

توفى سنة ٣٨٤ هـ

هو أبو على المحسن بن على التنوخى . ولد فى البصرة وكان أبوه قاضيا
وشاعرا وأديبا (ترجم له الثعالبي فى اليتيمة ١٠٥ ج ٢) وانتقل المحسن الى
بغداد ، وتلقى العلم عن الصولى وغيره ، ثم عين قاضيا على قصر بابل وما
بليه . وتنقل فى مناصب أخرى وأهم آثاره :

- ١ - كتاب الفرج بعد الشدة : قد تقدم ذكره فى كلامنا عن ابن أبى الدنيا ،
وهو من كتب الادب المفيدة لما حواه من الحقائق التاريخية والاجتماعية
- ٢ - كتاب المستجد من فعلات الاجواد : فيه حكايات وأخلاق أكثرها
عن الخلفاء العباسيين . فى مكاتب غوطا واكسفورد والاسكوريال
وبطرسبورج وأياصوفيا . .

(*) تقوم دار الكتب المصرية بطبعه الآن وقد طبع منه ثلاثة عشر جزءا
(**) وراجع فى ابى الفرج الاصبهاني تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣٩٨ ومعجم الادباء ج ١٣
ص ٩٤ وتاريخ اصبهان ج ١ ص ٢٢ وروضات الجنات ص ٤٨٧ ولسان الميزان ج ٤
ص ٢٢١ ومراة الجنان ج ٢ ص ٣٥٩ وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٢٠٠ والنجوم الزاهرة ج ٤
ص ١٥ وانباه الرواة ج ٢ ص ٢٥١ والمنظم وفيات سنة ٣٥٦ وتاريخ أبى الفداج ص ١٠٨
وابن كتير ج ١١ ص ٢٦٣ وبروكلمن ١٤٦ ج اودائرة المعارف الاسلامية ، وانظر بحثا فيه
للأصمى « طبع دار المعارف »

٣ - كتاب نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة : مجموع أخبار تاريخية ..
في باريس وترجمة التنوخى في ابن خلكان ٤٤٥ ج ١ ، وبيمة الدهر ١١٥ ج ٢ (*)

٣ - أبو هلال العسكري

توفى سنة ٣٩٥ هـ

هو أبو هلال الحسن بن عبدالله بن سهل بن سعيد بن يحيى بن مهران العسكري ، تلقى العلم في بغداد والبصرة وأصبهان . وهو غير أبي أحمد العسكري اللغوي الاثنى ذكره وكلاهما اسمه الحسن بن عبدالله . . فكثيرا ما يقع الالتباس بينهما ، وكانا متعاصرين . وأبو هلال تلميذ أبي أحمد وتوفى هذا سنة ٣٨٢ هـ ، أما أبو هلال فقد خلف كثيرا من الكتب ، هالك أهم ما بلقنا خبره منها :

١ - كتاب جمهرة الامثال : طبع في بومباي سنة ١٣٠٦ ، وفي مصر على هامش أمثال الميداني سنة ١٣١٠

٢ - كتاب الصناعتين النظم والنثر : منه نسخة في باريس وكوبرلي وطبع في الاستانة سنة ١٣٢٠ ، وهو مفيد جدا في بابه (***)

٣ - ديوان المعاني : هو معجم لمعاني الشعر مرتب حسب الموضوعات . قال مؤلفه في مقدمته انه جعله ١٢ بابا في ٥٠٠ ورقة ، ثم رأى أن ذلك يكبر حجمه فجعل كل باب منها في كتاب . منه نسخة في المتحف البريطاني . وفي كتب الشنقيطي في المكتبة الخديوية كتاب خطى بهذا الاسم مؤلف من ٣٤٢ صفحة ، يشتمل على الباب السابع ، وفيه وصف السحاب والمطر والبرق والرعد والمياه والرياض والنبات والنسيم وغيرها . والثامن ، في وصف الحرب والسلاح . والتاسع في وصف الدواة والبلاغة . والعاشر ، في صفات الخيل والابل والفلوات والوحوش والطيور . والحادي عشر ، في الخضاب والعلل والموت والزهد والباقي معان متفرقة . وهو جليل الفائدة لطلاب المعاني الشعرية (***)

٤ - كتاب المصون في الادب : في الاسكوريال

٥ - روى ديوان أبي محجن : في أياصوفيا

٦ - كتاب الاوائل : اختصره السيوطي في كتاب الوسائل وهو اول من ألف فيه ..

٧ - التفضيل بين بلاغتي العرب والعجم : طبع الاستانة

وأخبره في معجم الادباء ١٣٥ ج ٣ (***)

(*) وراجع في التنوخى معجم الادباء ج ١٧ ص ٩٢ وقوات الوفيات ج ٢ ص ٨٦ ودائرة المعارف الاسلامية . وقد نشر له المجمع العلمي العربي بدمشق كتابه « المستجاد من فعلات الاجواد » بتحقيق محمد كرد علي ، كما نشر له جزءين من نشوار المحاضرة بعناية مرجليوث، وهما الثاني والثامن في الكتاب

(**) طبع هذا الكتاب سنة ١٩٥٢ في مطبعة الحلبي طبعة محققة جيدة

(***) نشر هذا الكتاب في القاهرة

(****) وانظر في أبي هلال العسكري بنية الرواة ص ٢٢١ وانباء الرواة في باب الكنى

٤ - الثعالبي

توفى سنة ٤٢٩ هـ

تقدم ذكره بين المنشئين ، وأجلنا الكلام عن كتبه في غير الانشاء الى هذا الفصل . والثعالبي المذكور مدون أخبار العصر الذي نحن بصددده ، وخصوصا الشعر والشعراء والادب والادباء . وله كتب كثيرة في موضوعات مختلفة ، هالك ما وصلنا منها :

١ - يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر : تشتمل على أخبار شعراء المائة الرابعة للهجرة ، وهو العصر العباسي الثالث ، في أربعة مجلدات . قسم الكلام فيها الى أبواب باعتبار البلاد . فأفرد بابا لشعراء الشام وما كان من أحوال سيف الدولة ومحاسن الشعراء ، ولا سيما المتنبي وأبو فراس ، استغرق الكلام عنهما ٢٠٠ صفحة . وبابا لشعراء مصر والمغرب . وآخر لشعراء الموصل ، وآخر عن آل بويه وشعرائهم وكتائبهم ، وآخر عن شعراء البصرة فالعراق فبغداد فابن العميد والصاحب بن عباد مفصلا ، ثم شعراء أصبهان والطارئين على الصاحب ، وشعراء الجبل وفارس والاهواز وجرجان ، ثم محاسن الدولة السامانية ومن فيها من الشعراء ، ففضلاء خوارزم . وفصولا لكل من أبي بكر الخوارزمي والهمداني والبستي والميكالي وشعراء خراسان والطارئين على نيسابور وغير ذلك . والكتاب مطبوع في دمشق سنة ١٣٠٤ وفي مصر في أربعة مجلدات بها نحو ١٥٠٠ صفحة . ومنه نسخ خطية في أكثر مكاتب أوروبا . وينتقد على مؤلفه انه جعل عبارته مسجعة وهي لا تليق بكتب التاريخ والاخبار ، وأنه أغفل الوفيات فيندر أن يذكر سنة الوفاة أو الولادة . وانما هو مقصور على الامثلة من الاشعار أو الانشاء واطرائها مع بعض الاخبار . وألف أبو الحسن الباخري التوفى سنة ٤٦٧ ذيلا لليتيمة سماه دمية القصر وعصرة أهل العصر سيأتي ذكره

٢ - لطائف المعارف : هو جزيل الفائدة في موضوعه ، لانه يشتمل على فوائد لا سبيل اليها الا بمطالعة الكتب الكثيرة . وتتلخص هذه الفوائد في : (١) باب الاوائل من كل شيء ، وفيه فوائد تاريخية مهمة كقوله « أول من جلس على سرير من ملوك العرب جديمة ، وأول من كسا الكعبة الحرير نبتلة . الخ (٢) ألقاب الشعراء الذين لقبوا بأشعارهم ، كالرقش والممزق وأسباب ذلك (٣) الألقاب الاسلامية للوجوه والاعيان (٤) كتاب المتقدمين (٥) في المتناسقين بأحوال مختلفة (٦) في الغايات من طبقات الناس (٧) الاتفاق في الألقاب والكنى (٨) فنون شتى من المعارف النبوية والقرشبية وصنائع الاشراف والملوك (٩) غرائب الاحوال وعجائب الاوقات ، وأخيرا نموذج من خصائص البلدان . وهو مطبوع في ليدن في نحو ٢٠٠ صفحة سنة ١٨٦٧ بعناية المستشرق دي يونغ . وقد سبقه ابن قتيبة الى بعض هذه الموضوعات في كتابه « المعارف »

٣ - فقه اللفظة : هو معجم معنوي جمعت فيه المعاني المتقاربة أو المترابطة في باب واحد مع بيان الفرق بينهما أو تدرجها أو تفرعها مما يفتقر الى

- درس طويل . وذكر في المقدمة أسماء اللغويين والرواة والنحاة الذين عول عليهم . وقد طبع في بيروت سنة ١٨٨٥ وفي مصر
- ٤ - الاعجاز والايجاز . يشتمل على أبلغ ما قيل مع الايجاز ، طبع في مصر سنة ١٨٩٧ ، وفي الاستانة في جملة رسائل أخرى
- ٥ - خاص الخاص : وفيه خلاصة الخلاصة في الادب طبع بمصر
- ٦ - نشر النظم أو حل العقد : هو عبارة عن تحويل الشعر المنظوم الى شعر منثور طبع بمصر سنة ١٣١٧
- ٧ - مكارم الاخلام : فيه فصول في العقل والعلم والزهد وغيرها ، طبع في بيروت
- ٨ - غرر اخبار ملوك الفرس في التاريخ : طبع في باريس
- ٩ - ثمار القلوب في المضاف والمنسوب : في الادب ، وفيه فوائد تاريخية على أسلوب خاص به لأنه ينقسم الى فصول باعتبار أشياء مضافة الى أشياء أخرى يمثل بها ويكثر استعمالها في النظم والنثر على السنة العامة والخاصة كقولهم غراب نوح ، وذئب يوسف ، وعصا موسى ، وخاتم سليمان ، وبردة النبي ، ونحو ذلك وشرح كل منها . وهو كبير الحجم ، منه نسخة خطية في مكتبة دار الكتب المصرية وطبع بمصر سنة ١٣٢٦ في نحو ٦٠٠ صفحة
- ١٠ - شمس الادب في استعمال العرب : جزآن ، الاول في أسرار اللغة . . والثاني في مجارى الفاظها ورسومها وما يتعلق بالنحو والاعراب منها . وقد يسمى سر الادب في مجارى لسان العرب . منه نسخة خطية في كل من مكتبتى برلين وليدن
- ١١ - الكتابة والتعريض : في البلاغة ، ويشتمل على ما يرد من الاوصاف بالكناية عن النساء والفلمان والطعام والمقايح والعاهات وغيرها . ومنه نسخ خطية في برلين وفيينا والاسكوريال وفي مكتبة دار الكتب المصرية ، وطبع بمصر سنة ١٣٢٦ هـ
- ١٢ - أجناس التجنيس : في الجناس ، بمكتبة الاسكوريال
- ١٣ - سحر البلاغة : في مكتبة برلين وفيينا وباريس وكوبلن وغيرها . وقد طبعت بالاستانة منتخبات منه في جملة رسائل أخرى
- ١٤ - غرر البلاغة وطرف البراعة : في مكتبة برلين
- ١٥ - اللطف واللطائف : مؤلف من ١٦ بابا ، في الاسكوريال وفيينا وفي دار الكتب المصرية من كتب الشنقيطى
- ١٦ - من غاب عنه المطرب : وهو يشتمل على منتخبات من الشعر والحكم في الخط والبلاغة والربيع وأوصاف الليالى والايام والفول والحمريات والاخوانيات ، منه نسخ خطية في برلين وباريس والمتحف البريطاني والاسكوريال وطبع في مجموعة التحفة البهية بالاستانة ، وطبع في بيروت سنة ١٣٠٩ هـ

- ١٧ - برد الأعداد في الأعداد : هي مجموعة أخبار وملح عن النبي والصحابة وغيرهم مرتبة حسب الأعداد مما جاء فيه لفظ اثنين فثلاثة الى العشرة . في باب العدد ثلاثة مثلا يقول « ثلاثة لا يسلم منهن أحد : الظن والطيرة والحسد » وقس عليه . طبع في الاستانة في جملة رسائل أخرى . ومنه نسخة خطية في المكتبة الخديوية
- ١٨ - التوفيق للتلفيق : في برلين
- ١٩ - النهاية في الكناية : في المتحف البريطاني والاسكوريان والمكتبة الخديوية ، وقد طبعت منتخبات منه في الاستانة
- ٢٠ - مرآة المروءات وأعمال الحسنات : في برلين وطبع بمصر سنة ١٨٩٨
- ٢١ - التمثل والمحاضرة : يحتوى على ما يحتاج اليه الاديب مما يتمثل به في الكتابة من أقوال الشعراء والمنتسبين . موجود في المكتبة الخديوية وفي ليدن . وطبع منه منتخبات بالاستانة
- ٢٢ - كتاب الغلمان : في برلين والاسكوريال
- ٢٣ - تحفة الوزراء : في مكتبة فوطا
- ٢٤ - كنز الكتاب : فيه أمثلة من أقوال ٢٥٠ شاعرا لاستعمال الكتاب . منه نسخ خطية في المكتبة الخديوية وفي فينا والاستانة
- ٢٥ - أحاسن المحاسن : في مكتبة باريس والمكتبة الخديوية
- ٢٦ - أحسن ما سمع : في كوبرلي بالاستانة وفي المكتبة الخديوية
- ٢٧ - المبهج : فيه أخلاق ومواعظ وآداب وبلاغة في ٧٠ بابا ، منه نسخة خطية في برلين وباريس وكوبرلي والمكتبة الخديوية . وقد طبعت في الاستانة منتخبات منه
- ٢٨ - اللطائف والظرائف : في مدح أشياء وأضدادها ، موجود في برلين والاسكوريال وليدن . وقد جمعه أبو النصر المقدسي مع المحاسن والأضداد للشمالي هذا في كتاب سماه الظرائف واللطائف طبع على الحجر في مصر سنة ١٢٧٥
- ٢٩ - يواقيت المواقيت : في مدح الشيء وذمه ، في برلين وليدن
- ٣٠ - لطائف الصحابة والتابعين : في مكتبة ليدن ، وطبع منه قطع في ليدن للتعليم . .
- ٣١ - أحاسن كلام النبي والصحابة والتابعين وملوك الجاهلية والاسلام والوزراء والكتاب والبلغاء والحكماء . موجود في ليدن وباريس وطبع بعضه في ليدن سنة ١٨٤٤
- ٣٢ - كتاب الشكوى والعتاب
- ٣٣ - المقصور والمدود
- ٣٤ - المشابه . .

- وهذه الكتب الثلاثة منها نسخ خطية في دار الكتب المصرية
- ٣٥ - المنتخل : يحوى جيد الشعر للجاهليين والمخضرمين والمولدين الى أيامه . وهو منتخب من أحسن الأشعار لأحسن الشعراء ، طبع بمصر سنة ١٣٢١ مع تراجم الشعراء الواردة أسماؤهم فيه للشيخ أبى على الأزهرى . وبعضهم ينسب المنتخل لابی الفضل الميكالى معاصر الثعالبى
- ٣٦ - كتاب الفرائد والقلائد : طبع بمصر سنة ١٣٢٨ هـ
- وترجمة الثعالبى فى ابن خلكان ٢٩٠ ج ١ وطبقات الادباء ٤٣٦ (*)

٥ - الشريف المرتضى

توفى سنة ٤٣٦ هـ

هو من سلالة موسى الكاظم من أشراف العلويين ، وكان نقيب الطالبين فى بغداد . وأسمه على بن الطاهر ، وكان اماما فى علم الكلام والادب والشعر . وهو أخو الشريف الرضى الشاعر الذى تقدم ذكره . وله تصانيف فقهية على مذهب الشيعة ، وديوان شعر كبير لم يصل إلينا . ومن تصانيفه :

١ - كتاب نهج البلاغة : وهو يشتمل على خطب وأقوال تنسب الى الامام على . والمشهور أن الشريف المرتضى جمع خطب على وأقواله ودونها فى ذلك الكتاب ، وهو من أهم كتب الادب بالنظر الى ما حواه من بلاغة الاسلوب والدقة فى التعبير والحكم فى الاقوال . وان كنا نرى كثيرا من الخطب ليست لعلى بدليل اختلاف الاسلوب ومخالفة ما فيها من المعانى لعصره وغير ذلك مما لا محل لتفصيله . أما خطبه فى المواقف التاريخية وكتبه الى قواده ورجاله فهى له . وقد طبع نهج البلاغة فى بيروت ، وعليه شرح قليل للشيخ محمد عبده سنة ١٨٨٥ وطبع أيضا بمصر . ولابن أبى الحديد شرح مطول فى ٢٠ جزءا ، طبع فى طهران سنة ١٢٧١ فى مجلدين كبيرين على الحجر . وفى آخره اضافات لم يذكرها جامعه . وقد تقدم الكلام عن نهج البلاغة فى باب الخطابة بالجزء الأول من هذا الكتاب

٢ - كتاب الدرر والغرز فى المحاضرات : منه نسخة خطية فى دار الكتب المصرية ، وأخرى فى برلين

٣ - كتاب الشهاب : طبع فى الاستانة

وترجمة المرتضى فى ابن خلكان ٣٣٦ ج ١ (***)

(*) ورجع فى الثعالبى حياة الحيوان للدميرى ج ١ ص ١٦٣ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٢٨٤ ج ١

(**) انظر فى المرتضى تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٤٠٢ وتتممة البيهقى ج ١ ص ٥٣ ودمية القصر ص ٧٥ وروضات الجنات ص ٣٨٧ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٥٦ ولسان الميزان ج ٤ ص ٣٢٣ ومرآة الجنان ج ٣ ص ٥٥ ومعجم الادباء ج ١٣ ص ١٤٦ وانباء الرواة ج ٢ ص ٢٤٩ وبغية الوعاة ص ٣٣٥ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٣٩ وتاريخ ابن الاثير «أنظر الفهرس» وتاريخ أبى الفدا ج ٢ ص ١٦٧ وتاريخ ابن كثير ج ١٢ ص ٥٣ والمنظوم فى وفيات سنة ٤٣٦ هـ

٦ - ابن رشيق القيرواني

توفي سنة ٤٥٦ هـ

هو أبو العباس الحسن بن رشيق من أهل القيروان ، أبوه مملوك رومي من موال الأزد ، كان ضائعا في بلدة المحمدية فعلمه أبوه صناعته . ثم قرأ الأدب وقال الشعر وتاقت نفسه الى التزيد منه ، فرحل الى القيروان واشتهر بها وامتدح صاحبها واتصل بخدمته . ولم يزل بها حتى هجم عليها العرب ، وقتلوا أهلها وخربوها . . فانقلت الى صقلية وأقام بمازر الى أن مات . وله مؤلفات كثيرة أشهرها وأهمها :

١ - كتاب العمدة : وبه اشتهر ، يبحث في صناعة الشعر ونقده وعيوبه . وهو أجل كتاب في هذا الموضوع يقسم الى أبواب في فضل الشعر وأشعار الخلفاء والقضاة والفقهاء ، ومن رفعه الشعر ووضع ، ومن قضى له وقضى عليه ، واحتماء القبائل بشعرائها ، والتكسب بالشعر ، ومنافع الشعر ومضاره ، والمقلين من الشعراء ، وحدود الشعر وأوزانه وبحوره ، والبلاغة والإيجاز والاستعارة الخ . . وسائر أوجه البلاغة وأنواع الفصاحة والجوازات والأوزان . وفي آخره فصول في النسب وأيام العرب وملوك العرب والخيول والزجر والقيافة والوصف وغير ذلك ، وفي خلاله طائفة من أحسن الأشعار ، وبحث تحليلي في الشعر ومعانيه على طريق الانتقاد . قال ابن خلدون :

« أن كتاب العمدة هو الكتاب الذي انفرد بهذه الصناعة وأعطاه حقا ، ولم يكتب فيها أحد قبله ولا بعده مثله » طبع في القاهرة في جزئين سنة ١٩٠٠ وفي غيرها . وقد ألف زميله ومعاصره أبو عبدالله بن شرف رسائل سماها : « رسائل الانتقاد » تقدم ذكرها

٢ - كتاب قراضة الذهب في نشر أشعار العرب : منه نسخة خطية في باريس وقد ضاعت سائر كتبه (*)

وترجمته في ابن خلكان ١٣٣ ج ١ ، ومعجم الأدباء ١٣٧ ج ١ (***)

كتب أخرى في الأدب

وهناك طائفة من كتب الأدب نكتفى بذكر أصحابها بدون تراجمهم :

١ - المجلس الصالح الكافي : في مائة مجلس لابن طرار الجزيري المتوفى سنة ٣٩٠ ، منه أجزاء في المكتبة الخديوية وبرلين وباريس وكمبريدج

وترجمة ابن طرار في ابن خلكان ١٠٠ ج ٢

(*) طبع هذا الكتاب بمطبعة الخانكي في القاهرة
(**) وراجع في ابن رشيق روضات الجنات ص ٢١٧ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢٩٧ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ١ ص ٣٠١ وأنباء الرواة ج ١ ص ٢٩٨ وبنية الوعاة ص ٢٢٠ والحلّل السننسية ص ١٠٠ وفوات الوفيات ج ٢ ص ٢٥٥ ويساط العقيق في حضارة القيروان وشاعرها ابن رشيق لحسن حسنى عبدالوهاب وابن رشيق للميمنى الراجكوتى ، وله أيضا التنف من شعر ابن رشيق وابن شرف ، وانظر دائرة المعارف الإسلامية

٢ - زهر الآداب : للحصرى القيروانى المتوفى سنة ٤١٣ ، منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية فى ٥٠٠ صفحة . وفيه أخبار وقطع تاريخية ومقامات وأشعار (*)

وترجمة الحصرى فى ابن خلكان ١٣ ج ١ ، ومعجم الآداب ٣٥٨ ج ١
شرح الحماسة : للمرزوقى المتوفى سنة ٤٢١ ، منه نسخة فى المكتبة الخديوية (**)

٤ - الموازنة بين الطائيين : للامدى توفى سنة ٣٧٠ ، منه نسخة خطية فى المكتبة الخديوية فى ٤٤٠ صفحة كبيرة وطبع فى الاستانة

وترجمة الامدى فى معجم الآداب ٥٤ ج ٣ ، والفهرست ١٥٥

٥ - الاشباه والنظائر أو حماسة الخالدين : هى مجموعة مختارات من أشعار المتقدمين الجاهليين والمخضرمين وغيرهم ، ومنها كثير لم يرد فى حماسة أبى تمام . وهى تنسب الى الخالديين من آداب العصر الثالث، وهما أبو بكر محمد وأبو عثمان سعيد ابنا هاشم الخالديان . . كانا يشتركان فى نظر الشعر ، ولا يكادان يفترقان ، ولهما أشعار نشرها الثعالبى فى بيتيمة الدهر (٥٠٧ ج ١) ولهما أيضا هذه الحماسة ، منها نسخة خطية فى دار الكتب المصرية فى ٣٠٠ صفحة

٦ - قطب السرور فى وصف الخمور : لآبى اسحق الكاتب القيروانى المتوفى سنة ٣٨٣ ، منه نسخة خطية فى برلين والاسكوريال وفينا وغيرها

٧ - مجموعة المعانى : لمؤلف مجهول ، لكنها نفيسة وتشتمل على مائة معنى من جيد النظم . وقد اضاف المؤلف الى كل معنى ما يناسبه أو يضاذه . طبعت فى الاستانة فى ٢٢٠ صفحة

المحاضرات

هى علم من علوم الآداب تحصل به الملكة على إيراد كلام الغير بما يناسب المقام . وقائده الاحتراز من الخطأ فى تطبيق الكلام المنقول عن الغير على المقام حسب اقتضاء المخاطبة من جهة معانيه الاصلية . وهو من الفنون الاجنبية ، يقال أن مخترعه رجل من اليونان قبل القرن الثالث للميلاد ، وقد أخذه العرب فى جلة ما أخذوه عن الامجم فى خلافة أبى جعفر المنصور على يد عبد الله بن المقفع عندما ترجم كليلة ودمنة من الفارسية الى العربية ، فكانت ترجمته هذه أساسا لهذا الفن . . لكنه لم ينضج الا فى العصر الثالث الذى

(*) طبع زهر الآداب على هامش العقد لفريد ، ثم طبعه زكى مبارك فى ٤ أجزاء طعة مستقلة

(**) نشرت لجنة التأليف والترجمة والنشر هذا الشرح بتحقيق أحمد أمين وعبد السلام

هرون

نحن في صدده . وأشهر من ألف فيه أبو حيان التوحيدى (*) المتوفى سنة ٤٠٠ هـ ، ألف كتابا سماه كتاب المحاضرات والمناظرات ، وقد تقدم ذكر كتاب الشريف المرتضى في هذا الموضوع . وأشهر ما بين أيدينا من كتب المحاضرات كتاب « محاضرات الإدياء ومحاورات الشعراء والبلغاء » لابي القاسم الراغب الاصبهاني ، وسيأتي ذكره

(*) نما فن المحاضرات عند العرب منذ القرن الاول للهجرة عند الحسن البصرى وأضرابه ، اذ كانوا يخصيون في الناس هذه الخطابة الجليلة أو هذه المحاضرات ، اذ يجلس الخطيب أو المحاضر وسرله تلاميذه يكتبون ما يلقى عليهم . واتسع ذلك في فروع الدراسات الاسلامية في التاريخ والحديث النبوى والتفسير والفقه واللغة والشعر، ووصلت اليها مصنفات كثيرة في هذا الميدان مثل مجالس ثعلب وأمدى القالى والكامل للمبرد وهلم جرا.

الروايات والقصص

تمهيد

نريد بالروايات ما يسميه الافرنج بلسانهم « رومان » واحدها رواية ، وهي القصة عندنا . وانما اخترنا لفظ الرواية مجازة لمفهوم القراء منها لانها عندهم ادل من القصة على ما نحن فيه . والروايات فن له شأن عظيم في آداب اللغات الافرنجية ، يكاد يكون أهمها . وأما في العربية فانه من أضعف فروع الادب . ويراد به تمثيل الاخلاق والعادات والآداب في سياق قصة موضوعة ، وقد تكون بشكل تمثيلي فتسمى في اصطلاحهم « درام » وقد ذكرنا طرفا من ذلك في الجزء الاول من هذا الكتاب ، اقتصرنا فيه على ما في آداب الجاهلية مما يقابل الدرام عند اليونان ، ونحن ذاكرون هنا فن الروايات على الاجمال في التمدن الاسلامي

يظهر ان العرب قلما اهتموا بهذا الفن في صدر دولتهم ، ولا التفتوا الى ما كان منه عند اليونان لما نقلوا علومهم . فلم ينقلوا الاياداة ولا الانبياد ولا غيرهما من الروايات عند اليونان والرومان . لكنهم نقلوا شيئا من هذا القبيل عن الفرس والهنود على يد عبدالله بن المقفع وجبله بن سالم وغيرهما ، فمما نقل عن الفارسية كليله ودمنة ، وكتاب رستم واسفنديار ، وكتاب الآداب الكبير ، وهزار أفسانة ، وشهريزاد مع أبرويز ، والكارنامج في سيرة أنوشروان ، ودارا والصنم الذهب ، وبهرام ونرسي ومما نقل عن الهندية كتاب سندباد الكبير والصغير ، وكتاب بوداسف ، وكتاب أدب الهند وغيرها . وقد ضاع أكثر هذه الترجمات وتغير ما بقي منها وتبدل حتى صار الى غير ما كان عليه كما ستري

على اننا نرى بين أيدينا قصصا وروايات مطبوعة يتداولها الناس ويقرأونها ، أشهرها قصة عنتره ، وألف ليلة وليلة ، وأبو زيد الهلالي ، والوزير ، والملك سيف ، والملك الظاهر ، وعلى الزبيق ، وفيروز شاه ، ونحوها . . فهذه القصص أكثرها وضع بعد العصر الثالث ، وانما يهمننا هنا القصص والروايات التي دونت في ذلك العصر أو قبله . وهي تقسم الى قسمين : الاول ما وضعه العرب من عند أنفسهم ، والثاني ما نقلوه عن غيرهم وتوسعوا فيه . واليك تفصيل ذلك :

القصص التي وضعوها

من عند أنفسهم

أما ما وضعوه فيرجع في الغالب الى تصوير مناقب الجاهلية وحال الاجتماع فيها ، كالحماسة والوفاء والجوار والشجاعة والعصية والثار .

وتجد هذه المناقب ممثلة في أخبارهم وأيامهم المشهورة قبل الإسلام ، وهي حقائق تاريخية تناقلوها بعد الإسلام . وكانوا يتلون تلك القصص في صدر دولتهم على جندهم لتحميسهم واستحثاث بسالتهم اذا قاموا لفتح أو حرب . كذلك كانوا يفعلون بتلاوة أشعار عنتره وغيرها على أيدي القصاص قبيل المعارك لهذا الغرض

فلما تحضروا وأنشأوا الدول عمدوا الى بعض تلك الاخبار ، فوسعوها في شكل روائي يشوق الى المطالعة . ولم يكن ذلك مقصودا في بادىء الامر ، وانما كانت القصة تكبر وتتسع تدريجا بالتناقل الشفاهي قبل تدوينها . وبما أن المراد منها التحميس لا تقرير الحقيقة ، فكان الراوي يبالغ في القصة ويزيد فيها ما يثير الحماسة على ما تقتضيه الاحوال . والقصة تنمو وتتسبب حتى يفضى بها الامر الى تدوينها بشكل الروايات الحماسية فيدونوها كما صارت اليه . . هكذا فعلوا في أكثر قصصهم . ورغبة في تصويرها بشكل الحقيقة أسندوا أخبارها الى بعض الرواة المشهورين كالاصمعي وأبي عبيدة وأمثالهما ونسى مؤلفوها الحقيقيون بتباعد العهد بهم ، كما نسيت أسماء مؤلفي أكثر القصص القديمة عند الافرنج .

وقد نضح هذا الفن عند العرب في العصر العباسي الثالث ، فدونت تلك الروايات أو القصص قبل انقضاءه . وهي تتفاوت بعدا عن الحقيقة وقربا منها ، وصار بعضها يتل في المنازل والاندية لمجرد التسلية ولم يصلنا منها كاملا ناضجا الا قصة عنتر

قصة عنتر

هي أكبر القصص الحماسية العربية ، أو هي عدة قصص متداخلة متسلسلة لا تحتاج في تعريفها الى تفصيل لاشتهارها وشيوعها . وانما نقول بالاجمال انها قصة حماسية غرامية تمثل آداب الجاهلية وأخلاق أهلها وحروبهم وعاداتهم . وأكثر الأسماء الواردة فيها لها مسميات تاريخية حقيقية ، لكنها مسبوكة في سياق قصة ، والمبالغة ظاهرة فيها . والمشهور انها وضعت في أواخر القرن الرابع للهجرة . وضعها رجل اسمه يوسف بن اسماعيل في زمن الخليفة العزيز بالله الفاطمي بمصر لسبب ذكرناه في الجزء الاول من هذا الكتاب ، وقد بينا أن هذا الرجل لم يضعها دفعة واحدة بل تكونت بالتدريج . وهي أحسن القصص العربية وأكثرها فائدة ، وقد عنى الافرنج بنقلها الى السننهم كاملة وملخصة ، وطبعت في العربية مرارا عدة في بضعة آلاف صفحة

قصة البراق

وهناك طائفة من الروايات الحماسية العربية وقف نموها في بدء تكوينها لانهم أسرعوا في تدوينها ، ولا تزال عليها صبغة الاخبار التاريخية وتعد من قبيل التاريخ أو أيام العرب الجاهلية . . منها مجموعة لعمر بن شبة المتوفى

سنة ٢٦٢ هـ سماها الجمهرة ، تشتمل على حوادث عدة أكثرها وقع بين ربيعة وغيرهم ، كما أن قصة عنتر بين عبس وسواهم . لكن المطالع يتبين من موافق كثيرة أن هذه الاخبار متوسطة بين التاريخ والقصة . بطلها الأشهر اسمه البراق ، وهو شاعر قديم من ربيعة من أقرباء المهلهل وكليب . وله تاريخ مختصر فيه حماسة مثل تاريخ عنتر ، وله خبر مع ابنة عمه ليل بنت لكيز وأشعار حماسية وفخرية ، وقد توسع خبره هذا بتوالي الأيام ، كما توسعت قصة عنتر ، لكنه ما زال أصغر حجما وأقرب الى الحقيقة منها . وقصته هذه لا تعرف باسمه ، وإنما هي مجموع أخبار عن وقائع حربية ضمنها ابن شبة كتاب الجمهرة في خمس قصص متسلسلة :

القصة الاولى مبنية على قتل الحارث بن عباد من ضبيعة (بطن من ربيعة) للفضيل بن عمران من سدوس (بطن من طى) بسبب قنص اختصما فيه فنشبت حرب بين القبيلتين ثم بين ربيعة وطى وقضاعة . ودخل فيها البراق وهو من رؤساء ربيعة وابن أخت زعيم الطائيين شبيب بن لهيب . فاجتمعت قبائل ربيعة تحت راية البراق وكليب ، وجرت بين الطائفتين ثمانى وقائع قد تكون في أصلها تاريخية ، لكن سياقها يدل على توسع فيها على سبيل الرواية . واستغرقت هذه القصة ٣٦ صفحة ، واسناد الحديث فيها الى ذؤيب بن نافع

يليه قصة قطيعة مصر وربيعه ، ثم خروج لكيز . وهما صغيران . ثم قصة سبى ليلى بنت لكيز من وائل الى بلاد العجم وما جرى بسبب ذلك من الحروب بين العرب والعجم والروم . وبطل الرواية البراق المذكور . واستعانوا بمضر وزعيمها نوفل بن عمرو . وأخبار البراق في هذا القسم أقرب الى الرواية لأنها تشبه ما يروى عن عنتر ، ويتخلل ذلك أشعار حماسية ويليه حروب بين وائل واليمنيين ، سببها أن أسيرا كان عند كليب فقتله كليب ، ودخل في هذه القصة كليب ومهلهل

وأخيرا حرب البسوس ، وهي قصة قائمة بنفسها استغرقت مائة صفحة كبيرة ، يتخللها حوادث عنترية وحماسات ومبارزات ومناشدات وغير ذلك حتى يخيل للقارىء انه يطالع قصة عنتر . لكنها أصح لغة وأقرب الى أسلوب صدر الاسلام وأقل مبالغة . ولعلها لو تداولتها الأيدي وتناقلها القصاص شفاها الى العصر الذى دونت فيه قصة عنتر لصارت مثلها . ولكنها دونت قبلها بقرن وبعض القرن . والجمهرة موجودة خطأ في المكتبة الخديوية

قصة بكر وتغلب

ومن هذا القبيل كتاب بكر وتغلب ابنى وائل وفيه خبر كليب وجساس . والقصة فيه أقرب الى التاريخ منها الى الرواية ، تشتمل على وقائع لها ذكر في التاريخ . وقد زاد فيها المؤلف قصائد وتفصيل نظنها خيالية ، أراد بها بيان حماسة العرب وقوة ربيعة على الخصوص . وهي منسوبة في روايتها الى محمد بن اسحق ، أو لعل الكاتب أخذ شيئا من رواية ابن

اسحق وأتمها من عند نفسه . والكتاب مطبوع في بمباى سنة ١٣٠٥ ،
يدخل في ١٢٠ صفحة كبيرة

قصة شيبان مع كسرى انور شروان

هى قصة تاريخية تدخل في سبعين صفحة مطبوعة في بمباى مع تلك ،
لكنها أقرب منها الى الرواية الخيالية ، مبنية على حادثة تاريخية في أصلها
وتوسع المؤلف فيها . . فجعل سبب الحروب بين شيبان وكسرى انور شروان
ان كسرى طلب من النعمان ابنته الحرقه بنت المتجرده ، فقامت الحرب
بسبب ذلك . ويتخلل تلك الحوادث قصائد تتم عن حادثة نظمها ، فضلا
عن قصائد حقيقية نظمها أبطال تلك الرواية . ومجمل الحديث فيها مروى
عن بشر بن مروان الاسدى عن ابن نافع التميمى

والتوسع في الوقائع التاريخية حتى تصير بشكل الرواية ليس من
مبتدعات العرب ، بل هو عام في الامم القديمة قبل التدوين لان القصص
تنمو بالتناقل بسليقة في فطرة الانسان تدفعه الى المبالغة فيما يقصه لفتنا
لاعجاب السامع . وفي بعض الناس ميل الى تزويق العبارة والتوسع فيها .
وتوالى الاجيال تنمو الحادثة وتصير قصة ، وأكثر روايات الامم القديمة
من هذا القبيل . وأكثرها شيوعا بيننا اليأزة هوميروس . . فان لها أصلا
تاريخيا هو حصار طروادة ، اتسع بتوالى الاجيال حتى انتهى الى هوميروس
فدونه أو أتمه ، فنسبت روايته اليه كما تنسب رواية قصة بنى شيبان
وكسرى الى ابن نافع . ولم يبلغ العرب ما بلغ اليه اليونان من المبالغة ،
فان هؤلاء أنزلوا الآلهة الى ساحة الحرب

الروايات الغرامية

ومما وضعه العرب من عند أنفسهم أيضا قصص العشاق العذريين ونحوهم
وفيها تمثيل العفة أو التفانى في سبيل الحب . . بنوها على ما جاء في
أخبار عشاق صدر الاسلام ككثير لبنى وجيل بثينة . فالفوا قصصا غرامية
نضجت قبل انقضاء العصر الثالث الذى نحن بصدده ، منها كتاب عمر بن
أبى ربيعة الشاعر المشهور بالنسيب ، وكتاب مليكة ونعم وابن الوزير ،
وأحمد وداحة ، وقصة أبى الغتاهية وعتب ، وأحمد بن قتيبة وبانوحة .
ووضعوا قصصا غرامية على غير المشهورين من عشاق العرب ، كقصة على
ابن أديم ومنهله ، وقصة عمرو بن صالح وقصاف . وقصصا في العاشقات
المتطرفات من النساء ، كقصة ريحانة وقرنفل ، ورقية وخديجة ، وسكينة
والرباب ، وهند وابنة النعمان ، وسلمى وسعادة ، وغيرها . وقد ذكر
صاحب الفهرست عشرات منها ومن قصص بين الانس والجن وغير ذلك .
وأكثرها ضاع وما بقى منه أدخلوه في قصة ألف ليلة وليلة

القصص المنقولة

أما ما نقله العرب من القصص عن اللغات الأخرى ، فهو يمثل في الغالب آداب الأمة التي نقلت القصة عنها . وأكثرها نقل عن الفرس والهند ، فهي لذلك تمثل آداب تينك الامتين . وقد ذكرنا أسماء بعضها ، وذكر الفهرست عشرات منها وقصصا واسمارا يونانية ضاعت كلها ولم يصلنا منها الا ما في رواية ألف ليلة وليلة من تلك الاقاصيص

الف ليلة وليلة

هي مجموعة قصص متسلسلة تدخل في بضعة آلاف صفحة . هي مشهورة ومتداولة ولها طبعات عدة . واختلف الباحثون في أصلها وتاريخها (**) وعندنا انها مؤلفة من قصص تجمعت بتوالي الاجيال مما ترجموه أو وضعوه . ولها أصل نقل عن الفارسية قبل القرن الرابع للهجرة ، معنى كتاب « هزار أفسانة »

روى ذلك السعدي المتوفى سنة ٣٤٦ هـ ، قال : « وقد ذكر كثير من الناس ان هذه اخبار موضوعة من خرافات مصنوعة نظمها من تقرب للملوك برواياتها ، وان سبيلها سبيل الكتب المنقولة اليها والترجمة لنا من الفارسية والهندية والرومية مثل كتاب افسان وتفسير ذلك في الفارسية «خرافة» . ويقال له افسانة ، والناس يسمون هذا الكتاب ألف ليلة وليلة ، وهو خبر الملك والوزير وابنته وجاريتها شهر زاد ودينار زاد »

وجاء بعده ابن النديم البغدادي صاحب الفهرست الآتي ذكره ، فقال في أصل وضع كتاب هزار أفسانة هذا في الفارسية : « ان ملكا من ملوكهم كان اذا تزوج امرأة وبات معها ليلة قتلها من الغد ، فتزوج بجارية من اولاد الملوك لها عقل ودراية ، يقال لها شهر زاد . فلما حصلت معه ابتدأت تخرقه وتصل الحديث عند انقضاء الليل بما يحتمل الملك على استبقائها ويسألها في الليلة الثانية عن تمام الحديث ، الى ان أتى عليها ألف ليلة وهو مع ذلك يطؤها الى ان رزقت منه ولدا أظهرته ، وأوقفت الملك على حيلتها عليه فاستعقلها ومال اليها واستبقاها ، وكان للملك قهرمانه يقال لها دينار زاد فكانت موافقة لها على ذلك . وقد قيل ان هذا الكتاب تأليف لحمانى (الصحيح أهما) ابنة بهممن» وهذا الوصف ينطبق على ألف ليلة وليلة تمام الانطباق

وذكر ابن النديم في مكان آخر انه شاهد هذا الكتاب وانه غث بارد . ولا ندرى الآن أى جزء من ألف ليلة وليلة هو

فالعرب نقلوا هذا الكتاب من الفارسية قبل القرن الرابع للهجرة ، ثم

(**) انظر في الف ليلة وليلة مقال أويسترب في دائرة المعارف الاسلامية ومقال ماك دونالد في ملحق الدائرة والف ليلة وليلة لسهير القلماوى وقصصنا الشعبي لؤاؤد حسنين على ص ١٥٢ وما بعدها

أضافوا اليه ووسعوه وغيروا وبدلوا فيه حتى صار كما وصل الينا . . . ومن يطلع عليه يجد فيه قصصاً يدل أسلوبها والفاظها وبعض ماحوته من العادات أنها كتبت بعد ذلك بقرون عدة ، كشرب القهوة وذكر بعض الحكام المتأخرين من المماليك أو رجالهم كأبي طبق ونحوه . ولا يعلل ذلك إلا بما تقدم من توسيع القصة الاصلية المنقولة عن الفارسية ، باضافة قصص وأسماء كانت شائعة بين الناس مما وضعوه هم أو نقلوه عن سواهم

والارجح ان تأليفها على الصورة التي وصلت اليها تم بعد القرن العاشر للهجرة ، وأكثر تلك الزيادة حدثت في مصر . ولعلنا لو أتبع لنا الوقوف على الترجمة الاصلية لهزار أفسانه ، لوجدنا الفرق بينها وبين قصة ألف ليلة وليلة كالفرق بين أوديسة هوميروس والياذة فرجيل . . فان هذه أكثرها منقول عن الاوديسسة ، ومع ذلك فهي تنسب الى فرجيل . ولهذا السبب يصح أن يقال عن ألف ليلة وليلة أنها من مؤلفات العرب وان كان بعضها لا يزال على أصله الفارسي

وهي كما وصلت اليها تمثل الآداب الاجتماعية في القرون الاسلامية الوسطى ، ويدخل في ذلك الانهماك في الملذات والتهتك . وقد وصفت المرأة فيها وصفا يدل على ضعفها وسوء ظن الرجل فيها وفي آدابها . وفي الكتاب كثير من قصص العفاريت وعجائب الخلق وغرائب الحوادث مما يصوره الوهم والخيال وسواء كان ذلك مما نقل عن الفرس أو مما وضعه العرب ، فانه من طبيعة تلك العصور . وقد تولد بالنمو التدريجي قبل تدوينه لميل الانسان من فطرته الى المبالغة كما تقدم . على نحو ما ترى في أخبار السنديباد البحري وغرائب ما شاهده في أسفاره من الاسماك الكبيرة الحجم التي يبلغ طولها مئات من الأذرع ومنها ما هو بصفة البقر أو الحمير ، والوادي الذي حجارته من الماس ويمج بالافاعي عجيجا ، وجبل القروود والتعابين التي تأكل الادميين ، وطير الرخ الذي يشبع من فرخه الصغير عشرات من الناس واذا كبر سطا على السفن وكسرها بصخور يلقيها عليها ، ونحو ذلك مما يخالف المألوف عندنا الآن فانه لم يوضع دفعة واحدة . . وانما نما بالتناقل وأصله مبالغة قليلة رواها أهل الرحلة كما فعل بزرك بن شهریار في أخبار الهند مما سبق أن فصلناه ، فمبالغاته وسط بين الحقيقة والخرافة ، لو تنوقلت شفاها لصارت كالخرافات تماما وقس عليه سائر المبالغات

خرافات الافرنج

على ان ذلك ليس خاصا بالشرقيين كما يتهمنا بعض العلماء من الافرنج ، بل هو يتناول سائر الامم في تلك العصور من الميل الى المبالغة في رواية الغرائب ، ولاسيما فيما تلد المبالغة فيه من أخبار الابطال والقاتحين . والافرنج أكثر مبالغة في ذلك من العرب ، فان هؤلاء نسبوا الى عشرة مقابلة المائة والمائتين أو أكثر من الرجال وحده وذلك مع بعد احتماله لا يخالف نواميس الطبيعة . وأما الافرنج في قرونهم الوسطى ، فانهم نسبوا

الى الاسكندر المقدوني خرافات تخالف النواميس الطبيعية . فقد قالوا انه لقي في اثناء فتوحه اقواما نصف اجسادهم السفلى آدمى والنصف العلوى وحشى ، واقواما وحشيين لكل منهم ست ايد . وانه حارب جنودا من السلاحف واخرى من التنين . وانه بارز مرة حيوانا هائلا بثلاثة قرون ، وبارز مرة اخرى اسودا وغيرها . وقد صوروا ذلك في كتبهم ونشروه بين عامتهم

عود الى الف ليلة وليلة

ويتخلل حكايات ألف ليلة وليلة قصص قصيرة أبطالها من مشاهير العرب بالجوذ أو الحلم أو الوفاء أو غير ذلك ، كقصة حاتم الطائي بعد موته أو قصص معن بن زائدة ويحيى اليرمكى وابنه جعفر والفضل وابراهيم بن المهدي واسحق الموصلي وعكرمة وخديمة والرشيد والمأمون وغيرهم . وفيها قصص مغزاها حسن تمثل الصبر والتعقل والحكمة والتبصر في العواقب . ومعظمها كانت قصصا مستقلة وأدخلت عليها بتوالى الازمان . وبعضها يقرب من الواقع ويطابق سياق التاريخ . وفيها من الجهة الاخرى خرافات على السنة البهائم ، كقصة الدجاجة والبطة والاسد ونحوها

والخلاصة انها مجموعة قصص مختلفة الموضوعات والاساليب والاغراض، عسارتها على الاجمال سهلة تختلف قوة وصحة باختلاف القصص وعصورها . . على انها لم تبق كما وضعت لان النساخ والناشرين نقحوها وهذبوا عسارتها . وقد طبعت مرارا ونقلت الى اكثر لغات أوروبا نقلا يختلف قربا من الاصل وبعدا عنه بين اختصار وتهذيب ، وبعضهم بالغ في الاختصار والتبديل حتى صارت الترجمة ليس بها من قصة ألف ليلة وليلة الا اسمها . وفي بعض المواضع من هذه القصة عبارات يخجل الاديب من تلاوتها ، حذف من بعض طبعاتها في بيروت ومصر

قصص اخرى من امثالها

لما شاعت الترجمات الفارسية المتقدم ذكرها في العالم العربى ، أخذ الادباء في القرنين الثالث والرابع ينسجون على منوالها أو يجمعون مما بين أيديهم ما يشبهها . وقد ذكر ابن النديم كتابا شاهده بنفسه تأليف الجهشيارى ، قال في وصفه : « وابتدا أبو عبد الله محمد بن عبدوس الجهشيارى صاحب كتاب الوزراء بتأليف كتاب اختار فيه ألف سمر من أسمار العرب والعجم والروم وغيرهم ، كل جزء قائم بذاته لا يعلق بغيره . واحضر المسامرين فأخذ عنهم أحسن ما يعرفون ويحسنون ، واختار من الكتب المصنفة في الاسمار والخرافات . . . وكان فاضلا فاجتمع له من ذلك اربعمائة وثمانون ليلة ، كل ليلة سمر تام يحتوى على خمسين ورقة . ورايت من ذلك عدة اجزاء بخط أبى الطيب أخى الشافعى . وكان قبل ذلك من يعمل : ابن المقفع وسهل بن هرون وعلي بن داود كاتب زبيدة وغيرهم » .

ولم يصننا من هذه الكتب وأمثالها غير ألف ليلة وليلة
وهناك طائفة من القصص الخرافية والنكت المجونية ، ظهرت قبل
انقضاء العصر الذى نحن بصدده ككتاب حوشب الاسدى ، وكتاب جحا ،
ونوادر أبى ضمزم ، ونوادر ابن الموصلى ، لم يبق منها الا القليل . أما
سائر القصص الكبرى المتداولة بين أيدينا الآن كقصة الزير والزبيق
وبنى هلال وغيرها ، فسيأتى ذكرها في مكانه

الدرام عند العرب

ونريد بالدرام الروايات التمثيلية ، وهو عظيم الاهمية عند الافرنج ،
لانه يمثل الاخلاق والآداب والعادات على المسارح ليشاهدها الناس
ويعتبروا بها . . لكن العرب لم يعانون التمثيل على المسارح ولا الفوا فيه .
وقد عد بعض المستشرقين المقامات ، كمقامات الهمداني أو الحريري ، من
قبيل الدرام . ولا نرى مسوغا لهذا القول ، والمقامات انما يراد بها الفائدة
اللغوية لما يتوخونه فيها من البلاغة والالفاظ الغريبة وإيراد الامثال والحكم .
وليس المراد مغزاها كما يريد الافرنج من التمثيل . ونجل كتابنا عن أن
يكون غرضهم من تأليفها العبرة أو الموعظة . وهى فى الغالب مبنية على
المجون وانتحال أسباب الكسب بالحيل ونحوها

ولعل السبب فى تقاعد العرب عن فن التمثيل ، انه يحتاج الى ظهور
المرأة على المسارح ، وهم يتحافون عنه بسبب الحجاب . أو هو تابع
لتباعدهم عن وضع القصص الشعرية أو الشعر القصصى الذى يحتاج الى
توسيع الموضوع وتشعبه وتفريعه . على أن أبا العلاء المعرى نابغة
الشعراء فى العصر الثالث ، وضع شيئا كالدرام . . نغنى رسالة الففران . .
فانها تشبه أن تكون من نوع الكوميديا وان لم يقصد تمثيلها

ويظهر ان الشيعة فى بلاد فارس لم يبألوا بهذه الموانع فى تمثيل مقتل
الحسين فى كربلاء ، فانهم يمثلون تلك الواقعة على المسارح فى عاشوراء ،
وتبتدىء هذه الرواية بيوم خروج الحسين من مكة وتنتهى بقتله . أو هو
الفصل الاخير منها ويسمونه « روز قتل » أى يوم القتل . فهذا الفصل
يمثلونه يوم عاشوراء بحضور الشاه ورجال دولته فى ساحة كبيرة ،
فيشخصون الحسين وشمز والعباس وجمفرا وزينب وسكينة وكلثوم
وأم ليلى وعمر بن سعد وغيرهم وكيفية الواقعة من أول النهار الى آخره ،
ومقتل الحسين وأصحابه . . يفعلون ذلك فى ساحة ينصبون فيها الخيام ،
عليها شارات الحداد . فيقوم شيخ يقرأ على الناس حكاية مقتل الحسين
بنغم محزن ، ولا يكاد يبدأ بالقراءة حتى تهيج عواطف السامعين فيبكون
ويندبون وينوحون ، فيطوف عليهم شيخ بقطعة من قطن يلتقط بها دموعهم
ثم يعصرها فى قارورة تحفظ بها للاستشفاء . وقد وصف ذلك الاحتفال
الرحالة موريه فى رحلته الثانية الى فارس سنة ١٨١١ م ، ونقلنا ذلك
فى الهلال صفحة ٤٦٦ سنة ١٨

الخرد الخامة

في العصر العباسي الثالث

كان النحاة كثيرين في هذا العصر ، ولكنهم لم يبتكروا كثيرا في النحو . . .
وقل الذين ألفوا فيه من عند أنفسهم . . . وأكثر ما دونوه شروح على سيبويه
أو اعراب أو نحو ذلك ، وأكثرها ضاع . وهاك أشهر من خلف مؤلفات
في النحو من أهل هذا العصر وبقي منها ما يستحق الذكر ، نرتبهم حسب
الوفاة ونذكر مؤلفاتهم في الموضوعات الأخرى :

١ - ابن خالويه

توفى سنة ٣٧٠ هـ

هو أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه أصله من همدان ، ودخل
بغداد وأدرك جلة العلماء فيها ، ورحل إلى الشام ثم أقام في حلب ، وتقرب
من آل حمدان وقدمه سيف الدولة . وله معه محاضرات حسنة . ومن
آثاره الباقية :

١ - رسالة في اعراب ثلاثين سورة : منها نسخة خطية في المتحف
البريطاني وفي اياصوفيا (*)

٢ - كتاب الشجر : طبع في برلين سنة ١٩٠٩

٣ - كتاب ليس : في الشواذ العربية طبع في أوروبا عن نسخة خطية
وجدت في المتحف البريطاني بعناية ديرنبرج . وطبع في مصر سنة ١٣٢٧ هـ
وترجمته في ابن خلكان ١٥٧ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٨٣ ، ويتيمة
الدهر ٧٦ ج ١ ، والفهرست ٨٤ (**)

٢ - أبو بكر الزبيدي

توفى سنة ٣٧٩ هـ

هو أبو بكر محمد بن الحسن بن عبد الله بن مذحج الزبيدي الأشبيلي
نزيل قرطبة ، من تلاميذ أبي علي القالي اللغوي . وكان أوحد عصره في

(*) نشرت هذا الكتاب دار الكتب المصرية سنة ١٣٦٠ هـ
(**) وزاجع في ابن خالويه أنباء الرواة ج ١ ص ٣٢٤ ومعجم الادباء ج ٩ ص ٢٠٠ وبنية
الوعاء ص ٢٢١ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٣٩ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٣٩٤ وشننرات الذهب
ج ٣ ص ٧١ وطبقات ابن قاضي شهبه ج ١ ص ٣١٧ وطبقات الشافعية ج ٢ ص ٢١٢ ، وروضات
الجنات ص ٢٣٧ والفلاحة والمفلوكين ص ١٠١ والمزهج ج ٢ ص ٤٢١ ، ٤٦٦

النحو وحفظ اللفظة ، وأكثر أهل زمانه خبرة بالأضراب والمعاني والنوادير والسير . ولم يكن بالاندلس في فنه مثله ، وقد اختاره الحكم المستنصر بالله صاحب قرطبة ليعلم أبناءه ، فعلم هشاماً المؤيد ولى عهده الحساب والعربية . وكانت له منزلة رفيعة عنده ، ونال منه دنيا عريضة حتى تولى قضاء اشبيلية وخطة الشرطة . وجمع ثروة توارثها بنوه بعده . وكان شاعراً ، وقد ألف كتباً كثيرة منها طبقات اللغويين والنحاة في المشرق والاندلس من زمن أبى الاسود الى قرب زمنه . وظل هذا الكتاب موجوداً الى آخر القرن التاسع للهجرة ، وأخذ السيوطى عنه في الزهر ولا نعلم خبره (*) . وله كتب أخرى في لحن العامة ، وآخر في الابنية . ومختصر كتاب العين ذكره السيوطى . ولم يبلفنا من مؤلفاته الا :

١ - كتاب الواضح في النحو والعريسة : وهو جزيل الفائدة ، منه نسخة خطية في الاسكوريال

٢ - كتاب الاستدراك على سيبويه : استتدرك فيه أشياء فاتت سيبويه ، طبع في روما سنة ١٨٩٠ بعناية جويدي المستشرق الايطالى وترجمته في ابن خلكان ٥١٤ ج ١ ، وبتيمة الدهر ٤٠٩ ج ١ (***)

٣ - ابن جنى

توفى سنة ٣٩٢ هـ

هو أبو الفتح عثمان بن جنى الموصلى ، قرأ على أبى على الفارسى . وكان أبوه مملوكاً رومياً ، ولعل اسمه « جنى » معرب عن لفظ يونانى مثل « جنائيس » . توفى ابن جنى ببغداد ، وهو أعظم علماء النحو في هذا العصر وأكثرهم آثاراً . وكان شاعراً مطبوعاً ، وله قصائد حسنة ، لكن النحو غلب عليه . وله فيه مؤلفات مهمة فيها فلسفة ونقد ، هالك أشهر ما بقى منها :

١ - الخصائص في اللفظة : كتاب كبير عظيم الفائدة ، يبحث في أصول النحو على مذهب أصول الكلام والفقه . وهو بحث فلسفى في اللفظة وأصولها واشتقاقها وأحكامها ومصادرها وما يجوز القياس فيه . والكتاب عدة أجزاء ضخمة منها الجزآن الاول والثانى في دار الكتب المصرية تزيد صفحاتهما على ٧٠٠ صفحة ، والجزآن الثالث والرابع في مكتبة غوطا . وأجزاء أخرى فى مكتبتى راغب ونور عثمانية فى الأستانة (***)

(*) نشر هذا الكتاب فى القاهرة بتحقيق محمد أبى الفضل ابراهيم
(**) وانظر فى الزبيدى تاريخ علماء الاندلس لابن الفرضى ج ١ ص ٣٨٢ وبغية المتنفس ص ٥٦ والاسباب للسمعانى ٢٧١ أ ومطمح الانفس لابن خاقان ص ٥٣ والمغرب لابن سعيد « نشر دار المصارف » ج ١ ص ٢٥٠ ونفع الطيب « طبعة ليدن » ج ٢ ص ٣٢٠ والوافى بالوفيات « طبعة استانبول » ج ٢ ص ٣٥١ ومعجم الادباء ج ١٨ ص ١١٩ وروضات الجنات ص ٦٦٦ وانباء الرواة ج ٣ ص ١٠٨ وبغية الوعاة ص ٣٤ وطبقات ابن قاضى شهبه ج ١ ص ٣٧
(*) تقوم دار الكتب المصرية بنشر هذا الكتاب وقد صدر منه جزآن بتحقيق الشيخ محمد (***) تقوم دار الكتب المصرية بنشر هذا الكتاب وقد صدر منه جزآن بتحقيق الشيخ محمد النجار

٢ - سر الصناعة في النحو : هو كتاب ضخيم في نحو ٦٠٠ صفحة ، يشتمل على أحكام حروف المعجم واحوال كل حرف منها من حيث موقعه . وفيه أبحاث في الصوت ومخارج الحروف ولفظها والحركات وما هي ، وأجناس الحروف وفروعها ، وما يناسب تقاربه منها في اللفظ ونحو ذلك من الأبحاث الدقيقة . فبدأ بالهمزة فالباء وما بعدها الى آخر الحروف الابجدية . ونظر في كل حرف وأين يكثر أو يقل من حيث موقعه من الالفاظ ، وأحكام ما يصيبه من القلب والابدال وغير ذلك من الموضوعات التي تهتم طالب تحليل الالفاظ وفلسفة اللغة . منه نسخ خطية في برلين وليدن وباريس ومكتبتى راغب وكوبرلى وفي دار الكتب المصرية ومكتبة الظاهر في دمشق (*)

- ٣ - شرح تصريف المازنى : في مكتبتى راغب باشا وكوبرلى بالآستانة
 ٤ - كتاب العروض : هو مختصر لطيف في برلين وفيينا وليدن
 ٥ - مختصر القوافى : في الاسكوريال
 ٦ - اللمع في النحو : في برلين واياصوفيا وعليها شروح عدة
 ٧ - المحتسب في اعراب الشواذ : في مكتبة راغب
 ٨ - شرح المتنبي : في دار الكتب المصرية
 ٩ - المبهج : هو شرح أسماء شعراء الحماسة شرحا لغويا لا تاريخيا . منه نسخة في دار الكتب المصرية في ٧٢ صفحة (***)
 ١٠ - مختصر التعريف الملوكي ، أو جمل أصول التصريف : مطبوع في ليبسك مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٨٥
 ١١ - علل التثنية : منه نسخة خطية في ليدن
 ١٢ - التنبيه في شرح الحماسة : هو كتاب ضخيم في نيف و ٤٠٠ صفحة ، فيها شرح لغوي نحوي موجود في ليدن وفي دار الكتب المصرية وترجمة ابن جنى في ابن خلكان ٣١٣ ج ١ ، ویتيمة الدهر ٧٧ ج ١ ، وطبقات الادباء ٤٠٦ (***)

نعاة آخرون

واشتهر في هذا العصر نعاة يرجع اليهم في التحقيق وان لم يخلفوا كتباً ، فان

(*) ينشر هذا الكتاب الآن في القاهرة وقد صدر منه الجزء الاول

(**) طبع هذا الكتاب في دمشق بمطبعة الترقى

(***) وراجع في ابن جنى تاريخ بغداد ج ١١ ص ٣١١ وشدرات الذهب ج ٣ ص ١٤٠ ومراة الجنان ج ٢ ص ٤٤٥ وروضات الجنات ص ٤٦٦ والشعور بالبور ص ١٣١ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ٢ ص ١٢٣ ومراة الجنان ج ٢ ص ٤٤٥ ومعجم الادباء ج ١٢ ص ٨١ ودمية القصر ص ٢٩٧ وانبية الرواة ج ٢ ص ٣٢٥ والبقية للسيوطى ص ٣٢٢ وتاريخ ابي الفدا ج ٢ ص ١٣٦ ، تاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٣٣١ والنجوم الزاهية ج ٤ ص ٢٠٥ والمنظم في وفيات سنة ٣٩٢ ، ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلن ١٢٥ ج ١

في الناس من يحسن التعليم دون التأليف . ومن مشاهير النحاة الذين لم يصلنا من مؤلفاتهم ما يستحق الذكر :

٤ - ابن دستوريه المتوفى سنة ٣٤٧ من تلاميذ المبرد ، وهو فارسي الاصل ، ألف عدة كتب لم يبق منها الا « الالفاظ للكتاب » منه نسخة خطية في مكتبة اكسفورد . وترجمته في ابن خلكان ٢٥١ ج ١

٥ - أبو سعيد السيرافي ، ويعرف بالقاضي ، توفي سنة ٣٦٨ . وكان واسع العلم عريض الجاه ، تولى قضاء بغداد وشرح كتاب سيبويه وألف كتاب الفات الوصل والقطع وكتاب أخبار النحويين البصريين (١) وغيرها لم يصلنا منها شيء . وكان الرجل ثقة يدرس عليه الطلاب عدة فنون في القرآن واللغة والرياضيات والشعر وغيرها . وترجمته في معجم الادباء ٨٤ ج ٣ ، وابن خلكان ١٣٠ ج ١ ، وطبقات الادباء ٣٧٩

٦ - أبو علي الفارسي المتوفى سنة ٣٧٧ ، وكانت له منزلة عند سيف الدولة وعضد الدولة . ومن مؤلفاته كتاب الايضاح والتكملة شرحه كثيرون ، ومنه شروح خطية في دار الكتب المصرية أجدها للعكبري . وترجمته في ابن خلكان ١٣١ ج ١ ، ومعجم الادباء ٩ ج ٣ ، وطبقات الادباء ٣٨٧

٧- أبو الحسن الرمانى المتوفى سنة ٣٨٤ له عدة مؤلفات وشروح

٨ - ابن بقية المتوفى سنة ٤٠٦

٩ - الربيعى المتوفى سنة ٤٢٠

١٠ - الافليلى المتوفى سنة ٤٤١

١١ - الثمانينى المتوفى سنة ٤٤٢

وغيرهم مما يطول شرحه وقد ترجم لهم ابن خلكان

اللغة والغويون

في العصر العباسي الثالث

يمتاز هذا العصر عما تقدمه بأن علوم اللغة نضجت فيه وتم نشوء المعاجم اللغوية ، فنبغ من علماء اللغة طائفة حسنة أهمهم الذين اشتغلوا في ضبط الالفاظ وتدوينها وتعريف معانيها وترتيبها على حروف المعجم أو على المعاني . وهم أصحاب المعاجم ، وسنفرد لهم فصلاً خاصاً بعد الكلام عن علماء اللغة على العموم وهم :

١ - المطرز الباوردي

توفي سنة ٣٤٥ هـ

هو أبو عمر محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم المعروف بالمطرز الباوردي الزاهد غلام ثعلب . وكان من أكابر أئمة اللغة الكثيرين ، أخذ عن ثعلب المتقدم ذكره . وكان واسع الرواية غزير المادة ، لكن أدباء عصره يخطئونه في أكثر نقله ، ويقولون لو طار طائر لقال أبو عمر : « حدثنا ثعلب عن ابن الاعرابي كذا » ويقال انه أملى من حفظه أكثر من ٣٠٠٠٠ ورقة في اللغة ، توفي ببغداد ودفن فيها . وألف كتباً كثيرة ذكرها صاحب الفهرست لم يصلنا منها الا :

١ - كتاب العشرات : هو عبارة عن جمع عشرة الفاظ في معنى واحد ، منه نسخة خطية في مكتبة برلين

٢ - كتاب اخبار العرب : في الاسكوريال ، ولم يذكره الفهرست بهذا الاسم . ترجمته في ابن خلكان ٥٠٠ ج ١ ، والفهرست ٧٦ ، وطبقات الادباء ٣٤٥ (*)

٢ - أبو علي القالي

توفي سنة ٣٥٦ هـ

هو أبو علي اسماعيل بن القاسم القالي البغدادي اللغوي ، جده من موالي عبد الملك بن مروان . وكان أحفظ أهل زمانه للغة والشعر ونحو

(*) وانظر الانساب ٤١٣ أ وتاريخ بغداد ج ٢ ص ٣٥٦ وتاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ١٠١ وتاريخ ابن كثير ج ١١ ص ٢٣٠ وتذكرة الحفاظ ج ٣ ص ٨٤ وشذرات الذهب ج ٢ ص ٣٧٠ وروضات الجنات ص ٦١٤ ومراة الجنان ج ٢ ص ٣٣٧ ومعجم الادباء ج ١٨ ص ٢٢٦ وانباء الرواة ج ٣ ص ١٧١ وطبقات الزبيدي ص ١٤٤ والبهية للسيوطي ص ٦٩ والمنظوم وفيات سنة ٣٤٥ والنجوم الزاهرة ج ٣ ص ٣١٦

البصريين .. تتلمذ لابن دريد ونفطويه وابن دستوريه وغيرهم . وطاف البلاد فسافر الى بغداد حيث اقام بها ٢٥ سنة . واقام في الموصل زمنا ، وسافر الى الاندلس فدخل قرطبة على زمن عبد الرحمن الناصر، وتوفي فيها سنة ٣٥٦ ، وله عدة مؤلفات أكثرها في اللغة .. هالك ما وصلنا منها :

- ١ - كتاب الامالي : هو من نوع كتاب الكامل للمبرد ، أملاه في جامع الزهراء بقرطبة . ومنه نسخ خطية في برلين وباريس والاسكوريال . وقد طبع بمصر في مجلدين لهما ذيل
- ٢ - كتاب البارع في اللغة : بناه على حروف المعجم في نحو ٥٠٠ ورقة أى ألف صفحة ، فهو من قبيل المعاجم . ولم يبق منه الا نتف في مكتبة باريس

وترجمته في ابن خلكان ٧٤ ج ١ ، ومعجم الادباء ٣٥١ ج ٢ (*)

٣ - أبو احمد العسكري

توفي سنة ٣٨٢ هـ

هو أبو احمد الحسن بن عبد الله بن سعيد العسكري اللغوي نسبة الى عسكر مكرم في الاهواز . وهو غير أبي هلال العسكري المتقدم ذكره بين الادباء . وكان أبو احمد صاحب أخبار ونوادر . وكان صاحب بن عباد يود الاجتماع به ولا يجد اليه سبيلا ، فاحتال في السفر اليه ولقيه وأطراه . وخلف أبو احمد عدة مؤلفات وصل اليها منها :

- ١ - كتاب التصحيف والتحريف : جمع فيه المصحف والمحرّف من الكلمات التي وردت عن البلغاء مما يعد من أنواع البديع ومن فروع المحاضرات . وشرح الكلمات المشتبهة . وهو مفيد ، طبع في مصر سنة ١٣٢٧ هـ

٢ - كتاب الزواجر والمواظ : في مكتبة كوبرلي بالإستانة

٣ - كتاب الحكم والامثال في مكتبة زكي (باشا) بمصر

وترجمة أبي احمد في ابن خلكان ١٣٢ ج ١ ، ومعجم الادباء ١٢٦ ج ٣ (***)

ومن علماء اللغة في هذا العصر أيضا غير أصحاب المعاجم الآتي ذكرهم : جنادة المتوفى سنة ٣٩٩ ، والسهماني توفي ببغداد سنة ٤٥١ ، وصاعد اللغوي توفي سنة ٤١٧ ، وابن السيد القيسي توفي سنة ٤٢٧ هـ ، وقد ترجم لهم ابن خلكان

(*) وراجع في القائل الانساب ٤٣٩ ب وطبقات الزبيدي ص ١٣٠ وبغية المنفس ص ٢١١ وتاريخ علمه الاندلس ج ١ ص ٦٥ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٨ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ١ ص ٢٧٥ وفهرست ابن خبير ص ٣٩٥ واللال ج ١ ص ٤ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٢٥٩ وبغية الوعاة ص ١٩٨ ونفع الطيب للمقرئ « أنظر الفهرس » وسلم الوصول ص ١٩٩ والبناء الرواة ج ١ ص ٢٠٤

(**) وانظر في أبي احمد العسكري الانساب ٣٩٠ ب وتاريخ أبي الفلاح ج ٢ ص ١٢٢ وروضات الجنات ص ٢١٦ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٠٢ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ١ ص ١٠٤ واللباب ج ٢ ص ١٢٩ ومرآة الجنان ج ٢ ص ٤١٥ ومعجم البلدان في مادة عسكر مكرم وانباء الرواة ج ١ ص ٢١٠ وبغية الوعاة ص ٢٢١ وخزانة الادب ج ١ ص ٩٧ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ١٦٣

المعاجم اللغوية وأصحابها

ولدت المعاجم اللغوية في العصر العباسي الاول في كتاب العين للخليل المتوفى سنة ١٨٠ ، لكنها لم تنضج ويتم نموها الا في العصر الثالث الذي نحن بصددده ، فيحسن بنا أن نطيل الكلام فيها

المعاجم على العموم

اسبق الامم الى المعاجم اللغوية الصينيون ، فانهم وضعوا معجما فيه ٤٠٠٠ كلمة في القرن الحادى عشر قبل الميلاد. مؤلفه اسمه باوتشى . وأقدم معجم لغوى في اللغة اللاتينية اسمه Lingua Latina ألفه « وارو » المتوفى سنة ٢٨ قبل الميلاد. ونحو ذلك الزمن أو بعده ، ظهر أقدم معجم للغة هوميروس ألفه ابولونيوس الغراماطيقى الاسكندرى في زمن اوغسطس . ثم ظهر معجم اللغة اليونانية كاملا سنة ١٧٧ للميلاد تأليف يوليوس بولكس ، ثم ياتى العرب وهم اسبق الامم الحديثة الى المعاجم اللغوية. وهالك تاريخها :

مصادر المعاجم العربية

نريد بالمعاجم كتب اللغة التى تترتب فيها الالفاظ على حروف المعجم أو على المعانى المتشابهة أو المتقاربة ، وهى مأخوذة في الاصل عن السماع من أفواه العرب في ادوار مختلفة . وقد علمت مما تقدم أنهم بدأوا بأخذ اللغة وآدابها الجاهلية بالبصرة والكوفة من فصحاء ذكرنا بعضهم عند الكلام عن علم الادب فكان الرواة كحماد والاصمعى وأبى عبيدة وغيرهم ، يروون ما يسمعونه أو يأخذونه عن سماعه ويدونونه أو ينقلونه . ويدخل في ذلك أشعار العرب وأخبارهم وأمثالهم والفاظهم وعلومهم وآدابهم . ودونوا ذلك أولا في كتب مستقلة ، كل موضوع على حدة ، ككتب الابل وأسماء الوحوش وخلق الانسان والخيل والشاء والنبات والشجر والنخيل وغيرها للاصمعى وكتب اللبن والمطر لآبى زيد الانصارى ونحوها

ويلحق ذلك ما ألفوه من كتب النوادر في اللغة ، وهى تشتمل على النادر استعماله من الالفاظ ودلالاتها . ككتب النوادر للكسائى وآبى زيد والشيبانى والقالى . وكتب الفريب في اللغة كفريب آبى عبيد والشيبانى وآبن الاعرابى . وشروح الشعر ، فان فيها كثيرا من الالفاظ المشروحة مع بيان أحوالها اللغوية . وسائر الكتب التى تبحث في اللغة واشتقاقها وألفاظها ، وكذلك كتب الاضداد والاشباه والنظائر . ومن هذا القبيل كتاب الالفاظ الكتابية لعبد الرحمن بن عيسى الهمدانى المتوفى سنة ٣٢٧ هـ ، وقد تقدم ذكره ، وكتاب البارغ للقالى ، وآبينية الافعال لابن القوطية الآبى ذكره ومنها كتاب ديوان الادب لاسحق بن ابراهيم الفارابى المتوفى سنة ٣٥٠ خال الجوهري صاحب تاج اللغة الآبى ذكره . جعله على ستة كتب : الاول في السالم ، والثانى في المضاعف ، والثالث في المثال ، والرابع في ذوات

الثلاثة ، والخامس في ذوات الاربعة ، والسادس في الهمزة . وجعل كل كتاب من هذه الكتب شطرين : أسماء وأفعالا : وقدم الاسماء على الافعال ، واستشهد بالاشعار . ومن هذا الكتاب نسخ خطية في ليدن واكسفورد وفي دار الكتب المصرية في ٣٠٠ صفحة خط قديم

فهذه الكتب وامثالها كانت عوناً كبيراً في تأليف المعاجم ، على ان الذين ألفوا المعاجم رجعوا أيضاً في التحقيق الى سماع الالفاظ من العرب العاربة أو ممن سمعها عنهم . وسبق أن ذكرنا أسماء القبائل التي أخذت اللغة عنها واليك تاريخ المعاجم :

تاريخ المعاجم العربية

أول من رتب الفاظ اللغة على الإبجدية الخليل بن احمد في كتاب العين ، وقد تقدم ذكره في الكلام عن اللغة في العصر العباسي الأول ، تليه جمهرة ابن دريد المتوفى سنة ٣٢١ وقد ذكرناها بين كتب اللغة في العصر العباسي الثاني . . وعليها كان معول طلاب اللغة في ذلك العصر والذي يليه . وقد انتقدها ابن جنى ونفطويه . . فأقدم المعاجم كتاب العين ، فالجمهرة لابن دريد ، فالبارع للقالى ، وقد تقدم ذكرها

وهاك المعاجم التي ظهرت بعد ذلك مع تراجم اصحابها مرتبة حسب تاريخ الوفاة :

١ - التهذيب للأزهري

المتوفى سنة ٣٧٠ هـ

هو أبو منصور محمد بن احمد الأزهر بن طلحة بن نوح بن أزهري الهروي اللغوي . كان فقيهاً وغلبت عليه اللغة فاشتهر بها . قرأ على ثعلب وابن دريد ونفطويه ورحل فطاف أرض العرب في طلب اللغة . ووفق الى ذلك بوقوعه في أسر قوم نشأوا في البادية ، يتتبعون مساقط الغيث أيام النجع ويرجعون الى اعداد المياه في محاضرتهم في أوقات القيظ ويرعون النعم ويعيشون بالبائها ويتكلمون بطباعهم البدوية ، ولا يكاد يوجد في منطقتهم لحن أو خطأ فاحش

فبقى في أسرهم دهراً طويلاً ، يشتمى في الدهناء ويربع في الصمان ويقيظ بالستارين . . فاستفاد من محاوراتهم ومخاطباتهم الفاظاً جمة . فلما ألف كتابه التهذيب ، أدخل ذلك كله فيه . وجرى في ترتيبه على ترتيب كتاب العين أى حسب مخارج الحروف . وقد صدره بمقدمة أورد فيها أسماء الرواة حسب طبقاتهم مع خلاصة تراجمهم وأسماء الذين أساءوا التأليف في اللغة . وعقد فصلاً في ألقاب الحروف ومدارجها مع نصوص كثيرة من كتاب العين . وهي مقدمة مفيدة

ومن كتاب التهذيب نسخ خطية في مكاتب اياصوفيا ونور عثمانية

وكوبرلى فى الأستانة ، ونسخة فى المكتبة الإحمدية بحلب . وفى المكتبة الخديوية جزءان كبيران صفحتهما نحو ٢٠٠٠ صفحة ينتهى الثانى بمادة ذرا والخط جميل والصفحات كبيرة جدا (**)

وقد ألف أيضا كتاب غريب الألفاظ التى استعملها الفقهاء ، منه نسخ فى برلين وكوبرلى

وترجمة الأزهرى فى ابن خلكان ٥٠١ ج ١ (***)

٢ - المحيط للصاحب بن عباد

المتوفى سنة ٣٨٥ هـ

قد تقدمت ترجمته بين المنشئين . وكتابه المحيط ، مرتب حسب حروف الأبجدية كما هى اليوم فى سبعة مجلدات وقد أكثر فيه الألفاظ وقلل الشواهد . ومنه الجزء الثالث فى دار الكتب المصرية

٣ - المجمل لابن فارس

المتوفى سنة ٣٩٠ هـ

هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا بن محمد بن حبيب الرازى . كان أماما فى علوم شتى وخصوصا اللغة . وله فضل التقدم فى وضع المقامات ، لأنه كتب رسائل اقتبس العلماء منها نسقه . وعليه اشتغل بدفع الزمان الهمداني كما تقدم . وتفقه عليه الصحاب بن عباد . وكان أستاذ عصره ، وقد خلف مؤلفات ذات شأن ، هاك أشهرها :

١ - كتاب المجمل فى اللغة : اقتصر فيه على الألفاظ المهمة المستعملة . أخذ أكثرها عن السماع وأخذ عن تقدمه واختصر الشواهد ورتبه على الأبجدية المعروفة اليوم ، وأجمل الكلام فيه ومنه اسمه . منه نسخ خطية فى برلين وغوطا وليندن وباريس والمتحف البريطانى واكسفورد وبنى جامع وكوبرلى . وفى كتب الشنقيطى بدار الكتب المصرية نسخة فى مجلدين كبيرين صفحتهما نحو ١٣٠٠ صفحة حسنة الخط (***)

٢ - كتاب الثلاثة : يشتمل على ألفاظ ذات ثلاثة معان مثل مثلثات قطرب . منه نسخة فى الاسكوريال

٣ - كتاب ذم الخطأ فى الشعر : فى برلين

٤ - كتاب نقد الشعر : ذكره السيوطى بالزهر ، ولم نقف على خبره

(**) ضح تهنيد الأزهرى كما هو معروف

(**) وأنظر فى الأزهرى معجم الأدباء ج ١٧ ص ١٦٤ وبغية الرواة للسيوطى ودائرة المعارف الإسلامية

(***) طبع من هذا المعجم الجزء الأول ، ولابن فارس معجم آخر يسمى مقاييس اللغة ، وقد طبع فى ست مجلدات بتحقيق عبد السلام هرون

- ٥ - كتاب الصحابي : في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها . ترجع هذه التسمية الى انه ألفه للصحاب بن عباد وجيه ذلك العصر . وفيه أبحاث في أصل اللغة العربية وخصائصها ، واختلاف لغاتها بحسب القبائل والمواطن ، وتعريف أقسام الكلام والاسماء العربية وأسبابها ، والحروف الهجائية وتركيبها على الهجاء ، وغير ذلك من الموضوعات اللغوية . وهو كتاب نفيس طبع بمصر سنة ١٩١٠ ، وفي صدره فصل في ترجمة حياة المؤلف .
- ٦ - كتاب الاتباع والمزاوجة : جمع فيه ماورد من كلام العرب مزدوجا ، كقولهم : ساغب لأغب ، ومايق دايق ، والسيف والليف . منه نسخة بين كتب الشنقيطي بال مكتبة الخديوية في ٤٤ صفحة ، ولم يذكر بين مؤلفاته
- ٧ - كتاب الامتاع لابن فارس . طبع غيسن سنة ١٩٠٦
- وترجمة ابن فارس في ابن خلكان ٣٥ ج ١ ، ومعجم الادباء ٦ ج ٢ (*)

٤ - الصحاح للجوهري

التولى سنة ٣٩٨ هـ

هو أبو نصر اسماعيل بن حماد الجوهري . أصله من فاراب ببلاد الترك ، ولذلك سموه الفارابي أيضا . وهو غير أبي نصر الفارابي الفيلسوف المتقدم ذكره ، فان اسمه محمد بن طرخان . وغير اسحق بن ابراهيم الفارابي صاحب ديوان الادب المتقدم ذكره أيضا ، فانه خال اسماعيل بن حماد الذي نحن بصدده

وكان اسماعيل هذا واسع العلم في اللغة ، أخذ من خاله المذكور وغيره ، وسافر الى البدر والحضر فدخل ديار ربيعة ومضر . وطاف الحجاز في طلب الادب واتقان اللغة ورجع الى خراسان ، فأقام في نيسابور للتدريس والتأليف وتعليم الخط لان خطه كان جميلا . ثم وضع كتاب الصحاح وسماه « تاج اللغة وصحاح العربية » فانتقى من الفاظ اللغة ما صح عنده ، فجاء أوعى من مجمل ابن فارس وتهذيب الأزهرى وجمهرة ابن دريد . ورتبه على أسلوب لم يسبقه اليه أحد ، فجعل القاعدة في ترتيب الالفاظ على أواخر الكلم . . فيضع « قلب » مثلاً قبل كلمة « بيت » وهكذا . ولهذا الترتيب فائدة عند الشعراء في طلب القوافي

ويمتاز الصحاح على سواه انه استوعب الالفاظ المستعملة في ديار مضر وحققتها بالسمع من عرب البادية هناك لانه عاشهم . وفي الكتاب خطأ في ضبط بعض الالفاظ ذكر سببه ياقوت في معجم الادباء قال : « أن الجوهري صنف كتاب الصحاح للأستاذ أبي منصور عبد الرحيم بن محمد البيشكني

(*) وزاجع في ابن فارس دمية القصر ص ٢٥٧ والديباج المذهب ص ٣٦ وروضات الجنات ص ٦٤ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٣٢ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ١ ص ٢٣٠ واليتيمية ج ٣ ص ٣٦٥ وانباه الرواة ج ١ ص ٩٢ وبنية الوعاة ص ١٥٣ والفلاحة والمفلوكين ص ١٠٨ وسلم الوصول ص ١١٢ وتاريخ ابن كثير ج ١١ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢١٢

وسمعه منه الا باب الضاد المعجمة . واعتري الجوهري وسوسة فانتقل الى الجامع القديم بنيسابور ، فصعد الى سطحه وقال : « ايها الناس انى عملت في الدنيا شيئا لم اسبق اليه فساعمل للاخرة امرالم اسبق اليه » . وضم الى جنبه مصراعى باب وتابطهما بحبل ، وصعد مكانا عاليا من الجامع وزعم انه يطير فوق فمات ، وظلت بقية الكتاب مسودة غير منقحة ولا مبيضة . . فيضه ابو اسحاق بن صالح الوراق تلميذ الجوهري بعد موته ، فأخطأ فيه في عدة مواضع خطأ فاحشا »

وقد طبع الصحاح في تبريز سنة ١٢٧٠ على الحجر ، وفي مصر سنة ١٢٨٢ . وفي طبعة مصر مقدمات لابي الوفاء الهوزيني في تاريخ المعاجم وكيفية استخدام الكتاب وما هي الفصول الساقطة منه . وقد لخصه كثيرون وترجم الى الفارسية في كتاب سمي « الصراح » ترجمه ابو الفضل جمال الدين القرشي سنة ٩٧٦ هـ ، ومن هذه الترجمة نسخ خطية في برلين والمتحف البريطاني وغيرهما . وطبعت في كلكتا سنة ١٨١٢

ولخصه محمد بن ابي بكر بن عبد القادر الرازي من اهل القرن الثامن للهجرة في كتاب سماه « مختار الصحاح » اقتصر فيه على ما لا بد منه في الاستعمال ، وضم اليه كثيرا من تهذيب الازهرى وغيره ، وكل ما أهمله الجوهري من الاوزان ذكره بالنص على حركاته . وهو شائع ومطبوع مرارا بمصر وغيرها ، ومنه نسخ خطية في مكاتب أوروبا . ولف كثيرون في نقد الصحاح للأسباب التي قدمناها كتبا ورسائل لا محل لذكرها ودافع عنه كثيرون . راجع كشف الظنون ٧٤ ج ٢

وللجوهري هذا فضل في تميم علم العروض والزيادة في أوزانه (١) ، وقد تقدم خبر ذلك . وترجمته في معجم الادباء ٢٦٦ ج ٢ ، وبيتمة الدهر ٢٨٩ ج ٤ (*)

٥ - الجامع للقزاز

التولى سنة ٤١٢ هـ

هو ابو عبدالله محمد بن جعفر التميمي النحوى القزاز القيروانى . كان في خدمة العزيز الفاطمى صاحب مصر . وكان مقدما وجيها وصنف له كتبا من جملتها كتاب « الجامع » في اللفة ، وكلها ضاعت . وترجمته في ابن خلكان ٥١٤ ج ١ (***)

(١) المملة ٨٨ ج ١

(**) وراجع فى الجوهري دمية القصر ص ٣٠٠ وطبقات ابن قاضي شعبة ج ١ ص ٢٦٢ ونزعة الالباء ص ٤١٨ والمزهر للسيوطى ج ١ ص ٩٧ والبغية ص ١٩٥ وانباه الرواة ج ١ ص ١٩٤ وشذرات الذهب ج ٣ ص ١٤٢ وسلم الوصول ص ١٩٣ والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٠٧

(***) وانظر فى القزاز معجم الادباء ج ١٧ ص ١٠٥ والوفى بالوفيات ج ٢ ص ٣٠٤ وروضات الجنات ص ٦١٨ وانباه الرواة ج ٣ ص ٨٤ وبغية الوعاة ص ٢٩

٦ - الموعب للتباني

المتوفى سنة ٤٣٦ هـ

وهو أبو غالب تمام بن غالب بن عمر اللغوي من أهل قرطبة . ألف الموعب وجمع فيه الصحيح من محتويات كتاب العين والجمهرة ، ولم يختصر الشواهد . لكن الكتاب ضاع . وترجمته في ابن خلكان ٩٧ ج ١ (*)

٧ - المحكم والمخصص لابن سيده

المتوفى سنة ٤٥٨ هـ

هو آخر أصحاب المعاجم التي ظهرت في ذلك العصر وأعظمهم ، وهو الحافظ أبو الحسن علي بن أسماعيل المعروف بابن سيده المرسي الأندلسي . كان ضريرا وكان أبوه ضريرا وعالما في اللغة فأخذها عنه وعن غيره . وكان حافظا أقام في مرسية وتوفى في دانية من أعمال الأندلس . وقد ألف غير كتاب في اللغة والأدب ، هالك ما وصلنا منها :

١ - المحكم في اللغة : واسمه المحكم والمحيط الأعظم . وهو كبير جامع يشتمل على أنواع اللغة ، رتب الفاظه على ترتيب كتاب العين . وقد نظم بعضهم ثلاثة أبيات يؤخذ ترتيب حروف المحكم من أوائل الفاظها ، وهي :

غلقت حبيبا هئت خيفة غدره قليل كرى جفنى شكا ضر صدقه
سبا زهو طفلا ديانة تأب ظلامته ذنب ثوى ربع لحدّه
نواظره فتاكة بعبيده ملاحظته أجزت ينايع وجده

ويمتاز المحكم بالضبط والدقة وصدق النظر ، وقد انتقى شواهده من أوثق المصادر الشعرية وغيرها . وعليه كان معول صاحب القاموس في تأليف كتابه ، كما سيأتى في مكانه . والمحكم موجود في المتحف البريطاني . وفي مكتبة دار الكتب المصرية منه أجزاء كثيرة لا يتم منها نسخة كاملة . وأكبر مجموعة من تلك الأجزاء تبلغ ١٨ جزءا ، تزيد صفحاتها على خمسة آلاف صفحة خطها قديم مغربي (***) . وللمحكم خلاصة لمحمد الانسى المتوفى سنة ٦٨٠ ، منها نسخة في المتحف البريطاني

٢ - المخصص : وهو معجم معنوى أى أن مواده مرتبة على معانيها وليس على حروفها ، فهو مثل فقه اللغة للثعالبي . . ولكنه أوسع منه كثيرا . وقد طبع في مصر سنة ١٣١٦ في ١٧ مجلدا عن نسخة خطية مخرومة كانت

(*) وراجع في التباني بغية المتمس للضبي ص ٢٣٦ وروضات الجنات ص ١٤٠ ومعجم الأدباء ج ٧ ص ١٣٥ والمغرب لابن سعيد « طبع دار المعارف » ج ١ ص ١٦٦ وانباء الزواة ج ١ ص ٢٥٩ والصلة لابن بشكوال ج ١ ص ١٢٤ وطبقات ابن قاضي شهبة ج ١ ص ٢٨٥ (***) تقوم الإدارة الثقافية بجامعة الدول العربية الآن بنشر هذا الكتاب

في دار الكتب المصرية . ومنه أجزاء خطية متفرقة في مكتبتى اكسفورد والاسكوريال وهو أوفى كتاب في بابه ، اجتمعت فيه الالفاظ المتشابهة والمتقاربة في معانيها أو المتفرعة بعضها عن بعض في باب واحد . وفي ذيله فهرس أبجدي يسهل البحث عن مواده

٣ - كتاب شرح مشكل المتنبي : منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية

وترجمة ابن سيده في ابن خلكان ٣٤٢ ج (*)

(*) وانظر في ابن سيده بغية المتتمس للضبي ص ٤٠٥ ومطمح الانفس ص ٦٠ والصلوة لابن بشكوال ص ٤١٠ والديباج المذهب ص ٢٠٤ ومعجم الادباء ج ١٢ ص ٢٣١ ونفح الطيب « الفهرس » ونكت الهميان ص ٢٠٤ ولسان الميزان ج ٤ ص ٢٠٥ ومرآة الجنان ج ٣ ص ٨٢ وطبقات ابن قاضي شهبه ج ٢ ص ١٣٨ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٣٠٥ وبغية الوعاة ص ٣٢٧ وانباه الرواة ج ٢ ص ٢٢٥ وتاريخ أبي الفدا ج ٢ ص ١٨٦ وتاريخ ابن كثير ج ١٢ ص ٩٥ ودائرة المعارف الإسلامية

التاريخ والمؤرخون

في العصر العباسي الثالث

اتخذ التاريخ في هذا العصر وجها آخر ، فتكاثرت فيه التواريخ الخاصة للمدن الاسلامية او الأمم أو الأشخاص . وذلك طبيعي بعد استبحار العمران وظهور الدول المتنافسة في الشهرة والسيادة وفي ترقية المملكة الاسلامية . وأكثرهم يقربون الكتاب ويفرونهم على تدوين محامدهم . كما فعل عضد الدولة بأبي اسحق الصابي المتقدم ذكره ، وكما فعل محمود الغزنوي بالعتبي الاتي ذكره

وقد دعا الى تدوين تواريخ الدول المستقلة ما حدث في ذلك العصر من الانقلابات السياسية . وتاريخ الأمة أو الدولة يدون غالبا في أواخر أيامها أو بعد انقضائها . واما تراجم الافراد ، فيغلب تدوينها في حياة أصحابها بايعاز منهم . ونظرا لتوالي التقلبات على مصر في القرنين الثالث والرابع بتنقلها من العباسيين الى الطولونيين فالأششيديين فالفاطميين ، ظهر فيها عدة كتب في التواريخ الخاصة ضاع أكثرها وسنذكر ما بقي منها

وفي هذا العصر تولد ضرب من التاريخ سموه « علم الاوائل » ومنه يعرف أوائل الوقائع والحوادث بحسب الموطن . وأول من ألف فيه تاليفا مستقلا أبو هلال العسكري ، وقد تقدم ذكره

أما التاريخ العام فقد خالط بعضه في هذا العصر صيغة الرحلة لكثرة ما كان من توالي الرحلات فيه ، كما سيجيء مع وصف الأماكن الجغرافية . فالمؤرخ يصف ما سمعه ورآه من الغرائب . وأكثرهم أفاضة في ذلك المسعودي ، وكان هو نفسه من أهل الاسفار وكذلك أبو زيد البلخي وقد ألف في التاريخ والجغرافية ، وذكرناه بين المؤرخين في العصر الماضي . . غير أصحاب الجغرافية الاتي ذكرهم

ويقال على الاجمال أن النقد التاريخي لم ينضج في تواريخ هذا العصر لأن أكثرها كتب ، ولا سيما التواريخ الخاصة ، تحت سيطرة الملوك والامراء لأرضائهم . وقد يمتنعون عن الانتقاد تفاديا للتعرض للأحزاب الدينية الا ما كان بين السنة والشيعة ، وهم مع ذلك يتحاشون . ولعل التلاعب بعد ذلك في النسخ افسد ما دونوه

ونبدأ بذكر التواريخ العامة ثم الخاصة ، ونرتب التراجم في كليهما حسب سني الوفاة :

١ - المسعودى

توفى سنة ٣٤٦ هـ

هو على بن الحسين بن على ، من ذرية عبدالله بن مسعود ، ولذلك قيل له المسعودى . نشأ فى بغداد وجاء مصر ورحل فى طلب العلم الى أقصى البلاد ، فطاف فى فارس وكرمان سنة ٣٠٩ حتى استقر فى اصطخر . وفى السنة التالية قصد الهند الى ملتان والمنصورة ، ثم عطف الى كنباية فصيمور فسرنديب (سيلان) . ومن هناك ركب البحر الى بلاد الصين وطاف البحر الهندى الى مدغشقر وعاد الى عمان . ورحل رحلة أخرى سنة ٣١٤ الى ما وراء أذربيجان وجرجان ثم الى الشام وفلسطين . وفى سنة ٣٣٢ وفد على انطاكية والثغور الشامية الى دمشق واستقر أخيراً بمصر ونزل الفسطاط سنة ٣٤٥ ، وتوفى فى السنة التالية . ولم يفتر فى أثناء أسفاره عن الاستقصاء والبحث واكتساب العلوم على اختلاف موضوعاتها . . فجمع من الحقائق التاريخية والجغرافية ما لم يسبقه اليه أحد . وألف كثيراً من الكتب المفيدة فى موضوعات شتى أهمها فى التاريخ ، وهالك أشهر مؤلفاته الباقية :

١ - مروج الذهب ومعادن الجوهر : وهو كتاب أشهر من أن يعرف لشيوعه ، وقد طبع مراراً فى جزئين . وصف فى الأول منهما الخليفة وقصص الانبياء مختصراً ، ثم وصف البحار والأرضين وما فيهما من المعجائب . ويدخل فى ذلك تواريخ الامم القديمة من الفرس والسريران واليونان والرومان والأفرنج والعرب القدماء وأديانهم وعاداتهم ومذاهبهم وأوابدهم وأطوال الشهور والتقاويم القديمة والبيوت المعظمة وغيرها . ثم عطف على تاريخ الرسالة الاسلامية منذ ظهور الرسول حتى مقتل عثمان . وذكر فى المجلد الثانى تاريخ الاسلام من خلافة على الى أيام المطيع لله العباسى (توفى سنة ٣٦٣) ويظهر مما جاء فى مقدمته انه نقل هذا الكتاب عن عشرات من الكتب التاريخية وغيرها ، كانت موجودة فى أيامه ولم يصلنا منها الا طائفة قليلة : كتاريخ الطبرى ، وفتوح البلدان للبلاذرى . وأما الباقي فقد ضاع . وفيه عشرات من كتب التاريخ والسياسة والاجتماع . ويتضمن هذا الكتاب فوائد كثيرة لا تحدها فى سواه . ولذلك فقد عنى المستشرق باربيه دى مينار بنقله الى اللغة الفرنسية ، وطبع فى باريس سنة ١٨٧٢ فى تسعة مجلدات . وقد انتقد هذه الترجمة عبدالله المرأش فى مجلة الضياء (سنة ٢) . ونقله الى الانجليزية الاستاذ سبرنجر ، وطبع الجزء الأول من ترجمته فى لندن سنة ١٨٤١

٢ - كتاب أخبار الزمان ومن أباده الحدثان من الامم الماضية والاجيال والممالك الدائرة . وهو كبير طويل مثل اسمه ، يتألف من ثلاثين مجلداً . وقد أكثر المسعودى من الإشارة اليه فى مروج الذهب . . اذا اختصر الكلام فى باب قال : « وقد فصلنا ذلك فى كتابنا أخبار الزمان » لكن هذا الكتاب مفقود الآن . عدا الجزء الاول ، فهو فى مكتبة فينا

٣ - كتاب الاوسط : هو وسط بين الكتابين المتقدمين وقد ضاع أيضا ، ولكن في مكتبة اكسفورد نسخة يظنون انها هو . ويظن بعض الباحثين انه وقف على شيء منه في بعض مكاتب دمشق (١)

٤ - كتاب التنبيه والاشراف : أودعه لعا من ذكر الافلاك وهيئاتها ، والنجوم وتأثيراتها ، والعناصر وتركيبها ، وأقسام الأزمنة وفصول السنة ومنازلها ، والرياح ومهابها ، والأرض وشكلها ، ومساحتها ، والنواحي والآفاق وتأثيرها على السكان ، وحدود الاقاليم السبعة ، والعروض والاطوال ، ومصاب الأنهار . وذكر الامم السبع القديمة ولغاتها ومساكنها ، ثم ملوك الفرس على طبقاتهم والروم وأخبارهم ، وجوامع تواريخ العالم والانبياء ومعرفة السنين القمرية والشمسية ، وسيرة النبي وظهور الاسلام وسير الخلفاء وأعمالهم ومناقبهم الى سنة ٣٤٥ ، وفيه أشياء كثيرة لا توجد في غيره من كتب التاريخ . وقد طبع في ليدن سنة ١٨٩٤ في جملة المكتبة الجغرافية في خمسمائة صفحة

وترجمة المسعودي في فوات الوفيات ٤٥ ج ٢ ، والفهرست ١٥٤ (*)

٢ - حمزة الاصفهاني

تولى نحو سنة ٣٥٠ هـ

هو حمزة بن حسن الاصفهاني ، كان مقيما ببغداد في أوائل القرن الرابع ، وأصله من أصفهان . كان يتعصب لغير العرب ، وعول فيما كتبه على المصادر الفارسية . وأشهر كتبه :

١ - كتاب تاريخ سني ملوك الارض والانبياء : رتبته في عشرة ابواب ذكر فيها شيئا من أنساب حمير وسائر دول العرب من غسان ولخم وكندة ، فضلا عن ملوك الفرس والروم وغيرهم . ويوجه همه في الاكثر الى تحقيق سنة الولادة والوفاة . طبع في ليبسك مع ترجمة لاتينية سنة ١٨٤٤ ، وفي مقدمة الكتاب أسماء الكتب الفارسية التي استعان بها في تأليفه ، وطبع أيضا في كلكتة سنة ١٨٦٦

٢ - كتاب الأمثال : منه نسخة في مكتبة منشن

٣ - كتاب الخصائص والموازنة بين العربية والفارسية : منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية في مائة صفحة ، مكتوب على ظهرها انها تأليف حمزة الاصفهاني

وترجمته في الفهرست ١٣٩ (***)

(١) مجلة النعمة سنة ١ ج ٢
 (***) راجع في المسعودي معجم الادباء ج ١٣ ص ٩٠ وطبقات الشافعية ج ٢ ص ٣٠٧ وفوات الوفيات ج ٢ ص ٤٥ وكتب التاريخ في سنة وفاته وتاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٨١ ودائرة المعارف الاسلامية

(***) وانظر في حمزة الاصفهاني دائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ١٤٥ ج ١

٣ - ابن النديم

توفى نحو سنة ٨٣٥ هـ

هو أبو الفرج محمد بن اسحق بن يعقوب النديم الوراق البغدادي صاحب الفضل الاكبر على تاريخ آداب اللغة ، لانه اول من دونها منذ نحو الف سنة في « الفهرست » . ولولا هذا الكتاب لضاع اخبار كثير من آداب هذا اللسان . فهو اول من ألف في آداب اللغة ، وأليك وصف كتابه :

كتاب الفهرست

بدأ فيه صاحبه بوصف لغات الأمم من العرب والعجم وخطوطها وصور أمثلة منها . ثم ذكر كتب الشرائع المنزلة على مذاهب المسلمين والقرآن وعلومه . ثم انتقل الى العلوم فذكر النحويين واللغويين وتاريخ النحو وأصحابه في البصرة والكوفة وأسماء كتبهم فأصحاب الاخبار والآداب والسير وكتبهم فالشعر والشعراء فالكلام والمتكلمين فالفقه والفقهاء والحديث والمحدثين . فالفلسفة والعلوم القديمة وأصحابها فالاسمار والخرافات والعزائم والسحر والشعوذة . فالمداهب والاعتقادات ، وأخيراً الكيمياء وأصحابها . وفي كل باب تفاصيل في تاريخ كل مؤلف وأسماء كتبه

وقد عنى بطبع هذا الاثر النفيس المستشرق فلوجل سنة ١٨٧١ في ليدن في مجلد صفحته ٢٦٠ صفحة كبيرة ، غير الفهارس والشروح في اللغة الالمانية ، وهي نحو ذلك العدد . وبعد طبع الفهرست عثروا على قطعة منه ساقطة من أول المقالة الخامسة (صفحة ١٧٢) تشتمل على تراجم طائفة من علماء الكلام ، وهم واصل بن عطاء والعلاف والنظام وثمامة والجاحظ وابن أبي دؤاد وابن الراوندي والناشي والجبائي والرماني وهشام ابن الحكم وشيطان الطاق وغيرهم . وقد نشرت هذه القطعة في المجلة الالمانية Die Kunde des Morgenlandes سنة ١٨٨٩

والفهرست ذخيرة ادب نفيسة لانه حوى من احوال آداب اللغة العربية في القرون الاولى ما لم يتعرض له غيره ، ولا غنى عنه في درس هذا التاريخ (*)

٤ - المرعشي

توفى سنة ٤٢١ هـ

هو أبو منصور الحسين بن محمد المرعشي ، كان في جملة من تقرب من السلطان محمود الفزنوي وقد خلف :

— كتاب الفرر في سير الملوك واخبارهم : في أربعة مجلدات ، الاول في تاريخ الفرس الى يزدجرد بن بهرام والحروب بين ابناءه . والثاني الى سقوط

(*) انظر في ابن النديم معجم الادباء ج ١٨ ص ١٧

يزدجرد بن شهريار وتاريخ ملوك اليهود والانبيا وملوك اليمن وأمرأ الشام والعراق والروم وظهور الاسلام . الثالث والرابع في تواريخ الخلفاء الامويين والعباسيين والدول الصفري التي تفرعت من الدول العباسية كالتايرية والسامانية والحمدانية والبويهية والغزنوية . وقد ألفه بأمر أبى المظفر نصر أخى السلطان محمود الغزنوى ، ومنه الجزءان الاول والثانى في مكتبة باريس

٥ - مسكويه

توفى سنة ٤٢١ هـ

هو أبو على الخازن بن محمد بن يعقوب الملقب بمسكويه ، كان مجوسيا واسلم وهو من نوابغ المفكرين العاملين الذين يندر ظهورهم فى الامم . وكانت له معرفة تامة بعلوم الاقدمين ، وقد ألف فيها غير كتاب . وصحب ابن العميد وكان يخدمه فى مكتبته ، لكنه كان يشتغل بالفلسفة والكيمياء والمنطق فضلا عن الادب والفقه والتاريخ . وكان له ولع خاص بالكيمياء ، فانفق ماله فى طلب الذهب بالطبخ . ثم ندم على ذلك ، وتنقلت به حاله الى خدمة بنى بويه ، وعظم شأنه حتى ترفع عن خدمة الصاحب بن عباد ولم ير نفسه دونه . وكان شاعرا مدح ابن العميد وعميد الملك ، وله رسائل ائبقة على أسلوب ذلك العصر . وألف كتبا كثيرة فى الفلسفة والتاريخ ذكرها صاحب معجم الادباء (صفحة ٩١ ج ٢) لم يصلنا منها الا ما يأتى :

١ - كتاب تجارب الامم : هو تاريخ عام يبدأ بالخليفة وينتهى سنة ٣٦٩ هـ ، ويدخل فى ذلك تاريخ الفرس القدماء وما يتعلق به من أخبار الروم والترك . والكتاب كبير يمتاز عما كتبه معاصروه بأنه لم يجعل همه فيه جمع الحوادث بلا تدبر أو نظر . وقد استغرق هذا المؤلف ستة مجلدات كبيرة . وظلت ضائعة لم يوفق الباحثون الى الوقوف على نسخ كاملة منها حتى عنى الاستاذ كياتانى المستشرق الايطالى بأمرها . فكلف سنة ١٩٠٦ الدكتور هوروفيتس للبحث عنها فى مكاتب الأستانة ، فعثر على نسخة منها فى أبا صوفيا وهى النسخة الوحيدة الكاملة قصورها . وتشتمل على ذلك التاريخ فى ستة أجزاء ، عنيت لجنة تذكاري جيب الانجليزية بنشرها مطبوعة على الاصل . أى بأن يصور الخط الاصلى كما هو ويطبوع كما تطبع الصور . وقد صدر الجزء الاول على هذه الصورة فى ستمائة صفحة غير الفهارس والمقدمة . ويتهى الكلام فيه الى حوادث سنة ٣٧ هـ ، وستظهر سائر الاجزاء بالتدريج وقد ألف الوزير أبو شجاع من وزراء الدولة العباسية المتوفى سنة ٤٨٨ ذبلا لهذا الكتاب ، منه نسخة فى جملة كتب زكى (باشا)

٢ - كتاب آداب العرب والفرس : نظر فيه الفيلسوف الاديب ، وهو فى ستة مجلدات أيضا ، تكلم فيها عن الاخلاق والآداب عند العرب والفرس والهند واليونان ، منه نسخ خطية فى ليدن واكسفورد وباريس

٣ - كتاب تهذيب الاخلاق : هو كتاب نفيس بسط فيه آراءه فى النفس وقواها وماهيتها وأفعالها ، وقسم ذلك وبوبه على أسلوب واضح . وبحث

في الخلق وتقويمه ومراتب الناس في قبوله ، مستندا في ذلك على كتب الفلاسفة الأقدمين في أسلوب تهذيبي فلسفي ترتاح النفس اليه ويقتنع العقل بأكثر موادهم ويتخلل ذلك أبحاث في طبقات المخلوقات نحو بحث أصحاب النشوء والارتقاء اليوم . وقد أجاد في تعليل السعادة وأسبابها ، وبحث في العدالة وأقسامها وفي الاتحاد والمحبة وضروبها ومراتبها ، وآداب الصداقة وأمراض النفس وأسبابها وعلاجها الى غير ذلك مما يدل على صدق النظر وسداد الرأي . وقد طبع الكتاب مرارا في مصر وغيرها

٤ - الفوز الاصفر : في الفلسفة وما يتعلق بها . وفي جملة ذلك رأيه في المخلوقات ونسبتها بعضها الي بعض باختلاف طبقاتها من الجماد والنبات والحيوان ونحو ما ذهب اليه أهل النشوء . وقد طبع بمصر مرارا ، ومنه نسخ خطية في مكاتب أوروبا

وترجمة مسكويه في معجم الادباء ٨٨ ج ٢ ، وفي تاريخ الحكماء ٣٣١ ، وطبقات الاطباء ٢٤٥ ج ١ (*)

٦ - صاعد الاندلسي

توفي سنة ٤٦٢ هـ

هو أبو القاسم صاعد بن أحمد بن صاعد الاندلسي قاضي طليطلة ، ولد في المريية سنة ٤٢٠ واشتهر بكتابه « طبقات الامم » . وهو من الكتب النادرة في العربية التي تتعرض لوصف العلوم عند الامم بعد كتاب الفهرست . وقد كان مرجع مؤرخي القرن الخامس وما بعده فيما نقلوه عن تواريخ الامم بالنظر الى احوال تمدنها وحال العلم فيها ، وخصوصا ابن أبي أصيبعة صاحب طبقات الاطباء ، وأبو الفرج الملطي صاحب مختصر الدول ، والحاج خليفة صاحب كشف الظنون . وكان المظنون انه لا يوجد من هذا الكتاب الا نسختان في مكتبة لندن ووثف في غيرها . وقد عثر الأب شيخو اليسوعي على نسخة عند أحد الوراقين في دمشق ، فطبعها في المشرق سنة ١٤٤٠ وعلق عليها . ولعله ينشرها على حدة أيضا (*)

وهو غير صاعد بن هبة الله الطبيب النصراني . وغير صاعد بن الحسين اللغوي البغدادي المتوفى سنة ٤١٧ هـ . وقد يسمى ابن صاعد ، ولكنه غير ابن صاعد المحدث المتوفى سنة ٣١٨ هـ

(*) وانظر في مسكويه قوات الوفيات ج ٢ ص ٢٦٩ وتاريخ الفلسفة في الاسلام ص ١٥٨ راجع ابن مسكويه ، فلسفته الاخلاقية ومصادرها لعبد العزيز عزت « مطبعة الحلبي ١٩٤٦ » ودائرة المعارف في مادة ابن مسكويه وبروكلمن ٣٤٢ ج ١

١ - أبو عمر الكندي

توفي نحو سنة ٢٥٥ هـ

هو أبو عمر محمد بن يوسف بن يعقوب الكندي التجيبي ، كان يقيم بمصر حتى أوائل النصف الثاني من القرن الرابع . وهو غير يعقوب الكندي الفيلسوف الذي سبق ذكره . وله من المؤلفات :

١ - فضائل مصر : الفه لكافور الاخشيدى ، يشتمل على ما جاء عن مصر في القرآن والحديث مع تاريخها القديم وجغرافيتها وتاريخها الحديث الى زمن كافور الاخشيدى باختصار . منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية منقولة في الاصل عن مكتبة كافور في ٤٤ صفحة

٢ - أخبار القضاة المصريين : هو تاريخ أولئك القضاة الى سنة ٢٤٦ هـ ، منه نسخة في المتحف البريطاني ، وهى الآن تحت الطبع بعناية كونيج في نيويورك

٣ - كتاب تسمية ولاية مصر : طبعه كونيج المذكور ، وقد صدر الجزء الاول منه سنة ١٩٠٨ مع ملاحظات (*)

٤ - تاريخ مصر : هو عظيم الاهمية ، منه نسخة خطية في المتحف البريطاني

٢ - أبو عبدالله الخشني

توفي نحو سنة ٣٥٨ هـ

نسبة الى خشينة من قضاة في قرطبة ، له كتاب اخبار الفقهاء والحفاظ الاندلسيين الى سنة ٣٥٨ ، منه نسخة خطية في اكسفورد (***)

٣ - أبو الحسن الاسكندراني

كتب نحو سنة ٣٦٥ في أيام المعز لدين الله الفاطمي كتابا كاليومية سماه « ما كفى من أخبار الايام » منه نسخة في الاسكوريال

٤ - ابن القوطية

توفي سنة ٣٦٧ هـ

هو أبو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز المعروف بابن القوطية الاندلسي الاشبيلي الاصل القرطبي المولد والدار . تثقف في اشبيلية وقرطبة . وكان

(*) طبع هذا الكتاب وسابقه رافون جيست في بيروت سنة ١٩٠٨ باسم كتاب الولاية وكتاب القضاة ، وهما في مجلد واحد
(**) نشر ريبيرا هذا الكتاب سنة ١٩١٤ وترجمه الى الاسبانية ، وانظر في الخشني تاريخ الفكر الاندلسي ص ٢٦٧ وقد حلل هذا الكتاب تحليلا دقيقا

من أعلم أهل زمانه باللغة العربية مع حفظ الحديث والفقه والاختيار والنوادر . وكان أروى الناس للشعار وأدركهم للأناز ، لا يلحق شأوه ولا يشق غباره . وكان مطلعاً على أخبار الأندلس ملماً برواية سير أمرائها وأحوال فقائها وشعرائها ، يملئ ذلك عن ظهر قلبه ، وكانت كتب اللغة أكثر ما تقرأ عليه وتؤخذ عنه . توفي في قرطبة سنة ٣٦٧ ، وقد ألف كتباً مفيدة في اللغة . ويقال أنه أول من فتح باب تصاريح الأفعال . وجاء بعده ابن القطاع وأتبعه . وله كتب أخرى أهمها :

١ - تاريخ الأندلس : يشتمل على فتح الأندلس إلى سنة ٢٨٠ هـ ، ومنه نسخة خطية في مكتبة باريس . وقد ترجمه إلى الفرنسية شاربونو ، وطبع بباريس سنة ١٨٥٦ ، وعول عليه طلاب تاريخ الأندلس من الأفرنج . وطبعوه مع ترجمة فرنسية في باريس سنة ١٨٨٩ في ٢١٩ صفحة .

٢ - كتاب الأفعال : نشره الاستاذ جويدي في ليدن سنة ١٨٩٤ وترجمته في ابن خلكان ٥١٢ ج ١ (*)

٥ - ابن زولاق

توفي سنة ٣٨٧ هـ

هو أبو محمد الحسن بن إبراهيم بن زولاق الليثي . كان من فضلاء المؤرخين المصريين . له من المؤلفات :

- ١ - كتاب مختصر تاريخ مصر إلى سنة ٤٩ للهجرة : منه نسخة في غوطا
- ٢ - تاريخ مصر وفضائلها : منه نسخة في باريس ، ولها مختصر في غوطا وباريس ..
- ٣ - أخبار سيبويه المصري : وهو محمد بن موسى بن عبد العزيز الكندي الصيرفي المتوفى سنة ٣٥٨ ، منه نسخة في دار الكتب المصرية في نحو مائة صفحة (**)
- ٤ - تمة كتاب الكندي في أخبار قضاة مصر : إلى سنة ٣٨٦ ، يتبدى بذكر القاضي بكار وينتهي بمحمد بن النعمان . لم تقف عليه وترجمته في ابن خلكان ١٣٤ ج ١ ، ومعجم الأدباء ٧ ج ٣

٦ - ابن الفرضي

توفي سنة ٤٠٣ هـ

هو أبو الوليد عبدالله بن محمد الأزهرى الفرضي . ولد في قرطبة سنة ٣٥١ ، ورحل في طلب العلم إلى القيروان ومصر ، وتعين قاضياً لبليسية ،

(*) وراجع في ابن القوطية تاريخ علماء الأندلس ج ١ ص ٣٧٠ وبغية المتوسس ص ١٠٢ .
والدباج المنهب ص ٢٨٢ ولسان الميزان ج ٥ ص ٣٢٤ ومعجم الأدباء ج ١٨ ص ٢٧٢ والبيعية للشمالي ج ٢ ص ٦٤ وانباه الرواة ج ٢ ص ١٧٨ وبغية الوعاة ص ٨٤ ومطسح الانفس لابن خاقان ومقدمة دوزي لكتاب ابن عذارى : البيان المغرب ، ودائرة المعارف الإسلامية (***)
طبع هذا الكتاب في القاهرة

وانتقل الى قرطبة حتى سطا عليها البربر سنة ٤٠٣ هـ فمات في تلك السنة .
ومن آثاره الباقية « كتاب تاريخ علماء الأندلس » في عدة مجلدات . نشره
كوديرا في مدريد سنة ١٨٩٢ (*)

٧ - عز الملك المسيحي

توفي سنة ٤٢٠ هـ

هو الامير المختار عز الملك محمد بن عبيدالله المعروف بالمسيحي الكاتب
الحراني ، ولد في مصر ونشأ على زى الأجناس ، وخدم الحاكم بأمر الله
الفاطمي وتقلد الاعمال والولايات وترتيب الديوان . وله مع الحاكم بأمر الله
مجالس ومحاضرات . وقد ألف كتبا كثيرة في موضوعات مختلفة ، أكثرها
في التاريخ والادب وعلم النجوم وغير ذلك ، لم يصلنا منها الا القليل . وهالك
ما وصلنا خبره منها :

كتاب أخبار مصر : ذكر فيه من نزل مصر من الولاة والامراء والائمة
والخلفاء ، وما فيها من العجائب والأبنية واختلاف اصناف الاطعمة . وذكر
بيلها وأحوال أهلها الى الوقت الذي كتب فيه ذلك الكتاب . ويتخلل ذلك
أشعار الشعراء وأخبار المغنين ومجالس القضاة والحكام والمدلين والادباء
والمتفزلين وغيرهم . وهو ثلاثة عشر الف ورقة أو ٢٦٠٠٠ صفحة . فهو
أطول كتاب في تاريخ مصر ينتهي بحوادث سنة ٤١٤ هـ ، يوجد بعضه في
مكتبة الاسكوريال

وقد ألف له محمد بن ميسر ذبلا ينتهي الى حوادث سنة ٥٥٣ هـ ، منه
نسخة في باريس وترجمة المسيحي في ابن خلكان ٥١٥ ج ١ (***)

٨ - أبو اسحق الثعلبي

توفي سنة ٤٢٧ هـ

هو أبو اسحق أحمد بن محمد بن ابراهيم الثعلبي النيسابوري ، من
علماء التفسير وقد ألف فيه . وله في التاريخ « كتاب مرآة المجالس »
في قصص الأنبياء ، طبع بمصر مرارا (***)

(*) وانظر في ابن الغزوي الصلة لابن بشكوال ص ٢٤٨ وبقية الشمس للضبي ص ٢٣١
ومطعم الانفس « طبع الاستانة » ص ٥٧ ووفيات الاعيان ج ١ ص ٢٦٨ وتذكرة الحفصاط
للدهبي ج ٣ ص ٢٧٧ والديباج لابن فرحون ص ١٤٩ ونفح الطيب « أنظر الفهرس » ودائرة
المعارف الاسلامية

(**) وراجع في المسيحي حسن المحاضرة ج ١ ص ٣٢٩ وشذرات الذهب ج ٣ ص ٢١٥
والنجوم الزاهرة ج ٤ ص ٢٧١ والمغرب في حلى المغرب لابن سعيد « القسم الخاص بالسلطان
- طبع جامعة القاهرة » ص ٢٦٤
(***) وانظر في الثعلبي الشذرات ج ٣ ص ٢٣٠ ومعجم الادباء ج ٥ ص ٣٦ والنجوم
الزاهرة ج ٤ ص ٢٨٣ ودائرة المعارف الاسلامية

٩ - أبو النصر العتبي

تولى سنة ٤٢٧ هـ

هو أبو النصر محمد بن عبد الجبار العتبي . . وأصله من الري ، وجاء خراسان الى خال له كان من الوجهاء هناك فنشأ عنده . وكان بليغ الانشاء ، فتولى الكتابة للأمير أبي علي ثم لأبي منصور سبكتكين مع أبي الفتح البستي . ثم صار نائباً في خراسان لشمس المعالي ، واستوطن نيسابور وأقبل على خدمة الاداب والعلوم . واشتهر على الخصوص بكتاب ألفه في تاريخ يمين الدولة السلطان محمود الفزنوي سماه « اليميني » نسبة اليه . .

اليميني

هو الكتاب الذي اشتهر أبو النصر العتبي بتأليفه . بسط فيه ترجمة حياة السلطان محمود و ترجمة أبيه سبكتكين وسبب طمعه في الملك وما جرى من الحروب مع الخوارزمية حتى تولى . ثم تاريخ يمين الدولة الى آخر أيامه ويدخل في ذلك لطائف كثيرة وحقائق مهمة . وقد كتبه مسجعا على أسلوب الترسل في ذلك العصر ، كما فعل الثعالبي بيتيمة الدهر لكنه ابلغ منه . ولا يدانيه في البلاغة الا ابراهيم الصابي المتقدم ذكره . وكان يجب عده من المنشئين لولا أهمية كتابه هذا في التاريخ

وقد اعتنى بضبط الفاظه وشرح مشكلاته جماعة منهم الشيخ مجد الدين الكرمانى وقاسم بن حسين الخوارزمي وتاج الدين بن محفوظ وحميد الدين النجاشي وغيرهم . ومنه نسخ خطية في مكاتب برلين وفيينا ولندن والمتحف البريطاني وباريس وبطرسبرج ويني جامع

وفي دار الكتب المصرية نسخة من كتاب اليميني بخط فارسي جميل جدا مذهبة الحواشي تدخل في ٣٧٢ صفحة ، على حواشيها شروح بخطوط فارسية جميلة . وقد طبع على الحجر في دلهي سنة ١٨٤٧ ، وفي لاهور سنة ١٨٨٣

ومن شروحه كتاب الفتح الوهبي على تاريخ أبي النصر العتبي للمينيي الدمشقي ، منه نسخة في فيينا وبطرسبرج . وطبعته جمعية المعارف سنة ١٢٨٦ بمصر في مجلدين كبيرين مصدرا بترجمة العتبي . وبساتين الفضلاء للنجاشي في يني جامع . وقد ترجمه الى الفارسية الجريادكاني . ومن هذه الترجمة نسخة في فيينا والمتحف البريطاني وبرلين . وقد ترجمه من النسخة الفارسية الى الانجليزية رينولد ، وطبع في لندن سنة ١٨٥٨

وترجمة العتبي في يتيمة الدهر ٢٨١ ج ٤ ، وفي مقدمة الفتح الوهبي

١٠ - هلال الصابي

تولى سنة ٤٤٨ هـ

هو أبو الحسن هلال بن المحسن بن ابراهيم بن هلال حفيد ابراهيم الصابي المنشئ صاحب الرسائل الذي تقدم ذكره . ولد سنة ٣٥٩ وكان أبوه

صائبيا ، أما هو فاسلم متأخرا وتولى الكتابة لفضل الملك بن غالب محمد بن خلف . وله مؤلفات كثيرة في التاريخ والرسائل والسياسة لم يبق منها الا :

تاريخ الوزراء

هو كتاب جليل القدر لانه مسهب في وصف المدة التي تكلم عنها ، قاصر على ما حدث من أخبار العباسيين من سنة ٣٦٠ الى ٤٤٧ هـ . والطبرى قد وفي التاريخ حقه من البسط الى سنة ٣١٠ وألف غيره للمدة التي بعده ، لكن اكثرها ضاع .. حتي تاريخ الوزراء هذا كادت تذهب به يد الزمان لو لم يتدارك ذلك المستشرق امدروز الانكليزي فطبعه سنة ١٩٠٤ في بيروت عن نسخة خطية كانت في مكتبة غوطا مع شروح وملاحظات . وليست هي كل تاريخ الوزراء بل هي قطعة منه وفيها نقص من أماكن كثيرة تنتهي بسنة ٣٩٣ في نحو خمسمائة صفحة كبيرة ، فيها فوائد يندر العثور عليها في الكتب الاخرى عن احوال الدولة السياسية والمالية والحالة الاجتماعية وادارة الحكومة . ودخائل قصور الخلفاء وثوراتهم وعاداتهم وملاهيهم الى غير ذلك مما يفهم من تضاعيف الكلام . ويسمى هذا الكتاب أيضا كتاب الاعيان والامائل

وترجمته في ابن خلكان ٢٠٢ ج ٢ ، وبتيمة الدهر ١٨٧ ج ١ ، وفي مقدمة طبعة تاريخ الوزراء (*)

١١ - القضاى

توفي سنة ٤٥٤ هـ

هو أبو عبدالله محمد بن سلامة بن جعفر القاضي الشافعى . تولى القضاء بمصر ، وقد أنابه المصريون عنهم في رسالة الى بلاد الروم . وله عدة مؤلفات أهمها كتاب خطط مصر واسمه المختار في ذكر الخطط والأخبار ، أخذ عنه المقرئى في خطته وبه عددناه من أصحاب التواريخ الخاصة ، لكنه ضاع . وهالك ما وصل الينا من مؤلفاته الاخرى :

١ - كتاب الشهاب في المواعظ والآداب : جمع فيه ١٢٠٠ حديث في الحكم والوصايا والآداب بدون الاسانيد في نحو مائة صفحة . وهو مختصر مفيد ، منه نسخ في برلين وباريس وليدن وفي دار الكتب المصرية .

٢ - الانباء بانبياء الانبياء وتواريخ الخلفاء : وفيه تاريخ العالم من الخليفة الى سنة ٤١٧ هـ ، منه نسخة في برلين واكسفورد .

٣ - كتاب عيون المعارف وفنون أخبار الخلائف : يشتمل على تاريخ البطارقة والانبياء وبنى أمية والعباسيين والفاطميين .. وله ذيل الى سنة ٩٢٦ هـ ، وكلاهما في باريس

(*) وانظر شذرات النصب ج ٣ ص ٢٧٨ والنجوم الزاهرة ج ٥ ص ٦٠

٤ - نزهة الالباب جامع التواريخ : وهو ذيل للتاريخ ، في المتحف البريطاني

٥ - مسند الشهاب : وهو يتضمن أسانيد الشهاب المتقدم ذكره ، ويسمى أيضا اسناد الشهابي . . موجود في دار الكتب المصرية في نيف وخمسمائة صفحة

وترجمة القضاء في ابن خلكان ٤٦٢ ج ١، وحسن المحاضرة ٢٢٧ ج ١(*)

١٢ - أبو بكر الخطيب البغدادي

توفي سنة ٤٦٣ هـ

هو الحافظ أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي المعروف بالخطيب ، خاتمة مؤرخي هذا العصر . وكان من الأئمة المشهورين والحفاظ البرزين ختم به ديوان المحدثين . سمع في بغداد شيوخ وقته ، ورحل الى البصرة والدينور والكوفة ونيسابور ، وجاء صور فأقام بها مدة وكان يتردد على بيت المقدس . وخرج من صور سنة ٤٦٢ هـ الى طرابلس وحلب ، وعاد الى بغداد حيث أقام بها سنة وتوفي فيها سنة ٤٦٣ ، وله مؤلفات تزيد على ٥٥ كتابا في التاريخ والحديث والادب والنحو والفقه وغيرها ، أكثرها ضاع ، وهالك ما بلفنا خبره منها :

١ - تاريخ بغداد : ويشتمل على تراجم علمائها على الخصوص في ١٤ مجلدا ، وبه اشتهر لكنه تبعثر فلا تعرف له نسخة كاملة في مكان . والموجود منه على ما نعلم أجزاء متفرقة في برلين والمتحف البريطاني وباريس وكوبرلي والجزائر ودار الكتب المصرية . وقد نشر المستشرق سلمون مقدمة هذا التاريخ بباريس سنة ١٩٠٤ ، كتابا على حدة في ثلثمائة صفحة تحتوى على أصل بغداد واسمها وتاريخ بنائها واقسامها ودورها وقصورها ومدائنها كما كانت في أيامه وغير ذلك من الفوائد . وذيلها الناشر بحواش وفهارس ، فجاءت كالكتاب المستقل بوصف عمارة بغداد وخطتها . والكتاب على اجماله مروى بالاسناد على طريقة المحدثين (***)

٢ - الكفاية : في معرفة اصول علم الرواية ، يبحث في شروط الرواية واحكام قبولها ، منه نسخ في برلين وليدن . وفي دار الكتب المصرية نسخة في ٣٤٠ صفحة بخط قديم

٣ - تقييد العلم (***) ، ٤ - شرف أصحاب الحديث ، ٥ - المؤتلف وتكملة المؤتلف والمختلف . . وكلها في برلين

٦ - تلخيص المتشابه في الرسم وحماسية ما أشكل منه عن نوادر التصحيف والوهم : هو كتاب كبير الحجم فيما أشكل من أسماء الرواة ،

(*) وانظر في القضاء شذرات الذهب ج ٣ ص ٢٩٣

(**) طبع هذا الكتاب وقد تردد في تعليقاتنا السابقة

(***) نشر يوسف العشي هذا الكتاب في دمشق

مما يتفق في الهجاء ويختلف في الحركات وما يشتهبه في الخط ويختلف في هجاء بعض حروفه . أو بتقديم بعض الحروف على بعض أو غير ذلك . وفيما يتفق من أسماء المحدثين وأنسابهم . فهو جزيل الفائدة من حيث تحقيق أسماء الرواة وأنسابهم وأخبارهم منه نسخة في دار الكتب المصرية في سبعمائة صفحة وفي آخرها نقص

٧ - كتاب البخلاء : في المتحف البريطاني

وترجمة الخطيب في ابن خلكان ٢٧ ج ١ ، ومعجم الأدباء ٢٤٦ ج ١ (*)

(*) وراجع في الخطيب البغدادي تذكرة الحفاظ للذهبي ج ٣ ص ٢١٢ وطبقات السبكي ج ٣ ص ١٢ وتاريخ دمشق لابن عساكر ج ١ ص ٣٩٨ ومعجم الأدباء ج ٤ ص ١٤ وذيل تاريخ دمشق لابن القلانسي ص ١٠٥ وتاريخ ابن كثير ج ١٢ ص ١٠٢ والمنتظم لابن الجوزي ج ٨ ص ٢٦٩ ودائرة المعارف الإسلامية وبروكلمن ٣٢٩ ج ١

الجغرافية والجغرافيون

في العصر العباسي الثالث

ما زال الجغرافيون في هذا العصر يبنون كتبهم في الجغرافية على الرحلات ، ولم ينضج علم الجغرافية فيه نضجا تاما (*). ومع ذلك فإنه إبان فضل العرب في اكتشاف أماكن دخولها وبلاد ومسالك لم يسبقهم أحد إلى وصفها على أثر الفتوح أو الاسفار التجارية في أواسط آسيا وأفريقيا وفي البحر الهندي وبحر فارس وغيرها .. فاستكشفوا كثيرا من جزائر المحيط وجزائر الأتلانتيك ، وعرفوا أصقاع الأرض أكثر من سائر الأمم التي تقدمتهم . وتقسم الجغرافية في هذا العصر كما يقسم التاريخ إلى الجغرافية العامة والجغرافية الخاصة . وقبل التقدم إلى ذكر أخبار الجغرافيين من العرب ، نذكر اشتغالهم برسم الخرائط

الخرائط عند العرب

رسم الخرائط من الفنون القديمة ، فقد وجدوا أمثلة منها في انقصاص بابل وأشور ومصر . أما العرب فبدأوا يرسم الخرائط في صدر الدولة العباسية بعد ترجمة كتب الفلك والجغرافية . وكانوا يجعلون أساس رسومهم قياس العرض والطول . وأول من رسم منهم خريطة الأرض على هذا الأساس محمد بن موسى المعروف بالخوارزمي في زمن المأمون .. فإنه عين مواقع المدن والبحور بالدرجات الجغرافية المنبئة على علم الفلك ، كما فعل بطليموس القلوذي . فلما أخذوا في الرحلة أقضوا عن تلك المقاييس ، وصاروا يرسمون الخرائط بلا قياس كما فعل أبو زيد البلخي في أوائل القرن الرابع للهجرة وابن حوقل والأصطخري والمقدسي في أواسطه .. فانهم كانوا يرون مشقة في تعيين الأماكن بالمقاييس ، فاستفوا بتعيين مواقع البلاد بالنظر إلى الجهات الأربع : (الشرق والغرب والشمال والجنوب) بدون تقدير الأبعاد بينها . ولم تكن عندهم قاعدة لتعيين الجهات المذكورة في الخارطة كما يفعلون اليوم ، فإن الخرائط عندنا مقيدة في تعيين جهاتها بأن يكون دائما أعلاها شمالا وأسفلها جنوبا ويمينها شرقا وشمالها غربا . أما هم فالغالب عندهم أن يجعلوا الجهات في زوايا الخارطة ، فالزاوية بين الأعلى واليمين مثلا قد تكون شمالا ، والزاوية المقابلة لها من أعلى غربا ، أو أن تكون الزاوية بين الأعلى واليمين غربا ، وتكون المقابلة لها في الأعلى جنوبا ، أو غير ذلك

(* راجع في هذا الموضوع كلمة جغرافية في دائرة المعارف الإسلامية

على أن العرب أخذوا بعد ذلك العصر في تعيين الأبعاد بين الأماكن، وأقدم من حينها منهم الشريف الإدريسي. وهالك تراجم أصحاب الجغرافية العامة :

أصحاب الجغرافية العامة

١ - أبو زيد البلخي

تقدم ذكره بين المؤرخين ، وله في الجغرافية كتاب « صور الأقاليم » ، وهو أقدم كتاب جغرافي عربي موضح بالخرائط . أو هو خرائط موضحة ببعض الشروح ، لأن المؤلف أراد تصوير الأقاليم فألف هذا الكتاب وسماه « صور الأقاليم الإسلامية » فرسم الأرض وأشكالها والأقاليم الإسلامية بالخرائط الملونة على ما بلغ إليه جهد العرب في ذلك العصر . ومنه نسخة خطية كاملة بخرائطها الملونة في مكتبة برلين . وهي كثيرة الشبه بأقاليم الاضطخري التي ذكره ، لأن هذا نقل عنه لكنه توسع في شرح أحوال البلاد . فنكتفى بشرح جغرافية الاضطخري

٢ - الاضطخري

في أواسط القرن الرابع للهجرة

هو أبو اسحق الفارسي من أهل اضطخر ويعرف أيضا بالكرخي ، له كتابان :

١ - كتاب الأقاليم : يشتمل على حدود الممالك وصور أقاليم الأرض ومدنها وبحارها وأنهارها والمسافات بينها مفصلاً ، فيبدأ ببلاد العرب فبحر فارس وديار المغرب والاندلس ومسافاتها ومصر وأقسامها وبلادها وأرض الشام وبيت المقدس والمسافات بينها . وصفة بحر الروم وأرض الجزيرة والعراق ومسافاتها وأنهارها وخوزستان وبلاد فارس ومسافاتها وبلاد كرمان والسند وأذربيجان والجنال وطبرستان أو الديلم وبحر الخزر وخراسان وسجستان وأفغانستان وما وراء النهر ومسافاتها . وقد وضع ذلك كله بالخرائط ويسمىها «الصور» وجملتها ١٩ صورة كبيرة . وقد طبع هذا الكتاب على الحجر في غوطا سنة ١٨٣٩ بعناية الدكتور مولر الألماني

٢ - كتاب مسالك الممالك : وهو كثير الشبه بكتاب الأقاليم لكنه خال من الخرائط ، وفي صدره مقدمة في تأليف الكتاب وتقسيمه في بضع صفحات . ويكاد يكون باقيه نفس كتاب الأقاليم . طبع في ليدن سنة ١٨٧٠ في جملة المكتبة الجغرافية بعناية دي غوييه . وقد قال المؤلف في صدره انه عول فيه على كتاب صور الأقاليم لأبي زيد البلخي (*)

(*) انظر في الاضطخري دائرة المعارف الإسلامية في اسمه وفي مادة « جغرافيا »

٣ - ابن حوقل

في اواسط القرن الرابع

هو أبو القاسم محمد بن حوقل البغدادي له «كتاب المسالك والممالك» وهو مثل مسالك الممالك للاصطخري مع زيادات قليلة ، وقد طبع أيضا في جملة المكتبة الجغرافية ، وترجم الى الانجليزية ، وطبع في لندن سنة ١٨٠٠ ، وترجم بعضه المختص بأفريقيا . وطبع بباريس سنة ١٨٤٢ ، وقسم آخر يختص ببالرم طبع في باريس سنة ١٨٤٥ . (*)

٤ - المقدسي

توفي بعد سنة ٣٧٥ هـ

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر البشاري المعروف بالمقدسي ، ولد في بيت المقدس ، وساح في أكثر بلاد الاسلام شرقا وغربا الى الهند والهند والاندلس . وقد عول في كثير مما كتبه على اختياره الشخصي مما شاهده بعينه . وذكر عادات الاقوام الذين وصفهم وأخلاقهم وأحوال بلادهم كما شاهدها . واستفاد أيضا من سابقيه ، فألف سنة ٣٧٥ هـ كتابا سماه « أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم » وهو أفضل الجغرافيات العامة في ذلك العصر . صدره بمقدمة في تاريخ علم الجغرافية عند العرب الى أيامه ضمنها نقدا للباحثين في هذا العلم . ثم ذكر مزية كتابه وما قاساه في سبيل تأليفه وجمع حقائقه ، فقال : « وما تم لي جمعه الا بعد جولاتي في البلدان ، ودخولي اقاليم الاسلام ، ولقائي العلماء ، وخدمتي الملوك ، ومجالستي القضاة ، ودرسي على الفقهاء ، واختلافي الى الادباء والقراء وكتابة الحديث ، ومخالطة الزهاد والمتصوفين ، وحضور مجالس القصص والمذكرين . . مع لزوم التجارة في كل بلد ، والمعايشة مع كل أحد ، والتفطن في هذه الاسباب بفهم قوي حتى عرفتها . ومساحة الاقاليم بالفراسخ حتى أتقنتها ، ودوراني على التخوم حتى حررتها ، وتنقلني الى الاجناد حتى عرفتها ، وتفتيشي عن المذاهب حتى علمتها ، وتفطني في الالسن والالوان حتى رتبته ، وتدبري في الكور حتى فصلتها ، وبحثي عن الاخرجة حتى أحصيتها » الخ . .

وقد أوضح كتابه بالخرائط الملونة بدليل قوله بعد ذكر تقسيم الكتاب الى اقاليم : « ورسمنا حدودها وخططها ، وحررنا طرقها المعروفة بالحمرة ، وجعلنا رمالها الذهبية بالصفرة ، وبحارها بالخضرة ، وأنهارها المعروفة بالزرقة ، وجبالها المشهورة بالغبرة ، ليقرب الوصف الى الافهام ويقف عليه الخاص والعام » لكن هذه الخرائط لا توجد في الطبعة التي بين أيدينا . وقد طبع مرتين في جملة المكتبة الجغرافية بعناية دي غويه . . الاولى سنة ١٨٧٧ ، والثانية سنة ١٩٠٦ ، مع شروح وملاحظات (*)

(*) راجع في آيين حوقل كتاب الحضارة الاسلامية في القرن الرابع الهجري ج ٢ ص ٤ ودائرة المعارف الاسلامية في اسمه وفي مادة جغرافيا
 (*) وانظر في المقدسي مقدمة كتاب أحسن التقاسيم الى ص ٤٤ وتاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٨٢ والحضارة الاسلامية لميتز ج ٢ ص ٤ وما بعدها ودائرة المعارف الاسلامية

٥ - هيئة اشكال الارض

ومن كتب الجغرافية العامة في ذلك العصر كتاب اسمه « هيئة اشكال الارض ، ومقدارها في الطول والعرض » منه نسخة في مكتبة طوب قبوسراى في الأستانة لم يذكر فيه مؤلفه ، لكن في المقدمة ذكر سيف الدولة بن حمدان كأنه كتب له . وفيه عشرات من الخرائط الملونة . ومنه نسخة في جملة كتب زكى (باشا) منقولة عن تلك بآلة التصوير

الجغرافية الخاصة

لم يظهر في الجغرافيات الخاصة في هذا العصر ما يستحق الذكر الا :

جغرافية بغداد لابن سراييون

وهي جغرافية ما بين التهرين ، وصف بها تلك البلاد ومسافاتها وطرقها في أوائل أيام البويهيين ، ولا نعرف شيئاً عن مؤلفها . أما الكتاب فقد نقله الى الانجليزية المستشرق سترايخ الانجليزى ، ونشره سنة ١٨٩٥ مع خرائط استخرجها من وصف المؤلف لجغرافية بغداد وضواحيها ، وأضاف اليها تعاليق وشروحا جوية الفائدة

وفي مجلة المقتطف مقال عن جغرافى العرب لسليم شحادة من صفحة ٥٩٣ سنة ٧

العلوم الإسلامية الشرعية

في العصر العباسي الثالث

تفرغت العلوم الإسلامية في أوائل الإسلام إلى القراءة والتفسير والحديث . ثم ظهر الفقه وأخذت هذه العلوم تنمو بنمو التمدن ، وقد علمت مما تقدم أن الفقه نضج ورسخت قواعده في العصر العباسي الأول والحديث في العصر الثاني . ونشأت في أثناء ذلك فروع أخرى من علوم القرآن والعلوم الإسلامية الدينية على اثر انتشار الفلسفة وغيرها من علوم الاقدمين والعلوم الدخيلة ، ونشأت فروع أخرى في العصور الآتية ، سيرد بيانها

ومن يتدبر اشتغال المسلمين في العلوم الإسلامية ، يعجب لما استخدموه فيها من أعمال الفكرة . . ولا سيما الفقه فانه من ثمار عقولهم واجتهادهم لا دخل فيه لامة أخرى ، اذ لا علاقة له بالعلوم القديمة . ومن ينظر في قضاياها وأحكامه ، يعلم ما اقتضاه ذلك من دقة النظر وقوة العقل مما لم يسبق له مثيل . أما الفلسفة أو المنطق مما نقلوه عن اليونان ، فقد ساعد في انشاء بعض فروعه والتوسع في البعض الآخر كعلم الكلام ، فقد كان للفلسفة والمنطق تأثير كبير في نموه . وقد تقدم الحديث عنه في العصر الثاني

علم الكلام

ونبغ في هذا العصر غير واحد من علماء الكلام ، لبعضهم مؤلفات في موضوعات أخرى ، جاء ذكرهم في أبوابها كالشريف المرتضى بين الادباء . والبعض الآخر لم يخلفوا ما يستحق الذكر . وانما نذكر منهم في هذا الباب أشهر أنصار الأشعري وهو :

أبو بكر الباقلاني

هو القاضي أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني المتوفى سنة ٤٠٣ هـ صاحب « اعجاز القرآن » وهو مشهور بين طلاب الادب والبلاغة . ومدار البحث فيه على اثبات اعجاز القرآن ، وانه معجزة نبوة النبي . وفيه فصول في نفى الشعر من القرآن ، وكيفية الوقوف على اعجاز القرآن . وطائفة حسنة من خطب الرسول وكتبه ومن كلام الراشدين وغيرهم من

بلغاء الصحابة والتابعين وغير ذلك . وقد طبع في مصر سنة ١٣١٥ وغيرها وترجمة الباقلاني في ابن خلكان ٤٨١ ج ١ (*)

التصوف

هو من العلوم التي نشأت ونضجت في هذا العصر (***) وخلاصة تاريخه « انه من العلوم الشرعية المستحدثة ، وأصله العكوف على العبادة والانقطاع الى الله تعالى ، والأعراض عن زخرف الدنيا وزينتها ، والزهد فيها من لذة ومال وجاه ، والانفراد عن الخلق في الخلوة للعبادة »

وقد اختلف علماء الاسلام في أصل كلمة التصوف أو الصوفية (***) ، فقال جماعة باشتقاقها من الصفاء أو الصفة ، وقال آخرون غير ذلك . ويرى ابن خلدون ان اشتقاقها من الصوف أقرب الى الصواب لاختصاص أصحابه بلبس الصوف . وعندنا انها مشتقة من لفظة يونانية الاصل هي (صوفيا) ومعناها الحكمة ويتركب منها ومن (فيلوس) محب (فيلوصوفيا) أي محب الحكمة وهي بالعربية «الفلسفة» . فيكون الصوفية قد لقبوا به نسبة الى الحكمة ، لانهم كانوا يبحثون فيما يقولونه أو يكتبونه بحثا فلسفيا . ويؤيد ذلك انهم لم يظهروا بعلمهم هذا ولا عرفوا بهذه الصفة ، الا بعد ترجمة كتب اليونان ودخول لفظ الفلسفة فيها

ومدار طريقتهم كلها « محاسبة النفس على الافعال ، ولهم آداب خاصة بهم واصطلاحات في الفاظ تدور بينهم يدلون بها على ما يريدونه من أساليب المجاهدة ومحاسبة النفس والكلام في الاذواق والمواجد العارضة في طريقها وكيفية الترقى من ذوق الى ذوق وشرح الاصطلاحات التي تدور بينهم » فلما دونت العلوم في الاسلام كتب الصوفية في طريقتهم على ذلك المنهج ، فمنهم من كتب في الورع ومحاسبة النفس على الاقتداء في الاخلا والتزك ، ومنهم أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري المتوفى سنة ٤٦٥ هـ ، وكان عالما في الفقه والتفسير والحديث والاصول والادب

(*) وانظر في الباقلاني دائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع ومقدمة كتابه التمهيد في الرد على الملحنة والمطللة والرافضة والخوارج والمعتزلة « نشر دار الفكر العربي » (***) المعروف ان التصوف نشأ مع اوائل القرن الثاني للهجرة ، ان لم يكن قبل ذلك ، وسرعان ما ازدهر في محيط العالم الاسلامي وخاصة منذ القرن الثالث ، وانظر في نشأته وتطوره الـ هذا العصر كتاب « الصوفية في الاسلام » لنيكلسون ترجمة شريفة ، وكذلك كتابه « في التصوف الاسلامي وتاريخه » ترجمة أبي الملا عفيفي والعقيدة والشريعة في الاسلام لجولدسمير ، ترجمة محمد يوسف موسى وآخرين ، الفصل الرابع ، وانظر ماسينيون في بحثه

Essai sur les origines du Lexique Technique de la Mystique Musulmane « باريس ١٩٢٢ » وكذلك في كتابه المسمى : مجموع نصوص لم تشر متعلقة بتاريخ التصوف في بلاد الاسلام Recueil de Textes Inédits concernant l'histoire de Mystique Musulmane du pays de l'Islam « باريس ١٩٢٩ » وراجع أيضا ماكدونالد في كتابه « المسلك الديني والحياة في الاسلام » The Religious Attitude and Life in Islam وانظر دائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع

(***) انظر في كلمة تصوف واصل معناها كتاب « في التصوف الاسلامي وتاريخه » ص ٢٧

والشعر والكتابة فضلا عن التصوف . وقد ألف فيه كتابه المعروف بالرسالة القشيرية ، وهي مطبوعة بمصر سنة ١٢٨٤ هـ وسنة ١٣٠٤ ، وبهامشها تقريرات من شرح شيخ الاسلام زكريا الانصارى عليها . وأبو حفص عمر بن محمد الملقب شهاب الدين السهروردي المتوفى سنة ٦٣٢ هـ ببغداد ، ألف في ذلك كتاب عوارف المعارف . وقد جمع حجة الاسلام الفزالي بين الامرين في كتاب الاحياء ، قدون فيه أحكام الورع والاعتداء ، ثم بين آداب القوم وسننهم وشرح اصطلاحاتهم في عباراتهم . وسنأتي على ترجمة حاله ومؤلفاته . وصارع علم التصوف علما مدونا بعد أن كانت الطريقة عبادة فقط

الفقه

لم يزد الفقهاء بعد رسوخ قواعد الفقه على أيدي الائمة الاربعة شيئا غير التلخيص والشرح أو التعليق . وقد ظهر أثناء هذا العصر جماعة من كبار الفقهاء ، ولكن أكثرهم اشتغلوا بعلوم أخرى . فدخلت ترجماتهم في أبواب تلك العلوم . ولو أردنا ترجمة كل من ظهر من الفقهاء في هذا العصر لخرجنا عن الاختصار الذي أردناه في هذا الباب . وإنما نترجم للفقهاء الذين خلفوا كتبنا تدخل في بعض الابواب الاخرى من آداب اللغة جريا على الغرض المراد من هذا الكتاب . وأشهرهم في هذا العصر :

أبو الحسن الماوردي

توفى سنة ٤٥٠ هـ

هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي الفقيه الشافعي ، تعلم في البصرة وبغداد وتقدم في مناصب القضاء . وكان مفكرا حسن التأليف ، كما يظهر من كتبه التي وصلت إلينا وهما أهمها :

١ - كتاب الاحكام السلطانية : يبحث في الامامة وشروطها والخلافة واحكامها والوزارة وأقسامها وشروطها وأمانة الجهاد وأقسامها والقضاء والشروط التي يصح التقليد بها والنقابة حسب الانساب . وفصول في الولاية على الحج ، وولاية الصدقات ، وأحكام الفداء والغنيمة وأقسامها ، والجزية والخراج حسب الارضين ، وأحكام الاقطاع ، وترتيب الدواوين وأنواعها ، وما اختص ببيت المال ، وأحكام الحسبة ، وغير ذلك من القواعد الشرعية مما لا يجده الباحث في غير هذا الكتاب . وهو مطبوع بمصر سنة ١٢٩٨

٢ - أدب الدنيا والدين : يبحث في الاخلاق والآداب ويشتمل على فصول في فضل العقل وذم الهوى والحث على العلم وأخلاق العلماء والآداب الدينية والدنيوية ، ويدخل تحتها ما يصلح به حال الانسان من المؤاخاة وأدب النفس وما يتعلق به كحسن الخلق والحياء والحلم والصدق وأضدادها وآداب المواضعة . وفيه أبحاث في الكلام والصمت والصبر والجزع والمشورة وكتمان السر والمزاح والضحك . طبع في الاستانة سنة

- ١٢٩٩ ، وفي مصر مرارا . وهو من كتب الادب المعول عليها في كثير من المدارس
- ٣ - نصيحة الملوك : في باريس
- ٤ - تسهيل النظر وتعجيل الظفر : في السياسة والحكومة . في غوطا
- ٥ - كتاب الحاوي الكبير في الفروع : هو مطول في الفقه الشافعي يدخل في ٢٣ مجلدا ، منها نسخة في دار الكتب المصرية تنقص الجزء الثامن . وربما زادت صفحات الكتاب كله على ٧٠٠٠ صفحة كبيرة
- ٦ - اعلام النبوة : يبحث في اثبات النبوات وشروطها وما تضمنه القرآن من الإعجاز وما في أقوال الرسول من ذلك . منه نسخ في برلين ودار الكتب المصرية في ٣٠٠ صفحة
- ٧ - كتاب الامثال والحكم : يشتمل على ٣٠٠ حكمة ، و ٣٠٠ حديث ، و ٣٠٠ بيت من الشعر . موجود في ليدن
- ٨ - معرفة الفضائل : في الاسكوريال
- وترجمة الماوردي في ابن خلكان ٣٢٦ ج ١ (**)

الفرائض

وتفرع من الفقه علم الفرائض وهو معرفة حقوق الوراثة وأشكالها وصورها وضروب مواقعها ، وما يحتاج اليه ذلك من الحساب فأفرد له العلماء بابا خاصا ، وكتب فيه الفقهاء منهم كابي حنيفة وغيره . ولكن بعضهم انقطع له بنوع خاص ، ومن هؤلاء في أوائل الدولة العباسية ابن شبرمة وابن ابي ليلى ويحيى بن اكرم ثم أبو المعالي . ثم ألف فيه كثيرون يضيق المقام عن ذكرهم

التفسير والحديث

أما التفسير فنشط التأليف فيه ، وظهر جماعة كبيرة من المفسرين بعد الطبري المتقدم ذكره في العصر الماضي . ومنهم في هذا العصر النقاش الموصلي المتوفى سنة ٣٥١ صاحب كتاب « شفاء الصدور » ومنه قطعة في دار الكتب المصرية . والحوافي المصري المتوفى سنة ٤٣٠ هـ صاحب كتاب « البرهان في تفسير القرآن » منه نسخة خطية في دار الكتب المصرية . وابن ابي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧ في قرظبة ، له مؤلفات كثيرة ضاعت ، وغيرهم

(*) وراجع في ترجمة الماوردي تاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٠٢ وطبقات السبكي ج ٣ ص ٢٠٣ ومسح الادباء ج ١٥ ص ٥٢ وتاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي ص ٣٦٣ ودائرة المعارف الاسلامية وبروكلمن ٣٨٦ ج ١

وأما الحديث فاستقرت قواعده في الكتب الستة المتقدم ذكرها ،
لكن العلماء ظلوا يشتغلون فيه بين أخذ ورد . وأشهر من نبغ فيه من
المؤلفين في هذا العصر الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥ ، وأبو الفتح
سليم بن أيوب الرازي المتوفى سنة ٤٤٧ ، والأجري المتوفى سنة ٣٦٠ ،
والبيهقي المتوفى سنة ٤٥٨ وغيرهم

العلوم الدخيلة

في العصر العباسي الثالث

علمت من كلامنا عن العلوم الدخيلة في العصر العباسي الاول انها تتألف من فروع كثيرة ترجع الى اربعة : الطب ، والفلسفة ، والنجوم ، والرياضيات . وكان المشتغلون في نقلها اكثرهم من غير المسلمين ثم اشتغل بها المسلمون في العصر العباسي الثاني ، وذكرنا من نبغ فيها . وزاد اشتغالهم بها في هذا العصر ، فقد نبغ فيها علماء لا يشق لهم غبار . فنذكر اصحاب كل فرع على حدة وان كان اكثرهم اشتغلوا بعلمين فاكثر من تلك العلوم . فنضع كلا منهم في العلم الذي غلب عليه

الطب

يدخل في الطب فروعه الطبيعية كالكيمياء والصيدلة والنبات ، لكننا سنفرد لها فصلا خاصا . أما الطب فقد اشتغل المسلمون فيه وخدموه وتكاثر الاطباء على الخصوص في هذا العصر ، وامامهم ابن سينا . ويستدل من بعض القرائن انهم كانوا كثيرين . فقد احصوا اطباء بغداد وحدها في زمن المقتدر بالله في اول القرن الرابع للهجرة ، فبلغ عددهم ٨٦٠ طبيبا امتحنوا لنيل الاذن في التطبيب سوى من استغنى عن الامتحان لشهرته ، وسوى من كان في خدمة الخليفة . فلا يمكن ان يكون مجموع ذلك كله اقل من الف طبيب متعاصرين في مدينة واحدة . وبلغ عدد اطباء النضاري فقط في خدمة المتوكل باواسط القرن الثالث للهجرة ٥٦ طبيبا . وكان سيف الدولة اذا جلس على المائدة حضر معه ٢٤ طبيبا ، ومنهم من يأخذ رزقين لتعاطيه علمين . ومن يأخذ ثلاثة أرزاق لتعاطيه ثلاثة علوم

وكان للأطباء عندهم نظام ، وعليهم رئيس يمتحنهم ويجيز من يرى فيه الكفاءة للتطبيب . وأشهر هؤلاء الرؤساء سنان بن ثابت في بغداد ، ومهدب الدين الدخوار في مصر . وفعلا نحو ذلك في الصيدلة وكانوا كثيرين . وتفشى الغش في الادوية حتى اضطر ولى الامر الى امتحانهم واعطاء الاجازات او المنشورات الى الذين يحسنون الصناعة ونفى الآخرين . وأول من فعل ذلك الافشين في بغداد ، ووكل زكريا بن الطيفوري به في حديث يطول ذكره . وكان من الاطباء أوالصيدلة من هو خاص بالجند يرافقه في أسفاره ، ومنهم من هو خاص بالخلفاء والامراء ولهؤلاء رواتب خاصة ويعرفون بالمرتزقين . ومنهم من يطلبون العامة وهم غير مرتزقين ، وأشهر اطباء هذا العصر ابن سينا

ابن سينا

توفي سنة ٤٢٨ هـ

هو الشيخ الفيلسوف الطبيب ، ارسطو الاسلام وابقراطه . واسمه ابو على الحسين بن عبد الله ، ويلقب بالشيخ الرئيس . ويسميه الافرنج Avicenne كان أبوه من بلخ في شمالي أفغانستان ، وسكن مملكة بخارا في زمن نوح بن منصور من الدولة السامانية . وتولى التصرف بقرية من قراها اسمها خرميشن . وفيها ولد له ابنه الحسين سنة ٣٧٠ هـ ، وكان من صفه نادرة عصره في الذكاء والفتنة . ثم انتقل والده به الى مدينة بخارا ، وهي يومئذ حافلة بالعلماء . وحفظ القرآن وأخذ يقرأ الفقه قبل أن يتجاوز العاشرة ، ولم يدرك السادسة عشرة حتى تعلم المنطق والهندسة والطبيعة والفلسفة والطب . ثم تفرغ للتوسع في هذه العلوم . وكان يحيى الليل في الدرس والبحث .

واتفق ان نوحا المذكور مرض فذكر له ابن سينا ، فاستقدمه فبرىء على يده فقربه اليه . وكان عند نوح مكتبة نادرة المثال ، فاستأذنه في دخولها فأذن له فدرسها درسا ثم احترقت بعد أن وعى زيدتها . وأخذ في التأليف وهو في الحادية والعشرين من عمره . وارتفعت منزلته وتولى بعض مناصب الدولة . وتنقل في بلاد خراسان وهو موضع الاعجاب ، ومصدر الاستفادة بالتطبيب والتأليف . ولم يتمكن من اللغة العربية كما ينبغي الا بعد حين . ومررت به طوارىء مختلفة ، وقاسى ما يقاسيه طالب العلام العذاب ، والملوك مناظروه أو مريدوه . وكان شديد القوى كلها جسدا وعقلا ، لكن شهواته البدنية كانت غالبية عليه . فآثرت في مزاجه حتى أماتته بهمدان سنة ٤٢٨ هـ ، وهو في الثامنة والخمسين من عمره وكان من المتفردين بسعة العلم وقوة العقل ، وقد ألف في كل فن من العلم والادب . وتزيد مؤلفاته على مائة ، وكان لها تأثير كبير في نهضة أوروبا الاخيرة لانهم نقلوا أهمها الى لغة العلم عندهم يومئذ (اللاتينية)

أما في الاصل العربي ، فكثير من مؤلفاته لا يزال باقيا (**) . ومنها جانب كبير في دار الكتب المصرية يمكن الاطلاع عليها لمن أراد . فمن كتبه الطبية الموجودة هناك :

١ - القانون : في ١٤ جزءا مطبوع في روما ومصر ، وهو من أهم كتبه .
حوى أهم ما عرف من علوم الطب وخصائص العقاقير والتشريح وغيرها .
وعليه وعلى كتاب الحاوي لابى بكر الرازى ، كان أكثر معول العالم الطبى في التمدن الاسلامى ، وفي نهضة أوربا قبيل التمدن الحديث

٢ - الالفية في الطب

٣ - منظومة في الطب

(**) انظر في آثار ابن سينا كتاب مؤلفات ابن سينا للاب قنوتى ، وهو مجلد ضخيم يشتمل على مئات من المصنفات في مكاتب العالم المختلفة ، وراجع كتاب مؤلفات ابن سينا بدار الكتب المصرية لثؤاد السيد ، وبروكلمن ١٩٥١:٣ ج١

ومن كتبه الفلسفية :

١ - الاشارات : ولها شرح للطوسي مطبوع في الاستانة ، وعلى هامشه شرح للفخر الرازي

٢ - الشفاء : وهو ١٨ جزءا بعضها في الطب والبعض الآخر في العلوم الاخرى ، منه جزآن مطبوعان على الحجر ببلاد فارس . والكتاب موجود برمته في دار الكتب المصرية (*)

٣ - النجاة : ثلاثة مجلدات مطبوع

٤ - رسائل في الانصاف والمسائل العشرين والمباحث والجواهر الذي لا يتحرك وتقسيم العلوم الفلسفية. وحسد الجسم وشرح كتاب النفس لارسطو وما بعد الطبيعة . وكلها توجد خطأ في دار الكتب المصرية

٥ - القصيدة العينية في النفس

٦ - كتاب المبدأ والمعاد

وفي المنطق :

(١) كتاب الشريين (٢) رسالة العروس . غير ثمانية مؤلفات في المنطق ، بعضها في مكاتب أوروبا

وفي العلوم الطبيعية والرياضية خمسة عشر مؤلفا لا يوجد منها في دار الكتب شيء ، ولكن اكثرها في مكاتب أوروبا . ولا محل هنا لتفصيل ذلك . وله مؤلفات في الآداب السياسية والموسيقى وفي اللغة العربية وعلومها ضاع معظمها

ولابن سينا آراء خاصة في العلم الطبيعي ، وقد أوضح كثيرا من غوامضه ، وكذلك الالهيات مما يستغرق شرحه صفحات عدة وترجمة ابن سينا في ابن خلكان ١٥٢ ج ١ ، وطبقات الاطباء ج ٢ ، وأخبار الحكماء ٢٦٨ ، وفي سنة ١٨ من الهلال (***) . وللأفلاج مقالات كثيرة في

(*) تطبع وزارة التربية والتعليم هذا الكتاب وقد صدر منه حتى الآن أربعة اجزاء : المدخل والبرهان والخطابة وجوامع علم الموسيقى

(**) وراجع في ابن سينا تنمة صنوان الحكمة للبيهقي «طبعة دمشق» ص ٥٢-٧٢ وابن القفطي ص ٤١٣ وتاريخ ابن الاثير وأبي الفدا في سنة ٤٢٨ هـ وخزانة الادب للبيهقي ج ٤ ص ٤٦٦ وتاريخ مختصر الدول لابن الخبزي ص ٩٢٥ وشذرات الذهب لابن العماد ج ٣ ص ٢٣٤ وروضات الجنات ص ٢٤١ Avicenne اكارادى فو « طبع باريس سنة ١٩٠٠ » ومقالته عنه في دائرة المعارف الدينية والاخلاقية نشر هيستنجز « أدنبره ١٩٠٩ » ج ٢ ص ٢٧٢ وتاريخ الادب في ايران من الفردوسي الى السعدي لبراون « ترجمة ابراهيم امين الشواربي » ص ١٢١ ومحمد غلاب في مجلة الاظهر ج ٨ ص ٣٦ ومقال Fourlani عن ابن سينا وديكارت في مجلة Islamica « لبيسك ١٩٣٧ » المجلد ٣ ج ١ ص ٥٣ Arnold ر في تراث الاسلام فصلي الطب والفلسفة وتاريخ الفلسفة في الاسلام لدى بور ص ١٦٤ والكتاب الذهبي للمهرجان الالفى لابن سينا « بغداد ١٩٥٢ » نشر جامعة الدول العربية وتجبيل صليبا في بحثه Etudes sur la Métaphysique d'Avicenne « باريس ١٩٦٦ » وجاردى Gardet في بحثه La Pensée Religieuse d'Avicenne « باريس ١٩٥١ » وتراث العرب العلمي في الرياضيات والملك ص ٢٨٦ ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وكتاب مؤلفات ابن سينا لقنواى وقد سجل فيه ص ٣٢٩ وما بعدها والبحوث المختلفة عن ابن سينا في اللغة العربية واللغات الاجنبية

فته ، وكتبه نقلت الى الفرنسية والانجليزية والامانية وغيرها

الصيدلة والكيمياء

وبمسلمين فضل كبير على علوم الصيدلة والكيمياء والنبات ، وهى من فروع الطب ، بدأوا بذلك في صدر الدولة العباسية وسنلخص تاريخها عندهم ، وان تجاوزنا هذا العصر لجمع الموضوع في باب واحد . وقد عنى الافرنج بعد نهضتهم الاخيرة بدرس تاريخ فن الصيدلة ، فتحققوا ان العرب هم واضعو أسس هذا الفن ، وهم أول من اشتغل في تحضير الادوية او العقاقير فضلا عما استنبطوه من الادوية الجديدة ، وانهم أول من الف الاقرباذين على الصورة التى وصلت الينا . وظل العرب في النهضة العباسية يعتمدون في المارستان ودكاكين الصيدلة على اقرباذين الفه سابور بن سهل المتوفى سنة ٢٥٥ هـ ، حتى ظهر اقرباذين أمين الدولة ابن التلميد المتوفى في بغداد سنة ٥٦٠ هـ . وهم أول من أنشأ حوانيت الصيدلة على هذه الصورة . ومن الشواهد على ذلك أسماء العقاقير التى أخذها الافرنج عن العرب ، ولا تزال عندهم بأسمائها الفارسية أو الهندية كما أخذوها عن العربية

على ان تقدمهم في الصيدلة تابع لتقدمهم في الكيمياء والنبات ، ولا خلاف في ان العرب هم الذين أسسوا الكيمياء الحديثة بتجاربههم ومستحضراتهم . وأول من اشتغل في نقلها الى العربية خالد بن يزيد نقلها عن مدرسة الاسكندرية ، وعنه أخذ جعفر الصادق المتوفى سنة ١٤٠ هـ ، وبعده جابر ابن حيان ثم الكندى فأبو بكر الرازى وغيرهم ، فاكتشفوا كثيرا من المركبات الكيماوية التى بنيت عليها الكيمياء الحديثة . وقد ذكر الافرنج ان العرب هم الذين استحضروا ماء الفضة (حامض النتريك) وزيت الزجاج (حامض الكبريتيك) وماء الذهب (حامض النيتروهيديرو كلوريك) واكتشفوا البوتاس وروح النشادر وملحه وحجر جهنم (نترات الفضة) والسليمانى (كلوريد الزئبق) والراسب الاحمر (اكسيد الزئبق) وملح الطرطير وملح البارود (نترات البوتاس) والزاج الاخضر (كبريتات الحديد) والكحول والقلوى والزنيخ والبورق . وغير ذلك من المركبات والمكتشفات التى لم يصل الينا خبرها . على اننا نستدل منها على وجود بعض المركبات الكيماوية في أيامهم مما لم نسمع له بمثل في تاريخ الكيمياء قبل أواخر القرن الماضى . . فقد أشار ابن الاثير الى أدوية استخدمها العرب في واقعة الزنج سنة ٢٦٩ هـ ، اذا طلى بها الخشب امتنع احتراقه ، ولم يذكر ما هى . ومما يعد من قبيل الكيمياء أيضا البارود ، فقد ترجح لنا بالبحث انهم هم الذين وكيوه . وهم أول من وصف التقطير والترشيح والتصعيد والتبلور والتدويب . وقد ألفوا في ابطال الكيمياء القديمة . أول من ألف ذلك منهم حكيمهم وفيلسوفهم يعقوب الكندى في أواسط القرن الثالث للهجرة

وأما النبات فللعرب القدر المعلى في درسه والتأليف فيه ، وقد أخذوا هذا العلم في النهضة العباسية عن مؤلفات ديسقوريدس وجالينوس ومن

كتب الهند . ونقل كتاب ديسقوريدس في أيام المتوكل ، نقله اصطفان بن ياسيل من اليونانية الى العربية . والعقاير التي لم يعرف لها أسماء في العربية تركها على لفظها اليوناني ، اذ كانا على أن يبعث الله بعده من يعرف ذلك ويفسره . وحمل هذا الكتاب الى الاندلس على هذه الصورة ، فانتفع به الناس الى أيام الناصر صاحب الاندلس في أوائل القرن الرابع للهجرة . اذ كاتبه ملك قسطنطينية سنة ٣٣٧ هـ ، وهاداه بكتب من جملتها كتاب ديسقوريدس باليونانية مصور الحشائش بالتصوير الرومي العجيب . ولم يكن في الاندلس من يحسن اليونانية ، فبعث الناصر الى الملك يطلب اليه رجلا يعرف اليونانية واللاتينية لينقله الى اللاتينية وعارفو هذه اللغة في الاندلس كثيرون . فبعث اليه راهبا اسمه نقولا وصل قرطبة سنة ٣٤٠ هـ فتعاونوا على استخراج ما فات ديسقوريدس ذكره من أسماء العقاقير والادوية وجعله ذبلا على ذلك الكتاب (*)

ابن البيطار

حتى نبغ ابن البيطار الملقب النباتي في أواسط القرن السابع للهجرة ، فتناول الكتاب المذكور فدرسه وتفهمه ثم سافر الى بلاد اليونان والى أقصى بلاد الروم ، ولقى جماعة يعانون هذا الفن وأخذ عنهم معرفة نبات كثير عاينه في مواضعه . واجتمع أيضا في المغرب وغيره بكثير من علماء النبات وعابن منابته بنفسه . وذهب الى الشام ودرس نباتها وجاء الديار المصرية في خدمة الملك الكامل الايوبي ، وكان يعتمد عليه في الادوية المفردة والحشائش حتى جعله رئيسا على العشابين وأصحاب البسطات . وبعد طول ذلك الاختبار ألف كتابا في النبات هو فريد في بابيه ، وكان عليه معول أهل أوربا في نهضتهم الاخيرة في علم النباتات . ومؤلفاته الباقية :

- ١ - كتاب الغنى في الادوية المفردة : ألفه للملك الصالح الايوبي . منه نسخ خطية في غوطا وليدن والمتحف البريطاني واكسفورد وباريس
 - ٢ - جامع مفردات الادوية والافذية : طبع بمصر سنة ١٢٩١ وترجم الى الالمانية في مجلدين ، وطبع في ستجارت سنة ١٨٧٠ وترجم بعضه الى الفرنسية بقلم لاكلارك وغيره
 - ٣ - ميزان الطبيب : في أوبسالا
- وترجمة ابن البيطار في طبقات الاطباء ١٣٣٣ ج ٢ ، وفوات الوفيات ٢٠٤ ج ١ (***)

(*) انظر في خبر هذه الترجمة الاندلسية كتاب طبقات الاطباء والحكماء لابن جلجل ص ٢٢ وراجع المقدمة

(**) وانظر في ابن البيطار حسن المحاضرة ج ١ ص ٢٦٠ واكتفاء التنوع ص ٢٢٣ وشذرات الذهب ج ٥ ص ٢٣٤ وتاريخ الفكر الاندلسي ص ٤٧٩ ومقال Leclerc عنه في المجلة الاسمية ، المجموعة الخامسة ، مجلد ١٩ « ١٨٦٣ » ص ٤٣٣ ودائرة المعارف الاسلامية ومجلة الجمع العلمي المصري ، المجموعة الثانية رقم ١٠ وبروكلمن ٤٩١ ج ١ و ٥٠٧ ج ٢

ومن المبرزين في علم النبات رشيد الدين بن الصوري المتوفى سنة ٦٣٩ هـ صاحب كتاب الادوية المفردة ، وكان كثير البحث والتدقيق يخرج لدرس الحشائش في منابتها ويستصحب مصورا معه الاصباغ والليق على اختلافها وتنوعها ، ويتوجه الى المواضع التي بها النبات في لبنان وسوريا فيشاهد النبات ويحققه ويريه للمصور فيعتبر لونه ومقدار ورقه وأعضائه وأصوله ويصور بحسبها بالدقة . وذلك غاية ما يفعله الباحثون في هذا العلم اليوم . وفي مجلة المقتطف مقالة عن كيميائي العرب صفحة ٢٢ سنة ٧

الفلسفة

كان للفلسفة شأن آخر في هذا العصر ، واشتغل فيها أكثر الذين عنوا بعلوم القدماء ولاسيما الاطباء . . وفي مقدمتهم ابن سينا الشيخ الرئيس وقد ذكرناه . وكان بعض الفلاسفة في هذا العصر يتهمون بالكفر ، وكان الانتساب الى الفلسفة مرادفا عند بعض المتشددين للانتساب الى التعطيل . وشاعت النقمة على المأمون لانه كان السبب في نقل الفلسفة الى اللغة العربية حتى قال ابن تيمية بعد ذلك : « ما اظن الله يفقل عن المأمون ، ولا بد أن يعاقبه بما أدخله على هذه الامة »

وقد اشتهرت في هذا العصر جمعية سرية هي جمعية «اخوان الصفا» (**) تألفت في بغداد في أواسط القرن الرابع للهجرة . وذكروا من أعضائها خمسة هم : أبو سليمان محمد بن معشر البستي ويعرف بالمقدسي ، وأبو الحسن علي بن هارون الزنجابي ، وأبو أحمد المهرجاني ، والوعفي ، وزيد بن زفاعة . وكانوا يجتمعون سرا ويتباحثون في الفلسفة على أنواعها حتى صار لهم فيها مذهب خاص ، هو خلاصة أبحاث الفلاسفة المسلمين بعد اطلاعهم على آراء اليونان والفرس والهند وتعديلها على ما يقتضيه الاسلام . وأساس مذهبهم ان الشريعة الاسلامية تندست بالجهالات وأختلطت بالضلالات ، ولا سبيل الى غسلها وتطهيرها الا بالفلسفة لانها حاوية للحكمة الامتقادية والمصلحة الاجتهادية ، وانه متى انتظمت الفلسفة اليونانية والشريعة العربية فقد حصل الكمال

رسائل اخوان الصفا

وقد دونوا فلسفتهم في خمسين رسالة سموها رسائل اخوان الصفا وكتبوا أسماءهم . وهي تمثل الفلسفة الاسلامية على ما كانت عليه في ابان نضجها ، وتشمل النظر في مبادئ الموجودات وأصول الكائنات وترتيب العالم فالهولي والصورة . وماهية الطبيعة والارض والسماء ووجه الارض

(**) راجع في اخوان الصفا تاريخ الفلسفة في الاسلام ص ٩٥ وظهر الاسلام لاحد امين ، الجزء الثاني ومقدمة طه حسين وأحمد زكي لرسائلهم « طبعة القاهرة ١٩٢٨ » ودائرة المعارف الاسلامية وما بها من مراجع وبروكلمن ٢١٤ ج ١

وتفيراته والكون والفساد والآثار العلوية والسماء والعالم وعلم النجوم وتكوين المعادن وعلم النبات وأوصاف الحيوانات ومسقط النطفة وكيفية رباط الناس بها . وتركيب الجسد والحاس والمحسوس والعقل والمعقول والصنائع العلمية والعملية والعدد وخواصه والهندسة والموسيقى والمنطق وفروعه واختلاف الاخلاق وطبيعة العدد . وان العالم انسان كبير والانسان عالم صغير والاكوار والادوار وماهية العشق والبعث والنشور وأجناس الحركات والعلل والمعلولات والحدود والرسوم . وبالجملة فقد ضمنوها كل علم طبيعي أو رياضي أو فلسفي أو الهى أو عقلى

ويظهر من أعمان النظر فيها أن أصحابها كتبوها بعد البحث الدقيق والنظر الطويل . وفي جملة ذلك آراء لم يصل أهل هذا الزمان الى أحسن منها . وفيها بحث من قبيل النشوء والارتقاء . وفي ذيل الكتاب فصل في كيفية عشرة اخوان الصفا وتعاونهم بصدق المودة والشفقة ، وان الفرض منها التعاضد في الدين . وذكروا شروط قبول الاخوان فيها وغير ذلك

وكان المعتزلة ومن جرى مجراهم يتناقلون هذه الرسائل ويتدارسونها ويحملونها معهم سرا الى بلاد الاسلام . ولم تمض مائة سنة على كتابتها حتى دخلت الاندلس على يد أبى الحكم عمرو بن عبد الرحمن الكرمانى . وهو من أهل قرطبة ، رحل الى المشرق للتبحر في العلم على جارى عادة الاندلسيين . فلما عاد الى بلاده حمل معه الرسائل المذكورة ، وهو أول من أدخلها الاندلس . . فما لبث أن انتشرت هناك وتناولها أصحاب العقول الباحثة وأخذوا في درسها وتدبرها

وقد طبعت رسائل اخوان الصفا غير مرة . . أتقنها طبعة ديتريصى في ليبسك سنة ١٨٨٣ ، وطبعت في بومباى سنة ١٣٠٣ ، وفي مصر سنة ١٣٠٦ ، ومنها نسخة خطية في دار الكتب المصرية . وقد ترجمت الى اللغة الهندستانية . وطبعت في لندن سنة ١٨٦١

وهى غير اخوان الصفا للحكيم الجريطى المتوفى سنة ٣٩٥ ، ومنها نسخة خطية في دار الكتب المصرية في ١٨٠ صفحة . وهى تشبه تلك ، لكن صاحب هذه يريد أن يفسر الفلسفة بالدين

مصادر فلسفة الاسلام

ومن الكتب الافرنجية التى يستعان بها فى دروس تاريخ الفلسفة والفلاسفة فى الاسلام :

De Boer, The History of Philosophy in Islam. London, 1903 (*)

(*) ترجم محمد عبد الهادى أبو ريدة هنا الكتاب الى اللغة المصرية . ومن أهم ما يرجع اليه فى تاريخ الفلسفة والفلاسفة فى الاسلام :

Carra de Vaux, Les Penseurs de l'Islam, 5 vol. Paris, 1921-26.

Quadri, La Philosophie Arabe dans l'Europe Médiévale des Origines à Averroès, Paris, 1947. (Traduit de L'Italien).

Dietrich, Die Philosophie der Araber in X Jahrhundert n. chr. Leipzig 1897

Dugat, Histoire des philosophes et des théologiens musulmans. Paris, 1878

Leclerc, Histoire de la médecine arabe 2 vol. Paris, 1876

Wuestenfeld, Geschichte der arabischen Aerzte und Naturforscher. Gottengen, 1840.

هذا عدا مقالات كثيرة في المجالات الآسيوية والشرقية والفرنسية والانجليزية والالمانية وفي دائرة المعارف البريطانية مادة Arabian Philosophy ومثلها في دوائر اللغات الاخرى . وفي المقتطف مقالة الفلسفة الاسلامية وابن رشد صفحة ٤٦٩ سنة ١٠ ، ومقالة أخرى في فلسفة العرب لحسين بيهم صفحة ١٣ سنة ٧

ومن الكتب العربية التي يستعان بها في درس تراجم الفلاسفة والاطباء وسائر علماء الطبيعة والرياضيين « طبقات الاطباء » لابن أبي اصيبعة و « اخبار الحكماء » لابن القفطي ، وكلاهما مطبوعان ولم تظهر ثمار الطب والفلسفة وفروعهما في الاندلس الا في العصر التالي، فنبح الزهراوى وابن جزلة وابن رشيد وغيرهم كما سيجيء

الفلك

كان للمسلمين حظ وافر من علم الفلك وفضل كبير عليه ، يكفيك أنهم جمعوا فيه مذاهب اليونان والهند والفرس والكلدان والعرب الجاهلية شأنهم في أكثر العلوم الدخيلة . وقد أتينا على تفصيل ذلك في الجزء الثالث من تاريخ التمدن الاسلامى من صفحة ١٨٩ ، وقد اشتهر في العصور الماضية جماعة لم يخلفوا آثارا وصلت الينا وان كان لهم فضل كبير على هذا العلم . أشهرهم بنو شاذان ، وأبو معشر البلخي المتوفى سنة ٢٧٢ ، وحنين ابن اسحق سنة ٢٨٨ ، وأحمد بن كثير الفرغانى وسهل بن بشر ، ومحمد ابن عيسى الماهانى ، ومحمد بن جابر الحرانى المعروف بالببائى المتوفى سنة ٣١٧ ، وكان أوحد عصره في فنه ، وقد استعان الافرنج بكتبه في نهضتهم الاخرية . أما في العصر الثالث الذى نحن بصدده ، فأكثر فلكيى المسلمين آثارا البيرونى ، وقد بقى منها شيء كثير وسنأتى على ترجمته وأعماله وأول ما يلفت انتباهنا من هذا القبيل أن العرب (أو المسلمين) قالوا

Horten, (M.) Die Philosophie des Islam, München, 1924.

Léon Gauthier, Introduction à l'Etude de la Philosophie Musulmane, Paris, 1923.

وقد ترجم محمد يوسف موسى هذا الكتاب الى العربية بعنوان : المدخل لدراسة الفلسفة الاسلامية

Ahmed Fouad El-Ehwany, Islamic Philosophy, Cairo, 1957.

تاريخية فلاسفة الاسلام لمحمد لطفى جمعة « طبع دار المعارف ١٩٢٧ »

نظرات في فلسفة العرب لجبور عبد النور « طبع بيروت ١٩٤٢ »

من افلاطون الى ابن سينا لجميل صليبا « طبع دمشق ١٩٣٨ »

بإبطال صناعة التنجيم المبنية على الوهم ، ولعلمهم أول من فعل ذلك وأن كانوا لم يستطيعوا إبطالها . ولكنهم مالوا بعلم الفلك نحو الحقائق المبنية على المشاهدة والاختبار ، كما فعلوا بعلم الكيمياء . وكانوا كثيرى العناية بعلم الفلك ، يرصدون الافلاك ويؤلفون الازياج ويقيسون العروض ويراقبون السيارات ويرتحلون في طلب ذلك العلم الى الهند وفارس ويتبحرون في كتب الاوائل ويتممون ما نقص منها أو يجمعون بين مذاهبها

ولعلم الفلك تاريخ طويل عند العرب لا محل له هنا . وقد ذكرنا تاريخ المراسد والآتها وما أدخله العرب من الإصلاح في هذا العلم في تاريخ التمدن الاسلامى ج ٣ ، واليك ترجمة نابغة علم الفلك في هذا العصر :

أبو الريحان البيرونى

توفى سنة ٤٤٠ هـ

هو أشهر علماء الفلك والرياضيات من المسلمين فى العصر الثالث . واسمه محمد بن أحمد البيرونى نسبة الى بيرون بلد فى السند . سافر فى بلاد الهند أربعين سنة ، اطلع فيها على علوم الهند فضلا عن مطالعة الكتب العلمية المنقولة أو المؤلفة فى هذه الفنون ، وأقام مدة فى خوارزم . وأكثر اشتغاله فى النجوم والرياضيات والتاريخ ، وخلف مؤلفات نفيسة اليك ما بقى منها مما وصل خبره اليها :

١ - الآثار الباقية من القرون الخالية : ألفه للأمير شمس المعالى ، وهو يبحث فى التواريخ التى كانت تستعملها الأمم فى زمانه ، والاختلاف الواقع فى الأصول التى هى مبادئها ، والفروع التى هى شهورها وسنوها ، والأسباب الداعية لذلك . وفى الاعياد المشهورة والايام المذكورة للأوقات والاعمال وغيرها مما يعمل به بعض الأمم دون البعض الآخر . فهو من قبيل التوقيت ، أو ما يسميه الافرنج علم الكرونولوجيا . ويدخل فيه النظر فيما هو اليوم والشهر والسنة على اختلاف الاصطلاح عند الأمم القديمة ، وتاريخ ذلك عند الأشوريين واليونانيين الى الاسلام وما بعده الى أيامه . وما أصاب التقاويم فى أثناء ذلك الزمن من التعديل والتبديل ، وجداول للأشهر الفارسية القديمة على اختلاف العصور والبلاد . ومثل ذلك عند العبرانيين ، وعند العرب فى الجاهلية والاسلام ، وعند الروم والهند والترک بالتفصيل والمقابلة . وفى استخراج التواريخ بعضها من بعض وتواريخ الملوك ومدد حكمهم على اختلاف الاقاول من آدم فما بعده من رجال التوراة ، ويلحق ذلك جداول عن ملوك اشور وبابل والكلدان والقبط واليونان والرومان قبل النصرانية وبعدها وملوك الفرس قبل الاسلام على اختلاف طبقاتها ، وبازاء كل ملك مدة حكمه الى برودجرى الذى توفى بعد الاسلام . وفصول فى مواليد السنين وكيفياتها وكبائسها عند اليهود وغيرهم ، وتواريخ المتنبيين واممهم من أهل الأوثان أو أهل البدع فى الاسلام واعياد الفرس . ومذاهب أهل خوارزم وحساب قبط مصر فى السنين

والكبس والاعیاد عندهم وعند الملكية . وأعیاد النصرارى وأحوالهم على اختلاف الطوائف ، ومثل ذلك عن المجوس والصابئة وما كانت العرب تستعمله من هذا القبیل فی أيام الجاهلیة وما فعله الاسلام فیها وغير ذلك مما لا تقف علیه فی كتاب آخر . ولذلك فقد عنى المستشرق الالمانى سخاو بترجمته الى الانجليزية ، وقد طبع الاصل فی لیبسك سنة ١٨٧٨ . والترجمة فی لندن سنة ١٨٧٩

٢ - تاریخ الهند : وهو من الكتب النادرة فی هذا الموضوع بالعربية . ترجمه سخاو أيضا الى الانجليزية ، وطبع الاصل فی لندن سنة ١٨٨٧ والترجمة فیها ١٨٨٨

٣ - التفهیم لأوائل صناعة التنجیم : هو مختصر فی الهندسة والفلك والنجامة ، منه نسخ فی برلین واكسفورد والمتحف البريطانى وفى كتب زكى (باشا) بمصر

٤ - القانون السعودى : فی الهيئة والنجوم قدمه للسultan مسعود بن محمود الفزنوى ومنه اسمه . موجود فی برلین والمتحف البريطانى واكسفورد

٥ - رسالة فی الاسطرلاب . فی برلین وباریس

٦ - استيعاب الوجوه الممكنة فی صناعة الاسطرلاب . فی برلین ولیدن وباریس

٧ - استخراج الأوتاد فی الدائرة بخواص الخط المنحنى فیها . هی مسائل هندسية وله فیها طرق خصوصية ، موجودة فی لیدن

٨ - رسالة فی زاسيكات الهند : فی التناسب ، منه نسخة فی المكتب الهندى بلندن

٩ - مبحث فی مبادئ العلوم ألفه بالفارسية . وتوجد ترجمته العربية فی باريس

١٠ - رسالة فی سير سہمى السعادة والقیب : فی اكسفورد

١١ - كتاب الجماهر فی معرفة الجواهر : ألفه للملك المعظم ابى الفتح مودود . موجود فی الاسكوريال وفى كتب زكى (باشا)

وترجمة البيرونى فی طبقات الاطباء ٢٠ ج ٢ ، وفى مقدمة الطبعة العربية للأثار الباقية (**)

ونبغ غير واحد من علماء الفلك فی هذا العصر كالبيوزجاني المتوفى سنة

(**) وانظر فی البيرونى تنمة صوان الحكمة للبيهقى ومعجم الادباء ج ١٧ ص ١٨٠ وتاريخ الفيلسفة فی الاسلام لئبى بور ص ١٨٤ ومقدمتى سخاو للأثار الباقية وتحقيق ما للهند من مقولة وتاريخ الادب فی ايران من الفردوسى الى السعدى لبراون ص ١٢١ وكاجورى Cajori فی تاريخ علم الطبيعة History of Physics ص ٢٣ وفى تاريخ الرياضيات History of Elementary Mathematics ص ١٠٥ ومادة Biruni فى دائرة المعارف البريطانية وراث العرب العلمى فی الرياضيات والفلك لقدرى طوقان ص ٢٧٥ وما بعدها وراجع مقالتي بركلمن وفريمان عن البيرونى فى دائرة المعارف الاسلامية

٣٨١ ، وابن رستم الكوهي ، والمنجم القمي ، وأبو الحسين الصوفي ، وابن اللبان الجبلي ، وعبد الأعلى الصدفي ، وغيرهم يضيق المقام عن ذكرهم . وقد أردنا الاختصار في هذا الباب لأن التطويل فيه لا يفيد المطالعين بعد تغيير تلك العلوم وانقلابها في هذا العصر . . فمن أراد التوسع في هذا الشأن ، فليطالع تراجم أولئك العلماء في أماكنها

الرياضيات

نزير بالرياضيات هنا الحساب والجبر والهندسة ، وكان للعرب فيها شأن عظيم . ومن أكبر ما أثرهم فيها نقلهم الحساب الهندي والأرقام الهندية من الهند وسائر أقطار العالم . . فالعرب يسمونها أرقاما هندية لأنهم نقلوها عن الهنود ، والأفرنج يسمونها عربية لأنهم أخذوها عن العرب . وأول من تناول تلك الأرقام من الهنود أبو جعفر محمد بن موسى الخوارزمي

وأما الجبر فللعرب فضل كبير في وضعه أو تأليفه . ولما أخذ العرب في نقل العلوم اليونانية ، نقلوا كتابين في الجبر أحدهما لديوفانتوس والآخر لأبرخس . وقد وجد الباحثون بعد نهضة التمدن الحديث أن ما كتبه هذان ليس من الجبر في شيء ، أو هي أصول ضعيفة لا يعتد بها . وهم يعتقدون أن الجبر من وضع العرب . والحقيقة على ما نرى أن العرب بعد أن اطلعوا على حساب الهنود ، أضافوه إلى ما نقلوه عن اليونان وبنوا على ذلك علم الجبر . ومن أشهر كتب المسلمين في الجبر كتاب الجبر والمقابلة للخوارزمي المذكور . . فالظاهر أن الخوارزمي جمع بين ما عثر عليه من الأصول الجبرية عند اليونان والهنود والفرس ، فاستخرج منه الجبر العربي كما جمع في زيجه بين آراء الهند والفرس واليونان . وقد عنى العرب بشرح كتاب الخوارزمي مرارا . وألف أيضا في الجبر أبو كامل شجاع بن أسلم وأبو الوفاء البوزجاني وأكثر مؤلفاته في الحساب ، وأبو حنيفة الدينوري المتوفى سنة ٢٨١ هـ ، وأبو العباس السرخسي المتوفى سنة ٢٨٦ هـ وغيرهم . ولما نهض الأفرنج في تمدنهم الحديث ، أخذوا الجبر عن العرب

ومما أحدثه المسلمون في الهندسة أنهم طبقوها على المنطق ، وقد فعل ذلك ابن الهيثم المصري في أوائل القرن الخامس للهجرة . . فإنه ألف كتابا جمع فيه الأصول الهندسية والعددية من اقليدس وأبلونيوس ، ونوع فيها الأصول وقسمها وبرهن عليها براهين نظمها من الأمور التعليمية والحسية والمنطقية حتى انتظم ذلك مع انتقاص توالي اقليدس وأبلونيوس . وأدخل في الجبر والحساب أساليب جديدة في استخراج المسائل الحسابية من جهتي التحليل الهندسي والتقدير العددي ، وعدل في أوضاع الجبريين والفاظهم

وبنو موسى بن شاعر ، اشتغلوا في استخراج مسائل هندسية لم يستخرجها أحد من الأولين كقسمة الزاوية إلى ثلاثة أقسام متساوية

واشتغل العرب في أغوص المسائل المشككة في الهندسة ، كقسمة الدائرة إلى سبعة أقسام ، ووضعوا فيها الرسائل والكتب

الفنون الجميلة

ذكرنا تاريخ نشوء الموسيقى العربية في أوائل هذا الكتاب . وقد ارتقت بعد ذلك ، ونبغ فيها كثيرون ، وقد ورد كثير من قواعدها في كتاب الاغاني وأمثاله ، وكان لهم شأن في اختراع الآلات الموسيقية وتحسين الآلات التي أخذوها عن سواهم

ومن مخترعاتهم الموسيقية القانون ، والمشهور انه من اختراع الفارابي الفيلسوف المتقدم ذكره ، فقد قالوا انه اصطنع آلة مؤلفة من عيدان يركبها ويضرب عليها وتختلف أنغامها باختلاف تركيبها ، ولكنها في كل حال غريبة في بابها

ذكروا ان الفارابي حضر مجلس غناء لسيف الدولة ، ولم يكن أحد من الحضور يعرفه ، فعاب المغنين . . فسأله سيف الدولة هل يحسن الغناء ، ففتح خريطة كانت معه واستخرج تلك الآلة وركبها ثم لعب بها فضحك منها كل من كان في المجلس . ثم فكها وركبها تركيبا آخر وضرب عليها فبكى كل من كان في المجلس . ثم فكها وغير تركيبها وضرب ضربا آخر فنام كل من كان في المجلس حتى البواب ، فتركهم نياما وخرج

زرياب وابن فرناس

وزاد المسلمون في العود وترا خامسا زاده زرياب بالاندلس . . كان للعود اربعة اوتار على الصنعة القديمة التي قوبلت بها الطبائع الأربع ، فزاد عليها وترا خامسا أحمر متوسطا ، ولون الاوتار وطبقها على الطبائع . وهو الذي اخترع مضرب العود من قوادم النسر ، وكانوا قبله يضربون بالخشب وعباس بن فرناس في الاندلس ، اصطنع الآلة المعروفة بالميقانة يعرف بها الاوقات على غير رسم ومثال

نظرة

انقضى العصر العباسي الثالث ، وبانقضائه تم الجزء الثاني من هذا الكتاب . وقد رأيت ان هذا العصر من أهم عصور آداب اللغة . والباقي لنا من ثمار قرائح أصحابه أكثر من بقايا سائر العصور التي تقدمته ، وفيها نخبة من الكتب المهمة المعول عليها في اللغة والادب والشعر والتاريخ الجغرافية وغيرها . لكنها مع ذلك أقل من بقايا العصر الرابع الذي سنتناوله في الجزء الثالث من هذا الكتاب . . فان أكثر ما يتداوله القراء من كتب الموسوعات التاريخية والجغرافية والكتب المطولة في الادب واللغة ، انما هي من بقايا العصر الرابع المذكور والذي يليه ، كما ستراه مفصلا في الجزء الثالث

صفحة		صفحة	
٨٦	أبو الشيص	٥٢	تأثير الشعر في الهيئة الاجتماعية
٨٧	العكوك		طبقات الشعراء
	شعراء لم يتكسبوا بالشعر	٥٤	الشعراء المتحضرون
٨٩	صالح بن عبد القدوس	٥٥	شعراء لم يتحضروا
٩٠	العباس بن الاحنف	٥٦	بشار بن برد
٩٠	محمد بن بشير الرياشي	٥٩	السيد الحميري
	شعراء لم يتحضروا	٦٠	أبو نواس
٩١	كنثوم بن عمرو	٦٤	مسلم بن الوليد
٩٢	ربيعة الرقي	٦٥	أبو العتاهية
	العلوم اللسانية	٦٨	أبو تمام
٩٥	الادب والادباء	٧٠	دعبل الخزاعي
٩٨	رواة الادب		سائر الشعراء
	عمدة الرواة	٧٣	أبو دلامة
١٠٠	قتادة بن دعامة	٧٤	حماد عجرد
١٠٠	أبو عمرو بن العلاء	٧٥	مروان بن أبي حفصة
١٠١	أبو عبيدة معمر	٧٧	سلم الخاسر
١٠٢	الأصمعي	٧٨	منصور النمري
١٠٣	أبو زيد الانصاري	٧٩	علي بن الجهم
١٠٤	أبو عبيد القاسم	٨٠	حسين بن الضحاك
	رواة الشعر		شعراء البرامكة
١٠٥	حماد الراوية	٨١	ابان بن عبد الحميد
١٠٦	المفضل الضبي	٨٢	ابن منذر
١٠٧	خلف الاحمر	٨٣	الرقاشي
١٠٧	أبو عمرو الشيباني	٨٤	أشجع السلمى
١٠٨	محمد بن سلام		شعراء الشيعة
١١٠	ابن أبي الخطاب	٨٤	ديك الجن
		٨٦	مطيع بن اياس

صفحة		صفحة	
١٤٢	مالك بن أنس		التحوي
١٤٣	الامام الشافعي	١١٤	البصريون والكوفيون
١٤٤	الامام احمد بن حنبل	١١٥	سيبويه
١٤٥	القاضي أبو يوسف	١١٧	معاذ الهراء
١٤٥	محمد بن الحسن الشيباني	١١٧	الكسائي
١٤٦	عبد الرحمن بن القاسم	١١٨	الفراء
١٤٧	الحديث	١١٩	ابن السكيت
١٤٧	التفسير والقراءة		علم اللغة
	التاريخ	١٢٢	أوليات كتب اللغة
١٤٩	أشليخ أبو اسماعيل الأزدي	١٢٣	الخليل بن أحمد
١٥٠	الواقدي	١٢٦	مؤرج السدوسي
١٥٠	كتب الطبقات	١٢٧	النضر بن شميل
١٥١	ابن سعد صاحب الطبقات	١٢٧	قطرب
١٥٢	الانساب وكتابها	١٢٨	ابن الاعرابي
١٥٢	هشام الكلبى		الانشاء والمنشئون
١٥٣	السيرة النبوية	١٢٩	أول ثمار الرخاء
١٥٣	عبد الملك بن هاشم	١٣٠	التوقيعات
١٥٤	محمد بن اسحق	١٣١	الانشاء المرسل
	العصر العباسي الثاني	١٣٢	منشئو الرسائل
١٥٦	تاريخه السياسي	١٣٢	طاهر بن الحسين
١٥٨	مميزات هذا العصر	١٣٣	عمرو بن مسعدة
	اشهر الشعراء	١٣٣	عبد الله بن المقفع
١٦٠	ابن الرومي	١٣٦	سهل بن هارون
١٦٢	البيحترى	١٣٧	الموسيقى والغناء
١٦٤	ابن المعتز		العلوم الاسلامية الشرعية
١٦٦	البسامى البغدادي	١٤٠	الفقه
١٦٧	الخبز ارزى	١٤١	أبو حنيفة النعمان
١٦٧	أبن العلاف		

صفحة		صفحة	
١٩٣	عبد الرحمن الهمداني		الادب والادباء
	التاريخ والمؤرخون	١٦٩	مميزات الادب
١٩٦	ابن عبد الحكم	١٧٠	الجاحظ
١٩٦	البلاذري	١٧٢	السكرى
١٩٧	محمد بن حبيب	١٧٣	ابن قتيبة
١٩٨	الزبير بن بكار	١٧٥	ابن أبى الدنيا
١٩٩	عمر بن شبة	١٧٦	قدامة بن جعفر
٢٠٠	الاذرقى	١٧٦	الوشاء
٢٠٠	ابن طيفور	١٧٧	ابن عبد ربه
٢٠١	اليعقوبى	١٧٨	ابو بكر الصولى
٢٠٢	أبو حنيفة الدينورى	١٧٩	أسلوب ابن المقفع
٢٠٢	ابن جرير الطبرى	١٨٠	أسلوب الجاحظ
٢٠٤	أبو زيد البلخى		النحو والنحاة
٢٠٤	ابن البطريق	١٨٣	أبو عثمان المازنى
	الجغرافية والجغرافيون	١٨٤	أبو العباس ثعلب
٢٠٦	أسباب وضع الجغرافية	١٨٥	أبو اسحق الزجاج
٢٠٧	ابن خردادبة	١٨٥	ابن الانبارى
٢٠٧	قدامة بن جعفر	١٨٦	ابن ولاد
٢٠٧	كتاب البلدان لليعقوبى	١٨٦	أبو جعفر النحاس
٢٠٨	ابن الفقيه	١٨٧	أبو القاسم الزجاجى
٢٠٩	ابن رسته	١٨٨	مذاهب البصريين والكوفيين
٢٠٩	ابن الحائك		اللغة واللغويون
٢١٠	ابن فضلان	١٨٩	أبو عمرو الهروى
٢١٠	سلسلة تواريخ	١٨٩	أبو حاتم السجستانى
٢١٠	عجائب الهند	١٩٠	أبو العباس المبرد
	العلوم الاسلامية	١٩١	المفضل بن سلمة
٢١٢	علم الكلام	١٩٢	ابن دريد

	مزايا هذا العصر
٢٣٣	نضج العلوم
٢٣٤	ظهور الموسوعات
٢٣٤	تعدد العلوم
٢٣٤	التدبير المنزلى
٢٣٥	كتب السياسة
٢٣٥	الاقتصاد السياسى
٢٣٦	علم العمران

الشعر والشعراء

٢٣٧	حل القيود القديمة
٢٣٧	مقتبسات الفلسفة والتاريخ
٢٤١	الوصف الشعوى
٢٤٣	تاريخ نقد الشعر

اشهر الشعراء

٢٤٨	أبو الطيب المتنبى
٢٥١	أبو فراس الحمدانى
٢٥٤	كشاجم
٢٥٤	السرى الرفاء
٢٥٥	ابن هانئ الاندلسى
٢٥٦	الوآء الدمشقى
٢٥٧	السلامى
٢٥٨	البيغاء
٢٥٩	النمى
٢٥٩	ابن نباتة السعدى
٢٦٠	الشريف الرضى
٢٦١	صريع الدلاء
٢٦٢	مهيار الديلمى

٢١٣	علماء الكلام
٢١٥	البخارى
٢١٥	مسلم القشبرى
٢١٦	ابن ماجة
٢١٦	أبو داود
٢١٦	الترمذى
٢١٦	النسائى
٢١٧	التفسير للطبرى

العلوم الدخيلة

٢١٨	يعقوب الكندى
٢١٩	الفارابى
٢٢٠	ابن أبى الربيع

الطب والاطباء

٢٢١	ابن ماسويه
٢٢١	ابن سهل
٢٢١	الرازى

العصر العباسى الثالث

٢٢٤	تنقل العلوم فى المداين الاسلامية
٢٢٦	أسباب النهضة فى هذا العصر
٢٢٧	الدولة البويهية
٢٢٩	الدولة السامانية
٢٢٩	الدولة الزيارية
٢٣٠	الدولة الغزنوية
٢٣١	الدولة الحمدانية
٢٣١	الدولة مروانية بالاندلس
٢٣٢	الدولة الفاطمية بمصر
٢٣٢	الوجهاء والعلم

صفحة		صفحة	
٣٠٢	أبو بكر الزبيدي	٢٦٣	أبو العلاء المعري
٣٠٣	ابن جنى	٢٦٦	سائر الشعراء
	اللغة واللغويون		الانشاء والترسل
٣٠٦	المطرز الباوردي	٢٦٨	أسلوب الترسل
٣٠٦	أبو علي القالي	٢٦٩	الطريقة المدرسية
٣٠٧	أبو أحمد العسكري	٢٧٢	المنشئون
٣٠٨	المعاجم اللغوية	٢٧٢	ابن العميد
٣٠٩	التهذيب للازهرى	٢٧٤	أبو بكر الخورازمى
٣١٠	المحيط للصاحب	٢٧٥	أبو اسحق الصابى
٣١٠	المجمل لابن فارس	٢٧٦	الصاحب بن عباد
٣١١	الصحاح للجوهري	٢٧٧	بديع الزمان الهمداني
٣١٢	الجامع للقزاز	٢٧٨	أبو منصور الثعالبي
٣١٣	الموعب للتياىى		الادب والادباء
٣١٣	المحكم والمخصص لابن سيده	٢٨٣	أبو الفرج الاصبهاني
	التاريخ والمؤرخون	٢٨٥	أبو علي التنوخي
٣١٦	المسعودى	٢٨٦	أبو هلال العسكري
٣١٧	حمزة الاصفهاني	٢٨٧	الثعالبي
٣١٨	ابن النديم	٢٩٠	الشريف المرتضى
٣١٨	المرعشى	٢٩١	ابن رشيى القيروانى
٣١٩	مسكويه		الروايات والقصص
٣٢٠	صاعد الاندلسى	٢٩٤	القصص التى وضعها العرب
٣٢١	أبو عمر الكندى	٢٩٨	القصص المنقولة
٣٢١	أبو عبد الله الخشنى	٢٩٩	خرافات الافرنج
٣٢١	أبو الحسن الاسكندراني	٣٠١	الدرام عند العرب
٣٢١	ابن القوطية		النحو والنحاة
٣٢٢	ابن زولاق		ابن خالوية
٣٢٢	ابن الفرضى	٣٠٢	

صفحة		صفحة	
٣٣٣	التصوف	٣٢٣	عز الملك المسيحي
٣٣٤	الفقه	٣٢٣	أبو اسحق الثعلبي
٣٣٤	أبو الحسن الماوردي	٣٢٤	أبو النصر العتبي
٣٣٥	الفرائض	٣٢٤	هلال الصابي
٣٣٥	التفسير والحديث	٣٢٥	القضاعي
		٣٢٦	أبو بكر الخطيب
	العلوم الدخيلة		الجغرافية والجغرافيون
٣٣٧	الطب	٣٢٨	الخرائط عند العرب
٣٣٨	ابن سينا	٣٢٩	أبو زيد البلخي
٣٤٠	الصيدلة والكيمياء	٣٢٩	الاصطخزي
٣٤١	ابن البيطار وابن الصوري	٣٣٠	ابن حوقل
٣٤٢	اخوان الصفا	٣٣٠	المقدسي
٣٤٥	أبو الريحان البيروني	٣٣١	ابن سرايون
٣٤٧	الرياضيات		العلوم الاسلامية الشرعية
٣٤٨	الفنون الجميلة	٣٣٢	أبو بكر الباقلاني
٣٤٨	نظرة		